

في تاريخ الهند

جناح القرون

المسجد والجامعة بديعة فاس
موسوعة تاريخها المعماري والفكري

المجلد الأول

تأليف

الدكتور عبد المساري الشاري

هذا نشر المؤسسة - الرباط -

جامع القرويين

في تاريخ المغرب

جامع القرويين

المسجد والجامعة بمدينة فاس
موسوعة التاريخ والطب والفكر

المجلد الأول

تأليف

الدكتور عبد الهادي التاري

عضو أكاديمية المملكة المغربية
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
وعضو اتحاد الجامعات العربية



نال هذا التأليف جائزة المغرب
للكتاب سنة 1973

نص قرار لجنة التحكيم وقد تلاه بعد المداولات رئيس اللجنة الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي

«في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم الجمعة رابع شعبان سنة
ألف وثلاثمائة وواحد وتسعين هجرية الموافق أربعة وعشرين سبتمبر سنة
ألف وتسعمائة وواحد وسبعين ميلادية اجتمعت اللجنة المشكلة من :
السيد الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي مشرفا.

السيد الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد عضوا.

السيد الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور عضوا.

لامتحان السيد عبد الهادي محمد التازي في الرسالة المقدمة منه لنيل
درجة الدكتور في الآداب من قسم التاريخ، جامعة القرويين من الناحيتين
التاريخية والأثرية وبعد المناقشة علنيا في موضوع الرسالة بالمدرج تسعة
جيم، بالكلية، وبعد الاطلاع على لوائح الكلية الخاصة بدرجة دكتور في
الآداب قررت اللجنة أن السيد عبد الهادي محمد التازي يستحق أن يمنح
درجة دكتور في الآداب بمرتبة الشرف الأولى».

يان بالرسائل التي أجزيت منذ إنشاء

كلية الآداب (جامعة الاسكندرية)

حتى 10 غشت 1982 — صفحة 57

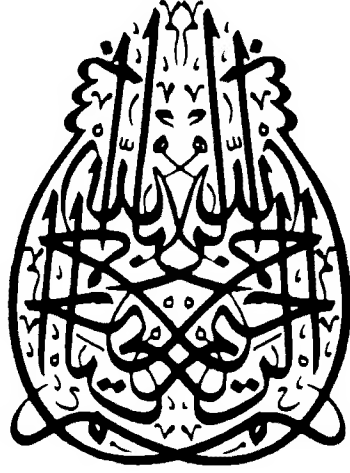
جهاز الطبع والنشر للكتاب الجامعي

الطبعة الأولى 1972 دار الكتاب اللبناني
الطبعة الثانية 2000 دار نشر المعرفة — الرباط — المغرب
© جميع الحقوق محفوظة

الإيداع القانوني رقم : 2000/295

ردمك 1 - 43 - 808 - 9981

مجلس الجامعة
للدراسات والبحوث



رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ، وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحاً تَرْضَاهُ، وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي.

الدكتور عبد الهادي الشاري



- ولد بمدينة فاس 7 شوال 1339 / 15 يونيو 1921م.
- أسهم منذ صغره في الحركة الوطنية فحضر للنفي والاعتقال.
- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي ونال شهادة العالمية من جامعة فاس القرويين بدرجة متفوق جدا (1366-1947) وعين أستاذا بها ابتداء من 1/5/1948.
- بروي معهد الدراسات العليا المغربية (1953).
- انتقل من فاس للرباط بعد استرجاع الإستقلال للإشراف على القسم الثقافي لوزارة التربية الوطنية (أكتوبر 1957).
- طمح إلى الانتساب لجامعة محمد الخامس (المصرية) فنال بها دبلوم الدراسات العليا بميزة حسن جدا (28 أبريل 1963).
- شهادة في الإنجليزية من معهد اللغات بـغداد (1966).
- أحرز على دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة الإسكندرية بمرتبة الشرف الأولى سنة 1971.
- نشر منذ صباه (رمضان 1354 هـ - دجنبر 1935م) عدة مقالات، وترجم عن الفرنسية والإنجليزية عدد من الدراسات والمقالات... (تفوق 900).
- ألف عشرات من الكتب المينة في آخر هذا الكتاب.
- مارس الأستاذية والمحاضرة في طائفة من المعاهد والمدارس العليا والكليات بمختلف الجهات داخل المغرب وخارجه حول تاريخ العلاقات الدولية وغير ذلك من الموضوعات ذات الصلة بالجغرافيا والتاريخ...
- عين مديرا للمعهد الجامعي للبحث العلمي عام 1974م.
- عين سفيراً للمملكة المغربية 13/5/1963 لدى الجمهورية العراقية؛ ثم لدى ليبيا (4 يونيو 1967م) ثم لدى بغداد مرة ثانية (20 سبتمبر 1968م) وكان أول سفير لليغوب لدى دولة الإمارات العربية المتحدة في مارس 1971م، ثم عين سفيراً لدى الجمهورية الإيرانية الإسلامية (28 أبريل 1979م) ثم عين مكلفاً بمهمة بالديوان الملكي.
- شارك في عشرات المؤتمرات واللقاءات الدولية (ثقافية واجتماعية وسياسية) : منها مؤتمرات للقمة...
- الرئيس المؤسس لنادي الدبلوماسيين المغاربة 1990م.
- رئيس المؤتمر السادس للأمم المتحدة لتسميت الأسماء الجغرافية (نيويورك) ابتداء من 1992م.
- عضو بالمجمع العلمي العراقي منذ (1966م) ومجمع اللغة العربية بالقاهرة (1976) والمعهد الثقافي العربي الأرجنتيني (1978) ومؤسسة آل البيت ومجمع اللغة العربية (الأردن) مارس 1980م وعضو اللجنة التأسيسية لأكاديمية المملكة المغربية ثم عضو بالأكاديمية (أبريل 1980)، عضو بمجمع اللغة العربية بدمشق 1986م، عضو مؤسسة التراث الإسلامي (لندن 1991) عضو بالمجمع العلمي المصري 1996م.
- عضو في عدد آخر من الجمعيات والمؤسسات والمنتديات الوطنية والإقليمية والدولية.
- وسام العرش (المغرب 1963م) - الحملة الكبرى للاستقلال (ليبيا 1968) وسام الرافدين (العراق 1972) قلادة الكفاءة الفكرية من الدرجة الممتازة (المغرب 1976) - الميدالية الذهبية للأكاديمية (1982).

بين يدي الكتاب في طبعته الثانية

د. عبد الهادي التازي

عضر أكاديمية المملكة المغربية

لقد كان ضرورياً أن يأخذ المغرب نصيبه من طبع هذا التأليف بعد أن طبع في المشرق قبل نحو من ثلاثين سنة، وبعد أن أصبح محتاجاً إلى قراءة جديدة في بعض فصوله التي سبق لي أن قلت عنها في مدخل الطبعة الأولى ما قلت ولا سيما مع ما ظهر — مغرباً ومشرقاً — من إقبال زائد على الكتاب الذي لم يكن يؤرخ فقط للمسجد الجامعة، ولكنه كان يؤرخ لمؤسسة عظيمة لا يعرف تاريخ المغرب إلا من خلالها بل ولا تعرف لأبنائه هوية إلا عبر اهتمامات زواياها...

وهكذا فلما اقترحت علي (دار نشر المعرفة) بالمغرب إعادة نشر التأليف لم أتردد في الترحيب بالفكرة، بل إنني اعتبرت أن هذا العمل مما يخدم الثقافة في بلادنا، ومما يبعث الحياة العلمية في مثل تلك المعاهد المنتشرة في شتى جهات المغرب من التي ندين لها بالاعتراف بالجميل لما قدمته وتقدمه لهذا الوطن من جليل الأعمال في أمسه البعيد أو القريب حتى تحتفظ له بملاحه الحقيقة وتضمن له الحياة السعيدة الرغيدة الآمنة... لقد تناول الجزء الأول من هذا الكتاب — تاريخ جامع القرويين على عهد دولة الأدارسة، والزّناتيين، والمرابطين والموحدين، وقسم هذا الجزء إلى خمسة فصول على ما قدمنا.

خصص الكلام في الفصل الأول للحديث عن القرويين في عهد الأدارسة... وهكذا تناول ميلاد دولة الأدارسة في المغرب الأقصى⁽¹⁾... وتأسيس فاس العاصمة الشهيرة الأولى للإسلام بعدوئها معا : العدوّة التي سكنها المهاجرون من القيروان، والعدوّة التي قطنها الواردون من الأندلس... ومن هنا تخلّص الفصل إلى بناء جامع القرويين حيث فصلّ الحديث عن ظروف التفكير في القيام بهذا العمل (عام 245) من لدن السيدة فاطمة الفهرية التي وردت على فاس من القيروان في جملة الذين قصدوا العاصمة.

وهنا كانت فرصة لاستعراض الحديث عن اللوحة التاريخية التي عثرنا عليها مدفونة على جدار القبلة الأولى، والتي تحمل اسماً وتاريخاً غير التاريخ وغير الاسم السابقين : تاريخ 262، واسم الإمام داود ابن إدريس...

(1) نعلم أن هناك إمارات نشأت بالمغرب في وقت مبكر : إمارة بني صالح في نكور — إمارة بني عصام في سبتة — إمارة بني مدرار بسجلماسة — إمارة بني رستم في تاهرت — إمارة بني برغواطة على ساحل الأطلس. د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 3، ص 305 رقم الأيداع القانوني 1986/25 مطابع فضالة — المغرب.

وبعد هذا ينتقل الفصل للحديث إلى مرافق القرويين الأولى : البئر — المئذنة — المحراب، ثم المنبر الذي نُحُطِب عليه أول مرة لصالح الفاطميين بإفريقية.

وقد حُصِّص الفصل الثاني للقرويين على عهد الزناتيين حيث تحدّث بأسهاب عن الزيادات المعمارية والعمرانية في القرويين الثانية.

وقد كان في أبرز هذه الزيادة، علاوة على توسيع المساحة، إنشاء مئذنة بدل التي نصبت على عهد الأدارسة، تضمّ غرفتين في وسطها وأعلىها عُرفتا باسم المنار الأول والمنار الثاني. هذه المئذنة أو الصومعة، كما تُسميها في المغرب، هي التي ما تزال إلى الآن شامخةً يعلوها سيف الإمام إدريس الذي تبارى الشعراء في وصفه... وقد تضمن هذا الفصل أيضاً الحديث عن المنبر الذي أمسى يُشيد بذكر بني أمية في الأندلس... كما تضمّن تفصيل الكلام عن جلب الماء للجامع من الخارج لأول مرة، وذلك لتزويد باب الحُفّاة بالماء الضّروري للفقراء الذين يدخلون المسجد عبر هذا الباب...

هذا إلى حديث عن قبة العنزة وعن الثريا كما كانت على ذلك العهد...

• • •

وقد حُصِّص الفصل الثالث للقرويين في عهد المرابطين والموحدين، حيث تناول التأليف الحديث عن الزيادات المعمارية والعمرانية في القرويين الثالثة :

وكان في جملة ما عني به الفصل في هذا الموضوع الحديث عن الفنّ المرابطي الجميل الذي تجلّى في القباب وفي الوشي والتطريز وفي الأقواس المختلفة الأشكال، وفي الكلمات المنقوشة، سواء منها التي تشير لتاريخ أو تتضمّن دعاءً أو تشتمل على آية... وكيف أن الموحدين عمدوا إلى تلك الفنون فطمسوا معالمها وظلت مخفية زهاء ثمانية قرون حتى كانت أعمال الإصلاح جارية حديثاً فاكشفت تلك الفنون.

ويسهب الفصل المذكور في وصف العنزة، والمقصود بالعنزة المحراب الصيفي الذي يحتوي على الواح خشبية تحدّد منطقة المصلّي، كما يتحدّث الفصل عن السطح والسقف، وتوسيع الصحن وتزليجه، وتكييف الهواء في فصل الحر، وجامع الجنائز ومقصورة الإمام ومجلس القاضي... والمنبر التاريخي الذي صنعه المرابطون، والمستودع الذي كان مخزناً لأوقاف القرويين والذي ما تزال آثاره إلى الآن. وجلب الماء للقرويين للمرة الثانية بمناسبة تزويد الصّحن بالنافورة الجميلة أو ما يسمى في المغرب بالخصّة، وإنشاء دار الوضوء الكبرى... ثم يختم الفصل بالحديث عن وسائل إنارة القرويين حيث تتخلص الكلمات لوصف دقيق للثريا الكبرى التي تعتبر من أتمن تحف العالم الإسلامي في الماضي والحاضر، كما تتعرض للنافوس الذي غنمه الموحدون من الأندلس وحولوه إلى ثريا وعلقوه بالبلاط الأوسط رمزا للنصر والظفر...

وقد خصص الفصل الرابع لأعطاء وصف مدقق للأبواب الخارجية باعتبارها مظهراً يعبر عن عظمة الجامع، وهكذا تحدّث الفصل عن : باب الموثقين، وباب الشماعين، وباب الوراقين، وباب الأولياء الغربي، وباب الصّفر الأعلى، وباب الخلفاء، وباب مجلس القضاء، وباب الفرخة، وباب الحدودي، وباب الخلوة، وباب

الصالحين الشرقي، وباب ابن حيون، وباب ابن عُمر، وباب السبايط، وباب الخصة، والباب الأصغر وباب الصفر الشمالي، وباب الحُفّاة.

وبعد أن يتعرض الفصل للحديث عن الأبواب الداخلية للمسجد بما فيها باب ابن الملجوم، يتخلص للكلام عن حَرَم القرويين وما يتمتع به من مركز، مرموق جعل الناس يتنافسون على السكنى فيه، ويتعرض لدار الصهرج ودار الأئمة، ومضربة القيم... مختتماً بالكلام عن تزويد ذلك الحرم بالإنارة الكافية، معدداً النقاط التي كانت تحتوي على «سوامر» أي فوانيس، كانت تهدي المؤمنين إلى بيت الله أثناء الليل...

أما الفصل الخامس فقد عالج التاريخ الفكري للقرويين في مختلف العصور سواء منها العصر الإدريسي، والزناقي والمرابطي والموحدي...

وقد أبرز هذا الفصل مركز فاس حاضرة المغرب وذلك من خلال الكتب القديمة التي كان لمؤلفها صلة عن كُتُب بمدينة فاس من أمثال صاحب المعجب وصاحب الاستبصار وصاحب الأنيس المطرب... متخلصاً لكون الفضل في ظهور فاس إنما يرجع لهذا الجامع الأعظم بما أسداه من بذل وعطاء للحرف العربي ولل فكر الإسلامي... هذا الجامع الذي يعثر في نظر بعض المؤرخين على أنه أقدم جامع في العالم... وهنا يحلل الفصل الأقوال التي تؤكد أن البابا سيلفيستر الثاني حسن معلوماته في العربية عن طريق جامع القرويين هذا.

وقد تناول الفصل بعد هذا حديثاً عن التيارات المذهبية التي عرفت جامعة القرويين في تاريخها المبكر بما فيها مذاهب أهل السنة ومذهب الشيعة، والخوارج والظاهرية إلى آخره، وتناول كذلك ظاهرة التنافس بين مراكز عاصمة المملكة على عهد المرابطين والموحدين وبين بغداد عاصمة العباسيين.

كما تناول حديثاً عن المدارس التي كان يؤوى إليها الطلبة على ذلك العهد... ثم حديثاً عن خزائن المخطوطات، والكراسي العلمية، والإجازات، وملابس العلماء ممّا نسّمه اليوم بشعار الجامعة، وشروط الالتحاق بمجالس القرويين، وطريقة الدّرس وحلقات العلم والمواد الدراسية، والمؤلفات المستعملة ومركز العلماء عند الدولة والشعب ورئاسة الجامعة واستقلالها عن الحكم، ثم نظام القيم على الفن أو الكتاب مما يعرف اليوم برئيس القسم. وبعد هذا يعالج الفصل موارد علماء القرويين ومنح الطلبة وحُجَج الوقف التي تحدد هذه الموارد وتشرّعها، ويكون الختام حديثاً عن أيام العطل وعن العادة الطريفة التي تعرف في المغرب لحد الآن وهي تنصيب سلطان على الطلبة الذي يختار من المتفوقين فيهم يستمر طوال نصف شهر أميراً عليهم يلبس فاخر الثياب ويركب أحسن الجياد التي تقدم إليه هدية من السلطان الحقيقي للبلاد..

أما ملحق الجزء الأول فقد عرّفنا على عدد كبير من رجال الفكر الذين كان لهم شأن في القرويين في الحقبة الأولى من تاريخها، فيهم الأئمة والخطباء والعلماء والشعراء والأطباء ورجال القضاء والعمداء، وفيهم عدد غير قليل ممن تجاوز نفعتهم حدود فاس وتجوّلوا عبر البلاد الإسلامية وأسهموا في تكوين شخصيات بارزة هنا وهناك. لقد بلغ عددهم خمسين ومائتي شخصية على ما قلنا.

وعندما نتنقل إلى الجزء الثاني سنجد أنه يعالج تاريخ القرويين على عهد بني مرين وبني وطاس والسعديين... وهو كسابقه يقسم إلى خمسة فصول :

تناول الفصل الأول الزيادات المعمارية التي تمت في هذه الفترة، بما فيها الترميمات التي انجزت في الجدار الشرقي والشمالي، وإنشاء باب الحدودي، وجلب الماء للقرويين للمرة الثالثة، وإحداث أروقة فوق المخازن، خاصة بالنساء الفضيلات يصلين فيها، ويستمعن منها للدروس التي تعطى بالكراسي القرية من تلك الأروقة، ويتناول الفصل كذلك ما أدخله المرينيون من تحسين على العترة وما أنشأوه من مقصورة للصلاة خاصة بالخليفة والعُرَيفة الملحقه بالمثدنة والخاصة بالموقتين ثم تشجيعهم — أي بني مرين — للعلماء على تركيب عدد من الأسطرلابات والرمليات والشمسيات وكذلك عدد من الساعات المائية التي أثارت اليوم انتباه التقنيين المختصين : ساعة ابن الحباك... وساعة الصنهاجي وقد بقي من هذه الساعات اليوم الساعة المنسوبة للعلامة الجائتي، وهي تشبه الساعة التي نصبها السلطان أبو عنان على مقربة من مدرسته الشهيرة التي تحمل اسمه وهي غير الزاوية المتوكلية التي أنشأها خارج فاس.. وقد أنشأوا للموقتين دوراً قرب برج التفارين تنفذ إلى المثدنة لتسهيل وظيفة الموقتين.

وقد تناول الفصل كذلك موضوع النواقيس الأخرى التي غُنمت من جهات مختلفة من كنائس متعددة بالأندلس وحولوها إلى ثريات نصبوها بشتى نواحي القرويين، وفي هذه الأجراس ما يحمل على ظهره حروفاً باللاتينية تتضمن اسم الصانع مع بعض الدعاء⁽¹⁾.

وبعد هذا يعالج الفصل حديثاً مسهباً عن المكتبة العامة التي أنشأها السلطان أبو عنان وزودها بنفائس المخطوطات التي تناول مختلف العلوم والفنون وهي المكتبة التي كوّنت — مع الخزانة السعدية التي انشئت فيما بعد — نواة الخزانة الكبرى للقرويين اليوم ومن المهم جداً أن نعرف أن الخزانة العناية تعتبر الأولى في العالم التي ينص في النقش الموجود عليها على شروط الاستفادة منها.

وبعد هذا يأتي حديث عن الخلوة السفلى والخلوة العليا اللتان تعرفان بالأسبوع الأعلى والأسبوع الأسفل ثم عن مقصورة المفتي ومصرية الامام الخطيب والمصرية يقصد بها في المصطلح المغربي سَكَن صغير يحمل عند المشاركة اسم المشتمل...

وأخيراً يتناول الفصل منشآت السعديين في صحن القرويين وبخاصة الرواقان الجميلان المتقابلان اللذان استوحيا تصميمهما من أروقة ساحة الأسود بقصر الحمراء في غرناطة... هذان الرواقان اللذان نصبا كظلتين على الفؤارتين المتقابلتين : الموحدية القديمة، والسعدية التي دعت إلى جلب الماء للقرويين للمرة الرابعة... أما الفصل الثاني فقد استأثر بالحديث المسهب عن مدارس القرويين على هذا العهد وقد كانت هذه الفترة

(1) من المهم أن نعرف أن هذا العمل من الحكام المغاربة كان ردّ فعل لما قام به المتطرفون في الأندلس من إنشاء كنيسة في قلب جامع قرطبة العظيم وما قاموا به في إشبيلية من قطع رأس صومعة جامع إشبيلية الذي كان نسخة طبق الأصل من جامع الكتبية بمراكش وجامع حسان بالرباط. د. التازي : التاريخ الدبلوماسي ج 6، ص 73 مصدر أساسي.

بالفعل فترة غنية بما احتوت عليه من عدد مهم من تلك المراكز التي كانت إلى جانب أنها محل إقامة للطلاب على نحو الأحياء الجامعية اليوم، إلى جانب ذلك كانت «معدّة للدرس» على حدّ تعبير النقش الذي يوجد على الرخامة المغروزة في جدار إحدى هذه المدارس، وهي مدرسة أبي عنان... لقد عرّفنا هذا الفصل بتاريخ مدرسة الحلفاوين، ومدرسة العطارين والمدرسة المصباحية، والمدرسة العنانية إلى مدارس أخرى متناثرة في شتى جهات المدينة...

والفصل الثالث خاص بالتاريخ الفكري على عهد المرينيين والوطاسيين والسعديين : وقد كان مما تضمنه من مواضيع بارزة : مركز فاس ومجالسها العلمية.. وتقديم وصف دقيق عن المدينة ذات الأربعين والمائة كرسي، وعن وضع الكراسي وترتيبها داخل جامعة القرويين وفي فروعها بمختلف جهات المدينة.

وقد تضمن الفصل الاستشهاد بمحدث شاهدي عيان حول النشاط الثقافي بالمدينة كان فيهم مغاربة، وفيهم أسقف، ودبلوماسي وطالب أجنبي...

وكما كان منا في المرحلة الأولى فقد تعمّدنا تتبع بعض العناصر التي تقدم الحديث عنها وذلك لنقف على المقارنات والفارقات الضرورية...

وقد كان من جملة المواضيع التي تطرق إليها هذا الفصل التقاليد الجامعية ودور التنافس في إلهاب الحماس بين العلماء وآثار الحرب على سير الدراسة ونصيب المرأة المغربية من التعليم في المغرب⁽¹⁾، وموقف العلماء من الأحداث السياسية وأثر الرحلة على تفكير رجال القرويين وعلى شهرتهم، وسرّ توفّق العلماء في سفاراتهم ببلاد المشرق ولدى ملوك الأفرنج...

ويتخلّص الفصل إلى إعطاء فكرة مدققة عن دور خزانة القرويين الكبرى وعن فروعها بمختلف جهات المدينة، وعن وظيفة المحافظ وقوانين استعارة الكتب المنقوشة على وثيقة التحجيس.

وكما كان في الملحق السابق فقد تضمن ملحق الباب الثاني عددا يناهز الخمسين ومائتي شخصية علمية ممن اسهموا في بناء القرويين وعملوا على استمرار الحياة في شرايين المغرب كله... وقد كرس الجزء الثالث للحديث عن القرويين على عهد الدولة العلوية.

وتناول فصله الأول الزيادات المعمارية والعمرانية في جامع القرويين على هذا العهد الذي اهتم بتفقد الثريات وإنشاء الخصة الوسطى والساعات الشمسية ومحكمة القاضي بسماط العدول، وبهذه المناسبة يعطي الفصل صورة طريفة للسماط عبر التاريخ بمن مرّ به من رجالات...

كما يتحدث الفصل عن إصلاح البلاط الأوسط وكذلك إصلاح الظلّتين المتقابلتين في الصّحن وتأثير غرفة الموثقين بأنفس الاسطرلابات وأحدث الساعات التي ظهرت، وأدق الكرات الأرضية، كما عالج هذا الفصل جهود العلويين في صيانة الخزانة الكبرى وإضافتهم بعض المباني إلى جانبها حتى تؤدي رسالتها في راحة، ويتخلص الفصل للحديث عن المدارس التي أنشأها العلويون لسكنى الطلاب ودراساتهم اقتداءً بمن سلف

(1) د. التازي : المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي. نشر الفنك بمسامة. FRIEDRICH IBERT STIFTUNG, (1992 = 1413)

من الدول ويدقق الفصل كذلك رسم القبلة داخل المحراب اعتماداً على ما حرره العلماء في المغرب بعد استمزاز رأي زملائهم في الأزهر الشريف.

أما الفصل الثاني فهو في نظرنا من الأهمية بمكان، لأنه يتناول موضوعاً لم يعالجه أحد — حسب علمنا — فيما سبق، ويتعلق الأمر بالفروع التي تؤدي رسالتها العلمية بالمدينة من أجل إعداد المستحقين للالتحاق بالمجالس العلمية الكبرى بالقرويين وهذه الفروع هي بالذات الجوامع والمساجد والزوايا الصغرى التي كان فيها ما يتوفر على خزائن كتب مخطوطه، وعلى كراسي علمية... وقد رتبناها حسب ترتيب الحروف الهجائية. بينما يختص الفصل الثالث بمعالجة سجلات الأوقاف أو الحوالات الخيرية كما يسميها المغاربة، ولاشك أن هذا الموضوع كسابقه لم يتناول إلى الآن من أية جهة من الجهات لأن المصادر حوله ظلت مجهولة غير معروفة، وقد تضمن الفصل علاوة على استعراض دقيق لعدد من الزمامات التي تضبط أملاك القرويين... علاوة على ذلك، تضمن تاريخ إصلاح الأوقاف ومحل نظارة الأوقاف كما تضمن وصفاً لفاس من خلال حجج الوقف هذه... وينبغي التأكيد على أن موضوع هذا الفصل يحتاج إلى عناية أعمق باعتباره يعتمد على وثائق من الصعوبة بمكان تفقيها وتعقبها...

أما الفصل الرابع فهو الذي يعالج التاريخ الفكري للقرويين منذ أوائل العهد العلوي إلى استرجاع استقلال المغرب أواسط الخمسينات، وهو يوضح اعتماد الدولة على رجال القرويين لتكوين أطرها الضرورية.

كما يتضمن وصفاً دقيقاً ومركزاً لعادة سلطان الطلبة وتطورها عبر السنين، وهذا الوصف ربما كان أوفى وصف لهذا التقليد الذي ترجع أصوله الأولى — كما أسلفنا — إلى عهد الموحدين وبنو مرين، لكنه لم يكتسب طوقه وتشريعاته إلا في أيام السلطان المولى الرشيد ثاني ملوك في دولة العلويين.

ومن طريف ما عالجه هذا الفصل القرويين من خلال المثل المغربي، وإن ذلك ليعطي فكرة عن تعلق المغاربة بهذه المؤسسة العلمية الكبرى التي كانت ملاذ الكل...

كما يعالج هذا الفصل مرحلة التنظيم الأول بالجامعة وحديث شاهدي عيان عن الدراسة أيام السلطان المولى سليمان الذي كان هو نفسه من كبار العلماء.

ثم تأتي الخطوة الثانية للتنظيم، وظهور المطبعة بالمغرب وتزايد الصلات بين علماء القرويين بالمغرب وعلماء الأزهر بالمشرق.

ومن هنا يتخلص الفصل للبعثات العلمية إلى الديار المشرقية، وإلى البلاد الأروبية عندما أدركت الجهات المسؤولة في المغرب أن التعليم بالقرويين في حاجة ماسة إلى تطعيم يتناسب وتطور البلاد لاسيما بعد أن أصبح المغرب مهدداً من لدن الدول الاستعمارية المجاورة له !

ويتناول الفصل كذلك موقف العلماء من الغزو الخارجي وموقفهم من مذهب السلفية وما تعرضوا له من حكم ظالم من قبل بعض الكتاب الأوربيين الذين كانوا يستهدفون تنقيصهم وتحجيمهم حتى يظهروهم أمام العامة والخاصة على أنهم متعصبون متزمتون... ومن هنا يتخلص الحديث لموقف الوصاية الأجنبية من هؤلاء العلماء الذين كانوا يقفون دائماً حجر عثرة في طريق الدخلاء...

أما الفصل الخامس فقد اختصر بالحديث عن القرويين أيام السلطان سيدي محمد بن يوسف أو (محمد الخامس) كما أصبح يعرف بعد انتهاء الوصاية وقد كان تخصيص فصل بكامله لهذه المرحلة ضروريا لأنها أي المرحلة تمثل فترة حاسمة في تاريخ الديار المغربية، ويتعلق الأمر بالكفاح المرير الذي خاضه محمد الخامس إلى جانب رجال القرويين وسائر شرائح الشعب المغربي ضد إذابة الشخصية المغربية وادماجها في حضارة أخرى ولا بد أن نذكر هنا شهادة لبعض رجال الاستعمار، وهي تؤكد أن «القرويين» كانت السبب الأول الذي عكّر جو العلاقات بين القصر الملكي والإقامة العامة.

وقد عرفنا في هذا الفصل مكاسب القرويين على عهد الكفاح لأجل الاستقلال، كما عرفنا جهاد العلماء ونضالهم من أجل عودة ملك البلاد محمد الخامس من منفاه.

ذلك الملك الملهم الذي جعل جامعة القرويين هدفه الأول للوصول إلى تحرير المغرب. جامعة القرويين التي استطاعت أن تفرض نفسها في الساحة المغربية وأن تذكر المواطنين المغاربة دائما بأنهم بخير ماداموا إلى جانب هذه المعلمة الكبرى بما أسدته وتسديه لهذه البلاد.

وبعد فإني أشعر بأن هناك حاجة للحديث عن الطريق التي عرفها هذا التأليف منذ أكثر من نصف قرن، قبل أن يصل إلى أيدي القراء، وللتاريخ أذكر ما يلي :

لقد غمرثني فرحة زائدة وأنا أجد نفسي بطنجة يوم الثلاثاء 6 ذي الحجة 1377 = 24 يونيو 1958 استقبل فيها الدكتور طه حسين، نيابة عن وزارة التربية الوطنية، وضمن الوفد المغربي الذي صحبه أثناء مقامه بالمغرب استجابة لدعوة كريمة تلقاها من الوزارة تقديرا لموقف الدكتور إزاء معركة التحرير التي خاضها الملك والشعب من أجل استرجاع الاستقلال...

وبالرغم من أن الزيارة كانت للاستجمام كما قيل، فإن الدكتور — بعد أن استقبل يوم الخميس الموالي من جلالة الملك محمد الخامس الذي وشحه بأعلى درجة من وسام الكفاءة الفكرية — أخذ يستعد لإلقاء سلسلة من المحاضرات في بعض العواصم المغربية : وقد كان من حسن حظي بفاس التي وصلناها يوم ثاني يولييه الذي كان يصادف أيام عيد الأضحى أن ألزم الدكتور طه حسين أكثر مما لازمته في الأوقات الأخرى.

لقد سألتني — وكان يعرف أنني خريج جامعة القرويين — عن نصيبي من اللغة الفرنسية ؟ وهل سافرت خارج المغرب، وقال لي : ألا تفكر في الالتحاق بالجامعة العصرية ؟!

وقد استغربت من سؤاله هذا أول الأمر لاسيما وإني أبّ خمسة أطفال وأباشر العمل كرئيس للفرع الثقافي بالوزارة...

وكأنه كان ينسى أنه وجه إلي ذلك السؤال ؟ فيعيده عليّ بين الفينة والأخرى، وخاصة عندما دعاني — وهو يستعد لإلقاء محاضراته بفاس على علماء جامعة القرويين وطلبتها في سينا لاميير بالمدينة الجديدة — دعاني لغرفته، وقد توقعك كاتبه الخاص، لتلاوة بعض النصوص عليه من كتاب كان معه... هناك تعرفت

على الرجل عن كُتُب كما تعرفت على الطريقة التي كان يسلكها مع نفسه لترتيب محاضراته على الشكل الذي يعرفه مستمعوه...⁽¹⁾

وإذا جاز لي أن أتحدث عن أثر تلك اللقاءات في حياتي، فإنني أذكر أنها كانت بالنسبة إليّ منعطفاً هاماً في مسيرتي فلقد أقتعني الرجل بأن الأساس الذي اعتمدنا عليه في جامعة القرويين بالرغم من أنه يُكوّن قاعدةً متينة لبناء البيت، لكن هذا البيت ما يزال بحاجة إلى تأييد... ولابد من الانفتاح على الضفة الجديدة الأخرى !

وهكذا أخذت أتفاعل مع نفسي في أمر الالتحاق بجامعة محمد الخامس بالرغم من بعض المصاعب التي أثارها العمادة حول معادلة شهادة جامعة القرويين، وبالرغم كذلك من اعتراض الرملاء من هذه الجامعة من الذين كانوا يرون في صنيعي تنقيصاً من مكانة القرويين.

وقد شجعني حضور بعض الأساتذة المصريين بالمغرب كانوا وردوا على المغرب للاشتراك في أعمال المؤتمر الثالث للآثار المنعقد بفاس في نونبر 1959، من أمثال المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال الذي وجد في «الأوراق» التي أسهمت بها في المؤتمر بعنوان : (الحروف المنقوشة بجامع القرويين)، وجد فيها ما يبرر ذلك الالتحاق المقترح علي من لدن الدكتور طه حسين.

وقد وجدت في الدكتور الأستاذ أحمد مختار العبّادي الذي أعارته جامعة الإسكندرية لجامعة محمد الخامس مثال الرجل الذي فتح لي قلبه وبيته، والذي ظل ورائي حول إنجاز الفكرة.

وبمناسبة وجودي بالقاهرة في يناير 1961 لحضور اجتماع اللجنة الثقافية للجامعة العربية في دورتها الرابعة عشرة قمت بزيارة للدكتور طه حسين الذي لم يخف ارتياحه من سماع تسجيلي بالجامعة وأنتي أستعد لتقديم رسالتي عن تاريخ (المن بالإمامة) لابن صاحب الصلاة.

فعلاً كانت الرسالة أول حدث علمي أكاديمي شاهده جامعة محمد الخامس في رحاب كلية الآداب (28 أبريل 1963) حيث حضرت الصحافة على اختلاف مشاربها لتغطي الخبر...

وقد صادف حصولي على دبلوم الدراسات العليا أمرين اثنين : لقد انتقلتُ إلى بغداد سفيراً لبلادي، وعاد أستاذي العبّادي إلى مدينته الإسكندرية. لكن الرغبة في متابعة الطريق استمرت وهكذا ظللنا على اتصال حول موضوع رسالة الدكتوراه، وقد اقترح علي أول الأمر كتابة عن (تاريخ المغرب)، لكنني عدت إليه بعد شهور لأخبره بأنني أفضل الكتابة حول (مدينة فاس) التي تستقطب تاريخ المغرب، ووافق الأستاذ على مقترحي الذي أخذت أشتغل عليه لكنني لم ألث أن عدت إليه ثانية لأقول له : إنني لم أجد في فاس شيئاً غير (جامع القرويين) الذي كان وراء تاريخ فاس ووراء تاريخ المغرب كله بل وراء تاريخ علاقة المغرب بكل الجهات الأخرى، وهكذا شرعت في العمل بعد إذن الأستاذ وظللنا على اتصال...

(1) د. التازي : طه حسين في المغرب، بحث قدم لمجمع اللغة العربي القاهرة 1418 = 1998.

لقد كنت حريصاً على أن أنتسب إلى جامعة الإسكندرية بالذات نظراً لتلك الوشائج التي جمعني شخصياً
بزملائي هناك. ثم لما كان يربط الإسكندرية والمغرب من وثيق الصلة على ما قلته في مدخل الطبعة الأولى،
لقد عرفنا عن طائفة مهمة من رجال المغرب وجدوا في الإسكندرية ملاذاً اطمأنت إليه نفوسهم، وعرفنا
عن عدد كبير من الرجال الذين كانوا يعتزون بأنهم نالوا إجازاتٍهم العلمية من مشايخ الإسكندرية بالذات
من أمثال الإمام ابن العربي الذي كان سفيراً للسلطان يوسف ابن تاشفين لدى المستظهر بالله في بغداد
على ما يؤكد بن خلدون.

لا أزعم القول إنني بلغت مُدَّ أحد من أولئك الرجال ولا نصيفه ولا عُشْره.

ولكن البلاد إذا اقشعرت وَصَوَّحَ نَبْتُهَا رُعْيَ الهشيم!

كانت تلك قصة هذا التأليف الذي يوجد بين أيديكم مؤملاً أن تجدوا من خلال تاريخ هذه القرويين
تاريخاً لمسيرة المغرب الذي ظل حاضراً — وبكل قوة — في تاريخ العالم الإسلامي وفي تاريخ المجموعة الدولية
كذلك...

2000/1/1

د. عبد الهادي التازي

تقديم

بالأمس كان المعاصرون للوزير والسفير والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب ينعتونه بلقب "ذو العمرين" لانه كان يخصص النهار لأداء مهام وظيفته بينما يتفرغ في الليل للقراءة والتأليف وقد وجدنا أن هذا الوصف ينطبق اليوم على صديقنا السفير الدكتور الاستاذ عبد الهادي التازي الذي عرف كيف يجمع بين مهمته كسفير ناجح وبين هوايته كعالم ومؤرخ كبير.

وهذا كتابه في تاريخ جامع القرويين يعطينا صورة صادقة للحياة العلمية والاجتماعية والحضارية في مدينة فاس بوجه خاص وفي المغرب العربي بوجه عام . وقد حرص المؤلف على اظهار ما تبقى من هذه المظاهر الحضارية القديمة في عصرنا الحديث فربط الماضي بالحاضر وقدم لنا عملا متكاملا لهذه المؤسسة الجامعية العلمية التي كانت ولا تزال مركز إشعاع علمي وديني وسياسي في بلاد الغرب الاسلامي .

والواقع ان هناك أكثر من حافز دفعني الى التقديم لهذا الكتاب ، فهناك حافز الحب العميق الذي اكنه للمغرب وتاريخه وحضارته ، وهناك حافز الأخوة الصادقة التي تربطني بمؤلف الكتاب منذ زمن بعيد ، ثم هناك حافز الايمان بقيمة هذا الكتاب الذي جمع بين العمق والأصالة والشمول فجاء فريداً في بابيه . ولا اعتقد أن أحداً أقدم على مثل هذه المحاولة الجريئة من قبل .

والواقع أن موضوعاً مثل هذه الموضوعات الحضارية المتشعبة يتطلب من مؤلفه الكثير من الجهد والقراءة المتصلة لاستخراج كل ما يتصل به من معلومات . وقد أعان الله مؤلف هذا الكتاب فاستطاع أن يطلع على جميع المصادر الأصلية التي تفيده في بحثه : فإلى جانب المراجع المعاصرة والمخطوطات النادرة ، اعتمد أيضاً على مدونات النوازل الفقهية والحوالات الحبسية وكتب الرحلات والتاريخ والمعاجم إلى جانب الآثار والعملات القديمة والنقوش المدونة على جدران هذا المسجد ومرافقه . وبهذا العمل الشاق تمكن الدكتور التازي من إخراج أول دراسة علمية مستفيضة عن هذه الجامعة التي تعد من أقدم جامعات العالم ...

الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي

٩ - ٥ - ١٩٧٢

كلية الآداب، جامعة الاسكندرية

مدخل

في مدينة فاس من المغرب الأقصى ، على العُدوة الغربية التي تنتسب الى الوافدين عليها من القبروان ، يحتضن نصفُ هكتار هناك قلبَ المدينة النابض الذي ظل يهيمن بما يملكه من حيوية وفعالية على كل اجزاء الامبراطورية المغربية الفسيحة الأرجاء المتباعدة الأنحاء.

كان ذلك القلب هو «جامع القرويين» الذي يرجع اليه الفضل كل الفضل في استمرار الوجود الإسلامي بهذه الديار ، وفي حياة الحرف العربي بسائر أطراف إفريقيا ...

فان دوره لم يقتصر على استقبال المؤمنين صباحَ مساءً لأداء صلواتهم ومناسكهم ، ولكنه تجاوزه إلى المركز الذي كان مصدر إشعاع فياض على مختلف جهات المغرب الكبير ، وعلى بعض بلاد المشرق وعلى مدن الأندلس ...

ولما قال المؤرخون إنه «أقدم جامعة» كانوا يقصدون أنه المعهد الوحيد الذي استمر في أداء رسالته المقدسة دون أن يتعثر فيما تعثرت فيه الزيتونة من مَثَلات ، وما حلَّ بالأزهر الشريف من نكبات وما أصاب المدرسة المستنصرية من أزمات ...

ظلت القرويين بعيدة عن التيارات العاتية التي غيّرت من معالم عواصم المشرق : بغداد ودمشق والقاهرة ، فاحتفظت من أجل ذلك بكل ملامحها وملامسها ، فما تزال بها الى الآن آثار من عهد الأدارسة الفاتحين ، وآثار من فترات تنافس الفاطميين والأمويين ، وآثار من أيام الزناتيين . ودولة المرابطين ، والموحدين ، وبنو مرين ، وبنو وطاس ، والسعديين ، والعلويين .

كل له فيها أمثلة يعتز بها ... وكل لها عليه دالة يفتخر بها ، فإما أنها زادت من سنده ، وإما أرشدته الى طريق رشيد ، أو اقنعتة باختبار شديد .

لقد استغنت وأثرت حتى نافست مداخيلها ميزانية الدولة نفسها بما توفرت عليه من جليل العقار ، وفسيح الأرضين والغابات ، وحتى لاضطرت الدولة أحيانا الى الالتجاء الى مال أوقافها ، لتسد به خصاصها ، وتغطي به عجزها ، وكل ذلك الطريف والتالد من ثروتها إنما كان يقبل بعد التحري الدقيق

في طيب مصدره وحلال مورده ، سُنَّة عرفتھا القرويين منذ أول يوم من حياتھا ، ولكثرة ما تعزَّز جانبھا كان الموسرون من أهل البلاد يضعون في « مستودعھا » نفائسهم وكرائمهم ...

كانت الجامع الوحيد في دنيا الإسلام الذي يتوفر على أقدم صومعة ثبتت الى الآن، وعلى نفس التصميم الذي خط لها منذ أحد عشر قرنًا، هذه الصومعة التي كانت قدوة لسائر مآذن المدينة الثمانية، لأن مرصدها وغرفتها، كان كلُّ منهما على التوالي مرصداً حوى أقدمَ الساعات المائية في العالم: ساعة ابن الجبَّار. وساعة القرسطوني، وساعة الجاي، الى الرمليات والأسطرلابات، كانت متحفًا تبارى العلماء والمؤقتون في ترتيبه وتزويده بما يساعد على استجلاء الظواهر الجوية، وقد اقترن اختراع الساعات العصرية في أوربا بظهورها في غرفة الصومعة، الأمر الذي يدل على مزيد العناية بها ...

والقرويين الجامع الوحيد في العالم الذي يتوفر على أثرى وأقدم منبر عملت فيه أيدي الفنانين من العلماء الذين كانوا يزاولون دروسهم بين أركان الجامع ... منبر تنافس على اعتلائه كبار الشخصيات من أجل الخطبة عليه، يعتبرونه مجلبة لحسن الذكر، ولنباهة الشأن، وقد سعوا لاكتساب هذه المأثرة ولو ليوم واحد حتى لا تفوت عليهم الفرصة .

وقد انعكست على قباب الجامعة المضلعة والمقربصة والدائرية، وعلى أكاليل سواربها وعقود أقواسها وأفاريز أبوابها، انعكست عبقرية الفنانين المغاربة، فأبدعوا فيها ما شاء الابداع، وصاغوا على تلك الألواح ما حير المهتمين بالآثار وشككهم في مقاييسهم ...

ولا بدَّ أن ترجع بذاكرتك الى أروقة قصر الحمراء بغرناطة عندما تتجول ببصرك في صحن القرويين الفسيح الذي تقابلت على جناحيه الشرقي والغربي ظُلَّتَان بديعتان تقومان على سوارب من رخام، رشيقة القوام، لتحميا القوّارتين المتسامتين على الخصبة الوسطى .

وهي الجامع الوحيد الذي توفر على خمسة مصادر للماء، لتسديد حاجاتها وحاجات مرافقها طيلة فصول العام، ولم نعلم عن شبكة للمياه متقنة التخطيط محكمة التوزيع كالتى سمعنا بها عند تزويد القرويين بهذه المادة الحيوية، وحتى في أحلك أيام الجفاف بفاس ظلت القرويين المعقل الوحيد الذي يتوفر على الماء ...

وقد ضمت رفوفُ خزائنها العلمية الكبرى ومكتبتها الأحمدية من عيون المخطوطات ونوادير الموضوعات ونفائس العلوم ما كان حديث المجالس في وقتها، ورددته مختلف المستندات وحجج الوقف، مما يعطي فكرة عن المواد المدروسة والكتب المستعملة، وقد ازدهرت الحياة الفكرية بها حتى عقدت سوق اسبوعية بالمزاد العلني للمخطوطات، في الجانب الشرقي الغربي من الجامع، وحتى أنشئ ثلاثة وثلاثون

فرعا للخزانة بعدد المساجد الصغرى التي كانت تابعة للقرويين.

وإذا كانت المباني تقاس بمدخلها فإن للقرويين ثمانية عشر باباً كانت مثلاً في العظمة والروعة والاتقان، وفيها ما كان ملبساً بالصفير مطرزاً بالنقوش التي تحمل عبارات الشكر والثناء، وتسجل أسماء الصانعين.

وقد تهافت الناس على حريم القرويين، لأنه أقرب تربة الى الجامع، ولأنه أكثر إنارة وأوفر عناية، وسكنه القضاة والعدول والمؤقتون والمفتون والأئمة والخطباء والوراقون والكتيبون والعلماء والأطباء.

وقد شيدت الى جانب القرويين طائفة من المدارس الداخلية لاستقبال الطلاب، توفرت على عدد من قاعات الدروس، وقد طرزت ووشيت بروائع الفسيفساء، وغدت لوحات فنية تسحر النظارة، مما جعل المختصين ينعتون إحداها بأعجوبة فاس.

آوت آلاف الأسر من مختلف الجهات المغربية، وإليها يرجع الفضل في تجمع أكبر عدد من العشائر والقبائل والمدن المتباعدة في مدينة فاس، بل إنها أغرت طائفة كبرى من الأندلسيين والإفريقيين، ووجدنا الى جانب هؤلاء واولئك نفراً من الفرس والكرد والعجم وجدوا ضالتهم في الاقتراب منها.

وجامعة القرويين هي وحدها التي عرفت منذ تاريخ قديم بعادة تنصيب سلطان للطلبة ربيع كل عام: يمتطي الجواد الأميري، وترفع فوق رأسه مظلة السلاطين. ويأمر بتأليف حكومة له من بين زملائه، ويوزره عاهل البلاد في يوم مشهود من أيام سلطنته التي تدوم زهاء الاسبوع !

وقد عرفت القرويين نظاماً دقيقاً في أيام دراستها وعطلها، وتقاليده فريدة في حلقات دروسها، فكانت منها الحلقة ذات الأستاذ الواحد، وذات الأستاذين. وكانت منها الحلقات التي لا يحضرها الا المعمّون، والحلقات التي لا يؤذن فيها للأحداث بالحضور.

وإذا كانت فاس قد عرفت انها (كرسي المملكة)، فلأن جامع القرويين، بما يتبعه من مئات الفروع المنبثة في أرجاء المدينة، عاد يتوفر - في فترة من الفترات - على مئة وأربعين كرسيًا علميًا، يغشاها الناس من مختلف الطبقات، وعاد من المؤلف المعهود أن على الطلبة من غير فاس أن يقصدوا القرويين إذا كانوا يريدون لصيتهم أن يعلو، ولعلمهم أن يذكر.

كان لها الفضل في حماية السند والإسناد بالمغرب، وسنّ نظام القيم على الفنّ والمشرق على الكتاب، واحياء تقاليد الإجازات العلمية التي ظلت معروفة بأركان القرويين الى أن عوضتها في بداية هذا العهد الشهادة الجامعية.

اعتمد العلماء فيها على مؤلفات المشرق، وعلى الكتب المترجمة في المرحلة الأولى من تاريخ القرويين : مرحلة التشييد، ولكنهم لم يلبثوا أن أخذوا يعتمدون على مؤلفاتهم هم في المرحلة الثانية : مرحلة الأوج ، ثم في المرحلة الثالثة : مرحلة التنظيم ، كما ظهرت المطابع الحجرية حيث أخذت فاس تبث بمؤلفاتها الى المشرق .

وقد كان لعلمائها طريق خاص بهم في التأليف غير ما كان معروفاً لزملائهم في المشرق ، وهذه ناحية أخرى تُعطي فكرة عن تميز الشخصية المغربية، على نحو ما تميزت به في اختيار المذهب المالكي ، وفي اختيار العقيدة الأشعرية ، واختيار تلاوة ورش ورواية ابن سعادة ، وابتكارهم للعمل الفاسي .

وقد ساعد التنافس فيها بين علمائها على خلق حركة علمية كان لها جدوى على سوق الفكر بفاس بما ألهته من حماس وأذكته من مشاعر .

وقد كان للملابس الجامعية البيضاء التي تعود علماء القرويين ارتداؤها قصة وطنية رائعة، فيها تعبير عن أمجاد للإسلام أيام عزته، ولذلك نجد التقاليد المغربية تتمسك باللون الأبيض في أفراحها وأتراحها. مقتدية في ذلك بالظهير الذي أصدره بنو مرين منذ قرون...

وقد تحدث بمجدها على الاستشراق معظم الأجانب الذين كتبوا عنها : استفاد منها سيلفيستر الثاني في عهودها السابقة. وأخذ عنها كلينار وأندري وكوليوس وتصدر أبنائها لتدريس العربية في جامعات أوروبا القديمة في عهودها اللاحقة .

ولم يقتصر فضلها على أولئك العلماء الأعلام ممن درجوا بين أساطينها، ولازموا زواياها، واعتلوا كراسيها. ولكنه تعداه الى الفضليات من نساء فاس اللاتي كن يقصدن الأروقة الخاصة التي تشرف على المجالس العلمية، فكانت العرائس في خدورهن على بينة من أمور دينهن وديارهن، لأنهن تلقين في دور الفقيها ما تلقته هؤلاء بدورهن عن شيوخهن .

وعندما نحاول أن نستعرض أماننا بعض أولئك المشايخ من العلماء والعالمات ممن عرفتهم فاس ، وحلق عليهم طلبة القرويين ، فاننا سنجد أنفسنا أمام معجم طويل لعدد عديد من الرجال الذين يكوّنون وحدهم عشرات المجلدات .

عليها كان المغرب يعتمد في تكوين مختلف أطّره، وبها تخرج كبار العلماء ورجال القضاء ممن زاولوا عملهم في مدينة فاس نفسها، أو في مدن أخرى من المغرب وافريقية والاندلس، ومنها صدر السفراء الى أقاصي البلاد فكانوا مثلاً في الاخلاص والصراحة والنصح .

وقد كان هناك جسر آهلٌ بين علماء فاس وعلماء المشرق. يتبادلون المشورة فيما بينهم في أهم ما جدّ في البلاد، كان هذا أيام المرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسين والسعديين والعلويين.

وظلت بلاد حوض البحر المتوسط، وخاصة منها تونس وطرابلس والاسكندرية - - - - - لرجالها مع مختلف العلماء هنا وهناك، ولذلك نجد لفاس ذكراً على كل لسان، ونجد للمذهب المالكي ظهوراً قوياً في هذه الجهات ومنها الاسكندرية، بالرغم من أن مذهب الدولة هناك كان غير ذلك.

وكل الشخصيات المغربية التي لمعت أسماؤها بالشرق، كانت تنتسب الى هذه القرويين: ابن العربي - ابن بطوطة - ابن خلدون - المَقْرِي - ممن أوردنا ذكرهم في معجم رجال الجامعة مختصرين الحديث عنهم.

وكانت القرويين العتبة المقدسة التي جعلها زوار الأمبراطورية المغربية في صدر مزاراتهم لهذه البلاد، تيمنت بتحيّتها سفارة صلاح الدين الأيوبي الى المغرب، وتردد عليها سفراء الأندلس وتونس فعقدوا لهم بها مجالس علم رفعت من سمعتهم وزادت في حُظوظ نجاحهم.

وقد ارتبط تاريخ المغرب الدبلوماسي والدولي بهذه الجامعة. فلا نكاد نجد حركة فاصلة في ماضي المغرب دون أن نجد لعلماء القرويين فيها اليد الطولى، فان استجابة المرابطين لنجدة الأندلس لم تكن الا بعد فتوى صادرة عن رجال هذه القرويين. وإن أول سفارة من المغرب الى المشرق إنما كانت برئاسة علم كبير من أعلامها، تحدث الى أقطاب بغداد وعلماء الاسكندرية.

كانت القرويين الجامع الوحيد الذي يُهدى اليه نصيبه من المعارك البطولية التي كان المجاهدون يخوضون غمارها بنخوة وعزة، وهكذا نجد على طول بلاطه الأوسط عدداً من «الأجراس» التي اقتلعها الجنود من أعالي الكنائس القشتالية بعد أن حولوها الى ثريات رائعة، وبعد أن لم يبق من معالمها الأولى إلا حروفٌ لاتينية باهتة.

واستفادت القرويين في أيام حروب المغرب الدفاعية على نحو ما استفادته أيام اطمئنانها واستقرارها، ولو أنها توجهت في تلك غير وجهتها في هذه، بما اقتضته المصلحة، ودعا اليه الواجب.

وقد ظلت القرويين القلعة التي ترتطم عليها مخططات الاستعمار من قديم، وإن من يُعنى بتسج تاريخ البلاد السياسي سيقف على أن القرويين كانت وراء كل المقاومات، ووراء كل المواقف الشريفة. وقد كان أول سوء تفاهم بين القصر الملكي و«الإقامة العامة» بسبب هذه القرويين التي كان المحتل ينظر اليها على أنها شجى ينبغي التخلص منه.

ذلك هو جامع القرويين الذي شدني اليه رحم لا تبلى، حيث نشأت على مرأى منه ومسمع، وحيث قضيت فيه ردها من أزهى أيام صباي وشبابي طالباً وأستاذاً.

فاذا تمثل في الضمير رأيتُه وعليه أغصان الشَّباب تميد !

وتلك هي أهم النقاط التي حاولت أن اقدمها في البحث الذي أضعه بين يديكم .

وقد شعرتُ بالغبطة تملأ جوانحي يوم انطلقت نحو الخطوة الأولى في طريق إعدادهِ لأنني رأيت فيه بروراً بذلك العهد الشريف الذي جمع بيني وبين تلك الأماكن .

وقد كان يترأى لي في أول الأمر أن اقتحام الموضوع لن يكلف جهداً، لأن شخصية القرويين كانت من الشهرة بحيث كانت توحى بأن كل شيء في المتناول .

بيد أن قلة المصادر وانعدام المراجع كانت بالغة، فباستثناء ابن أبي زرع في روض القرطاس، والجزنائي في جنى زهرة الآس، وابن القاضي في جذوة الاقتباس، لم نجد أماناً شيئاً يذكر .

ولهذا شعرت بصعوبة المهمة بمجرد ما استوعبت ما حرره الثلاثة مما كان يحتاج بدوره الى الكثير من التصحيح والتفقيب، فقد نقل الأول جلّ معلوماته عن مصادر مفقودة وغير معاصرة لأيام التأسيس الأولى ... ونقل الثاني معظم كتاباته عن الأول، وكان الأمر في الثالث على نحو سلفه باستثناء معلومات إضافية عن أيامه هو .

وقد اعتصرت من مدونات النوازل الفقهية وكتب المعاجم ما أضفى بعض الضوء على محاولتي . لكنه كان ضوءاً باهتاً أيضاً لا يفي بالضالة المنشودة .

وقد دفعتُ بي الحاجة الى اقتحام ميدان آخر كان بالنسبة الى موضوعي سنداً لا أنساه، وضح لي بعض الغموض، ووضع أصابعي على مواضيع أخرى، وأعني به ما يسمى عندنا في المغرب (الحوالات الحُبسية) : أي حجج الوقف، هناك اعتكفت مع تلك الأوراق المتلاشية التي عاث فيها الزمن، وهناك حيث تتبعت واردات القرويين والتزاماتها، حيث تعقبت زواياها بالوصف والتدقيق، وتملّيتُ من تاريخ كان بالنسبة إلينا مجهولاً غير معروف .

يضاف الى كل هذا تعقب المخطوطات والنوادير المغربية سعياً وراء الحصول على بعض ما قد يكون كتب من لدن طلبة القرويين القدامى ممن هاجروا من الديار أو وقعوا في أيدي القراصنة الأجانب الذين كانوا يتجولون في البحر المتوسط .

وقد عثرنا على ما أعطانا صورة صادقة عن معالم القرويين سواء من الناحية التاريخية أو الفكرية،

وكان ذلك مكتوباً فعلاً بأقلام قوم دونوا مذكراتهم خارج البلاد فبقيت محفوظة مكتوبة ... وقد أسهم بعض الكتاب بفصول أو مقالات متناثرة هنا وهناك مما كان - في واقع الأمر - لا يخرج عما عرف مما تحدثت عنه المصادر المألوفة، على أن هناك مصدراً آخر لا أنكر جدواه على بحثي، ذلك ما حرره بعض الأجانب عن تاريخ فاس وجامعة القرويين، فإن في هؤلاء من كتب بأسلوب سياحي، وفيهم من حرر كتابته بروح انتقامية، على أن فيهم من كان موضوعياً في التعريف بهذه الجامعة ورجالها وإن كان عدد هؤلاء قليلاً.

كان علي - لتجهيز كتابي - أن استشير أكثر من خمس مئة مصدر، وإن انتعّب العملات القديمة، وإن اتبين كل حرف منقوش على جدران البيت لأحقق تاريخاً أو أكتشف جديداً، في ظروف متتابعة من الزمن، وفي ظروف متباينة في المكان كذلك!

وكان علي أن أقوم بعشرات الرحلات إلى عين المكان الذي عرفني سائر زواياه ومختلف دروبه، وكل درجة في مثذنته، وقد كان في هذه الرحلات ما تم عبر الفرات والمحيط.

ومع هذا كان علي أن أقوم بمكاتبة العشرات من رجال الفكر والعلم ممن كنت أتوقع أن في الاتصال بهم فائدة للبحث، كان فيهم من يقيم بالقاهرة والاسكندرية وبغداد، وفيهم من كان يقيم بالديار الأوربية على أن فيهم من كان يأوي إلى القارة الأمريكية، بالإضافة إلى عدد منهم من علماء المغرب الكبير ورجالات من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

وقد أحسست كذلك بتشعب الأمر زيادة عندما عقدت العزم على توضيحه بالصور والوثائق والرسوم. فهنا كان علي أن أصحب المصورين لادلهم على اللقطات التي أريد، وكان علي أن اطرق الجهات المختصة لاتزود بأكبر عدد ممكن من الوثائق والرسوم كان فيها ما كان خاصاً بمالكيه، وفيها ما نصب دونه حجاب كثيف.

هذا وقد قسمت الكتاب ثلاثة أبواب حسب الترتيب الزمني للعصور التي مرّ بها جامع القرويين، كل باب مقسم إلى خمسة فصول، وقد تضمن كل فصل عدداً من الموضوعات الأساسية، وقد ذيلت كل باب من الثلاثة بملحق يضم ترجمة مائتين وخمسين شخصية من أهم الشخصيات التي كانت لها صلة بالقرويين.

وقد خصصت قسماً من الكتاب للرسوم والوثائق والصور... وإذا كانت الأبواب الثلاثة قد احتوت على ما يصل إلى ست مئة وسبعين صفحة، فإن هذا القسم يتضمن زهاء أربع مئة لوحة اعتمدت فيها اختيار الوثائق والرسوم والصور التي من شأنها أن تدقق نظرنا إلى هذا الجامع التاريخي الكبير.

ومع هذا فاني اعترف بأن القرويين على الرغم من كل تلك المادة، من كل تلك السنين، كانت تزداد أمامي شموخاً وتعالياً وامتاعاً بمقدار ما كنت أحاول التعمق في تاريخها ...

وقد تجلّى لي بالفعل ان مسّها يعني تناول جهات المغرب كلها بما فيها المدن والقرى والسهول والجبال ويعني تناول جوانب تاريخ المغرب كلها بما فيها تاريخه الاقليمي وتاريخه الدولي ، وان تناولها يعني إثارة كل دفائن الماضي بما فيها النواحي السياسية والاجتماعية ... ويعني الاستعداد للرحلة مع التاريخ الى جهات بعيدة جدا عن الساحة المغربية ! الى الحرمين ، الى القدس ، الى بغداد والشام والقاهرة . الى الاسنانة ومشمولاتها ... الى مجاهل افريقيا ... كان يعني الاطلاع على بعض التقارير السياسية التي كان يرفعها الدبلوماسيون الأجانب عن المغرب سواء الى سطوكولم وكوبنهاكن وامستردام ومدريد وليشبونة وصقلية والفلامنك وواشنطن وبتسبورغ وهامبورغ ، أو الى لندن وباريس .

لكل ذلك فاني أبادر الى القول بأن ما جاء في دراساتي هذه عن القرويين لا يعدو ان يكون تقديمًا متواضعا لهذه المؤسسة التي ما تزال تتطلب منا المزيد من التفرغ في البحث والتعمق في الدرس والتفرغ الكامل والاستيعاب الشامل .

وبعد ... فأود أن لا تفوتني هذه الفرصة دون أن أتقدم بالشكر والتقدير لكل الذين ساعدوني في التعرف على هذه «المعلّمة التاريخية الكبرى» بما اسدوه إلي من جليل الافادات ... سواء منهم الذين اقتبست من مؤلفاتهم، واعتمدت على وثائقهم أو اهدتني برسائلهم أو اقتحمت عليهم مكتباتهم الخاصة والعامة فكنت أجد فيهم سواء بالمغرب أو المشرق قلوباً مفتوحة ومساعدات غير مشروطة ...

ولا أنسى أن أذكر أساتذة لنا كان لهم فضل التدليل على الطريق وفضل التشجيع على المضي فيه وبخاصة رجال الجامعة الذين لم استغن أبداً عن شرف صحبتهم أينما كنت وحيثما حللت .

وأثر بالاعتراف بالجميل للاستاذ الدكتور احمد مختار العبادي الاسكندراني الذي كان يعطيني نفساً كلما شعر بأنني استصعب المسالك ، ولكأنما كان حريصاً على تجديد اللقاء الشريف بين فاس والاسكندرية اللتين ظلتا وفيتين لبعضهما عبر التاريخ ...

لقد دأب على ارضاء رغبة كنت اتوق اليها من زمان ، تلك إحياء ذكرى عهد مضى تأرجت بذكره جنبات التاريخ عندما كان علماء المغرب يعتزون باجازات لهم نالوها من مشايخ الاسكندرية بالذات، من أمثال الامام ابن العربي سفير المغرب الى بغداد الذي عرج على هذه الديار منذ القرن السادس ليحمل معه إجازة الامام الطرطوشي ...

وأخيراً فاني لاعتذر سلفاً عن تقديم كتابي على ما هو عليه مما قد يكون محلّ ملاحظة في بعض فصوله فإن الظروف التي تميزت بها سنواتي الأخيرة كانت تعكس آثارها على تصميم الكتاب الذي كنت لا أرضى عنه في بعض الأحيان، وقد حفز بي الى التعجيل بنشره، اقتناعي بأن انتظار الحصول على الأحسن قد يفوت الفرصة لإدراك الحسن، وكلي أمل في ان القراء والنقاد سيلتمسون لي العذر، وانهم سوف يعملون على تسديد الثغرات، وتصليح الهفوات.

د. عبدالهادي التازي



بعض المراجع العربية الكتب

- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، نشر كوديرا ، مجريط ١٨٨٧ .
ابن الأبار : معجم اصحاب الصدي ، نشر كوديرا مجريط .
ابن ابراهيم (العباس) : الإعلام في تاريخ مدينة مراکش .
ابن الأحمر : نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان (مخطوطة) دار الكتب المصرية قسم التصوير .
ابن الأحمر : روضة السرير في دولة بني مرين ، الرباط ١٩٦٢ .
ابن الأحمر : مستودع العلامة ومستبدع العلامة تحقيق وتعليق محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني تطوان ١٩٦٤ .
الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، لندن ١٨٩٤ .
أرسلان (شكيب) : الحلل السندسية ، نشر المهدي الحبابي ، مصر ١٩٣٦ .
الاسحاقى (الشرقي) : الرحلة ، (مخطوط) في مجلدين ، الأول في خزنة القرويين الكبرى .
أشباح (يوسف) : تاريخ الاندلس في عهد المرابطيين والموحدين ، تعريب محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٨ .
الإصهباني أبو الفرج : مقاتل الطالبين ، نشره أحمد صقر ، ١٩٤٩ .
الإصهباني العماد الكاتب : خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) : تحقيق وشرح محمد بهجة الاثري وجميل سعيد . بغداد
ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء .
اكنسوس : الجيش العرمم .
أمين (حسين) : المدرسة المستنصرية . بغداد .
الأهواني (احمد فؤاد) : التربية في الاسلام .
بروفنصال (ليفى) : الاسلام في المغرب والاندلس القاهرة ترجمة د. محمد عبد العزيز السالم ومحمد صلاح الدين حلمي (مصر) .
ابن بشكوال : كتاب الصلة . مجريط .
ابن بطوطة : الرحلة ، نشر DEFREMERY و Sanguinetti ، باريس
البكري : كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر البارون دوسلان ، الجزائر ١٨٥٧ .
بلافريج وعبد الرحمن خليفة : الأدب الاندلسي ، تطوان ١٩٤١ .
البلغيتي : الابتهاج بنور السراج (شرح منظومة القاضي الماسري) .

- بناني (محمد) : شرح رجز للشيخ عبد الرحمن الفاسي ، حول الاسطراب ...
- بناني (الحاج أحمد) : فاس في سبع قصص .
- البندق (الصنهاجي) : كتاب أخبار المهدي ابن تومرت ، نشر بروفنصال ، باريس ١٩٢٨ .
- بيرم : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، القاهرة ١٣١١ .
- التاجوري عبد الرحمن : تنبيه الغافلين عن قبلة الصالحين والتابعين .
- التازي (عبد الهادي) : القرويين في احد عشر قرنا ، طبعة فضالة ١٩٦٠ .
- التازي (عبد الهادي) : جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي . مطبعة فضالة (المحمدية) ١٩٦٧ .
- التازي (عبد الهادي) : نموذج من حياة (مهيا للطبع)
- التازي : أمير مغربي في ليبيا ، (تحت الطبع) .
- التبكي (أحمد بابا) : نيل الابتهاج بتطريز الديباج . طبعة ١٣٢٩ بمصر .
- التنسي (محمد بن عبد الله) : نظم الدرر والعقيان في شرفاء بني زيان .
- التيجاني : الحاج عمر الفوتي ، طبعة مصر ١٣٨٣ .
- ابن جبير : الرحلة ...
- جُحا (شفيق) وشهلا (جورج) : الأرقام العربية والهندية .
- الجزري : كتاب في معرفة الحيل الهندسية (مخطوط بمتحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطن) .
- الجززاني : جنى زهرة الآس ، نشر الاستاذ بيل (الجزائر) ونشر الاستاذ ابن منصور (المغرب) .
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : سجل المؤتمر (١٣٦٩)
- بوجندار : مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ... الرباط .
- بوجندار : الاغبط في تاريخ الرباط ، مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط
- جواد (ناجي) المحامي : قصة الوقت . بغداد .
- الجيلالي (عبد الرحمن) : تاريخ الجزائر العام . الطبعة الأولى ١٩٥٣ م ١٣٧٢ هـ الجزائر .
- ابن الحاج : رياض الورد . مخطوط بالخزانة العامة .
- ابن الحاج (حمدون) : الديوان ... (مخطوط) بالمغرب (المكتبة الملكية)
- ابن الحاج (أحمد) : الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولاي الحسن محفوظ بالمكتبة الملكية .
- الحجوي (محمد) : الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي . المغرب .
- الحجوي (محمد) : الفتح العربي (المغرب) .
- الحجوي (المهدي) : حياة ابن الوزان . (المغرب)
- حجي محمد : الزاوية الدلائية ، طبع الرباط .
- ابن حزم : طوق الحمامة ، نشر يرشي . الجزائر .
- الحضرمي (محمد بن ابي بكر) : السلسل العذب والمنهل الأمل . مخطوط بالمكتبة العلمية الصيحية (سلا) .
- الحفناوي (محمد) : تعريف الخلف برجال السلف . الجزائر ١٩٠٦ .
- الحفني : الموسيقى العربية وأعلامها . (القاهرة) .

الحلي (احمد) : الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس ، ١٣٠٠ هـ ١٣١٤ هـ .
 ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم . (الجزائر) .
 الحميدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، نشر ابن تاويت ١٩٥٢ . (القاهرة) .
 الحميري : الروض المعطار ، نشر بروفنصال ١٩٣٧ . القاهرة مطبعة لجنة التأليف .
 الحوات (سليمان) : البدور الضاوية (مخطوط) بالمغرب .
 خالص (صلاح) : المعتمد بن عباد الإشبيلي . بغداد (١٩٥٨) .
 ابن خاقان : قصائد العقيان في محاسن الاعيان .
 الحشني : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية .
 ابن الخطيب : روض التعريف بالحب الشريف (مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط) .
 ابن الخطيب : الإحاطة في اخبار غرناطة ، نشر عبد الله عنان ، القاهرة . المجلد الأول
 ابن الخطيب : رقم الحلل في نظم الدول - طبع المغرب .
 ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، فيمن بويج قبل الاحتلام من ملوك الاسلام (نشر بروفنصال) . بيروت
 ابن الخطيب : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب . تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ومراجعة الدكتور
 عبد العزيز الأهواني .
 خفاجي (محمد عبد المنعم) الأزهر في الف عام القاهرة .
 ابن خلدون (يحيى) : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد (نشر : بيل) .
 ابن خلدون (عبد الرحمن) : المقدمة طبعة بولاق (مصر)
 ابن خلدون (عبد الرحمن) : العبر وديوان المبتدأ والخبر . طبعة (مصر) .
 ابن خلدون (عبد الرحمن) : شفاء السائل لتهديب المسائل (نشر ابن تاويت الطنجي) ١٩٥٨ . انقرة
 خليفة (حاجي) : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون - استنبول .
 دافيدسن : افريقيا تحت أضواء جديدة ، ترجمة جمال م . أحمد .
 داود (محمد) : تاريخ تطوان ... (المغرب)
 الدباغ (عبد الرحمن) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان . (تونس) .
 ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب . مصر
 دوزي : ملوك الطوائف . (مصر)
 ابن دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام .
 ابن الزبير : صلة الصلة : نشر بروفنصال ، الرباط ١٩٣٨ .
 زبيس (سلمان) : القباب التونسية في تطورها .
 زبيس (سلمان) : بيوت أذن الله أن ترفع . تونس
 ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس . طبعة فاس
 الزركلي (خير الدين) : الأعلام . القاهرة الطبعة الثانية .
 ابن الزيات : التشوف الى رجال التصوف . الرباط (نشر الاستاذ فور)

- الزيات : تاريخ الأدب العربي . مصر - القاهرة .
- الزباني (ابو القاسم) : ألفية السلوك في وفيات الملوك .
- الزباني (ابو القاسم) : الروضة السلمانية (مخطوط بالخزانة العامة) في ملوك الدولة العلوية ومن تقدمها من الدول الاسلامية .
- الزباني (ابو القاسم) : الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، نشر وزارة الأنباء، تحقيق عبد الكريم الفلالي .
- ابن زيدان (التيب) : إتحاف أعلام الناس المطبوع منه خمسة مجلدات (المغرب) .
- ابن زيدان (التيب) : المتزغ اللطيف في تاريخ السلطان المولى اسماعيل الشريف (مخطوط) .
- ابن زيدان (التيب) : العز والصولة في معالم نظم الدولة .. المجلدان، المطبعة الملكية ٩٦١ - ٩٦٢ .
- ابن زيدان (التيب) : اليمن الوافر الوافي في امتداح الجناح المولوي اليوسفي . المغرب
- ابن زيدان (التيب) : الدرر الفاخرة في مآثر العلويين بفاس الزاهرة . المغرب
- السائح (محمد بن عبد السلام) : لسان القسطاس بتاريخ مدينة فاس (مخطوط) .
- السائح (محمد بن عبد السلام) : الفصن المهور في تاريخ مدينة المنصور (مخطوط) .
- السائح (محمد بن عبد السلام) : تاريخ السلفية بالمغرب ... مخطوط .
- السيبي (محمد بن القاسم الأنصاري) : اختصار الأخبار عما كان بغير سبة من سني الآثار، ١٩٦٩ (الرباط)
- السبكي : طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسينية - مصر .
- السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . مصر ١٣٥٣ .
- السراج (محمد) : تراجم شيوخ القرويين منذ أول مجلس علمي (مخطوط) .
- سركيس يوسف : معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، مصر ١٩٢٨ . القاهرة .
- سرور (محمد جمال الدين) : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة الطعة الثالثة .
- السياني : الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية .
- سكيرج : إرشاد المتعلم والناسي، في صفة أشكال القلم الفاسي (هيسيرس ١٩٣٢) ١٩٦٦ .
- المولى سليمان : آل الفاسي .
- المولى سليمان : الخطبة (نشر ابراهيم الكتاني، المطبعة الجديدة، فاس سنة ١٩٥٢) .
- المولى سليمان : رسالة في الرد على من قال بأفضلية بني اسرائيل على العرب (مخطوط) بالخزانة العامة رقمه ٢٦٠٠ د
- ابن السنوسي (محمد) : الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية . ليبيا .
- ابن سودة (التاودي) : النوازل الفقهية . المطبعة الحجرية . (عام ١٣٠١) .
- ابن سودة (عبد السلام) : دليل مؤرخ المغرب الأقصى . تطوان .
- ابن سودة (عبد السلام) : إزالة الالتباس عن بيوتات سكان مدينة فاس (مخطوط) .
- ابن سودة (عبد السلام) : قضاة فاس من زمن الأدارسة الى الوقت الحاضر (مخطوط) .
- السوسي (المختار) : المعسول .
- السوسي (المختار) : الالفيات .
- السوسي (المختار) : خلال جزولة .

- السوسي (المختار) : سوس العالمة .
- السوسي (المختار) : رد على كولان الذي ينفي الجامعة عن القرويين قبل عهد بني مرين (مخطوط).
- السيوطي : اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. القاهرة
- الشرفي (عليّ) : حول ماء فاس (مخطوط)
- شفري (فريد) : التأثيرات الاسلامية الغريبة على العمارة المصرية.
- ابن شقرون : مظاهر الثقافة المغربية مطبعة الرسالة - الرباط .
- شليبي (أحمد) : تاريخ التربية الاسلامية، ١٩٥٤ . (القاهرة).
- الشتيمري (الأعلم) : شرح الشعراء الستة. باريس
- الشنقيطي : الوسيط في تراجم أدياء شنحيط (نشر بعناية فؤاد سيد). القاهرة.
- ابن صاحب الصلاة : تاريخ المنّ بالامامة، نشر عبد الهادي التازي (بيروت ١٩٦٤).
- الصباغ : سلك الفرائد واليوافيت في الحساب والفرائض والمواقيت. (فاس المطبعة الحجرية).
- الصحراري (عبد القادر) : جولات في تاريخ المغرب .
- الصدقي محمد : إيقاظ السريرة في تاريخ الصويرة.
- الصعيد عبد المتعال : تاريخ الإصلاح في الأزهر . - القاهرة.
- الظبي : بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس. مجريط .
- ابن ابي الضياف : تاريخ تونس. تونس .
- طارو (جان وجيروم) : أزهار البساتين في أخبار الاندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين . تعريب أحمد بلافريج ومحمد الفاسي، الرباط ١٣٤٩.
- أبو طالب (عبد الهادي) : وزير غرناطة، طبع دار الكتاب بالدار البيضاء.
- الطاهري : تحفة الإخوان في شرفاء وزّان. (الخزانة العامة).
- طوقان (قدري) : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ١٩٤١.
- ابن عاصم (الأندلسي) : تحفة الحكام في نكت العهود والاحكام.
- ابن عامر : تونس عبر العصور. (تونس)
- عبد السلام الأمير : درة السلوك (مخطوط) بالخزانة الملكية.
- عبد اللطيف ابراهيم : سلسلة الدراسات الوثائقية. (القاهرة).
- بنعبد الله (عبد العزيز) : الطب والأطباء بالمغرب. الرباط .
- بنعبد الله (عبد العزيز) : المعجم التاريخي. الرباط .
- ابن عبد الملك : الذيل والتكملة (مخطوط) بالخزانة العامة رقمه ٢٦٤٦. د.
- عبد الوهاب (ح. حسي) : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية. مكتبة المنار ١٩٦٤.
- عبد الوهاب (ح. حسي) : خلاصة تاريخ تونس (١٣٤٤) تونس .
- عبد (محمد) : الإسلام والتجديد (١٩٣٥).
- ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. لندن - ١٩٤٨.

- ابن العربي : العواصم من القواصم . - الجزائر .
- ابن عسكر : دوحة الناشر . محفوظة .
- ابن عطية : المعيار .. محفوظة بالخزانة العامة ٦٣٣ / د .
- علماء الشباب : يوم شوقي بفاس (٢٨ نوفمبر ١٩٣٢) . (٢٤ رجب ١٣٥١)
- العلمي (محمد) : حل العقدة . (فاس) .
- العلمي (محمد) : الحاشية على شرح الفشتالي على رسالة المارديني . (فاس) .
- العلمي (ابن الطيب) : الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب .
- العلوجي (عبد الحميد) : مؤلفات ابن الجوزي - بغداد .
- علوش والركراكي عبد الله : فهرس المخطوطات .
- العمري (ابن فضل الله) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، مصر ١٩٤٢ .
- عنان (عبد الله) : تاريخ الجامع الأزهر . القاهرة .
- عياض : الغنية في ذكر مشيخته (مخطوط) .
- العياشي (أبو سالم) : الرحلة العياشية . (طبعة فاس) .
- العيدروسي : تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر . بغداد ١٩٣٤ .
- ابن عيشون (الشرائط) : الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس (مخطوط) بالخزانة العامة .
- أبو العيون (محمود) : الجامع الأزهر . القاهرة .
- ابن غازي : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون - المطبعة الملكية ، الرباط ١٣٨٤ - ١٩٦٤ .
- غرنيط (محمد) : فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان ١٣٤٧ . (فاس) .
- الغزالي : فاتحة العلوم .
- غلاب (محمد) : الفلسفة الإسلامية بالمغرب .
- غنيمة (محمد) : تاريخ الجامعات الإسلامية . شهبان (١٩٥٢) .
- الفاخوري : تاريخ الأدب العربي . بيروت .
- الفاسي : مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن .
- الفاسي (عبد القادر) : الأجوبة الكبرى (طبعة حجرية) . ١٣١٩
- الفاسي (عبد الرحمن) : الأقتوم .
- الفاسي (العربي) : شفاء الغليل في القبلية لأمة التنزيل .
- الفاسي (احمد بن محمد بن عبد القادر) كتاب الحايك (تطوان) .
- الفاسي علال : الحركات الاستقلالية (القاهرة) .
- الفاسي العابد : الخزانة العلمية بالمغرب .
- فالترهينز : المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادها في النظام المترى . ترجمه عن الالمانية الدكتور كامل العلمي (منشورات الجامعة الأردنية) .
- ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، فاس ١٣١٦ .

- ابن الفرزي : تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس مجريط .
- الفتالي : مناهل الصفاء في أخبار الشرفاء نشر عبد الله كنون (المغرب).
- الفضلي (ادريس) : الدرر البهية في الفروع الحسنية والحسينية .
- فكري (احمد) : المسجد الجامع بالقيروان . دار الآثار العربية - القاهرة .
- ابن القوطي ؟ : الحوادث الجامعة في المئة السابعة ، أخرجه مصطفى جواد (المؤلف مجهول) - بغداد .
- القادري : نشر المثاني ، المقصد الأحمد .
- القادري (ابن الخياط) : التحفة القادرية في التعريف بشرفاء أهل وزان (مخطوطة).
- القادري : التقاط الدرر ، مخطوط بالخزانة العامة .
- ابن القاضي : جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس ١٣٠٩ .
- ابن القاضي : المتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور (مخطوط) تحت رقم ١٠٥٧ .
- القباج (محمد) : الأدب العربي في المغرب الأقصى - الرباط .
- قداح (نعيم) : إفريقية الغربية في ظل الاسلام .
- القصر الملكي : انبعاث أمة (مجموعة خطب جلالة الملك) المجلدات الست - المطبعة الملكية .
- القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء . لييك طبعة بيروت .
- القلصادي : كشف الأسرار في حساب الغبار .
- القلقشندي : صبح الأعشى ، مصر ١٩١٨ . دار الكتب .
- ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقيير ، نشر محمد الفاسي وأدولف فور . الرباط .
- الكانوني (محمد) : تاريخ اسفي وما اليه .
- الكانوني : شهرات المغرب (مخطوط) .
- الكتاني : السرب المحتضر . طبعة فاس الحجرية .
- الكتاني (محمد بن جعفر) : الرسالة ، شرحها الشيخ المدني بن الحسي مخطوطة .
- الكتاني (محمد بن جعفر) : سلوة الأنفاس .
- الكتاني (محمد بن جعفر) : الأزهار العاطرة الأنفاس المخطوطة بالخزانة العامة (رقم ٣٣٥٤) .
- الكتاني (ع.ح.) : التراتيب الإدارية ، الرباط ١٣٤٦ .
- الكتاني (ع.ح.) : ماضي القرويين ومستقبلها (مخطوط بالخزانة العامة) رقم ٣٣٥٤ .
- الكتاني (ع.ح.) : فهرس الفهارس .
- الكتاني (ع.ح.) : أوقاف القرويين وناظرها (مخطوط) رقم ٢٩٢٩ .
- الكتاني (ابراهيم) : مذكرات حول بداية الحركة الوطنية (مخطوط) .
- الكتاني (المنتصر) : القرويين أقدم جامعة في العالم محاضرات جامعة دمشق ١٩٦١ .
- كتلة العمل الوطني : مطالب الشعب المغربي ، مطبعة الإخوان المسلمين ١٩٣٤ .
- كتلة العمل الوطني : مفاخر العلويين - طبعة الرباط .
- كحالة (عمر) : معجم المؤلفين ١٩٥٧ . دمشق .

- كراتشكوفسكي : دراسات في تاريخ الأدب العربي .
- كرد علي (محمد) : الإسلام والحضارة العربية . القاهرة .
- الكرودوي : رسالة في ان حرب النظام واجب على هذه الأمة .
- الكماك (عثمان) : محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر ، معهد الدراسات العربية الاسلامية ١٩٥٨ .
- الكلالي (ابو سالم) : تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب مع الهاربة من الهذيان المدعي استحقاق الفتوى آجلبان (مخطوطة بالخزانة العامة ضمن مجموع رقم ك / ١٥٧١ . نشرها الاستاذ محمد المنوفي من مجلة البحث العلمي يناير ١٩٦٦) .
- كنون (محمد التهامي) : أجوبة الشيخ كنون طبعة فاس الحجرية ١٣١١ .
- كنون (عبد الله) : التعاشيب . المغرب .
- كنون (عبد الله) : النبوغ المغربي ، الطبعة الثانية . بيروت ١٩٦١ .
- كنون (عبد الله) : مشاهير رجال المغرب (المغرب) - الرباط .
- كُوسطي : بيوتات سلا ، ترجمة بلقاسم (مخطوط بالخزانة العلمية (الصيحية) لمدينة سلا .
- ماء العينين : الجأش الربيط في تاريخ شقبط .
- المحبّي : خلاصة الأثر في رجال القرن الحادي عشر . القاهرة .
- ابن ابي حجلة المغربي : ديوان الصباية .
- ابن ابي حجلة المغربي : الإصليت (مخطوطة بالمكتبة الملكية) .
- محمد بن عبد الله (السلطان) : الفتوحات الإلاهية . تقديم الشيخ الرئيس المدني ابن الحسني .
- محمد بن عبد الله (السلطان) : مساند الأئمة ، منشورات الجنرال فرانكو للابحاث العربية الاسبانية ، تقديم الفريد البستاني . تطوان .
- محمود (حسن احمد) : قيام دولة المرابطين ١٩٥٧ . القاهرة .
- المراغي (أبو الوفاء) : المراغي الشيخ القاهرة
- المراكشي (عبد الواحد) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، نشر محمد الفاسي ، ١٩٣٨ ، (المغرب)
- ثم محمد سعيد العريان ومحمد العلمي ١٩٤٩ . (القاهرة) .
- المراكشي محمد بن عثمان : الجامعة اليوسفية في تسع مئة سنة .
- ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن .
- مرزوق (محمد عبد العزيز) : بين الآثار الاسلامية . القاهرة .
- ابو المزاي : المقاصد الأربعة (مخطوط) .
- معروف (ناجي) : تاريخ علماء المستنصرية . بغداد ١٩٥٩ . المستنصرية وأساندتها —
- المسعودي : مروج ومعادن الجوهر مطبوع بمصر وباريس .
- المشرقي : فتح المنان في شرح قصيدة ابن النوان ، مخطوط بالمكتبة الزيدانية .

- المعمري (محمد) : نبراس الإسلام في غصون التاريخ العام ، المطبعة الملكية ١٩٦٥ .
- المقري : نفع الطيب الطبعة الأزهرية ١٣٠٢ وطبعة دار صادر ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ١٩٦٨ .
- المقري : روض الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين مراکش وفاس ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٣٧٣ - ١٩٦٤ .
- المقري : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض . القاهرة لجنة التأليف .
- المكناسي : درة الحجال في أسماء الرجال ، مخطوط بالخزانة العلمية الصيحية ، سلا .
- الملزوي : نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ، المطبعة الملكية ، تعليق ابن منصور مؤرخ المملكة .
- ابن الملقن : طبقات الأولياء ، مخطوط يحققة الأستاذ عبد الله الجبوري .
- ملين (محمد) : عصر المنصور الموحدي ، الرباط ١٩٤٦ .
- المنوني (محمد) : العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين ، تطوان ١٩٥٠ .
- المنوني (محمد) : ركب الحاج المغربي .
- ابن الوقت : السعادة الأبدية .
- ابن الوقت : الانبساط بتلخيص الاغبط ، مصر ١٣٤٧ .
- مؤلف مجهول : تأليف مبارك في ذكر الملوك الأدارة ، الأصل في كورنهاكن . والصورة في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .
- مؤلف مجهول : رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس الرباط مخطوط بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ٩٧٢٢ .
- مؤلف مجهول : مفاخر البربر نشر معهد الدروس العليا . الرباط .
- مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، مصر ١٩٥٨ .
- مؤلف مجهول : رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، طبعة بيروت ١٩٥٧ .
- مؤلف مجهول : بيوتات فاس في القديم .
- مؤلف مجهول : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، نشره ابن أبي شنب . الجزائر ١٣٣٩ - ١٩٢٠ .
- مؤلف مجهول : تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمدونية ، نشر جورج كولان (المغرب) .
- مبارة (محمد) : نظم الآلّي والدرر (مخطوط بالخزانة العامة رقم ك/٩٣١) .
- ابن ميمون : الرسالة المجازة في معرفة الإجازة (مخطوط) .
- ابن ميمون : رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملته القرآن (مخطوط) بمكتبة يزو رقم ٥٠ .
- الناصري (احمد) : الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، نشر ولديه جعفر ومحمد ، دار الكتاب ، بالدار البيضاء ١٩٥٤ .
- الناصري (اليميني) : ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الإنكسار ، ١٣٤٥ .
- الناصري (المكي) : الأحباس . . .
- النباهي : المرقبة العليا - نشره ليفي بروفنصال - القاهرة .
- نظارة أوقاف فاس : الحوالات الحبية لجامعة القرويين (مخطوطة ، هي الآن بالخزانة العامة بالرباط) .

نقرة (التهامي) : القيروان عبر العصور . تونس .
 ابن هلال (ابراهيم) : النوازل .
 وجدي (فريد) : كنز العلوم واللغة ١٣٢٣ . القاهرة .
 وزارة التربية الوطنية - إدارة الشؤون الثقافية : الكتاب الذهبي ، جامعة القرويين في ذكرائها المئة بعد الألف . جمع وتنسيق عبد الهادي التازي ، الكاتب العام لمهرجان عيد القرويين .
 وزارة التربية الوطنية : وثائق مؤتمر جنيف التربوي ... وثائق مفتشية الآثار .
 الوزاني (محمد المهدي) : النوازل (المعيار الجديد) . طبعة فاس .
 الونشريسي : المعيار طبعة فاس .
 ياقوت (الحموي) : معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان .
 ابن يحيى (يوسف) : تراجم صلحاء المغرب (مخطوط بمكتبة الكلاوي) .
 اليعقوبي : كتاب البلدان ، طبعة ليدن ١٨٩٠ . باعثناء دي غوية .
 اليفرنى : نزهة الجادي بأخبار ملوك القرن الحادي (ترجمة هوداس) . باريس .
 اليفرنى : صفوة من انتشر . طبعة فاس .
 اليفرنى : المنهل السهل في شرح ابن سهل .
 اليوسي : المحاضرات
 اليونسكو : الوثيقة رقم 9/C/VR9

• • •

هذا الى ملف (الرسوم) العدلية و (الرسائل) العديدة المتبادلة من مختلف الجهات . مما يشتمل على معلومات جلية .

المجلات والصحف

ابن ابراهيم (العبّاس) صناعة رجال القرويين في التأليف وأشهر مصنفاتهم (مجلة المغرب)
 ابراهيم (عبد الله) : الصوفية بالمغرب ، مجلة المغرب الجديد (تطوان) ١٩٣٦ .
 ابن ادريس (عبد العزيز) : في القرويين ، جريدة الأطلس ، العدد ١٢-٢-١٩٣٧ .
 ابن ادريس (المهدي) : نشأة الأدب العربي بالمغرب ، مجلة المغرب ، عدد دجنبر ١٩٣٤ .
 اعراب (سعيد) : المقامة الفاسية لابن محرز الوهراني ، مجلة البحث العلمي ، عدد شتنبر ١٩٦٥ .
 اعراب (سعيد) : عبد الله بن ياسين مجدد الإسلام بإفريقية ، دعوة الحق ، يونيو ١٩٦٩ .
 الالفي (ابراهيم) : عناية الملوك المغاربة بالحديث الشريف من المرابطين الى العلويين ، الدعوة ١٩٦٧ .
 برايس : ساعات من القرن الرابع عشر في فاس ، عربيه عن الانجليزية عبد الهادي التازي ، مجلة المجمع العلمي العراقي - الجزء الثالث عشر - ١٩٦٦ .
 بروفنصال : كتاب طبقات علماء إفريقية ، نشر ابن شنب ، مجلة هيسبيريس - الجزء الأول - ١٩٢١ .
 بلافريج (احمد) : اهتمام ملوك المغرب بفداء الأسرى ، مجلة المغرب ، نونبر ١٩٣٤ .

- بكيج مدحت : الاحتفال في المغرب . جريدة اسلوبوجينة (التحرير) اليوغوسلافية . سرايفو - ٣٠ - ١٠ - ١٩٦٠ .
- التازي : أقدم ساعة مائية في العالم توجد ببنار القرويين، جريدة العلم المغربية، عدد ٢٧-١-١٩٥٨ وعدد ٢٨-١-١٩٥٨ .
- التازي : جامعة القرويين، مجلة العربي الكويتية عدد مارس ومايو ١٩٥٨ .
- التازي : الدولة العلوية واقطاعية ابن مشعل ، دعوة الحق، يونيو ١٩٥٩ .
- التازي : نظرية جديدة في تاريخ بناء جامع القرويين مجلة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، المجلد السادس ١٩٥٨ . مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثامن ١٩٥٩، مجلة الفكر التونسية السنة الخامسة، عدد ٦ مارس ١٩٦٠ .
- التازي : جامع القرويين، دعوة الحق، مارس، مايو ١٩٥٨ .
- التازي : الى الأستاذ لاندو - دعوة الحق، نونبر ١٩٥٨ .
- التازي : عبد الحق ابن معيشة أحد عمداء القرويين ٥٢٩ - ٥٣٣، مجلة التريية الوطنية دجنبر ١٩٦٠ .
- التازي : نحو تاريخ هجري موحد، دعوة الحق، عدد دجنبر ١٩٦٦ يناير ١٩٦٧ .
- التازي : الحروف المنقوشة بالقرويين في خدمة الآثار، مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية، المجلد ١٤ . ١٩٦٠ . ٦١ - ٨٨ .
- التازي : الإمام داود بن ادريس من خلال الوثائق التاريخية، الدعوة، ابريل ١٩٦٠ - ٦٢، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق. المجلد ٣٦ جزء ٢ - ٢١٢ .
- التازي : جامعة القرويين في ذكرها المئة بعد الألف، مجلة الاذاعة الوطنية، عدد اكتوبر ١٩٦٠ .
- التازي : الارقام العربية . مجلة التريية الوطنية، ابريل ١٩٦١ - مجلة اللسان العربي . عدد ٢ يناير ١٩٦٥ .
- التازي : العلاقات الثقافية بين روما وفاس منذ القرن العاشر للميلاد بمناسبة توأمة فاس - فلورانس جريدة العلم ٩ مارس ١٩٦٣ - ومجلة (المغرب) لوزارة الشؤون الخارجية .
- التازي : توأمة فاس والقيروان أقدم توأمة عرفها التاريخ وتوأمة أخرى مجلة (المغرب) وزارة الممثل الشخصي لجلالة الملك . مايو . يونيو ١٩٦٥ / تاريخ بناء القرويين ، من (الكتاب الذهبي . . .)
- التازي : من الوثائق التاريخية المغربية في بغداد (دعوة الحق) ابريل، ماي ١٩٦٧ .
- التازي : مراسيم تقديم اوراق الاعتماد على عهد السلطان المولى اسماعيل، دعوة الحق، مارس ١٩٦٩ .
- التازي : في تاريخ المغرب الدبلوماسي مجلة دعوة الحق (المغرب) مارس ١٩٧١ - مجلة الاتحاد (ابو ظبي) ابريل ١٩٧١ - مجلة البيان (الكويت) مايو ١٩٧١ .
- التازي : ٨ لقاءات مع المغفور له محمد الخامس - دعوة الحق، مارس ١٩٦٧ .
- التازي : ليبيا لدى الرحالة المغاربة، مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٠ .
- التازي : نضال السلطان مولاي يوسف من أجل حق المغرب الدبلوماسي، مجلة اللقاء، عدد مارس ١٩٦٩ .
- ابن تاويت (محمد) : أدب الدولة المرابطية والموحدية، مجلة البحث العلمي، عدد مايو ١٩٦٤ .
- التجبي : الحسبة، جورنال آسياتيك، ابريل ١٩٣٤ .

- النجاري (عبد الله) : أقدم جامعة؟ المغرب الجديد ٥ يونيو ١٩٣٦ .
- ابن جلون (عبد الكريم) : محاضرة حول القانون الإسلامي ، جريدة العلم .
- ابن جلون (عبد المجيد) : قصة (مجلة المغرب) الوزير الممثل الشخصي لصاحب الجلالة . . .
- الجليلي (محمد صديق) : المزاويل الشمسية ، مجلة التربية الإسلامية (بغداد) العدد ١٢ ، كانون الأول ١٩٦١ .
- جمال الدين (محسن) : حول المستشرق بندلي جوزي ، مجلة وزارة المعارف العراقية . نيسان ١٩٦٠ .
- الجندي (أنور) : التقاء المغرب بالشرق ، البحث العلمي ، مايو ١٩٦٤ .
- جواد (مصطفى) : آثار بني العباس في العراق ، مجلة الهلال ، السنة ٤١ يونيو ١٩٣٣ / جامع القرويين وجامع البصرة ، الكتاب الذهبي ... مجلة العلم والحياة آذار ١٩٦٩ بغداد
- الحجوي (محمد) : المرأة المغربية المثقفة ، مجلة المغرب ، أوت . دجنبر ١٩٣٥ .
- الحجوي (المهدي) : الأسلوب الكتابي وتطوره في عهد الأدارسة ، ذيل عدد ٩ محرم ١٣٥٢ وعدد ١١ ربيع الاول ١٣٥٢ من مجلة (المغرب) .
- الحجوي (محمد المهدي) : القرويين والعلويين ، مجلة المغرب ، عدد خاص بالقرويين ، نونبر ، دجنبر ١٩٣٦ .
- حجي (سعيد) : ابن الوزان الفاسي ، مجلة المغرب ، نونبر ، دجنبر ١٩٣٤ .
- حجي (سعيد) : سلطان الطلبة بمناسبة نزهته المقامة الآن بفاس ومراكش . مجلة الثقافة المغربية ، عدد ٦ ، ١٢ مايو ١٩٣٨ .
- حجي (محمد) : المراكز الثقافية المغربية أيام السعديين ، البحث العلمي ، عدد دجنبر ١٩٦٥ ، ويناير ١٩٦٦ .
- حركات (ابراهيم) : حضارة الأدارسة ، دعوة الحق ، مارس ١٩٦١ .
- حركات (ابراهيم) : فاس في ثورة دائمة ، عدد يراير ١٩٦٢ .
- ابن الحسي (المدني) : مغريات ، مجلة الهداية الاسلامية ج.ع.م . القاهرة . المطبعة السلفية ، جمادى الأولى ١٣٤٨ .
- ابن الحسي (عبد الكريم) : تحية جامع السنة الى جامع القرويين . الكتاب الذهبي ص ١٥٨ - ١٧٢ .
- الدباغ (محمد عبد العزيز) : جامع الأندلس بفاس ، دعوة الحق ، أكتوبر ١٩٦٢ .
- الدباغ (محمد عبد العزيز) : دور المرابطين في توحيد المغرب وقرار العقيدة السلفية ، دعوة الحق ، يونيو ١٩٦٩ .
- الدراقوي (محمد الامين) : المناهج التعليمية عند ابن خلدون . دعوة دجنبر ١٩٦٥ وما بعد .
- دراويس : جامعة ليدن بهولاندا (الكتاب الذهبي) .
- الرحالي (الفاروق) : القرويين وكلية مراكش (الكتاب الذهبي) .
- الزغاري (محمد) : الكتابات القرآنية ، ذيل مجلة المغرب ، عدد ٩ المحرم ١٣٥٢ وعدد ربيع الأول ٣٥٢ مايو ١٩٣٣ .
- زمامة (عبد القادر) : نشأة الأدب العربي بالمغرب (دعوة) مارس ١٩٥٩ .
- زمامة (عبد القادر) : مشاهير أنساب فاس وبيوتاتها ، البحث العلمي ، عدد دجنبر ١٩٦٤ ويناير ١٩٦٥ - مجلة تطوان ١٩٦٢ .
- زمامة (عبد القادر) : الأمثال المغربية ، شتنبر ١٩٦٥ يناير ١٩٦٦ .
- زمامة (عبد القادر) : بين الزياتي واكنسوس مقارنات دعوة مارس ١٩٦٧ .
- زمامة (عبد القادر) : اسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس ، مجلة اللسان العربي عدد غشت ١٩٦٦ .

- زمامة (عبد القادر) : الكلمات القرآنية الجارية مجرى الامثال بالمغرب (دعوة الحق) يناير ١٩٧٠.
- زينبر (محمد) : كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس، البحث العلمي الثالث شتنبر ١٩٦٤.
- الزهيري (قاسم) : الممالك الاسلامية القديمة في افريقيا السوداء، دعوة الحق، مارس ابريل مايه يوليو ١٩٦٢.
- ابن زيدان : العلويون وتعليم البنات، مجلة المغرب، غشت شتنبر ١٩٣٥.
- ابن زيدان : ازدهار العلوم على عهد العلويين، مجلة المغرب عدد ١٩٣٦.
- السائح (حسن) : المناهج الدراسية بالمعاهد الاصلية، الكتاب الذهبي. قصة سلطان الطلبة، جريدة آخر ساعة ٢٣ مارس ١٩٦٣.
- السالي (احمد) : شعر المولودية في مملكة غرناطة والمغرب من القرن الثالث عشر الى القرن السابع عشر السراج (محمد) : المركز الاجتماعي لعلماء جامعة القرويين، الكتاب الذهبي.
- سرهك (اسماعيل) : كتاب حقائق الاخبار عن دول البحار، النشرة التربوية (تونس) العدد الثاني ابريل ١٩٦٠
- شبانة : الازدهار الاجتماعي عصر الفاطميين، دعوة الحق، شتنبر ١٩٦٦.
- الشرايبي (عبد الهادي) : جاذبية الوطن، مجلة السلام تطوان للشيخ محمد داود مارس ١٩٣٤ المغرب / مجلة (الرسالة) المصرية عدد ١٠ يونيه ١٩٣٥.
- الشرقي (علي) : محاسن فاس، محاضرة القيت في المؤتمر الثامن لمعهد الدروس العليا، ابريل ١٩٣٣ ذيل مجلة المغرب عدد محرم ١٣٥٢ و ربيع الاول ١٣٥٢.
- ابن شقرون (الحاج احمد) : القرويين بين الامس واليوم (الكتاب الذهبي) ص ١٢٢.
- الشقيطي (محمد الأمين) : جامعة القرويين بين القديم والحديث، الكتاب الذهبي ص ٨٩ - ٩٢.
- الشايطمي (محمد) : نظرة على مدينة صفرو، مجلة التربية الوطنية، عدد ٩ يونيه ١٩٦٠.
- الشيال (جمال الدين) : الصلات الثقافية بين الاسكندرية والمغرب (الكتاب الذهبي...).
- الصيحي (محمد) : شهيرات النساء، مجلة المغرب، نونبر ١٩٣٥.
- الصحراوي (عبد القادر) : العلماء وبيعة المولى اسماعيل، دعوة الحق، عدد مارس ١٩٦٧.
- صليا (بندي) : أقدم مدرسة كلية علمية في العالم، العدد ١١ من السنة الأولى من (الهلال) المصرية في باب المراسلات، أول يولييه ١٨٩٣ الموافق ١٧ ذي الحجة ١٣١٠.
- الطنجي : موقف ملوك الدولة العلوية وفخرها المولى اسماعيل من مؤسسة الاحباس، مجلة المغرب، مايه ١٩٦٣.
- ابن عاشور (محمد الفاضل) : فاس من خلال المخطوطات التونسية، مجلة المغرب، دجنبر ١٩٦٥ ويناير ١٩٦٦.
- العبادي (أحمد مختار) : الموحدون والوحدة الاسلامية، مجلة التربية الوطنية، مارس، أبريل ١٩٦١.
- بنعبد الله (عبد العزيز) : مؤسساتنا الجامعية بين جامعات العالم، جريدة (العلم)، عدد ٢٢ - ١٢ - ١٩٥٧ و عدد ٢٣ - ١٢.
- بنعبد الله (عبد العزيز) : الفن المعماري بالمغرب في العصرين المرابطي والموحدي، جريدة العلم، عدد ١٨/٨/١٩٥٧ وفي عهد المرينيين، العلم، عدد ١٩ - ٨ - ١٩٥٧ وفي عهد السعديين والعلويين، العلم، عدد ٢٠ - ٨ - ١٩٥٧.
- بنعبد الله (عبد العزيز) : الحكومة المغربية في فجر القرن العشرين للدكتور محمد الحبابي. جريدة العلم ٢٧ - ١٢ - ١٩٥٧.

- ابن عبد الوهاب (الحسن) : تاريخ القضاء بشمال المغرب على عهد الحماية، البحث العلمي ، شتنبر ١٩٦٤ .
 ويناير ١٩٦٥ وشتنبر ١٩٦٦ .
- العراقي (ابن رشيد) : اكتشافات هامة في خزانة القرويين، مجلة المغرب، عدد مارس ١٩٣٤ .
- ابن العربي (الصديق) : شخصيات مسيحية بالمغرب ، مجلة تطوان ، المجلد الأول .
- عزام (عبد الوهاب) : الشيخ الخالدي، مجلة الرسالة المصرية، العدد ٨٤ / ٧ ذي القعدة ١١ يراير ١٩٣٥ وعدد ١١ مارس ١٩٣٥ .
- عزمي (محمود) : تحقيقات الأهرام في بلاد المغرب. الاهرام ٢٧ - ٣ - ١٩٥١ .
- العلوي (صالح) : هل تأثر الفقه الاسلامي بالفقه الرومي او الحقيقة هي العكس، الرسالة المصرية عدد ١٣ مايه ١٩٣٥ .
- علي (زكي) : ساليرنو أقدم جامعة في أوروبا ج ٥ من (الهلال) المصرية، السنة ٤١ مارس ١٩٣٣ - ٥ ذي القعدة ١٣٥١ .
- العمرائي (عبد الله) : فاس وجامعتها ، البحث العلمي ، مايه، دجنبر ١٩٦٧ .
- عواد (كوركيس) : المدرسة المستنصرية ، مجلة سومر ، عدد يناير ١٩٤٥ .
- غلاب (عبد الكريم) : المسجد خلية اجتماعية ، دعوة ، دجنبر ١٩٥٩ .
- الفاسي (عبد الواحد) : الخطبة والخطباء بفاس ، المؤتمر الثامن لمعهد الدروس العليا ، ذيل مجلة المغرب عدد ٩ المحرم ١٣٥٢ وعدد ربيع الاول ١٣٥٢ .
- الفاسي (محمد) : الدراسة في القرويين أيام الوطاسيين ، مجلة رسالة المغرب ، العدد ١١ - ٣ شعبان ١٣٦٢ - ٥ غشت ١٩٤٣ - مجلة المغرب ، صالح مية ١٩٣٧ .
- الفاسي (محمد) : دور القرويين في جعل فاس من بين العواصم الاسلامية الكبرى - الكتاب الذهبي ص ١٠٩ .
- الفاسي (محمد) : الخزانة السلطانية وبعض نفائسها ، البحث العلمي ، شتنبر ١٩٦٤ - يناير ١٩٦٥ وشتنبر ١٩٦٥ ويناير ١٩٦٦ .
- الفاسي (محمد) : ذكرى وفاة السلطان المولى اسماعيل . مجلة تطوان (بدون تاريخ) .
- تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الأقصى . دعوة ، يوليو ١٩٦٠ .
- الفاسي علال : ماضي القرويين، مجلة المغرب ، العدد الثالث . سبتمبر ١٩٣٢ .
- الفاسي علال : للحقيقة والتاريخ، الرسالة المصرية ، العدد ٨٨ / ٦ ذي الحجة الموافق ١١ مارس ١٩٣٥ .
- الفاسي (عبد الرحمن) : محاولة للدفاع عن بر العدو، مجلة المجمع العلمي العراقي، م ١٧ سنة ١٩٦٧ .
- الفاسي العابد : خزانة القرويين ونواذرها، المجلد ٥ معهد المخطوطات العربية ٥ مايه ١٩٥٩ .
- الفاسي العابد : حياة ابن عبد الملك المراكشي دعوة يناير يراير ١٩٥٩ .
- الفاسي العابد : حَوَّل كتاب الخزانة العلمية بالمغرب ، دعوة الحق ، ابريل ١٩٦١ .
- الفاسي العابد : مخطوط نادر لابن طفيل . مجلة التربية الوطنية . ابريل ١٩٦٢ .
- فرج (عبد الملك) : ابن زهر مجلة المغرب
- الكتاني (ع.ج.) : ماضي القرويين وحاضرها . مجلة المغرب، العدد الثالث . مجلة المغرب ١٩٣٢ .

- الكتاني (ع.ح.ع) : المكتبات الإسلامية ، المغرب ١ يولييه ١٩٣٢ وعدد ٢ غشت ١٩٣٢ .
- الكتاني (ع.ح.ع) : انتخاب السادات العلماء ، أخبار تلغرافية ، العدد ١٠٩ / ١٠ مايه ١٩١٤ .
- الكتاني (ادريس) : سلطان الطلبة ، مجلة الرسالة المصرية ، العدد ٢٨٧ ، ١٩٣٨ .
- الكتاني (ادريس) : الأسرة المغربية التقليدية ، تكوينها ، عاداتها ، تقاليدها ، البحث العلمي ، يناير ١٩٦٨ .
- الكتاني (ابراهيم) : جولة في المخطوطات العربية باسبانيا ، دعوة ، نونبر ودجنبر ١٩٦٦ .
- الكتاني (ابراهيم) : الكتاب المغربي وقيمته ، البحث العلمي ، يناير وغشت ١٩٦٥ ، ومجلة اللسان العربي ، غشت ١٩٦٥ .
- كنون (عبد الله) : الحياة الفكرية في عصر المرابطين ، مجلة التربية الوطنية عدد ٦ - شهر مارس ١٩٦٠
- كنون (عبد الله) : جامع تاعياشت ، مجلة التربية الوطنية ، عدد مارس ١٩٦٨ .
- كنون (عبد الله) : فيلسوف مغربي من عهد الموحدين ، مجلة التربية الوطنية مايه ١٩٦٠ .
- كنون (عبد الله) : عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت ، البحث العلمي ، شتبر ١٩٦٦ .
- الكعالك (عثمان) : الجامعات المغربية وأثرها في جامعات اروبا ، البحث العلمي دجنبر ١٩٦٥ - العدد ٢٧ اكتوبر ١٩٦٥ .
- لاندو (روم) : حول القرويين ، مجلة رسالة المغرب ، ١١ يونيه ١٩٥١ .
- المنجد صلاح الدين : نوادر المخطوطات بالمغرب : مجلة معهد المخطوطات العربية مايه ١٩٥٩ .
- ابن منصور (عبد الوهاب) : الطيب ادراق ، دعوة الحق ، مايه ١٩٥٨ .
- المنوني (محمد) : مكتبة الزاوية الحمزاوية . مجلة تطوان ١٩٦٣ .
- المنوني (محمد) : مدخل الى تاريخ القرويين العلمي ، مجلة التربية الوطنية . ابريل ومايه ١٩٦٣ - الكتاب الذهبي .
- المنوني (محمد) : وصف المغرب أيام السلطان ابي الحسن المريني ، البحث العلمي ، العدد ١ يناير ١٩٦٤ ، ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي (مجلة اللسان العربي) يونيه ١٩٦٤ .
- المنوني (محمد) : الطباعة الحجرية الفاسية ، مجلة تطوان ١٩٦٥ .
- المنوني (محمد) : نظم الدولة المرينية ، البحث العلمي عدد ٢ - ١٩٦٤ ويناير ١٩٦٥ .
- أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي ، البحث العلمي ، عدد دجنبر ١٩٦٥ .
- المنوني (محمد) : ترجمة مغربية لفهرس الاسكوريال ، البحث العلمي ، العدد ٦ شتبر ١٩٦٥ .
- المنوني (محمد) : كراسي الاساتذة بجامعة القرويين دعوة الحق يراير ومارس ١٩٦٦ وما بعد .
- المنوني (محمد) : مظاهر يقظة المغرب الحديث ، العدد التاسع ، شتبر ١٩٦٦ .
- المنوني (محمد) : علاقات المغرب بالشرق مجلة تطوان المجلد .
- المنوني : فاس الجديد (البحث العلمي) دجنبر ١٩٦٧ .
- ابو مهدي : المغرب في المؤتمر الدولي للمهندسين المعماريين ، العلم ، العدد ٦ مايه الى ١١ منه ١٩٥٧ .
- موتس (حسن) : المدارس الإسلامية للمؤرخين العرب محاضرة ، ألقاها في فاتح دجنبر ١٩٥٩ .
- النيفر (الشاذلي) : مساهمة القرويين في اللقاح العلمي بين المغرب وتونس (الكتاب الذهبي) .
- هوديكين (توماس) : تومبوكتو خلال القرون الوسطى ، مجلة التربية الوطنية . سابع إبريل ١٩٦٠ .

بعض المراجع غير العربية

E. AMANN et A. Dum : l'Eglise au pouvoir des laïques T. VII de l'Histoire de l'Eglise 1940.

E. Aubin : Le MAROC d'aujourd'hui ; Paris 1904.

D. BADIA, Y, LEBLICH : (ALI BEY) : VIAJES Por Africa Y ASIA.

Barcelona 1943 P. 61 et suiv.

A. Bel : Catalogue des livres arabes de la bibliothèque de la Mosquée d'el-Quaraouiye à Fés, Fés 1918 Inscriptions arabes de Fés, Paris 1919.

G. Charmes : Une ambassade au MAROC, Paris 1887.

B. Cheneb : Etudes sur les personnages mentionnés dans l'Iidjaja du Cheikh Abdellkader el Fassi.

G. Delphin : Fas, son université et l'enseignement superieur musulman, Paris 188.

G. Deverdim : Inscriptions arabes de MARRAKECHE 1956.

G. Deverdim : MARRAKECHE 1959.

Dien le fils et Jaribc : Les Allumes, Paris 1915.

Dozy : Suppléments aux Dictionnaires Arabes. . Ley-de 1881.

Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne. .

ELLIOUS Bocthon : Dictionnaire Français arabe, Revu et augmenté par caussin De Perceval.

J. ERCKMANN : Le maroc moderne, 1885.

Fister : Etudes sur le règne de Robert le Pieux 1885.

H. Gaillard : une ville de l'Islam : Fés 1905.

L. Godard : Description et Histoire du MAROC, Paris 1860.

Hubert-Jaques Les journées sanglantes de Féz, Paris 1913.

JEAN-Leon l'Africain : Description de l'Afrique. Nouvelle Edition Traduite de l'ITALIEN Par A. Epaulard, Paris 1956.

O. JONES : Plan, élévations, détails de l'Alhamra.

La Voix : Catalogues des monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale.

C.J. Le Flon : Gerbert, humanisme et chrétienté du Xe siècle 1946.

R. LE TOURNEAU : Fes Avant le Protectorat 1949.

LUCCIONI : Les bibliothèques du Habus au Maroc 1940.

MADRAS (DIDIER) et B. Maslow : Fés, capitale artistique de l'Islam ; case 1948 / .
Promenade au MAROC.

G. MARÇAIS : MANUEL d'art musulman 2 vol Paris 1925-1927.

G. Marçais et Poinssot : Objets Kairouanais : Reliures, verreries, cuivres 1948.

MARMOL-DE l'Afrique, Trad. de Nicolas Perrot d'Ablancourt 3 vol Paris 1667.

A.G.P. MARTIN : quatre siècles d'histoire Marocaine Paris Alcan 1923.

P. MARTY : Le MAROC de demain 1925.

B. MASLOW : Les mosquées de Fés et du Nord MAROCAIN PARIS 1937.

L. Massignon : Le Maroc dans les premières années du XVI siècle 1906.

M. des Mazières : Sur la Terre du Maghreb, la vie et la mort du Frère André de spolette
martyr Franciscain aFéz au XVI.

A. Moulieras : Fes, Paris, 1902 le Maroc inconnu 22 ans d'exploration dans cette
contrée mystérieuse de 1872 à 1893.

Nicolas Clénard : correspondance Publiée par Alphonse Roersch. Bruxelles 1940.

Oskar Lenz : Timbouctou, voyage au MAROC, au Sahara et au soudan, Trad Paris
1886. Vol 2.

Ould Hamidoun (Mokhtar) et Heymowski (Adam) catalogue provisoire des manus-
crits mauritainiens en langue arabe préservés en Mauritanie, Nouakchott et Stockholm
1965-1966. (مكتبة الاستاذ المحامي هلال ناجي - بغداد -)

PERES-Sempérés : repertoire.

PICAVET : Gerbert, un pape philosophe d'après l'histoire et la légende 1867.

PRICE DEREK J. DE solla : Science since Babilon.

L. PROVENÇAL : Séville musulmane au début du XII siècle.

L. PROVENÇAL : Histoire de l'Espagne musulmane Paris 1950.

L. PROVENÇAL : La fondation de Fés in Annal de l'institut d'Etudes Orientales IV,
Alger 1938.

L. Provençal : Les historiens des Charfa Paris 1922.

L. Provençal : La fondation des Fés en Annal de l'institut d'Etudes orientales IV
Alger 1938.

L. PROVENÇAL : Histoire de l'Espagne musulmane Paris 1950.

CH. Ricard : La vie du Pacha el Baghdadi Paris 1936.

H. TERRASSE : Mosquée de Taza Histoire du Maroc 2 vol casa 1950.

H. TERRASSE : La grande mosquée des Andalus a Fés.

TERRASSE : La mosquée d'Al-Quarawiyn à Fés librairie C. Klincksiel Paris 1968.
1968.

Jet J. THARAUD : Féz ou les bourgeois de l'Islam Paris 1930.

F. Weisgerber : le Maroc il y a 30 ans April 1928.

J. Windus : a journey to mequinez, the residence of the present emperor of Fez and morocco, on the occasion of commandar stewart's embassy thither for the redemption of the British captives in the year 1721, London 1725.

المجلات والمتنوعات

A. BEN ABDELLAH : Role culturo-social des mosquées et medersas. Revue ALI-STIQLAL 23, Avril 1960. RABAT.

M. BERDELLAH ET M. NENY : medinat Fas, conférence Promenade du 14 Février 1954, Edition Amis de Fés.

J. BERQUE : Ville et université, Aperçu sur l'histoire de l'école de Fés in Révue historique de droit Français et étranger 1949 N. I. P. 64-117.

BRESSOLETTE : conférence sur la medersa sahrig, donnée le 20 Mars 1930 (Les amis de Fés).

BUTIN : Quarawiyn, in revue coflunt, RABAT 1959.

G. CHORVIN : Les relations de la France Avec le MAROC Hesp 1957 T. 44-3 et 4 TR.

J. CAILÉ : Ambassade et missions marocaines aux Pays-Bas Hesp, Tamduda IV Fas I.

J. CÉLÉRIER : les conditions géographiques du développement de Fés, in Hesp. T. 19 1934 P. 1-19.

G. S. COLIN : au sujet d'IBN AL WAZZAN in Hesp 1935 T 20 Fas, 1, II p. 94

DE CENIVAL : La légende du Juil IBN Mech'al et la fête du sultan des Tolba à Féz, Hesp 1925 2 Ta ;

G. DEVERDUN : une Nouvelle inscription idris-side de 263 H. in Melanges d'histoire et d'archeologie de l'occident musulman. T. I. Articles et conférences, Hommage à G. MARCAIS 1957.

M.A.Hlakim : collection "maghrib" Breve Historia de la littérature marroqui, Al-lijai P. 119.

L'INSTITUT DES H. E. M. Publications, imprimerie de l'étoile, RABAT.

LECLERC : Les fondosq de Fés, Revue France-Maroc, 15-1-1917 p. 20.

R. LE TOURNEAU : Note sur les lettres latines de Nicolas Clénard relatant son séjour dans le royaume de Fés 1540-1541 Hesp. 1 et 2 Trim 1934 p. 45-63.

LE TOURNEAU : Yusuf Ben Tashfin, second Fondateur de Fés ? mélanges Mohamed el-Fassi, publiés à l'occasion du 12ème anniversaire de l'Université Mohamed V 1957-1967 P. 77.

MAGHREB : Protestation des Oulema, Rêvue MAGHREB (Paris) No 7 et 10, 2 me année April 1933 P. 21-22.

G. MARCAIS : Remarques sur les positions des entrées latérales dans les mosquées d'orient et d'occident (mélange d'histoire. . T.I.1957 p. 119-130.

MAROC-Press : la visite de S.E.Al-Fassi à la quarawiyne No de 25 Jan. 1956.

MICHAUX-BELLAIRE : Description de la ville de Fés, in arch Mar. XI 1907-L'organisation des finances du MAROC Arch. Mar.

E. PAUTY : Le plan de l'université Quarawiyne à Fés Hesp.IV 1923 P. 539.

J. PEDERSON : Masjid (ENCYCLOPEDIE DE L'Islam).

H. PÉRÉS : La poésie à Fés sous les Almaravides et les Almohades. Hesp 1934 T. XVIII P. 9-16.

PÉRÉTIÉ : Les medrasas de Fés. Archives Marocaine XVIII 1912 p. 257-372.

D.J.S. PRICE : Mechanical water clock of the 14 the century in Fez, Morocco of print from ITHACA 26 VIII 21 X 1962 Herman PARIS.

L. PROVENÇAL : La fondation de Fés. Annales de l'institut d'Etudes orientales. Faculté des lettres Alger IV, 1938.

D. RENAUD : Sciences exactes. . in Hesp 1932 T XIV les chiffres arabes, Hesp. 1944 T.31.

RÉSIDENCE GÉNÉRALE : La restauration de la mederssa seffarine et la future bibliothèque de Quarawiyne a Fés, Bull-d'information et de docu-10 Fév. 1940 P. 6.

P. RICARD : La grande mosquée cathédrale el Quarawiyne, siège de l'université musulmane de Féz, France-Maroc No 3-15 Mars 1918 et 15-Oct. P. 32.

R. CAMPANAS CAUTIVAS, Andalus Madrid vol XVIII 19 1953 Fas 2 p.

P. RICARD : Une description de Fés au XVII siècle. France-Maroc Mars 1921 P.40.

SLOUCH : Les juifs de Debdou, Revue du Monde Musulman T. XVII Paris 1913.

LA SOURCE : Quarawiyyine entre son passé et son avenir cahier No 5 Faits et idées, 1950.

A. TAZI : La société marocaine et l'enseignement traditionnel, conférence donnée à Toumlilin 1958, Faits et idées 20 Oct. 1958, No 92 P. 32.

A. TÉRÉLLE : Les medersas de Fés, Archives Marocaines vol XVIII-1912 P. 257-372.

H. TERRASSE : Le jamaa Al-Gnaiz de la mosquée d'Al-Quarawiyyne. Hesp 1934 p. 212.

H. TERRASSE : Chapiteaux Oméiyades d'Espagne à la mosquée d'Al-Quarawiyyne de Fés Al-Andalus vol XXVIII Madrid 1963 Fas 1 P. 211.

E. VIALA : Le mécanisme du partage des successions, en droit musulman ALGER Hesp. 1917 T. 14 P. 87.

E. H. VOLLET : Sylvester II ou Gelbert la grande Encyclopédie.

G. WIET : Max Van Berchem, Hesp 1925 Fasc 4.

G. Weit : Une lettre de l'Almohade Murtadâ au pape INNOCENT IV Hesp 1926 I.T.



الباب الأول

جامع القرويين على عهد الادارة
والزناتيين والمرابطين والموحدين

الفصل الأول

- القرويين الاولى في عهد الادارة
- ميلاد دولة الادارة في المغرب الاقصى
- تأسيس العاصمة : فاس
- بناء جامع القرويين
- مرافق القرويين الاولى :
- البئر - المثلثة - المحراب - المنبر الفاطمي

ميلاد دولة الأدارسة بالمغرب

٤ رمضان ١٧٢ - ٦ يراير ٧٨٩ .

ظلت البيعة التي عُقدت في اعقاب حكم بني امية بمكة . ونصت على أحقية محمد النفس الزكية بالخلافة . ظلت الأساس الذي يرتكز عليه استمرار مناهضة الاشراف الطالين للولاة العباسيين بني عمهم ولا سيما وقد حضر البيعة وباركها وزكاها منذ البداية زعماء هؤلاء ، وفي صدرهم أبو العباس السفاح ، وابو جعفر المنصور . ولهذا فان موقف بني العباس بعد انهيار الدولة الأموية كان في نظر بني هاشم تنكرا للعهد يقتضي المعارضة أحياناً ، والمواجهة أحياناً أخرى . وقد شهد الشرق نتيجة لذلك اصطدامات بين هؤلاء وأولئك ، وبين انصار هذا الفريق وذلك الفريق . واحتدم النزاع عندما وقف بعض الأقطاب الاعلام من أمثال الامام مالك الى جانب النفس الزكية مؤكداً ان امامته اصح من امامة المنصور . الأمر الذي ادى الى المحنة المعروفة التي عاشها ^(١) الامام مالك . لذلك توجه المنصور بكل وسائله للاجهاز على منافسه الأول ، تارة بالإغراء ، وأخرى بالوعد . ولا أعجزه كل ذلك ، بعث اليه بجيش كثيف بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى الذي كان ابو العباس قد جعله ولي عهده بعد المنصور وهكذا استشهد النفس الزكية على مقربة من المدينة المنورة سنة خمس واربعين ومئة ^(٢) وتنفس المنصور الصعداء حين وضع أمامه رأس الشهيد ، وكان يعتقد دون شك أن دولة بني العباس قد استراحت الى الأبد من كل المنغصات .

بيد انه لم يمض الا زهاء عشرين عاماً حتى تعرضت دولة بني العباس لثورة أخرى تستهدف كذلك الأحقية التي ما فتى آل البيت يطالبون بها . لقد ذهب محمد النفس الزكية . ولكن الفكرة لم تذهب . وهكذا نرى اهل المدينة المنورة يبايعون الحسين بن علي بن الحسن ونرى الاشراف يلتفون حوله . وعشا حاول الخليفة إسكات الناس ... وامام ازدياد المقاومة الطالية العلوية ، اضطر العباسيون الى قمع الحركة ، وعهد الخليفة موسى الهادي الى محمد بن سليمان بن علي احد كبار قادته العسكريين بالمهمة ، وزوده بكل ما يمكن من مال ورجال وعتاد . وكانت المعركة هذه المرة بضواحي مكة على ثلاثة أميال منها في المكان المعروف بفتح ^(٣) . وقد أسهم فيها عدد مهم من أنصار الحسين . وآل بيته ، وعلى رأسهم عمه الإمام إدريس ^(٤) . ولقد كان لفصل الحر أثر قوي في استسلام الكتائب الطالية حيث ظلوا مجدلين ثلاثة أيام ، لم يواروا حتى أكلتهم جوارح الطير ... واستشهد الحسين ... وعلى خلاف المنصور فقد اقتشر جلد الهادي عندما وقع بصره على رأس ^(٥) الحسين رضي الله عنه ، كانت الحادثة تصادف يوم السبت الثامن من ذي الحجة يوم التروية عام تسعة وستين ومائة (١٠ يونيو ٧٨٦) .

• • •

لقد استطاع الإمام إدريس بمساعدة مولاة راشد أن يجد - مع حجاج إفريقية ^(٦) مركبا عبر به البحر الأحمر الى بلاد النوبة ، ومن ثمة الى مصر فبلاد طنجة ، وألقى عصا تسياره في مدينة ويلة ^(٧) حيث فتحت له القبائل البربرية صدرها . كان هذا الإقليم قد عرف الإسلام قبل هذا التاريخ ، ولذلك لم يكن ذكر آل البيت غريباً عنه ولا بعيداً ، ولذلك أيضاً اقترن خبر وصول إدريس بالمسرات والأفراح . ولم يكن صعباً على الإطلاق أن يحصل على بيعة السكان وفيهم صاحب البلاد إسحاق الأوروبي المعتزلي بعد ستة أشهر من وصوله ، بل إنه ورد في وقت أزمع فيه السكان على اختيار قائد من آل البيت للاستقلال عن الخلافة في المشرق ... لقد بويج يوم الجمعة رابع شهر رمضان ١٧٢ (٦ يراير ٧٨٩) فتم بذلك إنشاء الدولة العلوية المغربية ، ولكن هل نسي الامام رسالة أهل بيته ؟

لقد ألقى جانبًا بكل متاعب الماضي ومآسيه ، وهب منذ اليوم الموالي يفتح الحصون ويعبد للبلاد ، في جنوب المغرب « تادلة » وفي شرقه (تلمسان) ، وهنا في تلمسان بني مسجدًا جامعًا نقش على منبره العبارات التالية : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما امر به ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومئة (٨).

خمس سنوات فقط بعد وقعة فخ استطاع فيها امير علوي ان ينشئ بالمغرب مملكة مستقلة عن الخلافة ، خمس سنوات فقط كانت كافية لتحقيق مثل هذا النصر الباهر ! ان تلمسان هي باب افريقية ، ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار !

كان هارون الرشيد يتلقف أخبار المغرب ولكن بمرارة زائدة ، لقد كانت أول ضربة قاصمة توجه لاستقرار دولة بني العباس في المشرق ، صحيح انها فقدت بالأمس اقليم الأندلس عندما استطاع عبد الرحمن الداخل (ت ١٧٢) ان يفلت من تعقب العباسيين ليكون له في الأندلس دولة مستقلة ، بيد ان ذلك تم في ظروف قلقه كان فيها العباسيون في حالة سطو على كيان بني أمية ، أما افلات ادريس فقد تم في عز الدولة واستقرارها ! أما ادريس فهو من آل علي ولا بد ان كسبه سيفوق كل تصور ، وعظم الأمر على الخليفة واغتم لهذا الحدث غما شديدا (٩) حتى لقد فكر في المخاطرة بارسال جيشه الى مجاهل هذه البلاد ، ولكنه اذعن أخيرًا للهاجس الأسود الذي خطر ببال وزيره وظهيره يحيى بن خالد البرمكي (ت ١٩٠) (١٠).

كان يتلخص في انفاذ عميل لاغتيال الامام ادريس ! كانت تلك هي الوسيلة الوحيدة لاجتثاث اصول هذه الدوحة التي كان يتصور هارون الرشيد ظلالتها وفروعها وخصائلها. ولم يخطر ببال الخليفة انه بعمله ذلك قوى من مكانة بيت ادريس في المغرب ، وأظهرهم أمام الناس قاطبة على انهم ضحايا ظلم وغدر ، وقد ظل اسم الشماخ ، الذي قام بعملية تسميم الامام ، مقترنا بكل معاني الخسة والضعفة ، ولهذا ايضا اجمع المغاربة على عدم الانقضااض من حول الأمل المتبقي لديهم ، والذي كان يتمثل في الحدث السعيد الذي تنتظره الأميرة المغربية كتنزة زوجة الامام الشهيد ، والذي ارادت العناية الالهية ان يتم يوم الاثنين الثالث من رجب عام سبعة وسبعين ومئة (١٤ أكتوبر ٧٩٣).

تأسيس العاصمة : فاس

شهر ربيع الاول ١٩٢ هـ .

(٤ يناير ٨٠٨ م)

لقد كان تقدير هارون خاطئا حقا ، فقد لفت بتدبيره انظار الناس الى اصالة آل ابي طالب ، واكتسب الوليد ادريس الثاني منذ البداية قلوبا تهفو الى رؤيته يتبوأ مكانة ابيه الراحل ، ولقد تضافرت جهود المربين الذين كانوا يسهرون على تثقيف الأمير وتدريبه ، ولم يكتمل سن العاشرة حتى اخذت له البيعة على نفس المنبر الذي بويع عليه والده بمدينة ليلة ، وتم ذلك يوم الجمعة مهل شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين ومئة (١٠ مارس ٨٠٢).

ان ليلة أمست غير كافية لايواء كل الناس الذين يردون على الامام ، ليس من جهات المغرب فحسب ،

ولكن من الأمكنة البعيدة النائية ... ورد عليه خمس مئة فارس من إفريقية، ومن الاندلس مئتا الاسر من بني قيس، ومن الأزرد ومن الخزرج، وبني يحصب، وحتى من فارس وردت عليه عدة وفود ... وهكذا لم تمض خمس سنوات على اخذ البيعة له حتى شعر بالحاجة الى بناء مدينة لسكنائه وسكنى خاصته، ووجوه دولته، تكون أكبر مساحة وأعذب ماء وأجمل موقعا، بعيدة عن قيظ الصحراء ورطوبة البحر واذى المستنقعات وعواصف الجبال، وركب في خاصة من قومه، وأخيراً وقع اختيار وزيره عمير بن مصعب الأزدي^(١١) على هذه الفيضة الملتفة الأشجار، المطردة العيون والأنهار التي نالت استحسان الامام، ودفعت السنة آلاف درهم^(١٢) لبني الخير أصحاب الأرض، وأشهد عليهم في صك حرره كاتبه ابو الحسن عبد الله بن مالك المالكي الانصاري الخزرجي سنة احدى وتسعين ومئة (٨٠٧ م). واذا كانت القسطنطينية والقيروان نفحتين زكيتين من الصحابة والتابعين فان الله آثر مدينة فاس بأن تكون من آل البيت الاقربين، وأن تضيء عليها هذه النسبة من قبها وانوارها، وفيضها وأسرارها^(١٣). لقد ورد ادريس غداة غرة شهر ربيع الاول من سنة اثنين وتسعين ومئة (٤ يناير ٨٠٨ م) على عين المكان ليخطن شوارع العاصمة وأبوابها وجسورها.. وقدما للإمام الشاب فأماً بديعة مصنوعة من ذهب وفضة ليفتح بها أعمال التشيد والبناء ... ورفع إدريس يديه الى الله ضارعا: «اللهم اجعلها دار علم وفقه...» لقد وضع ادريس الحجرة الاولى للمدينة، ولكأنما وضعها لحي جامعي دائم الحياة، فقد بلغ عدد الكراسي العلمية بها في بعض الأحيان مئة وأربعين كرسيًا^(١٤)، تعاقب عليها كبار العلماء والفقهاء والأدباء والأطباء ... ولكأنما وضعها لمركز ديني ظل على مر الزمن قبلة للمؤمنين يحجون إليها من مختلف الآفاق، لتصفية نفوسهم، وتبيين طريق وجهتهم ... ولكأنما وضعها لقاعدة سياسية ما انفكت صاحبة الحل والعقد في كل التطورات الهامة التي شهدتها الدولة، وما انفكت تسهم بالحرص الأوفر في تسيير شؤون البلاد وتدير أمورها في الداخل والخارج ... ولكأنما وضعها لسوق تجارية قصدها الناس بتحفهم ونفائسهم وراحوا وهم أكثر ما يكونون كسبا وغبطة ... ولكأنما وضعها لدار صناعة تجلى فيها جمال الذوق وسلامة المزاج.

لقد صاغ الهواة محاسنها في نظمهم ونثرهم، كل التفت الى ناحية، وكل أخذ بناصية، حتى ليخيل الى المرء أنه أمام «فاسات» عديدة وليست فاساً واحدة، وحتى بعض الذين رَوّحوا عن انفسهم بما خيل اليهم أنهم نالوا به منها، حتى أولئك، كانوا يعكسون سحر قدرها وعلو مقامها، كانوا يشيدون بعمق مخبرها وجمال مظهرها، أو بطيها وزيتها على حد تعبير الشاعر ابن عبدون، (ت ٦٥٩)^(١٥) لقد عني قوم بوفرة منابعها ومياهها، وتخلل عيونها الصافية في المدرج والمنعطفات ... وسحر قوم بالتميز البين بين فصولها، والتدرج اللين بين وداع موسم واستقبال آخر، هي في الشتاء غيرها في الصيف، وهي في الخريف غيرها في الربيع، فما تراه في هذه المناسبة من ألوان زاهية تعوضه المناسبة الثانية بمفاتيح غيرها ... وقد سحر قوم آخرون بما احتضنته المدينة من مباحج الشرق والغرب، فعادوا يلتسمون فيها ما ضاع من ليلال في بغداد وأيام في إشبيلية، كل زاوية من زواياها، وكل خلية من خلاياها وجد فيها الهواة مادة صالحة للحديث، وحتى المقابر التي تسودها الكآبة، ويغشاها عادة الشعور بالمصير، فانها تكون في فاس مدعاة لجولة ممتعة في تاريخ أولئك الرجال الذين زودوا هذه المدينة بالروح التي ما انفكت سارية فيها عبر الأحقاب والدهور.

العدوتان

وقد أنزل إدريس في المنطقة الشرقية من المدينة ضيوفه الذين وردوا عليه من الأندلس، فعرفت الى الآن بعدوة الأندلس، ثم بعد نحو من سنة، أي في أول شهر ربيع الثاني من سنة ثلاث وتسعين ومئة (٢٢ يناير ٨٠٩) خصص الضفة الغربية بإقامته هو مع فريق آخر من الذين وردوا عليه من القيروان، فعرفت بعدوة القرويين^(١٦)، واقتضت همة إدريس أن يجعل من تلك «الفيضة» المركز الديني والعاصمة السياسية والسوق التجارية، فشجع الناس على التعمير، ونودي فيهم «أن يسارعوا الى إحياء الأرضين، فإن كل من بنى موضعاً واغترسه قبل أن يتم تسوير العدوتين». كان له أن يتصرف فيه تصرف الملاك، وهو له من الله عطاء. وهكذا تبارى الناس، وتنافسوا في بناء عاصمتهم^(١٧)... وقد أشرف الإمام بنفسه على بناء جامع الأشياخ بعدوة الأندلس وقد كان من ست بلاطات. ثم على بناء مسجد الشرفاء بعدوة القرويين وقد كان من ثلاث بلاطات^(١٨).

وكما كان منه رضي الله عنه عندما ورد لاختطاط المدينة، فقد صعد المنبر لما اكتمل بناء مسجد الشرفاء وسكنت المدينة، ليخطب في الناس. ويضرب الى الله بصالح الدعاء لفاس: «اللهم وفق سكانها للخير، وأعنههم عليه، واكفهم مؤونة اعدائهم. وأدرّ عليهم الأرزاق. واغمد عنهم سيف الفتنة والنفاق...».

وقد كان لاتخاذ الإمام داره بعدوة القرويين أثر كبير في ازدهار العدو هذه، وكثرة حركتها، وتعدد مرافقها. وقد نعتها اليعقوبي - نتيجة لذلك - بالمدينة العظمى، وأنشد فيها محمد بن اسحاق البجلي^(١٩)

يا عدوة القرويين التي كرمت لازال جانبك المحبور ممطورا
ولا سرى الله عنك ثوب نعمته أرضٌ تجنبت الآثام والزورا

• • •

بناء جامع القرويين

كان في عداد المهاجرين القيروانيين، الذين التجأوا الى فاس منذ الأيام الأولى للإمام إدريس بن إدريس، فريق من أسرة فهرية لم يلبث أن التحقت به بقية افراد الاسرة في أيام الامام محيي الدين يحيى الأول حفيد إدريس (٢٣٤ - ٢٤٩)، ومن بين هؤلاء الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الله الفهري القيرواني الذي ادركه اجله بعد وصوله، فترك ثروة طيبة كريمته فاطمة ام البنين ومريم^(٢٠) ويتأكد ان السيدتين كانتا على جانب من العلم والفضل معا، فقد تأثرتا بقول النبي عليه السلام: «من بنى مسجداً يتنفي وجه الله بنى الله له مثله في الجنة»^(٢١) وعزمت كل منهما على تحقيق مشروع ظل الى اليوم شاخصاً ناطقاً برفع من شأن المرأة المسلمة الى الأبد. فلقد كثر الواردون فعلا على فاس أيام الامام يحيى الذي امتد سلطانه وعظمت دولته وحسنت اثار ايامه، واستجذبت فاس في العمران، وبنيت بها الفنادق للتجار والحمامات وسائر الأرباض، ورحل اليها الفقهاء والعلماء وسائر الناس من الثغور القاصية، لقد أمت بالناس حاجة الى مسجد جامع كبير، فان جامع الأشياخ بالعدوة الشرقية، ومسجد الشرفاء بالعدوة

الغربية، كلاهما أضحى لا يفي بحاجة الناس، وقد وقع اختيار الست فاطمة على حقل كان مما صار لاحد رجال الفضل من (هواره) عندما نادى الامام ادريس الثاني بتعمير العاصمة منذ حوالي نصف قرن، ثم ورثه ابناؤه من بعده، كان الثمن ستين اوقية^(٢٢)، فدفعها فاطمة من مالها الحلال الطاهر وأخذت تستعد للبناء في جزء من الحقل.

ونلاحظ منذ البداية حرص فاطمة على أن لا ينفق على هذا الجامع الا من موارد نظيفة الاصول، وكان ممّا أضفى البهجة عليها دون شك أن اكتشفت بالمكان معدنا للحجر والرمل الأصفر، وقد ابتدأت ام البنين حفر الأساس في اول شهر رمضان من سنة خمس واربعين ومئتين (٣٠ نوفمبر ٨٥٩)، ونذرت لله ان تصوم شكراً لله حتى يتم البناء فكأما نبهت فاطمة بذلك عزائم الملوك على حدّ تعبير ابن خلدون وقد أكبر الامام يحيى مبرة ام البنين على مقربة من عرينه، فكان يطالع البنّائين بنفسه الى جانب العلماء والفقهاء.

كان تصميم القرويين مربّعاً على نحو ما عرف في معظم المساجد الاولى، الا ان تربيعة لم يكن تاماً فان عرضه أكبر من طوله، وتذكر المصادر القديمة ان طوله كان يبلغ مئة شبر وخمسين شبرا (حوالي ١٦٠٠ متر مربع)^(٢٣) لقد كان يتألف من اربع بلاطات افقية تمتد من الشرق الى الغرب موازية لجدار القبلة، ومن اثنتي عشرة بلاطة عمودية تنزل من الجنوب الى الشمال، خمس غربي البلاط الأوسط الممتد من المحراب للصحن وست شرقي البلاط المذكور^(٢٤)، وعند نهاية قاعة الصلاة كان يوجد الصحن الاول للمسجد. وقد كانت القرويين تتوفر على أربعة أبواب: بابان متسامتان، احدهما في اتجاه باب ابن حيون شرقاً، والثاني في اتجاه باب الكتبيين غرباً. والبابان الباقيان يفتحان على الجهة الشمالية من جهة الصحن^(٢٥).

ذلك جامع القرويين، الذي يمتاز دون سائر مساجد العالم الاسلامي بانه اول بيت لله تشيده فتاة مسلمة، فقد كان المعهود حتى ذلك التاريخ ان تقوم الدولة نفسها ببناء المساجد، العاهل أو من يمثله، وقد دخلت فاطمة التاريخ بفعلها العظيم هذا، في مدينة تعد اول عاصمة للإسلام في هذه الديار، ولا بد ان لهذه الخصائص اثرًا فيما أطبقت عليه الموسوعات الدولية من ان فاساً تعد في صدر المدن المقدسة. بل انها تأتي في المرتبة الرابعة بعد مكة المكرمة ومدينة الرسول وبيت المقدس^(٢٦).

مسجد الإمام داود بن إدريس

كل تلك المعلومات عن تاريخ بناء القرويين مستقاة من ابن ابي زرع نقلاً عن أبي القاسم بن جنون في تاريخه (المفقود) لمدينة فاس، وقد حذا حذوه الجزنائي في زهرة الآس، وابن خلدون في تاريخه العبر، وابن القاضي في جذوة الاقتباس^(٢٧)، وغير هؤلاء... وتلك رواية تاريخية لا يقبل الباحث الشك فيها بسهولة، بيد أننا نجد أنفسنا اليوم أمام وثيقة معاصرة لدولة الأدارسة، عبارة عن لوحة منقوشة، عثر عليها عند أعمال الترميم مدفونة في ناصية البلاط الذي كان فيه المحراب القديم للقرويين أول الأمر، لوحة من الأرز طولها أربعة أمتار وسبعون سنتيماً، مكتوب فيها بخط كوفي قديم: «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً، شهد الله أنه لا إله إلا هو، سبحانه الله العظيم، بني هذا المسجد في شهر ذي القعدة من سنة ثلاث وستين ومائتي سنة، مما أمر به الإمام أعزه الله داود بن إدريس أبقاه الله وأكرمه وكلاه ونصره نصراً عزيزاً، وفتح له فتحاً مبيناً»

وكلنا يعلم أن الامام داود بن إدريس كان أميراً على (تازة) بتكليف من أخيه الإمام محمد، ويكاد اسم داود يضيع (٢٨) لولا عناصر ثلاثة :

أولها اليعقوبي الذي يفيد أنه كان في وقت من الأوقات والياً على عدوة الأندلس ، وأنه كان يدافع يحيى بن يحيى صاحب عدوة القرويين المعروفة بالمدينة العظمى (٢٩) .

ثانيا الدرهم الموجود في المكتبة الوطنية بباريس ، وهو يحمل اسم الإمام داود بن إدريس (٣٠) .

ثالثا هذه اللوحة التاريخية التي تحتفظ بها الآن أروقة المركز الرئيسي لمصلحة الآثار بالملكة المغربية بالرباط .

كنت كتبت بمجرد وقوفي على اللوحة كلمة في بعض المجلات العلمية بالمغرب والقاهرة وتونس واسبانيا (٣١) وكان قصدي إثارة انتباه المعنيين ، لعلهم يساعدون على استجلاء أمر اللوحة ... وكان في بعض السادة الفهرية من اكتفى بالتشكيك في مضمونها (٣٢) ، وفي الباحثين من رجح أن تكون اللوحة قد نقلت من مكان الى آخر ، وغرزت هنا ، وأن ذلك تم بالذات في عهد الوطاسيين عندما رجع النفوذ الى الشرفاء الأدارسة الجوطيين (٣٣) ، الا أن هناك من لا يزال يعتمد عليها باعتبارها وثيقة معاصرة ، وقد وجدت في مكان يشبه أن يكون المكان الذي ينبغي أن تكون فيه ، ولأن بعض المؤرخين القدامى من أمثال اليعقوبي والبكري وابن عذارى تحدثوا عن فاس بمسجديها العتيقين : الأشياخ والأشراف ، لكنهم لم يرجعوا على تأسيس القرويين على النحو الذي نقله ابن أبي زرع (٣٤) .

والحقيقة أن تجاهل أمر اللوحة لا يتناسب وأمانة البحث العلمي ، ولذلك فإن التوصية بتركها جانباً أمر لا يسوّغه أي اعتبار ، أما أمر نقل اللوحة من جهة ثانية الى القرويين ، فهو الاحتمال الذي تعززه من ناحية «مدافعة» الإمام داود ليحيى بن يحيى حفيد أخيه محمد للاستيلاء على عدوة القرويين ، ومن ناحية أخرى توفرنا على عدد من الحالات تم فيها نقل أشياء مشابهة الى أمكنة أخرى صونا لها من الضياع (٣٥) .

• • •

وأريد أن أنه ختاماً على ما نقله الدكتور أوسكار لانز Lenz الذي رحل الى فاس منذ نحو من قرن ، فلقد ساق ترجمة لنقش قيل إنه عثر عليه فوق «صفيحة فضية» مغروزة في أحد جدران المسجد ، وأنه توجد ضمن هذا النص العبارة التالية : « بني يوم الخميس من سنة ست وثلاثمائة أول شهر ربيع النبوي . » والحقيقة أن رواية الدكتور لانز تخلو من كل سند ملموس سيما مع ما حكاه عن الطالب إدريس الذي زوده بهذه الوثيقة ، ولم يكن أنه وجد « صعوبة » في الوصول الى قراءة بقية النقش ، الأمر الذي يقرب الى أساطير السواح أكثر مما يهدف الى الحقيقة التاريخية ، هذا مع العلم أن أول ربيع الأول يوافق حساباً يوم الثلاثاء ، وليس يوم الخميس ... (٣٦) .

• • •

مرافق القرويين الاولى :

(١) الماء : كان في أول الأعمال التي فكر فيها القائمون بأعمال البناء الاطمثان على الماء الذي يقوم به المسجد ، وقد توقفوا في إنباط بئر شمالي المسجد ، في منطقة قريبة من الصحن القديم أصبحت بعد هي منطقة الصحن

الحالي، وقد ظل المسجد يعتمد على هذه البئر طوال القرون الأولى ، وما يزال موقع البئر معروفا الى الآن لدى قِيمي المسجد ينتعونه بالبئر المغمور [٤].

(٢) الصومعة : كانت الصومعة الأولى متطابقة الإشراف كما يقول الجزنائي ، يعني أنها لم تكن مرتفعة ، وذلك فيما يظهر جرياً على العادة المتبعة في القرون الثلاثة الأولى للإسلام من تجنب نصب صوامع للمسجد بالمرّة، اقتداءً بمسجد النبي عليه الصلوات والسلام ولم يخرج عن هذه القاعدة غير جامع القيروان (٣٧)، وقد كانت الصومعة تقع حيث توجد العنزة الحالية (٣٨) ، أعني عند نهاية الصحن القديم ، مسامتة للمحراب تماماً كالحال في مسجدي القيروان وقرطبة .

(٣) المحراب : كان المحراب القديم يقع في ناصية البلاط الذي يتقدم البلاط الذي تعلوه الثريا الكبرى اليوم ، وقد كان الصنّاع نقشوا على قبة أرصاداً وأشكالاً ، لدفع الهوام الضارة عن المسجد (٣٩). وقد نصبت قبلة المسجد على سمت القبلة التي خطها الإمام إدريس لمسجد الشرفاء ، بعد القيام بمشورة العلماء والفقهاء ، وقد أثر عن شيوخ خدمة القرويين أن التربة التي فرش بها المحراب جلبت من الكعبة.

(٤) المنبر الفاطمي : ٣٠٧ هـ ٩١٩ - ٩٢٠ : لقد أسست فاس منذ ان توزعت كلمة اسباط الامام ادريس ، محط الأنظار من كل ناحية ، فمن جهة الشرق توجهت اليها اطماع الدولة الفاطمية التي كانت تريد ان تجعل من فاس مركزاً خاضعاً لنفوذها ، ومن جهة الشمال تطلعت اليها آمال الامويين في الاندلس ، وبالرغم من ان اصحاب البلاد كانوا يرغبون ، باصرار ، في الاحتفاظ بعدم انحيازهم على الأقل - بازاء هؤلاء واولئك ، فان الضعف الذي شعرت به البلاد على اثر توزيع الكلمة اسلم البلاد لموجة من القلاقل والفتن ظلت تشكو منها حقبة من الزمن ، فلقد استسلم - تحت الضغط - يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس ، وقبل عقد صلح سنة ٣٠٥ هـ اتفق بمقتضاه مع عبد الله المهدي على ان يخطب باسمه على المنابر ، لقد اصبح المغرب منذ هذا التاريخ حليفاً - اذا شئت ان تقول - للفاطميين ، وكانت فاس قد بلغت اوجها على عهد الامام يحيى بن ادريس المذكور من حيث البناء والعمران ، لانه كان فعلاً اوسع ابناء ادريس ملكاً وأكثرهم عدداً ، ولذلك غدت العاصمة فاس وجها مشرقاً لذلك الملك الواسع ، ازداد عدد قاصديها من مختلف الجهات ومن سائر الطبقات . وقد كان في صدر ما تحقق بعد ذلك الصلح ان استجاب والي المدينة سنة ٣٠٧ هـ ٩١٩ م لرغبة الفقهاء والعلماء في نقل الخطبة (٤٠) الى القرويين عوضاً عن مسجد الشرفاء . إن جامع القرويين وان كان أكبر مساحة من مسجد الشرفاء الذي عرفنا انه من ثلاث بلاطات ، لكنها ظلت منذ تأسيسها مقتصرة على اقامة الصلوات الخمس ، والظاهر ان الناس لم يكونوا قبل هذا الوقت من الكثرة بحيث يضطرون الى اتخاذ القرويين مسجداً جامعاً ، لكن لما كثرت العمارات واتصل البناء في ارباض المدينة ، رأى الناس ضرورة ذلك ، وهكذا صنع الوالي منبراً من خشب الصنوبر ، ويمكن ان تصوّر هذا المنبر من ست درجات على نحو منبر جامع الاندلس الفاطمي الأموي الموحي (٤١) ، وقد كان اول استاذ صعد المنبر خطيباً هو الفقيه ابو محمد عبد الله الفارسي ، هذا ولا أعتقد أن هناك سبباً سياسياً كان وراء تحويل أمر الخطبة من مسجد الشرفاء الى جامع القرويين ، فان روايات المؤرخين صريحة في أن سعة هذا الجامع وصغر ذاك المسجد كانا الباعثين الرئيسيين على نقل الخطبة ، فليس ثمت من داع للتفكير في الانتقاص من المسجد الذي أسسه الادارسة سيما أن شخص الإمام إدريس ظل مكان تبرك وتكريم وتقدير ، ولا بد بعد هذا أن تؤكد

ما كنّا أشرنا اليه من أهمية عدوة القرويين على عدوة الاندلس ، فان كثافة السكان التي تميزت بها تلك على هذه واضطرار الناس الى استبدال المسجد العتيق بجامع فاطمة ، كل ذلك كان يعني أنها بالفعل «مدينة عظيمة» كما يقول اليعقوبي .

هل نقضت القرويين الأولى؟

ولا بد أن نتساءل هل القرويين الثانية ستقوم على هذه البناية الاولى أم التوسعة كانت تقتضي نقض التصميم الأول كلية؟ إن الذين قاموا بالزيادة في القرويين من بعد احتفظوا ما أمكنهم الاحتفاظ بالتصميم الأول ، نجاهم - بصرف النظر عن استبدالهم الصحن القديم ، واستغنائهم عن الصومعة الأولى - قد تمسكوا بالبلاطات الإدريسية التي كانت أكثر اتساعا من البلاطات التي زيدت من بعد^(٤٢) ، ويمكن معرفة الحدود الشرقية والغربية للجامع الأول بالسلسلة الممتدة من السواري المقتنة الشكل التي تميز المساحة السابقة عن المساحات اللاحقة ، هذا ، وقد احتفظ البلاط العمودي الأوسط بسعة المحراب . ٤ أمتار بين سواربه التي تبلغ سعتها ستين ستيما في الأقل ... وهكذا ، فان تصميم المسجد الإدريسي فرض نفسه - عبر التاريخ - على شكل قاعة الصلاة التي نشاهدها حاليا ، فان المشرفين على الزيادات تركوا من بعد البلاطات الإدريسية على حالها كما أبقوا البلاطات موازية لجدار القبلة ، بل انهم راعوا عدم تساوي عدد الأقواس في الجانب الغربي مع عددها في الجانب الشرقي .



تعليقات الفصل الأول

- (١) مقال الطالبين ص ٢٣٢ - ٢٩٩ الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية. مصر ١٩٤ .
- (٢) تطبق المصادر المشرقة على ان وفاة الامام النفس الزكية كانت بضواحي المدينة ، وفي هذا التاريخ ، وهو ما في ابن خلدون والاستقصا ولذلك فان ما يفيد ابن أبي زرع في الانيس المطرب من ان النفس الزكية سلم في هذه المعركة وظهر بعدها حتى حضر معركة فخ سنة ١٦٩ محل نظر وقد احسن الجزنائي صنعا في جنى زهرة الآس عندما كان يتحدث عن أسباب مقدم الادارة للمغرب . مقال الطالبين ص ٢٩٩ الانيس طبعة حجرية ، فاس ص ٤ و ٥ جنى زهرة الآس طبعة الرباط ص ١٠ - ١١ . الاستقصا ١ و ١٥٠ .
- (٣) يذكر الأستاذ السفيّر خير الدين الزركلي : في الإعلام ٢٦٥/٢ أن الشيخ محمد حسين نصيف كتب تعليقا على كلمة فخ في نسخته من تاريخ ابن خلدون ٢١٥،٣ قوله : « فخ ، هو المسمى اليوم بالشهداء بمكة ، أو الزاهر ، وسمي بالشهداء لدفن الحسين بن علي به هو وأنصاره من أهل البيت » . الإعلام ٢٦٥،٢ .
- (٤) مقال الطالبين ص ٤٥٦ .
- (٥) نرى أن بطل معركة فخ كان هو الإمام الحسين ، وليس النفس الزكية ، راجع التعليق رقم ٢
- (٦) مقال الطالبين ص ٤٨٨ .
- (٧) مدينة عتيقة تقع في سفح جبل زرهون ، على بعد ثمانية وعشرين كيلومترا من مكناس ، وقد عرفت منذ أيام الجزنائي بقصر فرعون ، لأن بعض المغاربة يظن أنها من بناء القبط . مؤسوها الأولون غير معروفين ، ولكن المدينة كانت معروفة قبل مجيء الرومان الى المغرب ، وكانت إحدى عواصم الملك البربري جوبا الثاني (٢٥ ف. م ٢٣٠ أو ٢٤ ب. م. ملك موريطنيا) ، وبعد الاحتلال الروماني (٤٠ - ٤٥ ب. م) أصبحت وليلة Volubilis حاضرة من حواضر موريطنيا الطنجية ، وكان يقيم بها الحاكم الروماني للاقليم . ثم بدأ شأنها يضعف في نهاية القرن الثالث الميلادي بعد وفاة الامبراطور بروبروس (٢٧٦ - ٢٨١ م) ، ولكنها لم تخل نهائيا ، بل ظلت مسكونة من بعض النصارى البربر الى نهاية القرن الثامن الميلادي ، وعرفت في هذه الفترة باسم وليلة أو ليلي ، ثم انتشت لفترة محدودة عند دخول الاسلام واستقرار الإمام إدريس بها ، ولكنها لم تلبث أن خلت وخربت بعد انشاء ابنه الامام ادريس الثاني لمدينة فاس ، وهي الآن من أهم المشاهد الأثرية في المغرب .
- (٨) لم يتبق من اثر لمسجد ادريس الا اطلال من مثذنته بتاكراوت (تلسان القديمة) وتاكراوت كلمة بربرية بمعنى المحلة العسكرية انشأها المرابطون بعد قاعدتهم الاولى مراكش التي كانت تحمل ايضا اسم تاكراوت ، ويسمى الجيلالي باكادير ، تاريخ الجزائر العام طبعة ثانية ٢٤٧،١ ، جنى زهرة الآس ٢٧ .
- (٩) الانيس ص ٨ ، الآس ١٤ .
- (١٠) « جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي » ص ٧ .
- (١١) الانيس ص ١٣ - ١٦ - الآس ١٨ .
- (١٢) ستة الاف درهم فضة ساوي ست مئة دينار ذهبي ، ومن المعلوم ان الدينار على العهد الادريسي يساوي الفا واربعمئة وخمسين فرنكا ، فيكون مجموع المال المدفوع في بقعة فاس ثمان مئة وسبعين الف فرنك ، وليس القصد الى القرنك اليوم ، ولكن الى القرنك في اوائل القرن العشرين .
- الآس ٥٦ - : الاتحاف ١٠ - ١١ . — Le Maroc dans les premières années de XVI siècle (monnaie) page 99 — 100 — 101 — 102.
- (١٣) جامع القرويين ، الكتاب الذهبي ١٥٩ .
- (١٤) راجع البحث الآتي بعنوان المدينة ذات الأربعين والمئة كرسية .
- (١٥) الاشارة الى قوله المشهور :

إن تفتخر (فاس) بما في طيها وبأنها في زيتها حناء
يكفيك من (مكناسة) أرجاؤها والأطيان هواؤها والماء ا
- (١٦) كلمة القرويين تخفيف للفظ « القيروانيين » نسبة الى القيروان ، وهو معهود في كتب الفقه والتواريخ ، كما قالوا في نسبة الى جيلان : الجيلي ، ويرد تارة موصوفا ، وأخرى غير موصوف : كقولهم : الشيخ القرويين ، ومذهب القرويين ، وبذلك سلم هيكال لفظ (القرويين) ، وبقي على هيئته

لا تنال منه معاول العوامل وإن اختلفت عليه ... ولا بد أن نشير الى أن بعض المشاركة ربما فهموا أن اللفظ جمع للكلمة لقروي نسبة الى القرية ، وربما ينطقون بالقاف مضمومًا . وقد يفهم هذا أيضاً من شعر بعض المغاربة ، وهو يتحدث عن جامع القرويين :

وبنت مسجداً لأهل القُرى قَا طِيسة المعد عنصراً للرشاد

تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ١١ ، ١٨ ، ابن فرحون ، الديباج ، ترجمة احمد الهواري ، نيل الابتاج . نبراس الاسلام ١٩٦٥ ص ٢٨ .

(١٧) يشك الاستاذ بروفنصال في تأسيس الإمام إدريس بن إدريس وهو ما يزال حدثاً مدينتين توأمتين في مكان واحد متقارب ، ولا يفصل بينهما من الزمن غير سنة واحدة ، ويقوي من شكه وجود دوهم محفوظ بالمكتبة الوطنية بإدريس مضروب بفاس سنة ١٨٩ هـ ، ودوهم آخر في مدينة كاركوف ضرب بها سنة ١٨٥ هـ ، هذا الى قول تاريخية قديمة في أبرزها ما نقله ابن الآبار في كتابه الحلة البراء عن المؤرخ القرطبي الرازي (ت ٣٤٤) من أن إدريس الأول هو الذي أسس مدينة فاس ... كذلك في أبرزها ما روي عن ابن سعيد من صريح العبارة بأن اقدم المدينتين من تأسيس إدريس الأول الخ . وهو ، أي بروفنصال ، يرى لكل ذلك أن بناء فاس تم على مراحل : فأولاً أسس إدريس الأول مدينة ذات طابع بربري سنة ١٧٢ ، وثانياً وبعد واحد وعشرين عاماً حل إدريس الثاني فأسس عدوة القرويين ، ثم في سنة ٢٠٢ أسكن اللاجئين الأندلسيين في مدينة أبيه ، وانطلق غلب عليها الطابع العربي الأندلسي .. هذا ملخص نظرية الأستاذ بروفنصال ، ومع اعتقادنا بأن المسكوكات من الأدلة التاريخية القاطعة التي لا تقبل الدحض ، فانه لا بد من مزيد ترو في الموضوع سيما ونحن نتصور المنافسة بين المئات من الأسر على تشييد العُدوتين التوأمين في ذلك المكان والزمان .

La fondation de Fés. Annales de l'institut d'études orientales IV, 1938

P. 23 — 52... FEZ Avant le Protectorat 1947 p. 33 — 34.

(١٨) يرجع الفضل الى البكري في اعطائنا فكرة عن جامع الأشياخ ، وسجد الشرفاء ، ولا يصح بحال أن يكون وصفه ذلك لجامع الأندلس ولجامع القرويين ، فان عدد بلاطات القرويين مثلاً أربع ، كما تطبق عليه الروايات ... وثمة شيء آخر فان البكري تخطى الحديث عن أيام الإمام يحيى الذي شيد الجامعان المذكوران في عصره ، أغفلها نهائياً ، ولهذا فان الجزائاني في زهرة الآس أخطأ عندما فهم أن البكري كان يصف جامع الأندلس ، وأما وصف البكري كلا من جامع الأشياخ وسجد الشرفاء .

(١٩) كتاب البلدان ، طبعة ليدن ١٨٩٠ ص ١٣٧ .

كتاب المغرب في ذكر افرقية والمغرب .

(٢٠) هذه الرواية التي اقتصر عليها الجزائاني في زهرة الآس ص ٤٥ ، وقد صدر ابن ابي زرع برواية اخرى تذكر ان فاطمة وردت مع زوجها من افرقية . فتوي زوجها واختها ، وبما ورثت عنهما بنت جامع القرويين (الانيس ص ٤٥) . ويلاحظ من جهة أخرى ان ابن ابي زرع يذكر ان ورود الاسرة من القيروان كان أيام المولى إدريس ، على حين يجعلها الجزائاني أيام الامام يحيى ، ولهذا نرى بعضهم يجمع بين الروايتين بان اول ورود الاسرة كان أيام إدريس على حين ورد الباقي أيام الحفيد .

(٢١) رواه البخاري في (كتاب الصلاة) عن عثمان ، وعنه رواه الامام احمد في المسند ، والترمذي في باب فضل بنيان مسجد ، والنسائي ، وابن ماجة ورواه مسلم بلفظ : من بنى مسجداً لله تعالى بنى الله له بيتاً في الجنة ... وقد روى الحديث عن ابن عباس بلفظ : « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة ليضعها بنى الله له بيتاً في الجنة » ...

(٢٢) تساري الاوقية درهما واحداً ، وهذا يساري في اوائل القرن العشرين فرنكا وخمسة واربعين سانيما

(٢٣) اختلف مقياس الشبر باختلاف الأيدي التي اتخذته مقياساً ، وقد رأى (Marçais) انه عشرون سانيما كما قدره (Pauty) باثنين وعشرين سانيما ، ووجد اخرون انه يساري (٢٤) او (٢٦) او (٢٨) اما الشبر هنا فانه حسب تقدير (Terrasse) يصل الى حوالي ٣١ سانيما ، فقد حددت - في نظره - السواري المقتة الشكل معالم المسجد الأول .

(٢٤) يتساءل طيراس عن أسباب هذا الاختلاف بين جناحي الجامع : أتم بناء الجامع الاول على يد معلمين في مرحلتين ، ام تعرض لاصلاح آخر قبل الزيادة الزناتية .

٢٥) Remarque sur les positions, les entrées latérales dans les mosquées d'orient et d'occident mélanges d'histoire et d'archeologie de l'occident musulman (T. I.) P 119-130.

٢٦) Encyclopedia britanica vol. 9, P. 210 London 1960.

UUSI tietosanakirja T. 5 helsinki 1966.

(٢٧) الأنيس ص ٣٣ طبعة فاس : الآس ص ٤٥ طبعة الرباط .

العبر ٤ طبعة بولاق ص ١٥ . الجنوة ص ١٩ .

(٢٨) الحروف المنقوشة بجامع القرويين في خدمة الآثار . مجلة كلية الآداب الاسكندرية المجلد ١٤ سنة ١٩٦٠ صفحة ٦١ - ٨٨ .

الإمام داود بن إدريس من خلال الوثائق التاريخية ، مجلة مجمع اللغة العربية دمشق ، المجلد ٣٦ جزء ٢ ص ٢١٢ ، دعوة الحق ، عدد أبريل ١٩٦٠ .
(٢٩) La voix: catalogues des monnaies musulmanes de la Bibliothèque nationale, Page 69 No 921.
(٣٠) المصدر السابق.

(٣١) مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية : العدد الثامن ١٩٥٩ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
مجلة الفكر التونسية ، السنة الخامسة ، عدد ٦ مارس ١٩٦٠ ،
مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد .
المجلد السادس ١٩٥٨ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٣٢) علال الفاسي : محاضرة في فاس بدعوة من قدامى تلاميذ القرويين. العلم عدد ١٢ - ١٢ - ١٩٦٤ .

(٣٣) Une nouvelle inscription idrisside, mélanges d'Histoire et d'archeologie T. 2P. 72.

(٣٤) فتح نقاش في موضوع تأسيس القرويين منذ أواخر سنة ١٣٥٣ (أوائل ١٩٣٥) فقد قال الأستاذ عبد الوهاب عزام في حديث عن الشيخ الخالدي : إن القرويين من تأسيس الإمام إدريس ، وكان الأستاذ علال الفاسي صحح الخطأ بأن المؤسسة سيدة فهرية ، وقد وقفت في هذا الصدد على مخطوطة تفيد أن نسبة القرويين لأُم البنين أمر ليس محل اتفاق بين المؤرخين ... الرسالة المصرية ، عدد ٧ قعدة ١٣٥٣ ١١ يناير ١٩٣٥ ، وعدد ٥ حجة ١٣٥٣ ١١ مارس ١٩٣٥ أيضا .
مخطوطة بالخزانة العامة للكثاني برقم ٣٣٥٤ .

(٣٥) ولندكر على سبيل المثال اللوحة المفروزة الآن بمحراب مسجد أبي مدين من حومة الرملة ، وهي للشيخ الدقاق السجلماي دفين خارج باب عجبية ، فقد نقلت اللوحة لما سقط الجدار الى سيدي أبي مدين ، وليس الدقاق مدفوناً في الرملة. وقد صنعت عزة بفتح النون (حاجز من خشب) يرسم أن تكون للمدسة الرشيدة بفاس البالي بعد أن نقش عليها أبيات من الشعر ، ولكنها نقلت في ظروف غامضة الى الجامع الكبير بفاس الجديد.. ونقل السلطان اسماعيل قبة من ضريح المولى إدريس ، وجعلها في مسجد أبي الياض أسفل عقبة بن صوال . وقد حكى بعض سفرائنا القدامى ، لا يحضرني اسمه ، أنه لما كان بمدينة سبتة وقف على رخامة ، فاقترح على حاكم سبتة ان يسلمها له ، فبعثها هذا الى تطوان ، قال : وهي الآن بالجامع الكبير بالبلاط الأول بعد الصحن عن يمين المستقبل ... السلوة ١٠٢٣ الدرر الفاخرة ص ٣٤ .

فاس الجديد ، البحث العلمي دجنبر ١٩٦٧ ص ١٨٣ .

ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ الطبعة الفرنسية ص ٣٧٥ ، الاستقصا ٥ ص ٣٩ .

(٣٦) Voyage au Maroc, Paris, 1086 vol 2.

تاريخ بناء القرويين الكتاب الذهبي ص ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣٧) كان السبب في ذلك الاحتياط على حريم المسلمين . وقد كان بعض من ولي الحبة يأمر بحمل عصائب على عيون بعض المؤذنين حين أذانهم بالهار ، وقال أبو العباس المبرد في كامله : كان سبب هدم خالد بن عبد الله منارات المساجد حتى حطها عن دور الناس ما بلغه عن بعض الشعراء من مجنون القول ، جنى زهرة الآس ص ٥٤ .

(٣٨) عبارة روض القرطاس «صومعة بموضع القبة التي على راس العزة الآن . وعبارة جنى زهرة الآس و «بمؤخره صومعة حيث هي العزة الآن » . وبهذا لا يبقى محل لتساؤل الأستاذ طبراس : أكانت متصبة في جنوب ، أم شمال الصحن الحالي ؟

P. 10. la mosquée Al-Qaraouiyn à Fez 1698.

(٣٩) يظهر أن نصب الطلائع بالمحراب كان في أول الأمر من عمل بعض الصناع ممن كانوا لا يرون حرجاً في ذلك من الناحية الشرعية ، ومن المعلوم أنه بالرغم من وجود فرق بين الحر والطلسمات عند الفلاسفة ، فأنهما معا محظوران شرعاً ، وإن كان الجزناني لا يرى في ذلك حظراً. هذا ونلاحظ أن موقع المحراب القديم حرره الجزناني أكثر مما حرره ابن أبي زرع ، وهو ما حاولنا تفسيره هنا عندما ركزنا على أنه كان يوجد في البلاط الذي يتقدم بلاط الثريا ، وليس في بلاطها هي نفسها .

الجزناني ص ٥٥ - ابن خلدون ١ - ٤١٤ - ٤١٥ . le Plans de l'université Qarawiyyine à Fez Hesp 1923 P. 315.

(٤٠) صدر صاحب جنى زهرة الآس بهذا القول ، وهو ان الخطبة نقلت من جامع الأشراف للقرويين سنة ٣٠٧ بعد نحو من ستين سنة على تأسيسها ، ويذكر بعد هذا ان هناك من يقول ان الخطبة نقلت سنة ٣٢١ هـ ٩٣٣ م يعني في الوقت الذي نقلت فيه الخطبة الى جامع الاندلس من مسجد الأشياخ ... هذا اما صاحب الأنيس فينقل التاريخ الذي صدر به الجزناني ، ويذكر بالإضافة الى تاريخ ٣٢٦ احتمال تاريخ ٣٤٥ ، (٩٥٦ -

٩٥٧) ويظهر ان الصواب مع ما صدر به الجزائي ، فان كون عدوة القرويين عاصمة ، وثابت الباس عليها قبل غيرها ، كل ذلك جدير بأن يقدم نقل الخطبة فيها الى ذلك التاريخ المبكر. الأتيس ص ٣٣ - الآس ص ٣٥ - ٣٦ - الاستفصا ، ١٦٦ .
(٤١) La mosquée d'Alndalus, Page 40.

(٤٢) يلاحظ أن سعة البلاطين الادريسيين المتوسطين في التصميم الحالي، سواء أحسبت من جهة القبلة أم من جهة الصحن ، أكثر منها في البلاطات الأخرى ، فان معدل اتساعهما أربعة امتار وعشر سانيات ، والبلاطات المضافة بعدد كان معدل اتساعها ثلاثة امتار وسبعين سانيما ، وقد كان من المفروض أن تكون البلاطان الادريسيان المتطرفتان في نفس اتساع الاولين لولا التغير الذي دخل على الجدار الذي يحدهما ، ومع ذلك احتفظت بسعة ثلاثة امتار وخمسة وتسعين بالنسبة الى البلاطة التي من جهة المحراب وثلاثة امتار وستين سانيما بالنسبة الى البلاطة المجاورة للصحن .

La mosquée Al Qaraouiyyine A Féz, Page 10 — 19.



الفصل الثاني

القرويين الثانية في عهد الزيانيين

- الزيادات المعمارية والعمرانية في القرويين الثانية
- الصومعة
- المنارات
- سيف الامام إدريس .
- المنبر الاموي
- جلب الماء للجامع
- قبة العنزة
- الثريا الكبرى .

الزيادات المعمارية والعمرانية في القرويين الثانية

٨٣٤٥ - ٩٥٦ م

ولكن القرويين الواسعة أصبحت ، بعد نحو من قرن من تأسيسها ، تشكو الضيق ، وتتوق الى بد الاصلاح وقد كان الذي تولى ذلك هذه المرة الأمير احمد بن أبي بكر الزناتي الذي ثار ضد حامد بن حمدان الهمداني ، داعياً لبني مروان منذ سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٤ م) ان القرويين دائماً محك لاطهار كل تقدير وعطف على مدينة فاس ، لذلك كان في صدر الاعمال التي قام بها الأمير الزناتي ، وقد استقرت به الأحوال ، وأمست البلاد حليفة لبني أمية في الأندلس ، ان كتب الى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، يستأذنه في توسعة الجامع وتزيمه إذ عدد السكان في نمو مطرد ، وقد اعتدّ الناصر ذلك الاقتراح تكريماً له من حليفه وتشريفاً ، ولم يكتف بالاذن لعامله ابي بكر ، ولكنه أسهم بالعمل بمال كثير من اخماس غنائم الروم ^(١) .

وهكذا زاد فيه الأمير من الجهات الثلاث ، الغربية والشرقية والشمالية ، مع اقتفائه طبعاً الخطوط الكبرى للقرويين الاولى ^(٢) ، فمن الجهة الغربية مددت البلاطات بمعدل اربع أقواس ، ومن الجهة الشرقية بمعدل خمس أقواس ، مع العلم ان المساحة في كلتا الجهتين واحدة تقريباً . أما من جهة الشمال ، فكانت زيادة مهمة ، فلقد اضيفت الى قاعة الصلاة ثلاثة أساكيب (بلاطات افقية) في مكان الصحن القديم مضافا اليها ذات اليمين وذات الشمال الزيادة التي دخلت على الجهتين ... وعلى أثر هذه الاساكيب اعدّ الصحن الجديد ، هذا الى ما اضيف في كلٍّ من غربي الصحن وشرقيه من جناحين يحتوي كلاهما على أربع بلاطات عمودية من خمس اساكيب قصيرة ^(٣) وقد نصبت الصومعة وسط الجناح الغربي للصحن تقريباً ... وفي مؤخر هذا الصحن أضافوا ^(٤) بلاطا افقياً واحداً مرتفعاً ، يتقعر قليلاً من جهة الركن الشمالي الغربي ، وهكذا اتسعت قاعة الصلاة طولاً وعرضاً ، وأخذت تحتوي من الآن على ٢١ بلاطة من الجدار الشرقي للجدار الغربي ، وعلى ١٣ اسكوباً من جدار القبلة للجدار الشمالي . أما مساحة الصحن فان المعلومات التي يقدمها الجزائاني تفيد انها كانت اصغر من مساحة الصحن الحالي : ينقصها بلاطان من شرقه ، ومثلهما من غربه ، وكانت هذه الاربع مسقفة داخلةً في قاعة الصلاة كما قلنا ^(٥) .

وبحسب هذا التصميم الجديد ، اكتسبت القرويين فيما يظهر أربعة أبواب أخرى : بايين غربيين في محل باب العدول وباب الصالحين الحاليين ، وبابين شرقيين مسامين للأولين ، أولهما في محل باب ابن حيون الحالي ، وثانيهما في محل باب السبع لويات ، هذا الى بايين صغيرين شمالي المسجد من جهة الصحن ، عرف أحدهما باسم باب الحفافة .

وقد بلغت مساحتها بعد هذه الزيادة أربعة آلاف متر مربع .

١) المثلثة : كان فيما اكتسبته القرويين بمناسبة الزيادة فيها من قبل الأمير الزناتي المثلثة التي ما تزال شاخصة الى الآن ، والتي تعدّ أقدم منارة ثبتت في الغرب الاسلامي وبقيت نموذجاً للصومعة المربعة التي استوحاها الفن الافريقي آنذاك من شكل الكعبة المشرفة التي صعددها المؤذن لأول مرة للأذان بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند افتتاحه مكة المكرمة ، وما يزال الطابع الخاص الذي يميز صوامع المغرب عن غيرها هو هذا التريع الذي ظلت القرويين القدوة الأولى فيه بعد جامع القيروان .

تبلغ سعة كل جهة من جهاتها الأربع أربعة أمتار وخمسة وتسعين سانتيماً ، مع العلم ان سمك جدرانها ،

يصل الى نحو من خمسة وتسعين سائتيا ، ويبلغ علوها حتى مكان الأذان زهاء ثلاثة وعشرين متراً وخمسة وعشرين سائتيا . أما علوها الكامل حتى قمة القبة فيصل الى ستة وعشرين متراً وخمسة وسبعين^(٦) ، سائتيا ، وتمتاز بان قبتها أو « العزري » كما يسميه المغاربة ، على خلاف المآذن الأخرى ، ليست مربعة ، ولكنها على شكل نصف كرة ، وقد جعل فيها الأمير الزناتي من الجهة الشرقية (الصحن) نافذة في أعلاها تحتوي على قوسين ، تتوسطهما سارية صغيرة ذات طابع اندلسي ، وتدخل هذه النافذة الضوء للمنار الثاني ، وتحته كوتان مستطيلتان ، تعلو احدهما الأخرى ، وتحت هذا (باب السطح)^(٧) الذي حجبت رؤيته بسبب الرواق الغربي الذي بني في الصحن على عهد السعديين كما جعل في أعلى الصومعة من جهة الجنوب (القبلة) نافذة مثل التي سبق الحديث عنها ، وتحته كوة واحدة مستطيلة ، وتحت هذا نافذة في أعلاها ثلاثة عقود ، وقد جعل عليها شباكاً من خشب لمنع تعشيش الطيور ، أما الواجهة الغربية والشمالية ، ففي كل منهما نافذة بسيطة ، وجعل للصومعة باباً من جهة القبلة غشي بعد بصفائح من النحاس الأصفر ، وقد كتب عليه في مربعة بالحص ، وغشاه باللأزورد : « بسم الله الرحمن الرحيم الملك لله الواحد القهار هذا ما أمر به أحمد ابن أبي بكر بن أحمد بن أبي سعيد عثمان بن سعيد الزناتي ، هداه الله ووفقه ابتغاء ثواب الله تعالى وجزيل احسانه ، وابتدأ العمل في هذه الصومعة في يوم الاثنين غرة رجب من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، وفرغ من بنائها وتشيدها في شهر ربيع الآخر^(٨) سنة خمس وأربعين وثلاثمائة » (يولي غشت ٩٥٦) وكتب في طرف المربعة : « لا إله الا الله محمد رسول الله » ، وجعل مربعة أخرى من جهة الصحن كتب فيها : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم » .

وقد تحدث عن هذه النقوش جميع المؤرخين ، ويتأكد أنها كانت باقية في عهد تأليف جذوة الاقتباس أواخر عام ١٠٠٧ ، ونلاحظ اليوم أنها اختفت نهائياً ، ويظهر أن تاريخ هذا الاختفاء يرجع فقده الى أيام السعديين عندما شيدت القبة التي تحت الصومعة ، والنقش الوحيد الذي تمكنت من الوقوف عليه هو ما يوجد على الباب المطل^(٩) على القبة المذكورة ، وقد كتب على جانبيه : « لا إله الا الله محمد رسول الله » . وهي لا ترى الا عندما تخرج اليها من النافذة .

(٢) المناران : الأول والثاني : وبعد البيت الصغير الذي جعل يسار مدخل (باب الصومعة) جعل الأمير ابو بكر عند الدرجة الثامنة والثمانين بيتاً صغيراً ، يعرف اليوم باسم (المنار الأول) ، أعد لميت المؤذنين الذين يراعون أوقات الليل وانصداع الفجر ، لإقامة الأذان في وقته المعين ، كما جعل فوق هذا عند الدرجة المئة بيتاً أصغر ، يعرف بالمنار الثاني أو القبة العليا^(١٠) ، وفي هذا المنار نصبت أول ساعة مائية للقرويين على ما سنرى^(١١) وهذان الحجرتان هما غير الغرفة التي بنيت بعدد على عهد بني مرين . ومنذ هذا التاريخ وضعت في الصومعة ساعات رملية وساعات شمسية ، ومنذ هذا التاريخ أيضاً عرفت منار القرويين عدداً من الاعلام في فن التوقيت وعلم الفلك ، من أمثال أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشلبي (ت ٦٢٨) ، وأبي الحجاج يوسف السقطي (ت ٦٣٥)^(١٢) .

وهذا ما يفسر لنا السر في اقتداء جميع مساجد فاس عامة ، وجامع الأندلس خاصة ، بتوقيت صومعة القرويين وأذانها في آناء الليل وأطراف النهار ، وبما يصدر عنها في رصد الأهلة منذ التاريخ المبكر ، فان عناية المتقدمين بها جعلها قدوة على ممر العصور .

(٣) سيف الإمام إدريس : ويتفق ابن أبي زرع والجزنائي على أن الأمير أحمد بن أبي بكر ورد عليه بعض حَفْدَة إدريس عندما فرغ من بناء الصومعة ، وردوا يتخاصمون سيف جدهم الإمام ، وأراد كل واحد أن تكون له ميزة امتلاكه ، فحاول الأمير أن يصلح ذات بَيْنِهِمْ. ولما تمسك كل منهم برأيه ، سألهم عن استعدادهم لبيع السيف له ، وسألوه عما سيصنع به ؟ فأجابهم أنه يريد أن يجعله في أعلى الصومعة تبركاً به ، وهنا استنامت قلوبهم إليه ، فوهبوه له . وقد حلّى به فعلاً أعلى الرّج الذين زين بالتفاحات الذهبية وبالهلال ، ويذهب بعض المعلقين من المؤرخين الى أن هذا السيف هو أحد سيوف الإمام علي بن أبي طالب ، استصحبه معه الإمام إدريس ، وتضافرت الروايات التاريخية على استمرار وجود السيف (١٣) ، وقد تجاوز الحديث عن السيف ميدان التاريخ الى سوق الأدب ، فتبارى الشعراء الإنشاد حوله ، الأمر الذي كَوّن ما يمكن أن نسميه «أدب السيف» . تحدث عنه زهاء خمسة وخمسين شاعراً في ندواتٍ تَارَجَتْ بذكرها جنبات فاس (١٤).

(٤) المنبر الأموي ٣٨٨ هـ ٩٩٨ م : لم تمض على المنبر الفاطمي ثمانون سنة ومع ذلك استدعى التعويض بآخر من قبل بني أمية ، وهذا وحده كاف لتفسير عدم الاستقرار الذي شهدته العاصمة بعد تفرق كلمة بني إدريس ولتفسير التنافس المستمر على فاس بين الفاطميين والمروانيين أو للتعبير الصادق عن ثبات البلاد ، وعدم اطمئنانها أيّ تبعيّة لهؤلاء أو أولئك .

وهكذا فُعيّد نصب المنبر الأول سنة ٣٠٧ من قبل والي المدينة والخطبة عليه لصالح الفاطميين ، بُعيد ذلك ثار على ذلك الوالي أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجُدّامي ، وأسلم السلطة مجدّداً لابن أبي العافية حليف بني مروان ، الأمر الذي اتبعه شيعة المهدي بغارة انتقامية ، لم يقلعوا فيها عن فاس حتى سمعوا بآذانهم اسم أبي القاسم بن عبد الله المهدي على منبر القرويين . إن الحلقات لم تنته بعد ، فقد تمكن الجُدّامي من العودة إلى فاس وارجاع ذكر الأمويين إليها سنة ٣٤١ هـ . وهنا خرج القائد جوهر من القيروان سنة ٣٤٧ ليقاوم «الوجود الأموي» بمدينة فاس . ساعده في ذلك زيري الصنهاجي ، وقبض على الأمير أحمد الزنّاتي ، ومن المؤسف أن المتنافسين على البلاد وجدوا في تنافس قبيلتي صنهاجة وزنّانة عنصراً خصباً للتلاعب بوحدة البلاد واستقلالها واستقرارها . وفي هذه الاثناء ظهر الأمير الحسن بن كنون من أسباط الإمام إدريس محاولاً أن يستغل تلك الخلافات فيجد وسيلة بين خضمتها لكي يسترجع حق الإدارة في الحكم .

حالف الأمير الحسن زيري بن عطية ، ولكنه - وهدفه ما عرفناه - اضطر الى أن يمد يده الى المروانيين . وقدم بلكين بن زيري فنسف دعوة بني مروان ، وأصاب الشريف الحسن شرارات من الحرب الضروس ، فانه لم يكن متحمساً للأمويين بالدرجة التي كانوا ينتظرون ، وهكذا قبض عليه في الجولة المروانية المعاكسة سنة ٣٦٣ هـ ، وسبق إلى قرطبة ، ومنها أمسى في مصر حيث استطاع مرة أخرى أن يعود الى المغرب حليفاً للفاطميين مع بلكين ، مطالباً بالأحقية التي كانت لأسلافه ، لكن الأمويين جمعوا كل قواتهم للجهاز النهائي على هذا البطل المغوار سنة ٣٧٥ هـ ، ونصب الوزير حسن السلمي عاملاً لبني مروان على المغرب ، وأوصى خيراً بالزعماء القدامى ، وفي صدرهم زيري بن عطية الذي دعي سنة ٣٧٨ هـ لزيارة قرطبة حيث قلده المنصور بن أبي عامر ولاية فاس سنة ٣٨١ هـ . بيد أن النزعة المغربية المتمثلة في حب الاستقلال ، والميل الى عدم الانحياز لم تلبث أن انعكست على سلوك زيري ، وقد مهد لذلك بمنع ذكر اسم المنصور على منبر القرويين ! وخرج المنصور بنفسه من قرطبة

نحو المغرب ، ومن الجزيرة الخضراء أجاز ابنه عبد الملك المظفر ، وكانت حروب عنيفة سنة ٣٨٧ هـ لم يشهد المغرب مثلها ، وتمكن عبد الملك المظفر من دخول فاس دخولا حافلاً وسلخ شوال ٣٨٧ هـ ٤ نوفمبر ٩٩٧ م ، وكتب المظفر لوالده يبشره بالاستيلاء على العاصمة. وتعبيراً عن الهبة بالأندلس قرئ نص الكتاب على منبر جامع الزهراء في قرطبة الذي كان يضاوي منبر القرويين في فاس ، وأعتق المنصور زهاء ألفي مملوك شكراً لله ، وفيما كان المظفر ينتظر تهنة والده المنصور بفتح مدينة فاس مترقباً مرسوم تقليده ولاية مدينة فاس ، قام بتشيد المنبر الجديد ، المنبر الأموي. لقد اختفى منبر الصنوبر ، وعوضه منبر من عود الابنوس والعناب ، وإذا كان الأولون قد اغفلوا تسجيل أسمائهم على ذروة المنبر ، فإن هؤلاء اليوم خلدوها في هذه الكلمات : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، هذا ما أمر بعمله الخليفة المنصور سيف الاسلام عبد الله هشام المؤيد بالله اطلال الله بقاءه على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد المنصور بن ابي عامر وفقهم الله تعالى وذلك في سنة « ثمان وثمانين وثلاثمائة^(١٥) » ولا شك أن عظم الفرحة أخذ بلب المظفر وهو يستمع من على منبر القرويين الجديد يوم الجمعة سلخ ذي القعدة سنة ٣٨٧^(١٦) (٣ دجنبر ٩٩٧ م) يسمع اسمه واسم والده واسم العاهل الأموي ... انها تزكية نادرة فعلا .

• • •

٥) جلب الماء الى الجامع : (٣٨٨ - ٩٩٨ م)

بيلة باب الحفافة - سقاية الشباك .

إنه ليستغرب المرء أن تظل القرويين على كبرها وأهميتها مقتصرة على البئر التي أنبسطها أم البنين ، وأن يظل المصلون معتمدين على الحبل والدلو طيلة هذه المدة ، ولكننا عندما نستعرض تلك الفترات العvisية التي مرت بها العاصمة لا بد أن نعرف جيداً بواعث هذا الإهمال ، وقد كان مقام أبي مروان عبد الملك المظفر بين ظهراني أهل فاس فرصة طيبة للتفكير في جلب الماء من أعالي المدينة ، من جهة باب الحديد من الوادي الذي يعرف بوادي حسن ، وهو اسم قديم لجداول من جداول وادي فاس ينزل من أعالي المدينة ، من ناحية حديقة بوجلود الحالية جنوب غربي القرويين ، إلى أن يصل الى وادي شاين مليح بحومة زقاق البغل ثم درب القبور فالقطنين فالشماعين ، ثم الى (معدة) يمين الخارج من باب هذه السوق الشماعين ، ومن هنا قصدوا به المستودع الذي وقع عليه الاختيار لتوزيع منه المياه وهو (المعدة) التي تقع عند نهاية الدكاكين التي كانت هناك في بداية نهج بوطويل والتي كانت مراكز أيضاً للعدول والموثقين في ذلك التاريخ .

كان أول ما أحدثه المظفر عند باب الحفافة يمين الداخل للباب ، بيلة^(١٧) مغطاة بالرصاص في طولها سبعة وعشرون شبراً (سنة أمتار تقريباً) رتبت في قسمها الأول مقاعد ثابتة يجلس عليها المتوضئون . أما القسم الباقي منها ، فإن الماء ينساب فيه الى ساقية اقترشت برخام مُشكّل الألوان : الأزرق والأخضر والأحمر ، يغسل فيها الحفافة - من خدم وصبيان - أرجلهم عندما يتفنون دخول المسجد ... وهذه البيلة قد يعبر عنها في بعض الجهات بسقاية الشباك ، لكونها تقع عند هذا الباب ، الذي كان عليه شباك خشب ذو أربع خوخات ، ثم بعد هذه البيلة ظهر له أن يحدث خارج باب الحفافة يمينها أيضاً سقاية مستطيلة يقضي القاصدون للمسجد عند أطرافها بعض حاجتهم المستعجلة ، وما تزال الى الآن مقصودة لهذا الغرض .

وأخيراً أعد ميزاباً^(١٨) في مكان بجانب السقاية هذه ، تقصده السابلة للسقي والشرب ، وكان يعرف الى العهد

القريب باسم (معدة الكرابية)^(١٩). لقد خفف من الضغط الذي ظلت البئر تشعر به طيلة الفترات الماضية ، واكتست القرويين شبه ميساة.

٦) قبة العترة

ويتأكد أن عبد الملك المظفر كان يعتزم المضي في طريقه نحو ارضاء كل حاجات الجامع ، وتلك ظاهرة نلاحظها على كل الذين تولوا زمام الأمور بهذه البلاد ، فكلهم كان يتوق الى أن يترك فيها تذكارة له يعرف به على الدوام .

لقد عمد المظفر الى البلاط الأوسط يريد تحليته بالقباب الرفيعة ، فابتدأ بقبة العترة التي كسيت بخطوط مضلعة ملتوية تشبه حرف الزاي باللاتينية ، كالشأن في القبة الموازية لها التي تقع على مدخل باب الصفر الموالي لباب الحفافة ، ويظهر أنه كان يريد أن يقضي على كل أثر من آثار الشيعة قبله ، فعمد الى بعض التماثيل والطلاسم^(٢٠) التي نصبت على قبة المحراب في عهد أولئك ، عمد اليها وحولها الى أعلى هذه القبة تعبيراً عن «الوجود الأموي» بالقرويين ، وقد ظلت هذه الطلاسم الى أيام الموحدين ، فهم الذين محوا معالمها .

٧) الثريا الكبرى :

وكانت مناسبة أخرى لترتين البلاط الأوسط بثريا فخمة عظيمة ، تضافرت على إبداعها أيدي العمال المغاربة ، وقد ركبوها حيث توجد الآن الثريا الكبرى في المكان الذي يسبق البلاط الذي كان يقع فيه المحراب الزناتي تماماً . على تقاطع باب الصالحين والأولياء ، ومن المهم أن نعرف أن هذه الثريا أدركها البلى بانقضاء القرن السادس لكثرة تداول تشغيلها . ولهذا نرى الموحدين فيما بعد يحاولون أن ينسجوا ثانية على منوالها . وهي التي نراها الى اليوم شاحصة^(٢١).



تعليقات الفصل الثاني

- (١) ابن أبي زرع - ص ٣٤ ، الجزنائي ص ٥٧ - ابن خلدون ٤ - ١٤٠ .
- (٢) يلاحظ ان البلاطات الزناتية كانت اقل سعة من الادريسية ٣ م ٦٠ عوض ٤ م ...
- (٣) يلاحظ ان سعة هذه البلاطات وسعة اقواسها تختلف عن البلاطات والاقواس التي زيدت في عهد الزناتيين ، الأمر الذي يؤكد مختلف التغيرات التي دخلت على الناحية .
- (٤) جنى زهرة الآس ٤٧ القرويين ، دعوة الحق ، مارس (مايه) ١٩٥٨ .
- النازي : جامعة القرويين ، مطبعة فضالة (المحمدية) ١٩٦٠ ص ٧ .
- (٥) ظلت جنى زهرة الآس ص ٦٦ : وفي ايام القاضي أبي عبد الله محمد بن داود (ت ٥٢٨) زيد في الصحن بناء بلاطين من الجهة الشرقية من الجهة الغربية كذلك .
- (٦) يقيس ابن أبي زرع سعة كل وجه من الصومعة بسبعة وعشرين شبرا فيتجمل في الاربع جهات مائة وثمانية أشبار ، وهو الذي في ارتفاعها . وكذلك - يقول ابن أبي زرع - يجب ان تكون من حيث البناء والنظر الهندسي ، وان الذي تعطيه القياسات السابقة يؤكد ان علوها الكامل أكثر خمس مرات من سعة وجهها ، فتقديرات روض القرباس تقريبية . الأنيس ص ٣٤ - الآس ٤٧ .
- (٧) نعتقد انه قبل انشاء (غرفة المؤقت) التي منها ينفذ اليوم للسطح ، كان المنفذ عن طريق هذا الباب ومن هنا نتأكد من اهمية الشكوك التي اثيرت حول تحديد مساحة الصحن الاول ، وقد اهمل طبراس هذا الباب الذي كان في الامكان ان يستفيد منه لتبديد شكوكه .
- (٨) جنى زهرة الآس ص ٤٧ : ربيع الاول .
- (٩) هذا هو باب السطح القديم كما تقدم .
- (١٠) في هذا المنار كانت توضع أيضا بعض الأغراض التي يتوقف عليها المؤذن من ملابس شتوية : الخيدوس (البرنس) والقباقب : احذية خشية .
- (١١) كان ذلك عام ٦٨٥ هـ كما سيأتي .
- (١٢) روض القرباس ٤٨ .
- (١٣) قرأت في كتاب للاستاذ ماري Le maroc de demain أن السيف اختفى . وكان الأستاذ يتكلم سنة ١٩٢٥ ، وقرأت في مخطوطة أستاذنا المرحوم القاضي السائح : « لسان القسطاس بتاريخ مدينة فاس » أنه أي السيف ما زال ماثلا الى الآن . وكان يتحدث عام ١٩٤٥ ، وقد حدث في أواخر عهد الاستعمار الفرنسي أن انفصل السيف عن نصله ، فأخذ يتحرك ذات البمين وذات اليسار ، فقالت العامة : إنها إشارة من الملوك إدريس على أبناء البلاد بالجهاد ، وكثر الحديث وذاع حتى أخذت الادارة تهتم بالموضوع ، لكنه لم تمض الا أيام حتى وقع السيف ، وما ألحت مصلحة الآثار على تسليم السيف لإجراء تحليل عليه ، إنهم يعتقدون أن من البعيد بقاء الحديد كل هذه المدة تحت وهج الشمس وشدة القر . وبعد لأي أرغم السدنة - بعد أن رسموا مقياسة (٤٧ سانتيم) على جدران المنار الأول والثاني - أرغموا على إعارته بضعة أيام ، وقد رجع - او ما يقاربه على حد قول شيخ المؤذنين - حيث رده الى مكانه القديم بعد أن صُلب (جأمور) صنع خصيصا لهذا والياقي من السيف . هذا . ويذكر التاريخ أن رجلاً صعد المنار يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول من عام ستة عشر وستمائة . وتسلق ذروة الصومعة . وأرسل سيف من أعلاها ، لكنه لم ينجح في الاستيلاء عليه ، فقد هاج الجمهور ضد المحاولة ، ولقي الرجل جزاءه . ويحكى صاحب الدار النعيس عن نفسه أنه صعد هذا المنار يوم الأحد سابع عشر المحرم عام ثمانية وتسعين وألف بعد صلاة الظهر ، ليقف على حقيقة السيف ، فرأته - يقول المؤلف - كما ذكر سمرًا في وسط الهلال المنصوع من الصفر ، وتحت التفانيع وقدرته قدر ذراع ونصف تقريبا ، وله حد من الجهتين . لكن وجدته نعلًا ليس له مقبض ، وربما كان أزبل عنه قبل التسمير ، ولا شك أن هيئته هيئة السيف طولاً وعرضاً وسماً وسكاً ... قال : ومدة وضع هذا السيف في المنار من يوم وضع الى يومنا هذا سبع مئة واثنتان وخمسون سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام ، ورأيت مستقبلاً الى القبة بعده لا يسلكه وفي ذلك إشارات جلية . منها أنه مرفوع على رؤوس أهل فاس . القرني : زهرة الآس ص ٥٤ .

(١٤) قال الأمير أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر في كتاب (نهر الجمان في شعر من نظمي واباء الزمان) : اجتمع بي في شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبع مئة بجامع القرويين من مدينة فاس ، جماعة من طلبتها الأذكاء وأدباؤها النبلاء ، فتكلموا في السيف . فكان أول من افتتح باب المقال للشراء ابو العباس احمد بن يحيى بن عبد المنان الخزرجي (ت ٧٩٢) وقال :

أنكر السيف بالمنار بفاس قائل إن ذاك داعسي اعتمام
لا يبرعك الحمام سل عليها جنة الخلد تحت ظل الحمام

ثم تلاه أبو عبد الله محمد بن موسى الماجري فقال :

يقولون زجيلاً : إن فاساً قضى لها
لقد اخطروا في زجرهم ظل سعيهم

ثم قال أبو المكارم الأستاذ الحويّ منديلي بن اجروم الصنهاجي :

شاموا بفاس سيف إدريسهم
بل أشعروا بقول خير إليورى

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالريب :

بيف منار بفاس غدت
فيا زاجير الغم عفوا الآله

وقال أيضاً :

بها حص إدريس المنار بيغه
مشيرا أجيوا داعي الله تأمنوا

وقال أيضاً :

سّر فاس لفارس قد بدا في
فهم العز للندياء فبأورى

وقال الأستاذ أبو زهد عبد الرحمن بن محمد الصنهاجي الملي :

ألمم بفاس ، ولا تمسح لقائلهم
أما ترى الشمس رات تحت كاتبا

وقال الكاتب أبو العباس أجمد الأنصاري الخزرجي المعروف بالدباغ :

سيف إدريس بالمنار بفاس
إنما كان وضعه اليه فيها

وقلت (يعني نفسه) : الأمير أبا الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت ٨٠٧) :

وما سيف في رأس المنار لذلك
وأها ابن إدريس مقر خلافة

وأنشد أبو الفضل بن باشر الصولي :

قل لمن أنكر الحمام بفاس
سيف إدريس في المنار شهير

وأنشد له ابن باشر أيضاً :

قل للذي أنكر سيف الذي اشترا
من خالف الصلوات الخمس يعدمه

وأنشد أيضاً ابن باشر على لسان سيف :

وليس ارتفاعي في المنار لكربة
أخض على الخمس التي فاز أهلها

وأنشد فيه الكاتب مسعود بن أبي القاسم بن أبي طالب :

قالوا : بجامع فاس سيف إدريس
ما جعله غير طمس لاسكنها

بلتها سيف المنار المشيد
هل العز إلا تحت ظل الهند ؟

فوق منار لا لأمر مخوف
جيتكم تحت ظل السيوف

محاسنها وإنيات القطيروف
وجته تحت ظلال السيوف

لغم ، ولكن كي يعم نداه
ومن لم يجب داعيه هذا جزاؤه

وضع إدريس بالمنار حمامه
ناره معلماً وشال علامه

سيف المنار كماها ثوب مكتب
واليف أصدق أنباء من الكيب !

ليس للغم ، لا ولا للمخافة
معلما أنها مقر الخلافة

بفاس ، ولكن أمره أيما أمر
فجرده عزماً لأملأها الفر

وادعي الغم قول ذي تجريح
شهرة الدين بالأذان الصحيح

على المنار فـأ أبدعت تنكيها
إن الصلاة كتاب وكان موقوتها

ولكنه كي يعلم الحق جاهله
ومن حاد عن أوقاتها أنا قاتله !

وكلهم قائل زوراً وتليسا
لكي ينال بها الأحزان والبؤسا

ويشير لما روي من أن وفاة خيراتها قد تنعكس المم على سكانها ، تحقيقاً لحكمة ابن عطاء الله : « ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن له » .
وقد أنشد أبو زيد عبد الرحمن المكودي راداً على أبي طالب :

قال قوم : سيف المنار بفاس
اخبطوا ليس ذاك الا لمز
وأشد فيه الفقه أبو العلاء إدريس بن رشيد القهري :

سل إدريس بالمنار حاماً
داعياً للصلاة إن لم نجسوا
وأشد فيه الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد الفخار المشهور بالحياك :

شهرة المشرقي فوق المنار
سيف إدريس محمد للأعادي
وأشد الأديب أبو عثمان سعيد السدراي المعروف بشهرين :

لإدريس سيف أظهر الدين والهدى
فن ظن أن الذل أورثنا به
وقال أبو محمد عبيد الواحد الزيتوني :

من يحد الناس في فاس يقول لهم
نعماً لقائلهم . بل سيعه شرف
وقال الشيخ أبو محمد عبد الغفار البخلفي :

ذكرت ولم أكن للذكر ناس
فلم يك بالمنار مدى . ولكن
وقد أنشد فيه الجزنائي مشيراً إلى أن السيف لم يجعل هناك إلا لتجليل اسم إدريس

سيف إدريس متقى بالمنار
إنما جعله هناك ليقى
وما أنشد فيه أبو العباس أحمد بن عبد الحي الجلي الفاسي :

حام لإدريس بن إدريس متقى
إشارته أغت ليلاً بقولها
تقول : أنا سيف العناية قائم
وصفي على رأس المنار علامة
وتوجه خدي نحو قبلة أحمد
وأشد فيه أيضاً :

لإدريس سيف بالمنار طويل
تجرد زجراً للغة ومرشداً
وبشر قوما آخرين بنصره
نشر لوالد الجبان . الدر النفيس . الأزهار العاطرة الأنفاس .

(١٥) هذه رواية الجزنائي في جنى زهرة الآس (ص ٥٥) وهي التي تتفق مع الاحداث التاريخية التي مرت بها البلاد . وفي الأنيس : أن ذلك تم سنة ٣٧٥ هـ بعد مقتل الحسن بن كون . ابن أبي زرع ص ٣٦ .
(١٦) الاستقصا ، ١ ص ١٩٨ .

(١٧) البيلة : كلمة دخيلة Pila de agua . وهي عند بعضهم مرادفةً للخصّة . ومن الناس من يرى أن القسم العالي هو الخصّة . في حين أن البيلة المكان الذي يجتمع فيه الماء أسفل . وفي الناس من يعتقد العكس : البيلة فوق وينزل الماء في الخصّة . Dozy P. 137

(١٨) الميزاب - كلمة فارسية . وهي الفتاة . انظر مادة (وزب) .

(١٩) الكُرَابَة - كلمة مغربية عربية الأصل جمع كُرَاب صاحب القرية الذي يسقي الناس . أي السَّقاء .

(٢٠) الأنيس ص ٣٥ جنى زهرة الآس ٥٤

(٢١) الأنيس ٤٢ - الآس ٦٩



الفصل الثالث

القرويين في عهد المرابطين والموحدين

- الزيادات المعمارية والعمرانية في القرويين الثالثة
- السواري
- الفن المرابطي بجامع القرويين
- الكلمات المنقوشة
- العنزة
- السطح
- السقف
- توسيع الصحن وتزليجه
- تكييف الهواء
- جامع الجنائز
- منبر المرابطين
- المستودع
- دار الوضوء وجلب الماء للمرة الثانية
- الخصة الحسناء
- إنارة القرويين
- الثريا الكبرى
- الثريا الصغرى أو ناقوس كنيسة وبُدة .

الزيادات المعمارية والعمرانية في القرويين الثالثة

شيئان اثنان اهتم بهما المرابطون عندما تسلموا الحكم بالمغرب (٥٢٨ هـ) (١١٣٤ م) ، اولهما : بناء عاصمة لهم تكون قرية الى ديارهم بالصحراء ، ثانيهما العناية بجامع القرويين بفاس ، باعتباره اهم جامع في العاصمة الاولى للاسلام بالمغرب الأقصى .

فبعد ان بدأ القاضي السبي سنة (٥٠٥ هـ) (١١١١ م) بتوسعة كل من الجناحين الغربي والشرقي للصحن ، لاحظ الناس ان كثرة العمارة بالمدينة تقتضي عملية كبرى ، الأمر الذي كان السبب في الاجتماع الذي ضم العلماء والأشياخ ، وذلك في مطلع سنة (٥٢٨ هـ) (١١٣٤ م) . لقد استقر الرأي على ان يتوجه القاضي ابو عبد الله محمد ابن داود (١) الى امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (ولي ٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) ليوضح له ضرورة الزيادة في القرويين والقيام فيها بالاصلاحات التي تقتضيها الحال ، وأطلعه على ما اكتشفه من أوقاف للقرويين بقيت في أيدي النظار والوكلاء ، وان هذه ستكون فرصة لارجاع املاك الجامع اليه ، ولا شك ان العاهل المرابطي تقبل هذا الاقتراح بسرور كامل ، فقد كان يريد ان يقوم بعمل للقرويين من شأنه ان ينسيها تلك الساعات الرهيبة التي شاهدها غداة دخول المرابطين (٢) . وقد صدرت الأوامر بشراء عدد كبير من الديار التي تجاور جنوب القرويين (جهة المحراب) وبعض الاملاك التي في الطرف الأعلى من جهتيها الشرقية والغربية ، تم الشراء بأحسن الاثمان ترضية للناس ، ومع ذلك حاول بعض السكان من اليهود (٣) ان لا يسلموا متاجرهم ، لكن الفقهاء اقتدوا بعمل الخليفة عمر (رضي الله عنه) حينما زاد في المسجد الحرام - فأصدروا الفتوى بتقويم الأمكنة وارغام اصحابها على تسلّم المبالغ . وكما كان في القرويين الاولى فقد احتاط المسؤولون في البناء ما أمكنهم حتى تسلم هذه الزيادة من أيّ شائبة من شوائب الشبهة والريبة ، وقد استخرجت من أعماق أرضها الصخور والرمال ، بل اعتمد في البناء على نفس البئر التي انبثقتها فاطمة بالقرويين الصغرى .

كانت الجهة التي نالها القسط الأوفر من الزيادة هي جهة الجنوب ، فقد زادوا فيها ثلاثة اساكيب من احدى وعشرين قوسا ، وقد اعتمد التصميم نفس الترتيب الذي كان للمسجد الادريسي ثم الزناتي بحيث تبعه حتى في عدم التساوي بين عدد الأقواس الموجودة في غرب البلاطة الوسطى وشرقها ، وقد كانت المسافة بين السارية والسارية ثلاثة أمتار وسبعين سانتيمًا بالنسبة الى الاسكويين الأولين . أما بالنسبة الى الثالث الذي يجاور القبلة فقد بلغ العمق ثلاثة أمتار وتسعين سانتيمًا ، وكان كل جانب من السواري المربعة يبلغ ٧٠ سانتيمًا ، وهكذا اربت مساحة القرويين مع كل هذه الزيادات على نصف الهكتار (٤) .

وان المادة الوحيدة التي اعتمدها العمال في الزيادة هي الآجر في السواري وفي الأقواس . أما الجدار المحيط بالمسجد ، فقد استعملوا فيه معجون الرمل والجير (Beton) ، وليس من البعيد ان يكونوا قد استخرجوا من تلك «الرمال والصخور» في الجامع ما صنعوا به اجرا صالحا للبناء . وهكذا نجتمع بين الأقوال التي اطبقت على ان المواد المستعملة لم تتعدّ باطن القرويين وبين الحقائق التي أثبتتها التنقيب عند عمليات الترميم الحديثة .

هذا وفي هذه الزيادة فرشت ارض الجامع كلها ، وحفرت فيها بالوعات تستوعب ماء الغسل عند الحاجة وذلك امعانا في تنظيف الجامع (٥)

وكما قلنا في الحديث عن القرويين الأولى فإن سائر الدلائل تشير الى أن المرابطين احتفظوا بالقرويين الثانية في أكثر خصائصها العامة ، ويدل على ذلك مثلاً وضع البلاط الأوسط وما يلاحظ فيه من بعض اعوجاج ، فلو أن القرويين قامت دفعة واحدة لأمكن ملاحظة الانسجام التام بين أجزاء المسجد ، هذا إلى أن تحليل المواد التي تقوم عليها بعض السواري في ذلك البلاط ، وخاصة ذات الشكل الاسطواني منها ، دل على أنها زناتية ، أضف الى هذا أن بعض التيجان التي تكمل بعض تلك السواري يحاكي ما يوجد منها في قرطبة ، وكل ما أدخله المرابطون من تغيير على شكل القرويين الثانية هو أنهم رغبة في إكتساب المحراب منظرًا أبهى وأكمل ، عمدوا الى البلاط الأوسط فزادوا في ارتفاعه وقوّوا بعض سواريه في الجزء المتقدم من الجامع . أما باقي المسجد فقد بقي على ما كان عليه بالرغم من أن القاضي كان يعتزم تغيير مكان الصومعة الزناتية^(٦) ، ويمكن للمرء أن يلاحظ الفرق بين البلاطات السبع الزناتية والثلاث المرابطية ، إذ تمتاز الأولى بغلظ سواريها وقصرها ، وتمتاز الثانية في الأكثر - برشاقتها وطولها .

ما تسعه القرويين من المصلين

هذا ، ولكثرة الاهتمام بالقرويين عرضت بعض الكتب لما يمكن أن يسعه من المصلين ، ان البلاط الواحد يسع أربعة صفوف ، في كل صفّ مئة مصلّ وستون مصلّيًا ، تلك ست مئة وأربعون ، أضفها الى مئة وخمسة وعشرين بين السّواري ، يكون المجموع سبع مئة وخمسة وستين مصلّيًا في البلاط الواحد ، تضرب في عدد البلاطات الست عشرة يكون المجموع اثني عشر ألفًا ومائتين وأربعين مصلّيًا . فإذا أسقطت قاعدة الصومعة وبعض الجهات مما لا يمكن أداء الصلاة فيه ، بقي اعتبار اثني عشر ألف نسمة . هذا رأي الجزنائي في جنى زهرة الآس ، وهو جد معقول ، أما صاحب الأنيس ، فيرى أن القرويين تسع اثنين وعشرين ألفًا ومئة وإحدى وأربعين نسمة ، تنقص قليلًا أو تزيد قليلًا^(٧) .

سواري القرويين

جلّ السّواري التي تقوم عليها بناية القرويين تتكوّن من قطع الآجر^(٨) فهي مربعة القاعدة في معظم الأحوال ، وفيها القديم الذي ركّب من أسطوانات صخرية ، وفيها المفصّص الشكل^(٩) ، والمضلع كذلك^(١٠) ، وبالإضافة الى هذا يوجد عدد من السّواري الرخامية نقلت مع أكاليلها من الأندلس كالحال في السواري الأربع التي تقوم عليها قوس المحراب والسواري الخمس التي تتوزع على أبواب الرواح الرابطة بين قاعة الصلاة وجامع الجنائز ، والسواري الثلاث التي تحمل قبة جامع الجنائز المقرّبة^(١١) .

أما عدد السواري التي في الجامع ، فإن ابن أبي زرع الذي ألف روض القرطاس عام ٧٢٦ يذكر أن عددها مئتان واثنان وسبعون ، لكننا نجد الجزنائي الذي ألف جنى زهرة الآس حوالي سنة ٧٦٢ يتحدث عن ثلاث مئة سارية . ونجد آخرين يبنونها الى ثلاث مئة وأربع وخمسين سارية^(١٢) .

والواقع أن لكل واحد من المتكلمين وجهة نظر تعتمد على التاريخ الذي عدّد فيه سواري المسجد .

يوجد من السواري بحسب تسلسل الأساكيب من الشرق للغرب العدد التالي : الصف الأول ١٩ - وفي كل

من الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع : ٢٠ - وفي العاشر : ١٩ - والحادي عشر : ٧ - وفي كل من الثاني عشر والثالث عشر : ٦ - وفي الرابع عشر : ٨ - وفي الخامس عشر : ١٧ - وفي السادس عشر : ٥ - وفي السابع عشر : واحد ، ذلك : ٢٤٨ فاذا أضفنا ١٣ التي في جامع الجنائز والخمس في أبواب الرواح وأربع في باب المحراب ، وواحدة في رواق باب الحفافة ، وواحدة في باب المجلس العلمي حيث كان باب الحدودي كان المجموع ٢٧٢ ، وهو ما في القرطاس .

اما العدد ٢٨ الذي يزيد الجزنائي ، فقد تجمع لديه من تقصيه حسب بعض السواري الناتجة بالجدارين الشرقي والغربي مع اضافة بعض العمدان المستطيلة التي بجامع الجنائز .

على أن هناك عددًا آخر من السواري القديمة يمكن اعتباره في الحساب ، وهو النوع القصير الذي يتوسط الخلوة وبعض نوافذ الصومعة ، أو الذي يحمل أعالي بعض القباب المقربصة التي تقع في البلاط الأوسط . وبعد هذا يكون علينا أن نضيف نحن السواري التي زيدت بعد هذه الفترة التي كان يتحدث عنها صاحب روض القرطاس وصاحب جنى زهرة الآس - ونعني بها السواري التي أنشئت في أواخر العهد المريني والسعدي والتي تصل الى زهاء العشرين (١٣)

ويذكر الجزنائي أنه من الاتفاق الغريب في سواري القرويين أن الذي يطوف بالثالثة منها المنتصبة عن يمين الواقف مستقبلاً تحت الثريا الكبرى ، يمكنه أن يبصر ، وهو يدور فيها ، جميع أبواب الجامع التي بداخله (١٤).

الفن المرابطي في جامع القرويين

كان الطابع الذي يميّز القرويين الأولى ، وكذلك القرويين الثانية ، هو طابع البساطة ، لم تخرج عن ذلك في كل المرافق التي عرقها الى ما قبل ظهور دولة المرابطين ، وبكفي الوقوف أمام الصومعة الحالية التي تعد أقدم بناء بقي الى اليوم ، فانها نموذج حيّ لكل مظاهر التقشف التي كانت معروفة في سالف العصور ، وثمة أثر مهم من الآثار التي وجدت مغروسة في جدار القبلة ، وأعني بها اللوحة التي نقش عليها بالخط الكوفي تاريخ بناء مسجد الامام داود بن إدريس ، فهذه اللوحة أيضاً تعبير واضح عن البساطة التامة التي كان الأقدمون يشعرونها في صناعاتهم وفي كتاباتهم ، ونعتقد أنه لو بقي أثر ما من آثار العهد الزناني لما أمكن الخروج بنتيجة غير التي خرجنا بها اليوم ، والتي تشهد ببساطة الفن على العهود المتقدمة الأولى ، ومنذ الوقت الذي ظهرت فيه دولة المرابطين ظلّ المغرب - وهو مركز القوة الحجة للامبراطورية - البقعة التي تحتوي على أكثر المباني المعمارية ، الأمر الذي نَمَى من اطلاقنا على الفن الذي يعزى لدولتهم ، وأن ما اكتشف من هذا الفن في جامع القرويين بالذات ليفوق كل ما عرف الى الآن ، ويرجع الكثير من الفضل الى بعض الذين عُنُوا بالمسجد الجامع من الناحية الآثارية ، فهم الذين دلّونا على بعض ما يكمن في هذه المعلمة التاريخية الكبرى بالرغم من أن الفائدة كانت محدودة ، بل مقتصرة على مرحلة معينة من تاريخ القرويين (١٥)

نحن نعلم أن المرابطين أبدعوا أيما إبداع في القباب المجاورة للمحراب ، لقد نقشوا عليها - كما يقول ابن أبي زرع (١٦) بالذهب واللآلئ وأصناف الأصبغة على غاية من الجمال والكمال ، وكان ذلك يبهت الناظر من حسنه ، ويشغل المصلين . فلما دخل الموحدون المدينة يوم الخميس الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة اربعين

وخمس مئة (٤ شتنبر ١١٤٥) خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن ينتقد عليهم الموحدون تلك النقوش وذلك الزخرف الذي فوق المحراب ، لأنهم أي الموحدين نزعوا إلى التقيش والتقليل ، فقيل لهم : إن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي يدخل المدينة غداً يرسم صلاة الجمعة مع أشياخ الموحدين فخاف الفقهاء لذلك وبات الحمامون تلك الليلة فأطبقوا على ذلك النقش والتذهيب بالكاغد ثم لبسوا عليه بالجص فاخفت تلك النقوش وصارت بياضاً .

لقد بقيت ملامح ذلك الجمال مكسوفة ، وأنفاسه مكتومة زهاء ثمانية قرون أو تزيد ، كنا نقرأ عن « أصناف الأصبغة » التي استعملها الفنانون المغاربة في إعداد لوحاتهم ، ولكنا لم نعرف أنها كانت تعتمد الأحمر القاني والأزرق الناصع والبنفسجي الغامق إلا منذ سنوات قلائل ، ان النقوش وأنواع الوشي والتطريز^(١٧) وان توزيع الأضواء والظلال على كل تلك الفنون ليشهد بالثروة الندية التي تحلى بها ذوق العامل المغربي ، فأسدى للمعنيين بتاريخ الفن المغربي الأندلسي الخير الكثير .

لقد غير المرابطون من شكل القرويين التي كانت على عهد الزناتيين ، لكنهم بذلوا أقصى جهدهم في الإبقاء على أصولها الأولى ، وذلك باحتفاظهم منذ البدء على تصميم « البلاطات الموازية لجدار القبلة » الذي كان نفس التصميم في القرويين الأولى والثانية ، ومع ذلك حرصوا - عند اضافتهم البلاطات الثلاثة - أن يبرزوا عملهم هم أنفسهم إبراز عن طريق البلاط الأوسط الذي ينزل من المحراب في اتجاه العنزة ، لقد امتاز هذا البلاط عن بقية البلاطات بما احتواه في الداخل من روعة متناهية ، وفي الخارج بما تميز به من مقدّمه من علو ملحوظ ... لقد عرفنا السر الذي جعل العمال المغاربة^(١٨) يصلون بهذا السقف المرتفع على النحو الذي ذكرنا ، بين ستة أساكيب : ثلاثة مرابطة وثلاثة زناتية ، فان القرويين الزناتية التي خلفت مسجد فاطمة كانت قصيرة العمدة منحدره السقف ، فحتى يحتفظ الصناع للمسجد برونقه ما أمكن شعروا بالحاجة الى رفع سطح مقدّم البلاط الأوسط إخفاء للفرق . وهكذا لم يظهر هناك أثر لقصير أو طويل ، واستطاعوا بفضل ذلك الترتي المتدرج للقباب أن يتحفظوا النظارة بقاعة صلاة كأنما قامت دفعة واحدة - كما أنهم بذلك اتبعوا تقليداً معروفاً في المساجد المغربية يعمد الى إبراز البلاطة الوسطى لتدل من خارج أيضاً على اتجاه القبلة كما هو الحال في مسجد القيروان ومسجد قرطبة .

إن هنا العدد الوافر من الأشكال المختلفة للأقواس ، فبالإضافة الى الأقواس العتيقة ذات العقد الواحد التي تعم قاعة الصلاة ، وحوالي الصحن وعند الأبواب الخارجية ، نلاحظ الأقواس المتضاعفة العقود التي تتناثر هنا وهناك ، وفيها ما يحتوي على خمسة عقود مختلفة المقاييس ، وفيها ما يحتوي على أحد عشر عقداً فيها الصغير والمتوسط وفيها أقواس أخرى يحتوي كل عقد منها على عقود أخرى ، وعند مدخل الأبواب التي تنفذ لجامع الجنائز نلاحظ من جهة الجامع أقواساً على شكل حلزوني ، لكن يتحول المنظر من جهة صحن جامع الجنائز الى شكل لقوسين توأمين ، على أن هناك مجموعة من الأقواس تتخذ أشكالاً أخرى لا تقل متعة عن الماضية .

• وإذا ما تجولنا في هذه القباب الممتدة على طول البلاط الأوسط ، نشاهد دون شك معالم الفن متجلية في سائرها ، وأن ما أبدعته عبقرية العامل المغربي منذ ذلك التاريخ المبكر في هذه القباب وخاصة ذات الأبعاد الكبيرة منها ، جعل رجال الآثار يتشككون في أقدمية القباب المماثلة في معبد (بالاتين La Palatine) في بالبرمة ، التي يرجع تاريخها الى سنة ١١٥٠ م ، وتعود قباب القرويين الى تاريخ ١١٣٧ م . تمتد على طول البلاط الأوسط طائفة من القباب فيها المضلعة وفيها المقربصة . فابتداء من القبة التي في داخل المحراب مشتمة الشكل ، تليها قبة

محاذية للمحارب على شكل مربع ، تأتي بعدها القبة المستطيلة ، ثم قبة مربعة مقربصة ، ثم قبة مضلعة ، تأتي إثرها قبة دائرية مقربصة ، وبعد سقف عاطل نشاهد القبة المضلعة التي أحدثها العلويون ويأتي بعدها سقف عاطل أيضاً ، وأخيراً يختم البلاط الأوسط بالقبة المقربصة التي عوضت القبة الزناتية .

ويلاحظ أن قاعدة تلك القباب المقربصة تقوم على أقواس محمولة على سوار قصيرة ذات تيجان تتخذ أشكال سعف النخل ، ويمكن أن نشاهد في القبة ذات الأبعاد الكبيرة لوحات ثرية بزخارف من زهور أو كتابات ، وفي داخل المحارب أقواس مماثلة مزدانة بأشكال سعفية في تركيب متناسق الأجزاء من كل جهة .

وعند القبة التي ترتفع مباشرة بعد العنزة ، نلاحظ بساطة أفاريز الأقواس البارزة ، وفي القبة الدائرية والقبة المضلعة تسود الأفاريز الهندسية المتعانقة على قاعدة من نجوم سداسية ، وفي القبة المقربصة المربعة يتخذ الإفريز شكلاً مربعاً ذا عقود مزدانة بالزهور الجميلة ، وهي تكتنف النقوش التي حملت وثيقة التأسيس .

وإذا ما حاولنا أن نوازن بين مختلف القباب ، فنجد أن القبة المحاذية للمحارب تمتاز بأنها أثرى وأغنى من حيث تطريزها ووشحها ، فهي كالحال في القبة المستطيلة تحتضن لوحات فنية رائعة منقوشة فيها ما نقش بالخط الكوفي ، وفيها ما نقش بالكتابة النسخية ، وعلى كل هذا تتعاقب أشكال الزهور لتكون منظراً أخاذاً ، وفي القبة الدائرية نلاحظ باقات بارزة من زهرات الاغتيا ، وقد أحاطت - في أوضاع مختلفة - على ثلاث طبقات تعلو إحداها الأخرى .

ومع هذه الثروة التي تزايد في اتجاه القبلة يلاحظ رجال الآثار ما طبع قبتين أخريين من بساطة : القبة المضلعة المرابطة حيث الثريا الكبرى ، فإن قمتها لا تحتوي إلا على عقود وأفاريز تتخذ أشكالاً هندسية بسيطة. والقبة المربعة الشكل التي تحتوي على شماسيات جميلة ذوات رسوم مزهرة جميلة .

وإذا انتقلنا الى الأفاريز المتشابكة شاهداً في أسفل مختلف القباب أشكالاً هندسية محكمة المقاييس والأبعاد ، وفيها ما يكون نجومًا متقنة التقدير والتخطيط .

وإذا ما حاولنا أخيراً أن نستعرض الخطوط الكوفية والنسخية بما يشاركها في أغلب الحالات من زهور استوقفتنا هذه المجموعة الرائعة من اللوحات المطرزة هنا وهناك .

لقد كان الخط الكوفي أكثر استعمالاً من سواه على مختلف الجهات ، وفيها ما يظهر عليه طابع القدم كالحال في الخطوط التي في داخل قبة المحارب ، على أن أكثرها يقوم على ساق طويلة مشجرة ، وكثيراً ما يملأ الفضاء بين الحروف بأشكال تحاكي النخل ، وهكذا تزيد هذه النباتات في المنظر الرائع لتلك اللوحات ، دون أن تؤثر في أشكال الحروف ، الأمر الذي بلغ بالخط الكوفي قمته في التوازن والتناسق .

وإذا كانت الكتابة الكوفية قد سيطرت على جلّ الجهات الموشاة ، فإن الخط النسخي يحتل درجة ثانوية . حيث يقتصر على بعض الجهات في القبة المربعة الموازية للمحارب والقبة المستطيلة .

وإذا ما انتقلنا الى عنصر الزخرفة النباتية الذي افرغ فيه العمال المغاربة جهودهم ، فنجد أنفسنا أمام حقول تتألف من باقات ممتعة ومتنوعة من النباتات والزهور ، ألم يقل ابن عباس مخاطباً أحد الفنانين : « إن آيت الا

أن تصنع ، فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح (١٩)

هناك أشكال مختلفة من سعف النخل المضلع والبسيط . هنا كذلك عدة أحجام لجوز الصنوبر الذي تبرز به بعض الفراغات ، على أن هناك نوعاً من الزهور ، هو زهر الافتنا يبدو في حلة زاهية ، وقد وُشيت به القبة المولية للمحراب ، وبعض القباب الأخرى ، وبخاصة القبة المستديرة الشكل التي تضم مجموعة متعددة من هذا النوع من الزهور المحبب الى النفوس ، وكأن الصانع التزموا أن يجدوا لكل لوحة تركيباً خاصاً قائماً بذاته ، بل انك لتجدهم في اللوحة الواحدة حريصين على التنويع والتشكيل سواء أكان الأمر يتعلق بالسعف أم بالافتنا ، وكأنما لكل لوحة شخصيتها ، الأمر الذي أعطى لكل هذه الفنون قيمة لا تقدر .

الكلمات المنقوشة

ويمتاز ما نقش على مختلف القباب بأنه لا يتضمن بعض الآيات الشريفة والعبارات بدعائية حَسْبُ ولكنه أيضاً يحتوي على وثائق قديمة لها وزنها بالنسبة الى تاريخ القرويين .

لقد نقش على الأقواس الثمانية بداخل قبة المحراب كلمات بخط كوفي حروفه باهتة ، تبيّن منها بعض الآيات : « وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأُخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ » .

وقد تضمنت واجهة المحراب والقبة التي تحاذيه نصين تاريخيين :

الأول - داخل شكل مشتمل في أعلى الواجهة ، وفيه ما يلي : « عمل عبد الله بن محمد وكل بحمد الله وحن عونه في شهر رمضان المعظم احدى وثلاثين وخمس مائة » .

الثاني - وهو بين أفاريز تحيط بالقبة المربعة ، ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسول الله مما أمر بعمله عن أمر الملك العادل الأمر بالخير والفضل أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين ، أدام الله له أسباب التأييد والتمكين الفقيه المشاور الأجل الامام القاضي الأفضل أبو محمد عبد الحق بن عبد الله ابن معيشة الكتاني أدام الله توفيقه فعمل ابتغاء وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم وعنده تعالى وجلّ حسن الثواب وكريم المثاب فرحم الله من قرأه ودعاه الى الله سبحانه في عاجل القبول واعظام الاجر والمجازاة له يوم النشر والحشر ، وكان اتمام ذلك كله بحمد الله وعونه في سنة احدى وثلاثين وخمس مائة » .

ويلاحظ أن هذه الوثيقة حجب بعضها بسبب شماسيتين حديثي العهد . وهكذا سقطت بسبب الشماسية الأولى كلمات (حمن الرحيم وصلى الله على رسول) . وبسبب الشماسية الثانية (دل الأمر بالخير والفضل أمير ال) ، ويحيط بالشماسيات القديمة الثلاث تحت هذه الوثيقة : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يسبح له فيها بالغُدُو والآصال رجال » الآية . ثم تحيط بفتحة المحراب الآية : « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم » .

واذا ما رفعت بصرك الى أعلى القبة شاهدت مجموعة من اللوحات الفنية الرائعة التي تحتوي على عدد من الآيات والكلمات ، فيها ما نقش بالخط الكوفي أو بالخط النسخي ، وفيها ما هو على شكل أقواس . وفيها ما هو على شكل مربعات ، فتحت قمة القبة وعلى مقربة من الباقات المنتظمة هناك نجد لوحات تحمل كلمات : « الحمد لله - الشكر لله - العزة لله - اليسر بالله - الله أكبر - الخ الخ » .

وتحت هذا أقواس متتابعة ، بالخط النسخي ، تحمل الآية الشريفة : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام » (سورة الاعراف الآية ٥٤) ، والآية : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » ، وآية : « ومن يتبعني غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » ، وآية : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ، وآية : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون... » ، وتحتها لوحات مربعة تحمل كلمات بالكوفي : « توكلت على الله ، حسي الله - السجود لله - الشكر لله - القدرة لله - الخ ... » تحتها مباشرة لوحات مقوّسة نقشت فيها بالكوفي سورة الاخلاص والمعوذتين ، ثم الآية : « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » سورة غافر الآية ٥٧ .

أما القبة ذات الأبعاد الكبيرة ، وهي التي تلي هذه ، فقد احتوت وثيقتين تاريخيتين بالاضافة الى ما يوجد هنا من لوحات مكتوبة بالخطوط الكوفية والنسخية .

فعلى طول الحاشية السفلى الدائرة بها نقشت بالخط الكوفي وباللون الأبيض ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد رسوله الكريم أرسله بالهدى بشيراً ونذيراً وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين مما أمر بعمله عن أمر الملك العدل الأمر بالخير والفضل أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين أدام الله له أسباب التأييد والتمكين ، الفقيه الإمام الأجل المشاور (٢٠) القاضي الأفضل أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الكناني أدام الله توفيقه ، فعمل ابتغاء وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم وعنده تعالى وجلّ حسن الثواب وكريم المثاب ، فرحم الله من قرأه ودعا الى الله سبحانه في عاجل القبول وإعظام الأجر والمجازاة له يوم النشور والحشر ، وكان إتمام ذلك كله بحمد الله وعونه وتوفيقه ومَنه في شهر رمضان المعظم من سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة » .

وفوق هذا بعد البسملة والتّصلية الآية الشريفة : « في بيوتِ أَذِنَ الله أن ترفعَ ويُذكرَ فيها اسمه » سورة النور الآية ٣٦ - ٣٩ .

وعلى أحد التيجان التي تكتنف بعض الجهات في الآية الشريفة اسمُ الصانع الذي اشتغل في هذه القبة على النحو التالي : « عمل ابراهيم بن محمد رحم الله من دعا له بالرحمة » .

وفوق هذا لوحات فيها ما نقش بالكوفي ، وفيها ما نقش بالنسخي . فعلى بعض الأقواس السفلى تقرأ الآية : « آمَنَ الرسولُ بما أنزل إليه من ربه » سورة البقرة الآية ٢٨٥ ، تحيط بها مربعات بالكوفي : « العزة لله - الملك لله - البقاء لله - بالله توفيقى بالله - العظمة لله - القدرة لله - » . ثم فوق هذا أقواس أخرى تحمل الآيات : « الله لا إله الا هو الحي القيوم ... لا أكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ، ويؤمن بالله » سورة البقرة الآية ٢٥٦ ، وتكتنف هذه الآية مربعات بالكوفي في أعلاها نجمة مثمنة .

وفي جهات موائية على مقربة من الزهور المتناثرة هنا وهناك ، نجد لوحات ذوات أقواس مفصصة ، وقد نقش عليها بالكوفي : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » الطلاق الآية ٣ ، وتحتها لوحات أخرى نقشت عليها بالتوالي : سورة الاخلاص ، والمعوذتين ، لا إله الا الله ، والمعوذتين الخ الخ .

ونلاحظ بعد هذه القبة المستطيلة أن اهتمام الصانع بالنقوش أخذ يضعف . فقد اقتصرَت القبة الرابعة على

نقش الآية الشريفة بالخط الكوفي : «تبارك الذي، إن شاء جعل لك خيراً من ذلك» الفرقان الآية ٢٥ . وفوق هذا يوجد تحت بعض اللوحات الفنية رسم بالخط الكوفي القديم (بركة ونعمة شاملة) - الله وحده لا شريك له لا اله الا الله محمد رسول الله الحمد لله - الشكر لله - العزة لله - الله أكبر - .

وبعد القبة المضلعة التي تحتضن الثريا تنتقل إلى القبة السادسة ذات التصميم الدائري ، وقد نقش على لوحة فيها ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد صنع هذه القبة سلمة بن مفرج » .

وبعد قبة الخشب تأتي القبة الثامنة المضلعة ، لكنها متأخر عن أيام المرابطين ^(٢١) ، وبعد قبة الخشب التاسعة تأتي القبة العاشرة التي عوضت قبة عبد الملك المظفر ، وقد نقش على دائرتها حديثاً : « لا قوة الا بالله ... » .

العنزة :

واختتم البلاط الأوسط هذا بنصب «عنزة» ، كانت ألواحاً بسيطة لكنها احتوت على بعض النقوش ، ولم يستطع التاريخ أن يعطينا عنها أكثر من النص الذي كان على أعاليها : « صنعت هذه العنزة في شهر شعبان المكرم سنة أربع وعشرين وخمسمائة ^(٢٢) » وهذه كانت عنزة المرابطين .

السطح والسقف :

ويعلو قاعة الصلاة سطح من القرميد يتألف من منحدرين متقابلين ، يمنع انجاس مياه الأمطار وتجمعها . وذلك لثلاث تلاف السقوف .

أما من الداخل فيتراءى منظر الركائز المتساند بعضها إلى بعض على الشكل الذي يحفظ المسجد من كل ميل . ولا شك أن السطح والسقف معا تعرضا لعدة اصلاحات وتغييرات ، بيد أن التصميم القديم خارجاً وداخلاً ظل هو الشكل المحتفظ به .

توسيع الصحن وتزليجه :

منذ الزيادة الثانية في القرويين ظل الصحن على ما كان عليه ، فحدثت به على مرور الزمن بعض الصفحات . عاقت استواءه ، وأمت غير مناسبة للاصلاحات القائمة على قدم وساق ، ولهذا تطوع أحد العرفاء من رجال البناء أبو عبد الله محمد بن صخر بمساعدة العريف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الخولاني ، واقترش الصحن من ماله ، وعلى العادة المتبعة في كل عمل يمس هذا الجامع التزم ابن صخر لدى قاضي الجماعة أبي عبد الله بن داود بان المال الذي ينفق على المشروع موروث عن والده ، وأنه لا شبهة فيه نسي للقرويين ، والتزم الى جانب هذا أن لا يبقى في الصحن تقير ولا احدوداب ، وأنه إن صُبَّ في أعلاه قلة ماء انحدرت الى أسفله ، وهكذا تم تزليجه من نوع من الآجر يعرف الى الآن باسم «البجماط» ، ويذكرون على سبيل التدقيق أن الصحن استوعب اثنتين وخمسين الفا وتسع مئة وأربعاً وسبعين آجرة ، لأن طول الصحن من شرقه الى غربه مئتا صف وثلاثة وأربعون صفاً ، وفي كل صف مئتا آجرة وثمان عشرة آجرة ^(٢٣) . وزاد القاضي ابن داود في الصحن بلاطين من جهة الشرق ، ومثلها من جهة الغرب ^(٢٤) .

تكيف الهواء في فصل الحر :

ومن الطريف أن ينقل البنا التاريخ طريقة لتكييف الهواء في صحن القرويين تحاكي نفس الطريقة التي كان البغاددة يستعملونها مما تحدث به مهيار الديلمي في رائيته عن الطنبلب الذي كان بعض الخواص يستعملونه من نسيج فيه فرج ينفذ منها الهواء ، مستعينين بجبال يجذبونها بها ، فيلطف أذى الحر (٢٥) .

لقد نصب القاضي ابن داود على الصحن مظلات من شقق الكتان ، تنشر عليه كل يوم جمعة في أزمان الصيف ، لتحجب الشمس عن المصلين الذين يفضلون البقاء بالجامع على الالتحاق ببيوتهم ، وذلك بأن جعل في أطرافها جبالا تجري في بكرات موثوقة بالرفوف الدائرة على جوانب الصحن ، ترتفع بها المظال مدة الحاجة إليها ، ثم تحط وتزال وتوضع في المخازن الى وقت الحاجة إليها عندما يعود الصيف ، وقد جعل في مواضع من المظلات فُرَجاً يدخل منها الهواء العليل ، وبقيت تشغل لذلك أعواما حتى تمزق المظال ، وأهمل النظر فيه بعد حصار دولة الموحدين « مدينة فاس واغراقها (٢٦) » ، وقد حرك ذلك النوع من الترفيه على المسجد بعض الشعراء على ذلك العهد ، فانشأ يقول مخاطبا قاضي المدينة :

تبهجت الدنيا بعدك في الورى وفشخت لما ضاق بالخلق جامعا
شكا صحنه شمس الظهيرة صاحيا فأظلمته ظلا عن الوهج دافعا

ولم يكن الصحن فناء يصلي فيه المؤمنون ويعطون فيه الدروس صيفا حسب ، ولكنه كان أيضا بمثابة تلك البطائح التي كان المؤمنون في العهد الاسلامي الاول يجتمعون فيها للتداول ، فعلا فان تصميم الصحن مساعد جدا على مثل هذه التجمعات بما يحتوي عليه من الأروقة المرتفعة التي تحيط به ، وهنا وقف في العزة الاستاذ ابن المرحل بعد سقوط قرطبة سنة ٦٣٦ هـ واشيلية سنة ٦٤٥ ، وقف يلهب حماسة الجمهور بقصيدة مؤثرة رائعة ، بعد صلاة جمعة من السنة الثانية والستين وستمائة (٢٧) :

جامع الجنائز :

كان في ضمن مشروع القاضي ابن معيشة ان يخصص مقدم القبلة لعدة مرافق كان يرى انها ضرورية ، فقد خطط لبناء جامع للجنائز خروجا من الخلاف حول نجاسة الآدمي الميت ، واتقاء بروز شيء يلوث المسجد ، وكان يرى بناء مقصورة للإمام في مقدم القبلة تخصص لراحته واستعداده ، كما كان من رأيه بناء مجلس للقاضي داخل هذه المنطقة ، لكن ابن معيشة صرف عن الحكم منذ سنة ٥٣٣ هـ قبل ان ينهي أعماله ، ولقد عجز القاضي الذي خلفه ان يكمل أعمال الأول فبقيت موقوفة الى ان ولي قضاء المدينة سنة ٥٣٧ هـ الشيخ الفقيه ابو مروان عبد الملك ابن بيضاء القيسي ، فعندئذ سأل عما كان بنوي ابن معيشة انجازه . فاستأنف العمل فيه ، وهكذا اكتسبت القرويين مصلى للجنائز يعد أقدم جامع من نوعه في كل بلاد المغرب (٢٨) . لقد شيد على شكل مثلث في وضعه الأول ، متصلا بالشارع العام عن طريق بايين كبيرين باب الخلفاء . باب المصلى ، وفي غرب هذا المثلث قبة مربعة مربعة يحميها رواق سقف بالقرميد ، تنافس في فنونها قبة المحراب . ولما كانت ناحيتها الجنوبية مسدودة . فإن كلا من جهاتها الثلاث الأخرى كانت مزدانة بأقواس جلبت سواربها المرمرية وتيجانها من الأناس (٢٩) ، وتحت هذه القبة يوضع النعش . وقد احتفظت الجهة القبلية بأقواس نقش عليها بعض آيات من سورة يس التي جرت العادة

بالتبرك بتلاوتها على الأموات ، اعتباراً بما ورد في فضلها من آثار (٣٠). ويمتد ممر «من باب الخلفاء» في اتجاه مقصورة الامام يكون صحن جامع الجنائز ، وعليه تفتح أبواب الرواح الثلاثة التي تنفذ من قاعة الصلاة الى هذا الجامع

مقصورة الامام :

أما مقصورة الامام أو حجرة الجامع كما يسميها ابن ابي زرع ، فتعدى مساحتها الخمسة أمتار ، وسقفها يحتوي على قبة في أعلاها شامسيات ، وكانت بها رفوف توضع فيها بعض المخطوطات التي يرجع اليها الامام ، وتوجد سقاية من رخام ذات ماء معين يأتيها ، فيما يظهر ، من المصدر الذي تستفيد منه بئلة باب الحفافة ، كما توجد مضاءة يجري فيضها الى دار الشامي في درب عقبة السطرين ، وللمقصورة باب من جامع الجنائز بالإضافة الى بابها للجامع ، وان الذي يتتبع تاريخ المقصورة سيجد انها - مع كونها محل استعداد للخطيب يوم الجمعة أو الامام قبل خروجه للصلاة كانت محلا لناظر الأوقاف يحاسب فيها أعوانه على ما منرى.

مجلس القاضي :

كان مجلس القاضي عن يمين الداخل من باب الخلفاء ، وما يزال أثره الى الآن بعد الإصلاحات الجارية ، وتعبّر بعض الرفوف الموجودة هنا عن وجود خزانة الكتب التي كان يستعين بها القاضي على أحكامه . ولا شك أن معالم المحكمة القديمة قد دخلها تغيير ، ومع ذلك فان كل الدلائل تشير الى أنها كانت هنا . واذا عطفنا بعد هذا على يمينك فستجد بيتاً صغيراً مجاوراً للباب الثاني للجامع الجنائز ... لا بد أن له صلة بالمجلس ، وقد ظل الى ما قبل بضعة أعوام مجلساً لمفتش الخزانة الكبرى للمخطوطات ، يراقب فيه الكتب المعروضة للبيع بالمزاد العلني ، حتى اذا كان هناك نادر من الكتب النفيسة اقتناه للخزانة ، واذا كانت هناك شبهة في تملك المخطوط صادره . ويحكى خدمة المسجد من الطاعنين في السن أن بهذه الحجرة كان يوجد مكيال وميزان ومقياس ، وكان يجلس فيها بعض أعوان القاضي من المعروفين بالأمانة والنزاهة ، وذلك ليفضوا النزاعات المتعلقة بالمكاييل والموازين والمقاييس.

منبر المربطين ٥٣٨ هـ - ١١٤٤ م

هذا هو المنبر الذي عوض المنبر الأموي الذي كان بديلاً للمنبر الفاطمي ، وبعد أول تحفة في العالم الإسلامي كله ، وقد صنع في مدينة فاس نفسها ، وتولى العمال المغاربة تركيب أطرافه ، وهو يحتوي على تسع درجات . يصعد بها الخطيب بين ساريتين من عود ثمين أدكن ، يؤكد رجال الآثار أنه من شجر الأبنوس . وهو علاوة على أنه تحفة ، أقدم مثل للمنبر المغربي ، وقد حليت جوانبه برسوم هندسية في غاية الدقة والروعة ، وكل قطعة منه تختلف عن الأخرى في زخرفها وفي شخصيتها ، هنا النجوم الثمينة والأشكال المختلفة ، وهنا رسوم السعف وجوز الصنوبر ، وإن المرء ليدعش أمام هذه العبقرية النادرة التي نظم بها هؤلاء الفنانون هذه القطع الشعرية المتمثلة في أنواع الزخرف والوشى التي لا يتمكن المرء من تبين أجزائها الا بمزيد امعان وبقظة (٣١) . وقد نقشت على بعض جهات المنبر آيات بالعاج بالخط النسخي والكوفي ، ومع أن الأيدي تضافرت مع الزمن على النيل من هذا العاج ، فقد بقيت منه جوانب سالمة ، في علوه ثلاثة أمتار وستون سانتيم ، وفي عرضه واحد وتسعون سانتيم ، وستجد فيما بقي

محيطاً بمدخل المنبر من الآيات الشريفة المطرزة بالعاج على عود الأبنوس قول الله : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لإفدي، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون . لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون . لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ، هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور . له الأسماء الحسنى . يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .) ١٨ - ٢٤ م الحشر ٥٩ .

كل هذه الآيات منقوشة هناك ، ولكن أطرافها الأولى والأخيرة رفعتها الأيدي ! ويوجد الى جانب الخط النسخي آيات بالخط الكوفي العتيق : (إن الأبرار يشربون من كأس كان ميزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عبادة الله يفجرونها تفجييراً ، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) الإنسان ٦ - ٧ .

لقد أمر السلطان علي بن يوسف بن تاشفين قاضي القضاة أبا محمد عبد الحق بن معيشة الغرناطي الكثاني بصنعه ، لكنه لم يتم في أيام هذا ، وتم في أيام الفقيه القاضي أبي مروان عبد الملك بن بيضاء القيبي . وتؤكد كتب التاريخ القديمة (٣٢) أنه صنع من أصناف الخشب الرفيع : من عود الصندل والتارنج والعباب والأبنوس ، وإن تطريزه كان من صادق العاج ، وكان الذي تطوع بصنعه ونجده يده علامة فاس وأديبها الشيخ أبو يحيى العتاد (٣٣) ، وقد بلغت جملة النفقة عليه من مال الأوقاف المتخرج من النظار ، ثلاثة آلاف وثمان مئة دينار وسبعة أعشار دينار فضة . أي ما يفوق أربعة ملايين من الفرنكات القديمة (٣٤) ، وقد تم كل ذلك في شعبان من عام ثمانية وثلاثين وخمس مئة بحسب ما كان منقوشاً (٣٥) في أعلى ذروته بالعاج أيام كل من صاحبي الأنيس والآس . ولكنه لم يبق اليوم من شعبان إلا حرف النون . ونظراً لقيمتها العظيمة صنع له غشاء من أحدهما من جلد معزى ، والثاني من نسيج كتان . يزالان عنه كل يوم الجمعة . وجعل للمنبر ، علاوة على الغلافين ، بيت على مقدار حجمه ، يستر فيه سائر أيام الأسبوع . ولا يخرج الا يوم الجمعة ، أو عندما تقتضي الظروف ذلك ، ويتدرج على سكة خاصة لذلك ، وتلازمه دائماً الحرابة التي يعتمد عليها الخطيب عوضاً عن السيف الذي كان الخلفاء يتخذونه . اظهاراً للقوة ، وتبنيهاً للمسلمين بين القبلة والأخرى .

وقد ظل هذا المنبر محل عناية زائدة من سائر الملوك الذين مروا بتاريخ المغرب ، وكان محل تنافس بين رجالات العلم والدين . حتى لكان يكفي لتألق اسم أو ظهوره ان يكون له ذكر - ولو مرة واحدة - على منبر القرويين ، وحتى ليكفي لتزكية أي حكم ان يتلى اسمه على منبر القرويين ليكتسب رضاء الناس (٣٦) .

مستودع الأوقاف ٥٨٠هـ - ١١٨٤م

وان الثروة العظيمة التي أصبحت القرويين تكتسبها من الأوقاف التي ما فتى المؤمنون يغدقونها على هذا الجامع الأعظم ، وأخذت تنافس خزانة الدولة نفسها ، أصبحت تقتضي من المسؤولين احتياطاً زائداً على الأموال المدخرة ، ومن هنا كانت فكرة بناء «المستودع» ويعني - دون شك - بالمستودع ما يعني في اللغة : الخزانة التي تجعل فيها الودائع الثمينة ، والمستودع المقصود بالكلام هو المخزن الحصين الذي يوجد الآن تحت الرواق الذي بنيت فيه

بعدُ مكتبة أبي عنان العلمية في الركن الشرقي الشمالي للجامع القرويين ، ويسمى الناس الرواق الذي يقع فوق المخزن بالمستودع مجازاً ، لكن المستودع الذي نريد الحديث عنه هو الهُرِّي الذي يوجد تحت ... ولقد جعل عهد الموحدين في أيام الفقيه أبي محمد يشكر الجوراني (٥٥٨ - ٥٩٨ هـ) ليوضع فيه مال الأعباس وأوقافه ، وكان الناظر المشرف على بنائه الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن حميد (ت ٥٨١ هـ) ، وقد حفر قاعته ونحتها الى أن وصل الى الأرض الصلبة ، ثم جصص الأرض بالرمل والجير ، وجعل له طاقين^(٣٧) لإدخال الهواء : أحدهما من الرخام ، والثاني بناء من الرمل . كما نصب للمستودع بايين : أحدهما من خشب ، وثانيها ملبس بالحديد على الوجه المحكم والعمل الوثيق . وزيادة في الاحتياط جعل لكل باب منها ثلاثة مفاتيح ، وأسند كل مفتاح الى وكيل على حدة ، حتى لا يفتح المستودع الا بحضور الثلاثة ! وجعل في داخل المستودع صناديق كبيرة عليها أقفال وثيقة ، ووضع فيها أوقاف الجامع كلها . وقد اغتبط الناس بهذا « البنك » الجديد ، فهافتوا على (العميد) يطلبون منه إيداع أماناتهم في المستودع المذكور ، فاستجاب لرغبتهم ، فكان التجار وأرباب المال يطمشون على مدَّخراتهم هنا . وقد استمر العمل بهذا المستودع حقبة من الزمن .

جلب الماء وإنشاء دار الوضوء ٥٩٦ هـ - ١٢٠٠ م

جلب الماء

بالرغم من جلب الماء الى باب الحفافة على عهد عبد الملك المظفر سنة ٣٨٨ هـ ٩٩٨ م . ظلَّ صحن القرويين عاطلاً من كل أثر للماء ، حاشا البئر التي أنبتتها فاطمة ، وكانت - كما سبق أن قلنا - معتمداً للمرابطين في توسعهم للمسجد ، وقد علمنا - بمناسبة تفريش الصحن - ما يؤكد خلو فناء الجامع . ويظهر أن جلب الماء للصحن كان في عداد منها المرابطون لولا أن الأيام أدركتهم على كل حال فقد عرفت مدينة فاس شبكة ماء جديدة أمدت القرويين^(٣٨) بفيض من مياه العيون الصافية لم تنضب عبر السنين ، وكان القصد هذه المرة الى مرفقين هامين من مرافق الجامع : أولهما دار كبرى للوضوء ، فإن المثل القاسي يقول : « الميضة سبقت الجامع ! » ، ثانيهما : تزويد الجهة الشرقية للصحن بخصة تغني نهائياً عن البئر ، وتساعد المؤمنين على أداء مناسكهم في راحة ويسر .

لقد قدم الى مدينة فاس أبو عمران موسى بن عبد الله اليازغي^(٣٩) ، فاتصل بالفقيه الصالح أبي محمد يشكر الجوراني وصحبه طويلاً ، ثم أبدى له الرغبة في أن يقوم بعمل يعود على الجامع بخير يذكر به ، فانه يتوفر على مال طيب حلال اكتسبه من الحرث والماشية . ولما كانت شروط الإنفاق على هذه العتبة منذ الأول أن تكون المصادر نظيفة ، فقد التمس اليازغي من الجوراني أن يساعده على تحقيق رغبته ، وتوجهت نيته على الخصوص لبناء دار كبرى كاملة للوضوء تكون عوناً للمصلين . فلما تأكد من حسن نيته وصفاء قلبه ، استحلفه بين محراب القرويين ومنبرها زيادة في الثبيت ، ثم دعا له بالخير . وهنا اتجه اليازغي الى فندق^(٤٠) كان قبالة باب الحفافة ، فاشتراه ونقصه ، ثم شرع في بناء دار الوضوء . ولما كانت المياه الواصلة الى هذه المنطقة في وادي حسن غير كافية ، ولا صالحة لما كان يأمله السيد اليازغي ، فقد شمر عن ساق الجدل للبحث عن الماء ، وأعلم بمواضع شتى في المدينة كان يستثير فيها أهل المعرفة والنظر ، ولكنهم في الأخير لم يروا أصلح له من عين خومان التي تنبع من مكان يعرف الى الآن بجرنيز ، لا تبعد عن دار الديغ الموجودة هناك^(٤١) ، فاشترها بأضعاف قيمتها ... وهنا احتاج الى مساعدة رجال الدولة ليأذنوا له بعمليات الحفر اللازمة لإيصال الماء ... فتوسل بالفقيه يشكر الجوراني لدى الملك الناصر

الموحدي ، فأجابه الملك لذلك ، وأصدر ظهيرا^(٤٧) بالاذن في ذلك ، لقد وجد العين المذكورة تنفجر من فوارتين في حجر صلد يجتمع الماء منهما في بيتٍ مقبوء الحمام ، فجعل بجانبه صهريجاً مربعاً ، طول كل جهة منه عشرة أشبار (متران وستون سانتيماً) ملباً بالواح من الرصاص زيادة في حصر الماء الخارج من البيت المقبوء ، ثم أخرجه منه على شبك من رصاص يشبه خلية النحل الى قوادر من رصاص قطرها زهاء ثلاثين سانتيماً ، ثم مرّ بها في وسط عقبة الدخان ثم الى القرسطون^(٤٨) ثم قبله مسجد الشرفاء ثم سماط سوق القيسارية ثم سوق الحرارين ثم تربية القراقين^(٤٩) الى ان وصل الى المعدة التي بآخر العدول الموقنين الذين كانت دكاكينهم تمتد الى الحانوت السادسة ، بعد ان تعطف الى طريق بو طويل ، وتنتهي عند سقاية الشباك التي أنشأها عبد الملك المظفر . هناك في آخر الدكاكين كانت - وما تزال - معدة المياه ، وهي من الرصاص ، ينصب منها الى صهريج مربع من رصاص كذلك ، ومنها يفترق الماء الى مختلف مرافق المسجد^(٥٠) ، وكانت مناسبة لادخال اصلاحات على توزيع المياه . فقد كان بالأمس من الوادي ، وأصبح اليوم من ماء العين ، فللقرويين : باب الحفافة والخصة الحساء ، وحول الوادي الى دار الوضوء .

دار الوضوء :

لقد جعل في دار الوضوء خمسة عشر بيتاً ، لكل بيت مصراعان ، وفتحت في السقف احدى عشرة نافذة لدخول الضوء ، كما فتحت كوات فوق أبواب البيوت ، علق فيها مصابيح من الزجاج تسرج في اثناء الليل . يدخل بعض نوره للبيت ، ويتوزع البعض على فناء دار الوضوء ، وفي كل بيت أنبوب من نحاس ينصب فيه الماء في نقيير منحوت في حجرة طولها شبران (٥٢ سانتيماً) وعرضها شبر (٢٦ سانتيماً) وعمقها نصف شبر (١٣ سانتيماً) ، وفي سمك دار الوضوء قبة جبص مقربة العمل مرقشة بأنواع الأصباغ ، وقد علق في وسطها ثريا كبرى لها قوارير من زجاج تسرج في أول الليل وآخره أيضاً ، وقد جعل اليازغي في وسط الدار بيلة من الحجر الأحمر^(٥١) طولها عشرون شبرا (٥٢٠ م) وعرضها خمسة أشبار (١٣٠ م) وفي وسطها ذراع مجوف ركبت فيه شبه تفاحة من نحاس مموه بالذهب . فيها عشرون ثقباً ينصب منها الماء الى البيلة . وقد ادار المعلمون بهذه البيلة مقاعد لجلوس المتوضئين ، وجعل بينها وبين البيلة منفذا ينحدر منه الماء المستعمل في الوضوء الى ممر دائر بذلك ، وكل هذا من الرخام الأبيض وحتى يضمن سير دار الوضوء بما يلزمها من إنارة مستمرة ، وصيانة دائمة ، وتنشيط^(٥٢) بين الفينة والأخرى ، شيد بجانبها مصرية خاصة بسكنى القيم على دار الوضوء وخصصت له أوقاف تساعد على الاستعانة بمن شاء لضمان سير المرفق الجديد .

الخصة الحساء ٥٩٩هـ - ١٢٠٣م

هذه هي الخصة الأولى التي اكتسبتها القرويين في^(٥٣) الصحن ، واختاروا لها موقعا الركن الشرقي منه في المنطقة التي كان بها بئر القرويين الأولى^(٥٤) ، ولا بد أن نقف على وصف مدقق لهذا المرفق الذي يتألف من شيئين ، أولا : البيلة المستطيلة المرتفعة المتصقة بالجدار ، ثانياً : الفسقية التي تقع تحتها مجاورة لها ، ويرجع تاريخهما معاً إلى أواخر القرن السادس الهجري ، عهد الموحدين ، بيد أن الفسقية الحالية ليست هي بالضبط ما كانت عليه ذلك العهد . أما البيلة التي في المنطقة ، فما تزال تنطق مع ما حولها من آثار ببعض الأوصاف التي رددتها بعض

كتب التاريخ القديمة .

ويتجلى من خلال التصوير الذي نعتبها به المتقدمون أنها كانت آية في الإبداع والافتان ، تضافرت عليها جهود المهندس أبي عمران موسى بن حسن بن أبي شامة^(٥٠) ، وكان الذي تولى الإنفاق عليها من ماله الخاص هو الفقيه الجليل أبو الحسن السجلماسي ، وكان من أهل اليسار والإيثار ، ولم يتم الشروع في العمل إلا بعد استشارة الفقيه الصالح أبي محمد يشكر الجوراني الإمام الفعلي لجامع القرويين وخطيبها الشرفي ، ولكنها كملت دون أن يحضر لها ، فقد توفاه الله في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٩٨ هـ (= ١٢ غشت ١٢٠٢) .

صنعت هذه البيلة المستطيلة من رخام أبيض ، لم ير مثله في الحسن والصفاء ، وترتفع عن الأرض بنحو ستة أشرار (١٠٥٦ سانتيم) ، وفي سعتها ثلاثة أشرار (٧٨ س) ، وفي عمقها كذلك ثلاثة أشرار .

وجعل مما يقابل الواقف نحو البيلة شباكاً من المرمر الخالص يتركب من ثلاث قطع ، الأولى ذات ثمانية وأربعين خاتماً ، والثانية ذات اثنتين وثلاثين خاتماً ، والثالثة من أربعة وأربعين ، تلك مئة وأربعة وعشرون ، وما يزال هذا الشباك يعرف اليوم عند سدة البيت وأغواته بـ«الشباك المرخوم» ولقد نقش تحت هذا الشباك في حجر بخط مغربي : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما يعملون ، كمل في شهر جمادي الأخيرة سنة تسع وتسعين وخمسائة (١٥ يراير ١٥ مارس ١٢٠٣) ،

وقد جعلت تحت هذا في الواح من الرخام خمسة أنابيب يصب منها الماء في البيلة المذكورة ، ثم ينحدر الماء من البيلة بعد أن تمتلئ في عشرين ثقباً من جهة الشمال وعشرين من جهة اليمين الى الضيقة القريبة منها التي كانت هي الأخرى آية في الفن والإبداع .

لقد كانت من نحاس أحمر مموه بالذهب الخالص ، وقامت على ساق من نحاس أحمر مموه كذلك بالذهب ومنقوش ، يرتفع عن الأرض بنحو المتر .

والطريف في التصميم ان الساق كانت مقسومة نصفين ، يصعد الماء المتحدر من البيلة في النصف القائم من الساق ، فيفور في وسط الخصة بواسطة تفاحة مذهبة ، فيها عشرة أنابيب ، فيملأ الخصة ، ثم يغور منها الماء بعد امتلائها في ثقب معدة لذلك بجوانبها ، لينحدر في النصف الثاني من الساق المذكورة ، ولا تزال البيلة والخصة مملوئتين بالماء تجريان ولا يسيل على الأرض منهما قطرة واحدة . وقد جعلت رهن المصلين والواردين أكواب كذلك مموهة بالذهب ربطت بسلاسل من نحاس دائرة بها للشرب متى مالت النفس الى ذلك^(٥١) .

تلك هي الخصة التي كانت تثير اعجاب الناس ، فيجلسون الى جانبها ، ينظرون ويتظنون . لقد جلب الماء اليها من (المعدة الكبيرة) التي أصبحت مستودعاً للمياه بعد بناء دار الوضوء الكبرى ، وذلك بعد ان شق في الصحن - لاول مرة - بقواديس ، ثم اعيد تفريشه ، وهذه هي « الخصة الحساء » التي تغنى بذكرها بعض الشعراء ، وكانت محل تبرك من لدن العامة منذ انشاءها^(٥٢) .

وقد بقيت البيلة المستطيلة وخاصة الشباك المرخوم ، يَبْدُ أن الخصة نالت منها يد البلى ، ولذلك لم تلبث أن استدعت تغييراً تعرف تفاصيله في الباب الثاني .

وإذا كانت الأيام قد استعجلت المربطين قبل أن يتمكنوا من إنارة القرويين بما يلزم ، فإنها - أي القرويين - شهدت أيام الموحدين إصلاحات هامة في هذا الصدد ، وقد أتى ذلك من وجهة نظر دائمة في أوساط الفقهاء ، تهدف الى « تكثير السرج وتغليظ الفتائل ، لأن في الاضاءة بهاء للدين ، وأنساً للمجتهدين ، ونفياً لمكان الرية ، وهداية للسابلة ، وتنزيهاً لبيوت الله من وحشة الظلام^(٥٣) » ، ولم تكن الإنارة لتقتصر على داخل البيت ، ولكنها كانت تتعداها الى ضواحيه ، فكان المؤمنون يشعرون قبل الوصول إليه بالانشراح يعلو صدورهم والبهجة تشملهم ، فلقد نصب في خارج الجامع بدائرتة في مواضع معروفة أربعون سراجاً وسامرة ، وكانت وظيفة الوقاد^(٥٤) أو « اللَّمَّجِي » كما يسمونه في الشرق وظيفة مطلوبة ، إذ كان صاحبها يشرف على عدد من الأعوان ، كما كانت تحت تصرفه دائماً كميات وافرة من الزيت والفتائل والآلات ، وهو الى هذا يعدّ من المرضي عنهم لأنه يسرج بيوت الله ، وكان له بيت خاص به على مقربة من الجامع وجرايات مهمة من أوقاف الجامع .

وعلى الوقاد أن يستعدّ منذ العصر لكل ما يلزم ، فهناك آلاف من المصاييح التي تنتظر منه الزيارة ، وهناك عشرات من الثريات عند الأبواب وفي البلاطات وعند منعطفات الصومعة ومناربها الأوسط والأعلى ، لقد بلغ عدد الثريات مئة وثلاثين ثريا ، جميعها من النحاس ، وكل واحدة لها شخصيتها وطابعها لونا وصناعةً وشكلاً ، منها ما يعلو البلاط الأوسط على القبتين الموائتين ، ومنها ما كان معلقاً على الأبواب الرئيسية للجامع ، بالإضافة الى مراكز السرج الموزعة على الأقواس والزوايا حتى لتشعر إذا ما اتفق لها أن تسرج جميعها أنك في يوم أغرّ الأيام ! وكثيراً ما كان يتحقق ذلك ، وبخاصة في المناسبات الكريمة كليلالي شهر رمضان وليلة السابع والعشرين منه وليلة المولد النبوي ، وفي المصاييح ما هو من صنع محلي من معامل الزجاج بفاس ، لكن فيها ما جلب من العراق ، وفيها ما جلب من بعض جهات أوروبا (نابوليّات).

الثريا الكبرى

عوضت هذه الثريا الكبرى بأخرى زناتية تحاكيها ضخامةً وروعة ، كانت نصبت هنا عند التوسعة الثانية للقرويين بمناسبة مقام عبد الملك المظفر بمدينة فاس على ما تقدم . لقد كانت الليالي نالت منها فتقرر استبدالها أيام الناصر الموحدي سنة ٦٠٠ هـ - ١٢٠٤ م بأخرى مثلها ، وتقع الثريا هذه على ملتقى البلاطين ، الأوسط الممتد من المحراب للعنزة والبلاط الذي يتسامت عليه باب الصالحين من الناحية الغربية وباب السبع لويات من الجهة الشرقية تحت قبة مضلعة ، وهكذا . فلما كانت أيام أبي عبد الله الناصر رابع ملوك الموحدين ، اقترحها القاضي الخطيب أبو محمد عبد الله بن موسى المعلم ، فصنعت من أنقاض الثريا الزناتية ومن صرف الأوقاف ، نقضها وصهرها من جديد ، وزاد عليها من النحاس قدراً مهماً ، واستأجر الصناع ، فتضافرت جهود المعلمين من أهل فاس على إبداعها ، وأتوا حقاً بالرائع من الفن ، هذا في هندسته ، وذاك في خطه ، وهذا في وشبه . وهي عديمة المثال في الشرق كله ، ولا يمكن أن نضاهيها إلا ثريا « نازة »^(٥٥) ، لقد قامت بسبع مئة وسبعة عشر ديناراً فضياً ودرهمين ونصف الدرهم على ما حقق ابن أبي زرع^(٥٦) ، أي بما يفوق مليوناً من الفرنكات . وقد كان عدد قناديلها خمس مئة وعشرين^(٥٧) قنديلاً ، ويفوق وزنها سبعة عشر قنطاراً ونصف القنطار ، والذي يملأ قوارير سرجها من الزيت قنطار واحد وسبع قنطار (سبعون ليتر تقريباً) . هذا ، وفي قطرها متران ومئة وخمسة وعشرون سانتيمًا ، ويقدر

الأقدمون محيطها باثنين وثلاثين شبرا (٥٨). لقد عُلقت الثريا بواسطة ساق تحتوي على مجسم ذي ست زوايا وكرتين ، وفي قاعدته شبه شمعدان يحمل بعض المصاييح .

يتكون هيكل الثريا من مخروط يحتوي على اثني عشر طوقاً متفاوت سعةً ، وهي تتدرج متصاعدة ، وبذلك أمن معدن أطرافها من التآكل بلهب الفتائل المشتعلة تحته ، إن الطوق الأول الأكبر يحتوي على أربعة وخمسين مسندا للمصاييح ، والطوق الثاني على تسعة وأربعين ، والثالث على خمسة وأربعين . ثم ٣٩ ، ثم ٣٦ ، ثم ٣٠ ، ثم ٢٥ ، ثم ١٩ ، ثم ١٤ ، ثم ١٠ ، ثم ٤ ، ثم ٢ ، المجموع ثلاث مئة وسبعة وعشرون .

وقد حدّد مسطحها الأسفل بإكليل مسنّن ، وتظهر من داخلها قبة مضلّعة من اثني عشر جناحاً . وازدانت زوايا القاعدة بفصوص ناتئة ، وتتصل القاعدة - وهي أضيق من المسطح - بمساند ذات نقوش مزهزة ، ولا يوجد جزء من أقسامها ، حتى الداخلية منها ، خلّوا من الوشي والزخرف ، ومن غير أن يشوش ذلك على أشكال الكتابة أو الزهور .

ونلاحظ على قطع الإكليل الذي يحيط بأسفلها زخارف منوعة فيه خطوط بالكوفي . كما أن فيها مربعات ذوات نجوم . وأقواسا مفصصة ، وفي الدّاخل يطغى النقش بالخطّ النسخي ، ويكتظ بياقات من السعف والجريد . والحقيقة أن الثريا الكبرى تقدم إلينا مجموعة ثمينة من اللوحات الفنية الرائعة .

أما ما تحتويه من نقوش ، فإن الثريا تعدّ آية بما حوته من أنواع الخطوط الكوفية والنسخية . ففي الدائرة الأولى نقش على طول الدائرة كلمات العظمة لله ، وفي الدائرة الثانية بالكوفي كذلك العزة لله . وفي دائرة ثالثة بالخط النسخي السعادة والإقبال . وبجانب هذه الدوائر أفاريز نقشت عليها آيات شريفة . ففي الإفريز الأول منها بخط كوفي واضح تملأ فراغ الحروف فيه بعض الزخارف : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً . يا أيها الناس اتقوا ربكم وأخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً . إن وعد الله حق . فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث . ويعلم ما في الأرحام . وما تدري نفس ماذا تكسب غداً . وما تدري نفس بأي أرض تموت . إن الله عليم خبير . » (لقمان ٣٢ - ٣٣ - ٣٤) : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله . وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون . هو الله لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة . هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى . يسبح له ما في السموات والأرض . وهو العزيز الحكيم . (الحشر ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤) : « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً . » (الاحزاب ٥٦ م) .

أما الإفريز الثاني من الثريا ، فقد نقش بخط مجوهر ، قد يغوص كذلك في الزهور والأشكال السعفية « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : الله نور السموات والأرض ، مَثَلُ نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في

زجاجة . الزجاجَةُ كأنها كوكبٌ دريٌّ يوقدُ من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية . يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نورٌ على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شيء عليم ، في بيوت

أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ ، وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ ، يَسَّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغَدَوِّ وَالْآصَالِ رَجَالٌ ، لَا تَلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ، وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . (السورة رقم ٢٤ الآيات ٣٥ - ٣٦ - ٣٧) « إِنَّمَا يُعَمِّرُهُمُ الْمَسَاجِدُ وَاللَّهُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ، فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ » (١٨ م التوبة ٩) ، إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا .

أما الإفريز الثالث ، فيحتوي على اثني عشر جناحًا ، كل جناح يتخذ شكل مرمى كرة ، إذا ضربت جوانب المرمى الثلاثة في اثني عشر يتحصل ستة وثلاثون ، كل جانب من هذه الجوانب الست والثلاثين يحتوي على نقش بالخط الكوفي ، يقرأ فيه : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَاتِ لِأَوَّلِي الْأَبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَى جَنُوبِهِمْ ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ، سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَذَلُّجِ النَّارِ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ، رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ ، فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا ، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ، وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، بِعَصْمِكُمْ مِنْ بَعْضٍ ، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَا أَكْفُرُنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَلَا أَدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ . لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَيُنْسَى الْمِهَادُ ، لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا تَزُلَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ، وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ، لَا يَشْتَرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ثَمًّا قَلِيلًا ، أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، إِنْ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ آل عمران ٣) .

أما الإفريز الرابع ، ففيه الآية الشريفة : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : « إِنَّا الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ، لِيُؤْتِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ . وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنْ اللَّهُ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ » (٢٩ / ك فاطر ٣٥) .

أما ساق الثريا فتعتبر قطعة جد مهمة ، لأنها علاوة على ما تحويه من فنون رائعة ، فإنها تحمل تاريخ الثريا الأول : « هذا ما أمر به الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن الخليفة الإمام المنصور أمير المؤمنين أبو يوسف ابن الخلفاء الراشدين أدام الله تأييدهم وعزهم » ، وتحت هذا نقش الآية : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، صدق الله العظيم » . وتحت هذا أيضًا نقش الوثيقة التالية : « طبعت هذه التربة (٥٩) بمدينة فاس حرسها الله ، وكان الفراغ منها في شهر جمادي الأولى سنة ست مائة » . وتحت هذا التاريخ طبقة أخرى نقش عليها : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » (٦٠) . صدق الله ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » .

هذه هي الثريا الكبرى التي ظلت مناطاً لسائر الملوك يرونها العين المبصرة للجامع الأعظم ، فكانوا عبر الأعوام يتعهدونها بما يجب^(٦١).

وكما كانت للملوك والأمراء مقصداً ، فقد بعثت في الأدباء والشعراء روحاً من التنافس انعكست على ما سجلوه من بديع الشعر وطريف الأدب^(٦٢).

الثريا الصغرى او ناقوس كنيسة وبدة

والى جانب (الثريا الكبرى) التي صنعت بمدينة فاس ، نجد ثريا صغرى ، كانت في الاصل ناقوساً ، حمل في احدى المعارك التي جرت في الاندلس بين الموحدين والمشركين ، وهو ما يوجد في القبة التاسعة ابتداء من قبة المحراب ، الثانية من جهة العنزة ، وقطر الجرس لا يعدو ٥,٦٧٥ ، وقد كُتِبَ بثلاث حاملات للقناديل ، وأغلقت فتحة التحتية بموشور مسدس الزوايا ، تحمل كل زاوية فيه قرصاً^(٦٣). وقد نقش على الخدود الستة:

«وصلى الله على سيدنا محمد ، لله العزة والرسول - صلى الله على محمد ، العزة لله والرسول ونقش في الخدود الستة للدائرة التحتية ، «الملك لله ، العزة لله» - الخ الخ .

ويظهر ان اول اشارة الى استيلاء الموحدين على النواقيس من اسبانيا ، هي الاشارة التي اوردها المؤرخ ابن صاحب الصلاة في كتابه (تاريخ المن بالامامة). فقد ذكر ان الموحدين لما نزلوا مدينة (وبدة) سنة ٥٧٦ هـ حملوا تسعة نواقيس معهم ، وقد اختفى بعد ذلك التعرض لمصيرها . ومن المفروض ان تكون قد وزعت على المساجد الكبرى بمختلف جهات المغرب ، وفي صدرها جامع القرويين^(٦٤).

ويذكر طيراس ان اسم العاهل الموحي الناصر نقش على مقبض هذه الثريا على نحو ما قلناه عن الثريا الكبرى^(٦٥): «هذا ما امر به الخليفة الامام امير المؤمنين ابو عبدالله بن الخليفة الامام المنصور امير المؤمنين ابو يوسف ابن الخلفاء الراشدين ادام الله تأييدهم ونصرهم.»



تعليقات الفصل الثالث

(١) هذا ما في ابن أبي زرع ، وعندما اختصر الكلام الجزائي أصبح القاضي ابو محمد عبد الحق بن معيشة هو المكلف من قبل العلماء بالمهمة ، ومن المعلوم ان ابن معيشة تولى القضاء بعد ابن داود . الأنيس ص ٣٦ ، الآس ٦٧ .
(٢) الاستقصا ٢٧ .

(٣) يتحدث البكري (٤٦٠) عن نشاط اليهود في فاس قبيل بناء القرويين الثالثة . فيفيد ان نسبة عددهم في هذه المدينة كانت اعلى منها في كل مدينة اخرى ، هذا وفي فاس حارة تحمل اسم فندق اليهودي ، ولكنها لا تقع كما يقول طبراس شمال القرويين مباشرة ، بل هي بعيدة عنها ... البكري ص ١١٥ .

(٤) يقدر الجزائي المسافة من شرقي القرويين وغربها بثلاثمائة وثمانين شبرا ، وثلاثمائة شبر ، من الجنوب الى الشمال . فادا ما اضفنا مساحة جامع الجنائز واذا ما دققنا الحساب في الركن الغربي الشمالي بلغت المساحة . ٢م ٥,٤٧٩,٦ ، هذا ويلاحظ هنا ان ابن أبي زرع يذكر ان الزناتين اولا زادوا من ناحية الشرق والغرب والجنوب ، من غير ان يعطي تفصيلات أكثر ، ولكن الجزائي يقول ان الزناتين زادوا فيه اربعة بلاطات من الغرب وخمس من الشرق ، وبعد الصحن زادوا بلاطا واحدا ، اما عند الزيادة المرابطة فيقول ابن أبي زرع : ان التوسعة تناولت ايضا الشرق والغرب حيث زادوا في الناحية الشرقية بلاطين ، وفي الغربية بلاطا من القبة الى المزرع (المزدغ) ٢ . ويحمل صاحب جنى زهرة الآس التوسعة المرابطة مقتصرة على البلاطات الثلاث التي زيدت في الجنوب ، الأنيس ٣٤ ، ٣٨ ، جنى زهرة الآس ٤٧٨ - ٦٦ .

(٥) نذكر من ذلك القادوس الرخامي الاثري الذي يوجد قرب المحراب بين سارقي البلاط الأوسط وهو من ثلاثة عشر ثقباً ينفذ منه الماء في اتجاه حجرة الخطيب التي تقع ظهر المحراب . ونذكر ان يوم غسل القرويين كان يحسب له الحساب ، اذ يتنافس عليه بصفة خاصة دور الدباغة : شؤارة . كرتيز ، رجة التبن ، عمالها وصناعها يتهاقون على توزيع هذا الأمر الذي يمتقدونه من التكريم .
(٦) الأنيس ٣٩ .

(٧) على ما نعرفه مما يسعه المتر المربع فانه لا يمكن تقبل الأرقام التي ساقها صاحب الأنيس (ص ١٤١) . ولقد أجمعت ماري في قوله إن القرويين لا تسع أكثر من خمسة آلاف نسمة . كما أفرط روم لاندو إذ ادعى انها تسع مئتي ألف نسمة ! ويعجبي في مثل هذه الدعاوي تحفظ الادريسي . وتعقب ابن خلدون على بعض المؤرخين عندما يبالغون في إعطاء بعض الأرقام ... ابن خلدون ص ٩ .

Paul Marty: Le Maroc de Demain. Paris 1925.

التاريخ : الى الأستاذ لاندو . دعوة الحق . نوفمبر ١٩٥٨ .

(٨) يتحدث القرطاس عن استعمال الحجر في البناء الأول ، وهو الشيء الذي لم يلاحظ عند التقيب ، والذي قد يحمل على الاعتقاد بأن هناك تغييراً طرأ على البنية الأولى .

(٩) توجد من هذا النوع أربع سوار في البلاط الأوسط . اثنتان متقابلتان في الأسكوب الاول الذي يلي العنزة ، واثنان متقابلتان كذلك في الأسكوب السادس من جهة العنزة جوار الثريا الكبرى .

(١٠) يلاحظ أن جلّ هذه السواري يحدّد القرويين الأولى . راجع تصميم القرويين

(١١) أجمل التيجان الأندلسية الأموية هو الذي يكمل السارية التي في باب الرواح الوسطى ، وكلها شاهد على ثروة الفن الأموي وجماله .

Chapiteaux Oméiyades d'Espagne à la Mosquée d'Al-Qaraouiyyne à Féz.

Al-Andalus, vol. XXV III 1963, fasc. page 211-217.

Voyage au Maroc, p. 164-165. (١٢)

(١٣) سترى في الباب الثاني من الكتاب أن بعض الأمراء من بني مرين أضافوا الى الجامع الخلوة والأسبوع الأعلى ، كما زاد فيه السعديون قبة الصحن ... وكلّ هذه الزيادات تحتوي على سوار جديدة ...

(١٤) لا بدّ من الاضافة الى هذا أن نسمع عن (السارية المجهولة) التي تحدث بعض الناس عن أنها توجد حوالي الثريا الكبرى . والتي يروي أن القطب أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولي ألف كتابه (دلائل الخيرات) عندها فلقد تحدث رجال التصوّف عن تلك السارية قائلين : لو علمت العامة موقعها لتقاتلوا عليها ! ! الجذوة ٢٠٣ أعلام مراکش ٩٨٤ .

(١٥) La Mosquée d'Al-Qaraouiyyine à Féz, p.26-28.

(١٦) الأنيس المطرب ص ٣٨ ، جنى زهرة الآس ص ٦٨ .

(١٧) يتحدث صاحب روض القرطاس وجنى زهرة الآس عن النقش بالذهب ، لكن التفتيح يؤكد أن معالم التذهيب قد اختفت منذ زمن بعيد .

(١٨) يعتقد طيراس أنه كان لزاما على المرابطين أن يجلبوا الفنانين من الأندلس لتحقيق هذا الغرض ، ونحن وإن كنا لا نفرق بين أجزاء الامبراطورية المغربية نعلم أن الأندلس كانت تحتاج الى الفنانين من المغرب للعمل في الأعمال الكبرى بالأندلس ، ولذا ذكر على سبيل المثال جامع إشبيلية الأعظم الذي استفاد اليه الفنانون من فاس ومراكش . ابن صاحب الصلاة : المَن بالامامة : ص ١٧٤ .

(١٩) التراتيب الإدارية ٢ ، ٦٦ - ٦٧ .

(٢٠) خطة الشورى على عهد المرابطين يتولاها فقهاء يختارهم القاضي من أهل المدينة المعروفين بالتضلع من العلم وبالورع في السلوك ، وقد كان عدد المشاورين أربعة ، اثنان يشتركان في مجلس القاضي ، واثنان في المجلس الجامع لطلاب المشورة ، ولؤلؤه المشاورين رئيس . قيام دولة المرابطين .

(٢١) القبة الحالية ترجع الى عهد العلويين ، وقد نقشت على دائرتها الآية : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » الآيات .

(٢٢) العترة (يفتح التون) يعرفها القسطلاني في ارشاد الساري (١٠٢،١) : مثل نصف الرمح أو أكبر لما سان كسان الرمح ... ثم قال (٣٦٥،١) : كنصف الرمح لكن سانها في أسفلها بخلاف الرمح فانه في أعلاه . وفي حديث أبي جحيفة الذي رواه الشيخان وأصحاب السنن (...) ثم رأيت بلالا اخذ عترة فركوها وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في حلة حمراء مشتمرا فصلى الى العترة بالناس (...) وتطلق في المغرب ، مع تشكيل التون ، على الحاجز الذي يحمي حرم المصلي في صحن الجامع ، وهي في القرويين عبارة عن ألواح الارز المنقوشة التي تستوعب سعة الاسكوب يستقبلها الامام عند صلاته بالناس ايام الصيف ، والكلمة تكاد تكون مجهولة الاستعمال في المساجد الشرقية . روض القرطاس ص ٤٠ ر التراتيب الادارية ٨١ ر ١ .

(٢٣) من اهتمامهم بالقرويين أنهم أيضا استقصوا عدد القريد الذي زليج به سطحها : فذكروا أن صفوف القرمود تبلغ سبعة وعشرين ألفا ، في كل صف سبع عشرة قرمودة ، ولم يغفلوا عن نوع القرمود الذي يلحمون به بين السقفين العالي والذي تحت ، تقدره بـ ٨٣٠٠ ، فليكن مجموع القطع ٤٦٧٣٠٠ . الأنيس ٤١ .

(٢٤) ابن أبي زرع : الأنيس ص ٣٩ الجزناني : جنى زهرة الآس ٦٦ .

(٢٥) نحن نتحدث طبعاً عن عصر يسبق بكثير ظهور هذه المكيفات الحديثة على اختلاف انواعها ، ولكننا كنا نعيش أيضا أشكالاً أخرى من المبردات ، ولا بد أن نرجع الى الاسماء التي كانت معروفة منذ القرن الخامس : العروس ، راووق السيم ، وباد بيج (باللغة الفارسية تعني محرك الهواء) وقد اشتهر من هذه الأنواع كلها الطنبلب الذي يشبه - في بعض أشكاله - هذه المظلة التي نصبت على صحن القرويين ، وهو الذي ورد في شعر مهيار الديلمي (ت ٤٢٨) .

ولولا الذي فعل الطنبلب لقد أجمد المدح فيه وغارا
ولكنه خافر للذم م جاورته فساء الجوارا !

الأنيس ص ٣٩ الآس ٦٦

(٢٦) كانت هذه البكرات ما تزال ظاهرة على عهد ابن أبي زرع والجزناني . الأنيس المطرب ٣٩ - ٤٠ ر ٣٣ الآس ص ٦٧ .

(٢٧) اورد القصيدة صاحب اللخيرة السنية وما جاء فيها :

استنصر الدين بكم فاستقدموا فانكم ان تلموه يلم
لاذت بكم اندلس ناشدة يرحم الدين ونعم الرحم
لا تلموا الاسلام يا اخواننا وأسرجوا لنصره وأجسوا
واسترحمتكم فارحسوها انه لا يرحم الرحمان من لا يرحم
ما هي الا قطعة من ارضكم واهلها منكم وانتم منهم !
لكنها حذت بكل كافر فالبحر من حدودها والعجم

لهفا على أندلس من جنة دارت بها من المدى جهنم
استخلص الكفار منها مدنا لكل ذي دين عليها ندم
قرطبة هي التي تبكي لها مكة حزنا والصفاء ورمزم
وحمص ، وهي اخت بغداد ، وما إياهما الا الصبا والحكم

(٢٨) جوامع الجناز قليلة بالمغرب اما في المشرق فتكاد تكون مجهولة اذا ما استتبنا مسجد دمشق ، وينصر ابن عبدون على انه كان بمسجد اشيلية الأعظم جامع للجناز ، وقد كان البروفيسور ليفي بروفتال تسأل عن هذه الجوامع هل هي من آثار المرابطين ؟

Hesp. 1934 Fasc. 1 - 2. P. 212. (٢٩)

(٣٠) عن انس رضي الله عنه : من قرأ ياسين عدلت له عشرين حجة ولاين الجوزي نظر فيه : الموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٢٤٦ - ابن الآبار : المعجم ص ١٩٥ .

La mosquée Al-Qaraouiyn à Fez. (٣١)

(٣٢) الأنيس المطرب ص ٣٨ الآس ص ٥٥ - ٥٦ .

(٣٣) تمت كتب التاريخ أما يحيى العتاد بالإمامة في الأدب واللغة ، وتذكر أنه روى عنه جملة من أهل فاس وغير فاس ، كان فيهم أبو محمد ابن ريدان ، هذا الى باعه الطويل في تطعيم الخشب ، ويجب أن نؤكد هنا على ما دأب عليه بعض رجال الآثار من نسبة كل عمل قبي ربيع الى الفنانين الأندلسيين ، ونرى هنا على سبيل المثال أن الاستاذ طيراس يشك في أن يكون الفقيه العتاد هو صانع هذا المنبر الذي له مثل هذه الأهمية ، ويذكر ان يحقق أديب واستاذ مثل هذا العمل الرائع ، فلا بد أن المنبر آت من قرطبة ، وإما صنعه قوم وردوا منها وكانوا يعملون بإشراف العتاد . لا نريد أن نتقص بهذا من مركز الأندلس في هذا الباب ، ولكن الذي ينبغي إثباته أن فاس كانت منذ البداية مقصد العباقرة في العلوم والآداب والفنون من كل الجهات ، وأما منذ أن ربطها التاريخ بالأندلس وبغير الأندلس ظلت مدرسة لشي الصنائع ، وهذا المنبر بالذات كان من عمل عالم من علماء فاس وشايعها المعروفين ، كما نرى ، وسرى أنه عندما أراد الموحدون بناء منارة اشيلية الشهيرة سنة ٥٩٧ هـ ، استقدم لها العرفاء والصناع من مدينة فاس ، ومع هذا فحن على علم ، بالعدد الوافر الذي نزل العدو عبر السنين للمشاركة في بنائها ... تاريخ المن بالإمامة ص ٤٧٤ .

(٣٤) بهذا قدر المبلغ الجزائي ص ٥٥ - ٥٦ - أما ابن ابي زرع فيذكر مبلغ ٣٠١٧ درهم ، ص ٣٨ .

Massignon : Le Maroc dans les premières années page 99-100-101-102

(٣٥) يعتقد طيراس أن هذا النقش ما يزال موجودا .

(٣٦) ورد على مدينة فاس سنة ٦١٥ هـ الفقيه الموقت ابو الحجاج يوسف السقطي ، فحاول ان يقدم نفسه للناس ، ولم يجد لذلك أحسن ولا اوفق من ان يتصدى للخطبة بالقرويين . ولما كان ذلك من التعذر بمكان ، التمس من قاضي المدينة ان يتوسط له لدى الخطيب الرسمي للمسجد العقبة الشلي ، فاقترح القاضي على الامام الشلي ان يتنازل له جمعة واحدة للخطبة على منبر القرويين ، وكان لسان حال السقطي يردد القولة التي أثرت عن بعض متأخري امراء بني أمية : « يايعزني اليوم واقلوني غدا » . ١

وفي هذا الصدد تذكر ايضا انه لما صرف ابو الفضل المزدغي عن منبر القرويين ، رأى في ذلك قضاء مبرما عليه ، فتوسل بقصيدة رقيقة للعاهل المريني ابي الحسن ، في جملة ما يقول فيها :

أبعدُ عنكم دون فعل كبيرة وأمنع قصرًا من صعود المنابر ! ؟
ولو كنت يا مولاي اعلم ان من رقب منبرا مثلي يكون منظرى :
لما طمحت نفسي لشيء من العلا وألزمتها بين الصفوف الأواخر !

وعندما عزل ابو العباس احمد بن سعيد الجبّال عن الخطابة بمنبر القرويين ثم عفي عنه وطلب للخطبة بمنبر جامع الأندلس ، ابي قاتلا :

ان كانت جرحتي لم تثبت فان قبلي للاندلس من قلة الهمة ، لان منصب الخطابة بالقرويين اشرب منه ، وقبول الانتقال من الأعلى الى الأدنى انحطاط في الهمة .

ومن جهة أخرى فقد تليت على هذا المنبر رسائل وتعينات ، كان لها القول الفصل في جل مراحل التاريخ المغربي ، وعليه قرئت الرسالة المفتوحة التي بعث بها في المحرم هـ العامل العزفي الى سائر جهات المغرب ليستنفس الناس للجهد ، وعليه تلي بلاغ النصر الذي احرز عليه ابو يوسف يعقوب في غزاته مع نونة (Nuno) يوم السبت ١٥ شهر ربيع الاول ٦٧٤ هـ ، وعليه تلي ظهور تعين الشيخ الطالب ابن الحاج يوم الاربعاء ١٧ ذي القعدة ١٢٧٢ هـ وعليه كذلك تلي ظهور التهدة الذي وجه بحضور القاضي الشريف ، وادريس السراج عامل المدينة لبعض الذين ثاروا على الأمين ابن المدني بنيس . الانيس ص ٤٨ ، الآس ص ٦١-٦٢ الذخيرة السنية ص ١١٢-١٧٣ الروضة ، مخطوط ص ٧٥ (ب) . الانحاف ١ - ٣١٤ - ٢ ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٣٧) في جنى زهرة الآس خمسة .

(٣٨) تتمتع فاس بشبكة ماء جد دقيقة منذ تاريخها المبكر ، وهي تكوّن الشريان الذي يبعث في المدينة الحياة . Hes 1934 T. 18 Fas I.

(٣٩) الأنيس المطرب ص ٤٤ - الآس ص ٧٠ - ٧١ .

(٤٠) يذكر طيراس أن الفندق كان ملكا لابن حيون ، ولا أدري مصدره في ذلك .

(٤١) المكان هو الآن قبالة الخارج من دار الدين تحت المكب المزوق هناك ، على مقربة من ضريح سيدي موسى ، وتعرض الحوادث الوقعية القديمة دائما لعين ماء القرويين سواء عند ذكر العقار المحبس على القرويين أو عند ذكر المسابد (المكاتب) المخصصة لتعليم الأطفال ، وهي تقول إن العين هي الآن تحت المكب الحديث البناء المعروف في المصاري من حومة جرينيز ، والذي يقع جوار أروية هناك ، أنظر الحوالة الإسماعيلية لسنة ١١١٥ .

(٤٢) كلمة الظهير في الاصطلاح المغربي القديم والحديث تعني المرسوم الملكي .

ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٤٣) القرطوبن - ميزان للأشياء الدقيقة من دواء وزعفران ولؤلؤ ومرجان .

بهجت الانري - الالفاظ الحضارية - مجلة مجمع اللغة العربية يراير ١٩٦٩ ص ١٤٧ .

(٤٤) تريعة القرايين هي السّوق المربع الذي تقع بابه مقابلة تماما لباب القرويين المعروف بباب المؤتقين .

(٤٥) الانيس ٤٥ - الآس ٧٢ .

(٤٦) يذكر المختصون ان هذا الحجر الأحمر جلب من ضواحي مدينة صمو ، ويموض الرخام الاحمر في بعض مباني فاس .

(٤٧) جرت العادة بتنظيف الماء بالشارية ، ولذلك كان هناك مخزن على مقربة من القرويين يتوفر باستمرار على كيات تُنرّ عند منبع المياه لتصفيتها .

(٤٨) الخصة في الاصطلاح المغربي تعني مجموع شئتين اثنتين : الابواب الذي يتفجر منه الماء نحو الأعلى ، والحوض الذي يتجمع فيه الماء بعد صدره عن الابواب ، ويجمع على خصص أو خصّات .

(٤٩) نحن نعلم أن البئر نمت منذ البداية بأنها في الصحن ، وكان القصد الى الصحن الذي كان صحناً أيام أبي زرع ، لا الصحن القديم الذي كان أيام الأدارسة ، فان هذا أسمى من التوسعة الأولى الزناتية داخل قاعة الصلاة ، وليس من المناسب أن يعتمد الناس عليه وهو داخل قاعة الصلاة ، فإن المفروض أن تكون فاطمة ابنتها في منطقة قريبة من الصحن القديم ، أي حيث يوجد الصحن الحالي . ويؤيد هذا أن سدة البيت الى الآن يعرفون موضع « البئر المضمورة » على حد تمييزهم ، وهي لا تبعد عن موقع خصة العين ...

(٥٠) ابن أبي زرع ص ٤٠ - الجزناني ص ٧٢ .

(٥١) أثار هذه الاكواب نقاش بعض الفقهاء الذين كانوا يسترشدون بما شُرح به قول الشيخ خليل في مختصره آخر فصل الطاهر : (وفي المنشى

والحمو والمضرب ، وفي الحلقة وانا الجوهر قولان) .

(٥٢) فيها يقول القاضي الكاتب ابو عبد الله محمد بن القاضي ابن عبد الرحمن محمد بن يحيى بن احمد المغيلي عندما كان تشوق الى فاس

بعد ان اولى القضاء ، في مدينة ازموور :

يا جنة الخلد التي أربت على حمص بمنظرها البيّ الأجل
غرف على غرف ويمرّي تحنها ماء ألدّ من الرحيق اللل !
ويحاصم القروي شرف ذكره أنس تدكّسه يبيع تمليلي !
وبصحه زمن المصيف محاسن فمَحّ الضيّ القُرب فيه استقبل
واجلسن أزاء الخصّة الحُنا به واكسّع بها عني فديتُك وانهل

والى جانب الشعراء فان العامة ما فتئت تصدّق الخير في التبرك من الشرب منها باعتبارها مكرها للعديد من العلماء ورجال الفضل .

جني زهرة الآس ٣٢ - ٣٣ - مستودع العلامة ٤٨ جذوة الاقتباس ١٤٥ درة الحجال ٢٧٣١ .

(٥٣) الجزناني : الآس ص ٧٩ .

(٥٤) المصدر السابق ص ٧٦ - ٧٩ .

(٥٥) تزن الثريا ألتازية ٣٢ قطاراً ، وبها ٥١٤ مركزاً للفناديل ، وقد كلفت ثمانية آلاف دينار ، وعلى لسانها أنشد :

أنا الثريا التي تازا بي افتخرت على البلاد فامثلي الزمان يري !
في عام أربعة تمنون تبعهما من بعد ست من المئين قد سطر

القرطاس ص ٢٩٨ .

(٥٦) الأيس ص ٤٢ . وذكر الجزناني انها قامت بمبلغ مئة دينار وسبعة عشر ديناراً وخمس الدينار انظر ص ٦٩ .

(٥٧) هذه تقديرات الجزناني ص ٦٩ .

(٥٨) كان الشير هنا يساوي عندهم تقريباً واحداً وعشرين سائياً اذا ما أردنا التوفيق بين القطر الموجود وبين مقياس الدائرة التي اعطوها . وذلك بصرب العرض في العدد ٣١٤ ر ٣ .

(٥٩) كذا .

(٦٠) ١٨ / ك الجس ٧٣ .

(٦١) الى جانب اسم الملك الناصر المرحدي المنقوش على الثريا ، يوجد اسم السلطان المولى اسماعيل جد الملوك العلويين الذي أصلحت في عهده الثريا الكبرى على ما يأتي في الباب الثالث .

(٦٢) من ذلك ما حكاه ابن رشيد الفهري المتوفى سنة ٧٢١ هـ في فهرسته ، قال : كنت مع الفقيه الأستاذ أبي القاسم الزياتي تحت إيقاد الثريا بعد صلاة المغرب ، وأخبر الأستاذ أبو القاسم بقدوم الأستاذ ابن عيدين (ت ٦٥٩) ، فقال لنا أبو القاسم : قوموا بنا الى لقائه ، فالتقيناه وهو داخل للمسجد ، وسلمنا عليه . فاستقبل الثريا وهي مرسجة ، فقال الزياتي مرتجلاً :

انظُرْ الى ثريّة نورها يصدّع بالألواء سُجفَ القَنق

فقال ابن عيدين : كأنها في شكلها ربوة انتظم النور بها فاتق

فقال ابن المرحّل (ت ٦٩٩ هـ) :

أُعِذْها من شرّ ما يتقى وفجأة العين برب القلق

وقال محمد بن خلف : باهى بها الإسلام ما أشرقت كأساتها عند مغيب الشفق !

وبما رواه الجزناني : تحكي الثريا « الثريا » في تألقها وقد لواها نسيم وهي تتقيد

كأنها لدوي الإيمان أفئدة من التخضع جوف الليل ترتعد !

(٦٣) تقدم الشكر الى السيد عبد الرفيع التازي للعون الذي اسدها اليّ بهذا الصدد ...

(٦٤) المنّ بالاسامة ص ٤٩٦ (تعلين رقم ٤) .

(٦٥) يبقى بعد هذا الحديث عن الأجراس والثريا الباقية ، وجلها ان لم تكن كلها يرجع فيها يظهر الى العهد المريني مما ستحدث عنه في الباب

الثاني من الكتاب .

الفصل الرابع

أبواب القرويين والمناطق المحيطة بها

- | | |
|---------------------|-----------------------|
| ◦ باب ابن حيون | ◦ باب الموثقين |
| ◦ باب ابن عمر | ◦ باب الشماعين |
| ◦ باب السباط | ◦ باب الوراقين |
| ◦ باب الخصة | ◦ باب الاولياء الغربي |
| ◦ الباب الاصغر | ◦ باب الصفر الاعلى |
| ◦ باب الصفر الشمالي | ◦ باب الخلفاء |
| ◦ باب الحفاة | ◦ باب مجلس القضاء |
| ◦ الابواب الداخلية | ◦ باب الفرخة |
| ◦ باب ابن رقية | ◦ باب الحدودي |
| ◦ حرم القرويين | ◦ باب الخلوة |
| ◦ انارة الحرم | ◦ باب الصالحين الشرقي |



ابواب القرويين الحالية

واذا كانت عظمة البيوت تتجلى في أبوابها كما يقولون ، فإن للقرويين الثالثة أبوابا ظلت ماثرا انتباه الناس من حيث روعتها وضخامتها ومن حيث تنوعها واختصاصاتها ، وقد حاولنا ان نقدم وصفا لأبواب القرويين الاولى وأبواب القرويين الثانية ، وفي هذا الفصل نحاول ان نخصص الحديث بالأبواب الحالية التي تضافرت جهود عدد من رجال القرويين على صنعها ، فظلت تتحدى التاريخ الى اليوم . . . ويلاحظ بادئ بدء أن هناك اختلافاً في العدد الذي ذكره المؤرخون القدامى ، فعدها ابن ابي زرع سبعة عشر باباً ، وجعلها الجزنائي ثمانية عشر باباً ، والوزان واحداً وثلاثين باباً^(١) . وكما تصورنا الأمر عند الحديث عن السواري ، فان كل واحد كان يعتمد في عدده على اعتبار خاص ، فابن ابي زرع يهمل باباً استغنى عنه^(٢) ، والوزان يضيف الى الأبواب الخارجية الأبواب الداخلية في المسجد .

لكن الذي نريد أن نعتمده هنا هو العدد الذي ذكره الجزنائي ، فهو أقرب الى الواقع من غيره ، ومع هذا لا نهمل الحديث عن الأبواب التي تفصل بعض المرافق عن بقية المسجد .

ومن الطريف أن نسمع عن الرباع الموقوفة التي كان ينعم بها الشخص المختص بصيانة الأبواب وفتحها وإغلاقها بحسب الحاجة ، فقد كانت تحت تصرفه حانوت بالقراقين ذات بايين هي الثانية عن يسار الداخل من سماء المؤمنين ، كما أنه كانت تحت تصرفه مصرية للسكنى بالسقاطين^(٣) .

ومن الملاحظ أن معظم الأبواب لها من الخارج مقارع من حلقات معدنية كبيرة ، منها ما نشب في خاتم بسيط ، ومنها ما علق على قطعة منقوشة مزخرفة .

أما الأقفال من داخل المسجد ، فإنها زكارييم تتألف من قطعتين : إحداها عمودية والثانية أفقية ، وينشب طرف إحداها بالأخرى عند الإغلاق ، ونلاحظ من جهة أخرى على ظاهر الأبواب الخشبية صفوفاً أفقية من مسامير حديد ذوات رؤوس نصف كروية ، وقد رُكبت عليها من داخل الجامع ركائز على شكل أفقي تتلاقى عليها المسامير .

وفي أسفل بعض الأبواب صفائح حديد ذوات فروع خمسة حفظاً من العين فيما يظهر وهي ترجع الى العهد القديم .

الأبواب الداخلية

وهناك داخل القرويين أبواب تفصل قاعة الصلاة عن صحن مصلى الجنائز ، تسمى ثلاثتها : أبواب الرواح ، وتقع في جدار القبلة عن يمين المحراب ، فالباب الأول يفتح على البلاط العمودي الثاني من الجهة الغربية ، والباب الثاني يليه بسترته يفتح على البلاط العمودي الرابع كذلك ؛ ويفتح الباب الثالث على البلاط السادس . والأبواب الثلاثة اذا أوصدت حجبت مصاريعها السواري عن رؤية الذين هم في قاعة الصلاة .

الباب الأول يجاور باب الخلفاء ويُسمى باب الرواح الأعلى ، تتوسطه سارية رخامية واحدة متوجة ، جلبت من الأندلس نقشت بين تلك التيجان كلمة (محمد نبي) ، وهناك صفيحة من الرصاص تربط بين السارية والسقف وتُستريح السارية على عتبة الباب الذي يصعد إليه من صحن الجنازير بدرجتين ، ومن القرويين بدرجة واحدة ، وقد فتحت في أعلى الباب نوافذ ثلاث للضوء .

والباب الأوسط به ثلاث سوارٍ أندلسية كذلك مع تيجانها ، اثنتان مدفونتان تقريباً في الجدار والثالثة ملونة ، والفاصل هنا بين السارية وبين السقف قطعة من خشب ، والسواري الثلاث تقع على العتبة التي ترتفع زهاء ستين سائتياً عن الأرض ، وفوق الباب هذا نافذتان ، وتكتنف هذين بعيداً عنهما أربع نوافذ أخرى .

الباب الأدنى من جهة المحراب يشبه الأول ، سارية أندلسية كذلك وسطاً ، وفوق هذا الباب نوافذ ، وكل باب من الأبواب الثلاثة له مصاريع أربعة^(٤) تنطوي كل اثنين منها بعضها على بعض ، وكلها منقوش على شكل مشجر ، لكن الباب الذي في جهة المحراب يجمع بين الوشي وبين الآية ، ففي الاستطاعة قراءة هذه الآيات : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب » الآية ١٩٠ - ١٩١ من آل عمران ، وقد ابتداء المصراعان الباقيان بتسميم الآية : « سبحانه وقنا عذاب النار ، ربنا إنك من تُدْخِلُ النَّارَ فقد أخزيت » الآية ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ من آل عمران ثم كلمة : « صدقت ربنا ، وبلغت نبينا ، ونحن على ذلك من الشاهدين » . وقد نقش في وسط هذه الكلمات البيتان الآتيان :

يَا واقفَا لَدَيَّ إِنْ أبصرت مِنِّي ما ترى
جُدْ بالدعاء لصانعي يجاء سَيِّدِ السورى

وفي زوايا الباب كلمة : (العزّ لله) ، وفي مقابلة البيتين الماضيين تقرأ في المصراع الآخر : (لا إله الا الله ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وتحت الآية الشريفة : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا أيها الذين آمنوا اركعوا ، واسجدوا ، واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير ، لعنكم تفلحون » الآيات ٧٧ وتنتهي الآية ٨٨ في الجهة الثانية هكذا : فأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله ، هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير ثم كلمات « صدق الله العظيم ، وبلغ مولانا رسول الله الكريم ، صلى الله عليه وسلم ونحن على ذلك من الشاهدين ، اللهم اجعلنا شهداء الحق بمنك وكرمك وجودك يا ارحم الراحمين يا رب العالمين » .

باب ابن رقية :

ويرجع تاريخ نصب هذه الدفء الحمر التي جعلت على الباب القريب من المحراب حيث يخرج الى جامع الجنازير ، الى أيام العاهل الثالث من ملوك الموحدين ، فعلى عهد أبي يوسف^(٥) بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن شيد الأستاذ المؤلف أبو القاسم بن الملقوم المعروف بابن رقية ، منزها على داره ، بذل فيه أموالاً طائلة ، وجعل له أبواباً متناسب وروعته ، ويقال إن ابن الملقوم ربما كان يتكشّف من هذه العلية على المنازل التي تقع تحتها ، وخاصة مسلخ حمام مجاور ! ورفع الأمر الى أمير المسلمين ، فأحضر ابن الملقوم ، وشهد عليه بذلك ، فنفذ الأمر الى قاضي المدينة في ذلك العهد أبي محمد عبد الله التادلي فحكم بهدم العلية ، نفذ الحكم يوم الأربعاء ثالث شهر رجب من سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (١٥ يولييه ١٢٩) ، ولم يلبث ابن رقية أن مات سنة (٦٠٥ هـ) (٦) ،

فتوارث الأبواب من بعده بنوه، فلم يروا أحسن لها من أن توهب للقرويين تكفيراً عن صاحبها. ويذكر صاحب الأنيس أن تاريخ تركيب هذه الدفء هو سنة سبعة عشر وست مئة. تسعا وعشرين سنة بعد هدم العلية، ويفيد أيضاً أن الدفء كانت تحتوي على اسم الصانع وتاريخ صنعها، وهو شهر رجب سنة ثمان وسبعين وخمس مئة.

وهناك غير هذه الأبواب الثلاثة باب يفصل بين مجلس القضاة وصحن مصلى جامع الجنائز، وباب يفصل بين الزاوية التي في مقدم القبلة والصحن المذكور، والباب السادس هو الذي يخرج منه الإمام والخطيب، ويقع عن يسارك وأنت تتجه نحو المحراب، وعندما نتجاوز هذه الجهة إلى منطقة الصحن نجد الباب الذي يفتح على الصومعة، ثم هناك البابان اللذان يصونان «المستودع» الذي تحفظ فيه أموال الجامع وودائع الناس، وأخيراً باب مخزن الزيت والقناديل، والباب الحادي عشر باب مخزن الحصر وأدوات التنظيف.

الأبواب الخارجية

ومع أن أقدم باب عرف للقرويين وثبت اسمه عبر التاريخ هو باب الحفافة، فإننا سنبدأ بالحديث عن الباب الذي يليه في القدم، وهو باب الموثقين. أخذاً بأيسر الطرق، وبدءاً بالجهة الغربية للمسجد.

(١) باب الموثقين :

يعدّ هذا الباب من أقدم الأبواب بعد باب الحفافة. وهو أيضاً الباب الغربي الأكبر. فأنت عندما تقطع سوق العطارين وتميل عن اليمين تجد نفسك مع سباط الموثقين الذين كانوا يكتنفون هذا الباب يَمَنَةً وَيَسْرَةً. وهو مقابل لما كان يسمى تربية القراقين، أو تربية الكرم، ويعرف اليوم بالمركطان. ويسمى باب الشهود. وقد بني من مال الأوقاف أيام الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى السبي التميمي سنة خمس وخمس مئة (١١١٢ م) على ما نقله الجزنائي عن صاحب المقياس. أما القبة المقربصة التي هي في خارجه. فقد بنيت سنة سبع عشرة وست مئة على يد الخطيب أبي محمد عبد الله بن موسى المعلم. وللباب مصراعان، أحدهما أعرض من الآخر، ففي سعة الأول عن يمين الداخل ٢,١٦ م، وفي سعة الثاني ٢,١٣ م، فعرض الباب ٤,٢٩ م. أما طوله فيبلغ ٥,٣٤ م وبذلك يكون هذا أكبر باب للقرويين^(٧).

ولقد نقش على دائرة القبة في الواجهة الغربية من جهة باب المركطان : (بسم الله، ما شاء الله، لا قوة الا بالله)، لكن في الواجهة الجنوبية نقش : (الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله)، أما الواجهة الشرقية فقد جددت اللوحة، ولذلك ضاعت النقوش وأما الواجهة الشمالية فقد نقش فيها : (بسم الله، ما شاء الله، لا قوة الا بالله، ثم نحت في الجبس كلمات : (العافية الباقية، وينقل الاستاذ بيل أنه يقرأ على هذه القبة بخط مغربي تاريخ السنة التي تم فيها بناء القبة ٦١٧ (١٢٢٠)^(٨).

(٢) باب الشماعين :

هذا هو الباب الرئيسي للجامع، ويسمى كذلك لأنه يقابل سوقاً مهمة في المدينة كانت تباع في جانب منها الشموع، وجانب منه خصص لبيع الفواكه المجففة^(٩). وأغلب الظن أن ذلك كان يسهل على المحسنين مزاولة عاداتهم من إطعام الفقراء وتقديم الشموع للمسجد. وقد يسمى أيضاً باب الشهيد^(١٠)، وباب الفخارين القدماء. طوله ٥,١١ على عرض ٤,١٠. وقد اتفق الرأي على أن الباب يرجع إلى عهد علي بن يوسف بن تاشفين. لكن

المؤرخين اختلفوا : فابن أبي زرع يذكر أنه بني سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٣ م) وأنه كان في بداية الأعمال التي قام بها القاضي ابن داود ، والجزنائي يقول إنه بني قبل هذا التاريخ بعشر سنوات ، ويذكر ابن القاضي في الجذوة أنه بني سنة عشر وخمس مئة ، ويظهر لي أن الحق مع صاحب الجذوة ، وأن تحسناً ما دخل على الباب المذكور بعد هذا التاريخ ^(١١) ، وهكذا يكون الباب نصب منذ عام عشرة وخمس مئة بعد بناء باب المؤنقين . ويذكر ابن أبي زرع أنه كان هناك نقش في قبة خشبية داخل الباب المذكور يحمل تاريخ ثمانية وعشرين وخمس مئة .

ولم يزل الباب على ما بني أولاً إلى أن شب في هذه الناحية حريق ليلة أربع وعشرين من جمادي الآخرة من سنة إحدى وسبعين وخمس مئة ، (٨ يناير ١١٧٦) ، فالتهمت النار ، واحترقت القبة التي كانت هناك من الخشب ، واحترق أكثر الباب ، وهدد المسجد نفسه لولا تضافر جهود الناس ومساعدة الجحور البارد كذلك ، فجدد القبة والباب الأمير أبو حفص عمر المرتضى حفيد أمير المسلمين يوسف بن عبد المؤمن بن علي في شهر جمادي الآخرة سنة ست مئة ، وكان الناظر على بنائها أبو الحسن علي بن محمد الأزرق العطار ، والاتفاق عليها من بيت مال المسلمين ، وعلى يد القاضي أبي يعقوب بن عبد الحق ^(١٢) . ويظهر أن النقش المشار إليه ضاع منذ هذه الحادثة .

هذا ، وللباب ذكر في تاريخ المغرب الأدبي والسياسي على ممر الأيام ^(١٣) . وقد أجمعت الكتب التي تحدثت عن هذا الباب على رواية أسطورة السلحفاة الضخمة التي عثر عليها في أثناء حفر الأساس عن يسار الداخل للباب حيث الدكانة ^(١٤) المرصودة ، قالوا : وجدوا هنا عينا تتدفق من ماء معين في تريبع من ثمانية أشبار على مثلها ، وقد أقبل عليها ، وملأت السلحفاة كل المساحة ، مترين على مثلها : قالوا : وقد استشار القاضي ابن داود فقهاء المدينة لذلك العهد ، فأجمعوا على تركها حيث هي وإعادة الأقباء عليها ^(١٥) .

(٣) باب الوراقين :

وهذا الباب الثالث الذي يعرف أيضاً باسم باب الكتبيين ، طوله ٣/٣٢ على ١ م ٨٥ س ، وقد فتح في أواخر دولة الموحدين أيام أبي يعقوب يوسف المستنصر ، وكان القاضي لذلك العهد هو أبو يعقوب يوسف بن عمران ، وقد تم في سنة ٦١٧ هـ وقد كانت عليه قبة مقربة بالجص ، وسمي كذلك لأن الدكاكين التي تقابله كانت جميعها مخصصة بالوراقين والكتبيين الذين يبيعون الكتب أو ينسخونها ، لقد كانت صناعة الوراقة انتقلت بمعظمها كتباً وكتاباً إلى مدينة فاس على مقربة من القرويين ^(١٦) . وقد ذكر ليون الأفريقي أنه كان هنا ثلاثون دكاناً لبيع الكتب ، وقد سمي هذا الباب بباب العدول الصغير لأن الدكاكين التي كانت بالأمس للكتبيين أصبحت مكاناً للعدول ، وإن كانوا أي العدول غادروا اليوم هذه المنطقة كلية إلى المحكمة العصرية ، طوله ٣/٣٢ / على ٢،٤ .

(٤) باب الأولياء الغربي :

وهذا الباب الرابع الذي يلي الكتبيين يقع اليوم قبالة المكتبة السنية الإسلامية التي كانت من قبل داراً ثانية لآل أبي عبد الله حَسَبَ ما يوجد في بعض الرسوم العدلية القديمة ، ويسمى (باب الأولياء) لما أثر من أن كثيراً من رجال الفضل لوحظ عليهم أنهم إذا أتوا المسجد من جهته الغربية دخلوا من هذا الباب ، وإذا أتوه من جهته الشرقية دخلوه من الباب الذي يسامت هذا الباب ، والذي قد يحمل هو الآخر باب «الصالحين» وليس عندي تفسير لذلك

الا أن البابين يتقاطعان على « الثريا الكبرى » حيث كانت القبلة الأولى للجامع الأعظم ، وحيث يجلس باستمرار أهل الخير كما أسلفت^(١٧). طول الباب ٣،٧٨ / ٢،٣٧

وقد وقفت في بعض الرسوم العدلية القديمة التي ترجع الى عهد السلطان المولى اسماعيل في سنة ١١١٥ انها لذلك الوقت كانت ما تزال تعرف بباب الصالحين^(١٨).

٥) باب الصفر الأعلى :

وهذا الباب يرجع تاريخه الى عام ٥٣١ هـ عندما قام المرابطون بتوسعة القرويين ، وربما عرف باسم النطايعين او القطاعين ، طوله ٣،٧٨ على عرض ٢٣٧ (١).

ويسمى الباب بباب الصفر لأنه أحد الأبواب الثلاثة المغشاة بالصفر ، كما أنه يسمى باب النطايعين لأن صانع الجلد أو بائعه يسمى النطاع ، وقد علمنا أن باباً قبل هذا كان يسمى باب الوراقين أو باب الكتبيين ، وهذا باب يفتح على سوق الجلد ، ولا بد أن تستلزم الوراقة التوجه الى التجليد الفارع البارح والتخطيط والتذهيب ، ولا بد أن كل هذا يستلزم اتقان صناعة الدباغة ، وما تزال سمعة صناعة الجلود المغربية تضرب بسهم وافر في سائر أنحاء المعمورة، وعمرور الزمن تسرب الى هذه الجهة الخرازون : صانعو الأحذية ، فعذا المكان يسمى البطرين المأخوذ من كلمة (Zapatero) الأسبانية التي تعني الخراز ، وقد ورد في بعض كتب التاريخ استعمال كلمة سبطري بهذا المعنى^(١٩). ومن أجل هذا قد يسمى الباب باب السيطرين .

لقد نقشت على الباب اشكال ، فيها النجوم السداسية ، وفيها المضلعات والقطع المزخرفة المزدانة بالمسامير المفصصة ، ويحتفظ بخرصتيه اللتين تتألفان من قطعة اسطوانية ذات ستة فصوص . وقد نقش على خرصتي الباب بالخط النسخي كلمات : (بسم الله الرحمن الرحيم ، ما صنع للمسجد الجامع بمدينة فاس عمرها الله) ، وإلى جانب هذا تكتنف الباب على صفيحة من نحاس آية شريفة بخط نسخي كذلك : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) . . . ثم كلمات : (الملك لله ، العافية الكاملة) ، وتحيط بالباب صفائح من عرض عشرينيات على طول ١٥ سم وقد حفر عليها كلمات : (الغبطة المتصلة) .

٦) باب الخلفاء :

هذا الباب كان يترجل منه الخلفاء الى الجامع بقصد الصلاة ، وعلى بابه يقدم اليهم التمر والحليب تحية لهم^(٢٠) ، وانما اختاروه لأنه يؤدي عن طريق الصحن الصغير الى مقصورة الامام حيث ينتظر الخليفة هناك شهود صلاة الجمعة^(٢١) ، والباب من طول ٣،٨٢ على ٢،١٤ ، وهو الاول في الجهة الجنوبية ، وهو كسابقه ملبس بالصفر ، وبعد الوحيد الذي يحمل اسم الصانع وتاريخ الصنع بخط نسخي ، فهو « عمل عبد الواحد عام واحد وثلاثين وخمس مئة^(٢٢) » كما يوجد في يمين خرصة الباب ، وعن يسار الخرصة الثانية كذلك نفس العبارة ، وقد نص على ان صنعها بمدينة « فاس حرسها الله » مع عبارات : (بسم الله الرحمن الرحيم ما صنع للمسجد الجامع ، الغبطة المتصلة والسعادة) ثم تفاحات وسطاً نقش عليها دائراً بها كلمات (اليمن والاقبال والسعادة - العز والتأييد والنصر والوعود - البركة الكاملة) ، عدد التفاحات بالباب يبلغ ستين ، في كل مصراع ثلاثون ، وينبغي التنبيه على انه نقش

على جانب الباب تاريخ اصلاح الباب سنة ١٣٧٦ (١٩٥٦ - ١٩٥٧) (٢٣).

(٧) باب مجلس القضاة :

ويسمى هذا الباب كذلك ، لوجود مقصورة القاضي سابقاً عن يسار الداخل من الباب ، وربما سمي أيضاً باب مصلى الجنائز ، وقد يسمى باب الكتب لأن سوقاً للكتب بالمزاد العلني تعقد هنا منذ القدم ، والباب ليس مغشئاً بالصفر كسابقه ، لكنه من الأبواب الكبيرة ، فان طوله ٣,٦٧ على ٢,٤١ ، وهو كغيره من الأبواب الكبرى له مغلاق عتيق داخلي ، ويرجع تاريخ الباب الى سنة ٥٣٨ هـ عند الفراغ من توسعة القرويين . وقد تعرضت هذه المنطقة لحريق شب على مقربة من باب السلسلة سنة ٦٤٦ هـ فتأثر الباب من ذلك ، واستدعى إصلاحه ، وهذا غير الحريق الذي شب سنة ٥٧١ هـ فأضرَّ بباب الشماعين (٢٤).

(٨) باب الفرخة :

بهذا الاسم يعرف في الحوالات القديمة ، وهو يقع تحت السباط في أول الدرب الذي يؤدي الى ما كان يعرف برائقة ابن الفريديس التي تقع في جانب فيه اليوم طائفة من بناية الخزانة الكبرى للجامعة القرويين ، وقد أُغلق هذا الباب فيما بعد وعوض بباب حديث (٢٥) ، لكنهم تركوا عليه شابكاً يدل عليه وعوضوه بباب كذلك صغير ، ينفذ منه الى ساحة ابن الفريديس ، وكان الباب في القديم يستعمل من لدن أغوات المسجد كباب خلفي يستعينون به عند الحاجة ، وربما وجدوا الدخول منه أسهل لفتح الأبواب الكبرى من داخلها ، ولذلك يسمى أيضاً باب (الفرخة) يعني باب المفتاح ، وربما سمي كذلك (باب الستر) لأنه أيضاً - وهو تحت السباط المظلم - باب لمن يدخلون للخصومات وأداء اليمين من الرجال والنساء مستترين عن عيون الناس (٢٦). ويظهر أن سكنى المتعهد للأبواب كانت هنا في مدخل هذه الساحة ، في مصرية هناك تتصل مباشرة بجدار الجامع (٢٧).

(٩) باب الحدودي : (٢٨)

(١٠) باب الخلوة :

هذا أول باب في الجهة الشرقية ، وإنما عرف في القديم بالباب المدرج الغريب لأنه يصعد اليه في تسع درجات ، وفي الواقع ان كل الأبواب التي تقع في الجانب الشرقي هي ذوات أدراج ، لكن لهذا الباب ترتيباً خاصاً دون سائر الأبواب الشرقية الأخرى ، وقد اشتهر أيضاً باسم (باب الخلوة) لأن زاوية القراء بنيت فيما بعد على مقربة منه ، وهو من طول ٣,٣٩ م على ٢,١١ م ، ويرجع تاريخه الى أيام الزيادة المرابطية ، ولكنه جدد عند ترميم الجدار الشرقي في صدر دولة بني مرين كما سنرى.

(١١) باب الصالحين الشرقي :

هذا الباب هو الذي يفتح على البلاط الذي تقع فيه الثريا الكبرى ، وهو يسمات (باب الأولياء) في الجهة المقابلة على ما أسلفناه ، وقد يسمى باب السبع لويات لأنه قريب من الدرب الذي يحمل نفس الاسم ويقابل الفران القديم الذي يقع على زاوية المنعطف ، ومقياس الباب ٣,٧٥ م طولاً على ٢,٧ م. وقد جدد مثل سابقه.

(١٢) باب ابن حيون :

هذا من الأبواب القديمة ، طوله ٣٧٥ على ٢,١٨ م ، وقد عرف بهذا الاسم : (ابن حيون) والقصد الى المحسن الكبير الشيخ عبد الملك ابن حيون الأندلسي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ ، ٢٩ ، ويقابل جانباً من الباب بانحراف فندق الرصاع الذي ينسب لسيدى عبد المجيد^(٣١) ، وقد جدد مثل سابقه سنة ٦٨٢ هـ .

(١٣) باب ابن عمر :

وهذا الباب يعرف في القديم بباب ابن عمر ، وهو النجار الذي صنعه^(٣١) ، طوله ٣,٢٥ م / ٢,١٨ م ، ويقابل طائفة من فندق التطاوين الذي عرف في القديم باسم فندق ابن حيون على ما في زهرة الآس ، ويرجع تاريخ الباب الى اوائل أيام الموحدين في عهد أبي يعقوب يوسف ٥٧٦ هـ (١١٨٠ - ١١٨١) أيام الإمام أبي محمد بشكر الجوراني ، وهكذا تأخر فتح هذا الباب عن الباب الذي يسامته بنحو سبعين سنة ، وقد جدد في صدر دولة بني مرين . وأنشئت به - فيما بعد - معدة لتوزيع فيض المياه ...

(١٤) باب الساباط :

أما في الجهة الشمالية للمسجد ، فإن أول باب فيها لا يثير الانتباه كثيراً ، لأنه باب صغير ، وقد كان باباً خاصاً تصعد منه النساء الى الرواق الذي يعلو (المستودع) . إن أثر الباب ما يزال ظاهراً الى الآن وإن كانت صلته بالرواق قد قطعت ، وهو يقع قبالة «دار الأئمة» ، ولقد بقي الى ما بعد هذا التاريخ بكثير .

(١٥) باب الخصة :

أما باب الخصة فيعد من الأبواب القديمة كذلك ، طوله ٣,٣٥ م على نحو مترين عرضاً ، ويرجع الى تاريخ يتقدم تاريخ إنشاء «الخصّة الحسنة» ، أي انه يرجع الى العهد الزناتي منذ بني البلاط الأخير ، وهو يقابل بانحراف الدار الموقوفة على الأئمة .

(١٦) الباب الأصغر :

وهذا باب آخر خاص كذلك بصعود النساء الى رواقهن الذي يعلو المخزن الأوسط بالجامع ، وهو مدرج أيضاً ، ومع أن الباب استغني عنه بيد أن آثار قوسه ما تزال ظاهرة على الجدار ، وبحسب الاشارات الظاهرة فإن عرضه لا يبلغ المترين .

(١٧) باب الصفر الشمالي :

وهذا ثالث الأبواب المغطاة بالصفر ، بقي من خرسته القاعدة فقط ، طوله ٣,٩٦ على نحو ٢,٥٥ م ، ويسميه الجزناني (باب العميان) لكثرة ملازمتهم للقعود فيه ، إنه قريب من الساباط الذي يظللهم ، والباب يحمل اسماً ثالثاً هو (باب الورد)^(٣٢) ، وقد ظل الباب مكان عناية من الحاكين ، ولهذا تراهم ينحسّونه بقبة في مقابلة قبة العنزة^(٣٣) ، وقد جددت مراراً ...

وهناك في الحقيقة بابان : باب خارجي ، وباب داخلي ، والأول ذو مصراعين من شبك خشبي قديم ، يسمى عند المغاربة (عين حمام) . ولقد فتحت في أعلى هذا الباب خمس نوافذ كذلك من عين حمام^(٣٤) ، بعد هذا الباب تجد البيلة المغطاة بالرصاص التي تنسب الى المظفر العامري ، وبعد هذه البيلة نلاحظ معالم الباب الداخلي ، وهو ذو مصراعين عظيمين ، عرضه أكثر من طوله كما هو ملحوظ^(٣٥) . وبعد هذا الباب الثاني يقع الرواق الذي يفصل بينه وبين الصحن ، وبعد الباب أقدم باب في القرويين ، لأنه يرجع الى عهد الزيادة التي زادها الزناتيون بمساعدة الأمويين ، بيد أنه لم يكن من أول الأمر باباً للحفظة ، ولم يصبح كذلك إلا في الأيام التي كان يقيم فيها بغاس المظفر العامري ، وقد كانت للباب التفاتة أخرى على عهد الموحدين في النصف الثاني من القرن السادس أيام الإمام أبي محمد بشكر الجوراني (٥٥٨ - ٥٩٨) إذ زاد في اتساعه أكثر^(٣٦) من قبل وعرضه أكثر من طوله ، إذ ان طوله ٣,٦٢ م نحو أربعة أمتار عرضاً .

حرم القرويين

عرفت وثائق فاس وعادات فاس وأمثال فاس ، تقديرًا كثيرًا لا للجامع القرويين وحده ولكن أيضًا للحريم الذي يلتف بها ويلمها أو يقترب منها ، حتى لغدت أثمان الدور والدكاكين ترتفع وتنخفض على مقدار قربها أو بعدها من الجامع ، وقد عرف في أمثال فاس : « كأنه يملك دارًا بزقة حجامه ، أو بالسج لويات ، أو درب ابن حيون^(٣٧) » وهي دروب قرية من القرويين شمالها وشرقيها . ومن الملاحظ منذ البداية أن المنطقة القريبة من القرويين كانت تخصص غالبًا للسادة الذين لهم صلة للقرويين من عدول وموثقين ووراقين وكتبيين ومجلدين ، ودور القضاة والأئمة والمؤقتين والمؤذنين ، كما أن المحترم من المراكز الصناعية هو الذي يقترب من ناحيتها .

وتبتدئ الناحية الغربية بسماط العدول ، وهو يشتمل على دكاكين الموثقين التي كانت تمتد آنذاك طول السماط من حيث بنيت بعد « محكمة القاضي » الى باب الشعاعين ، وكانت هنا دالية عنب تظلل دكاكين العدول المتقابلة^(٣٨) ، وقد احتفظت حجج الوقف بوصف طريف لهذه الناحية ، وأعطت بعضها أسماء العدول الذين تعاقبوا على هذه الأمكنة^(٣٩) ، وقبالة باب الكتبيين حيث كانت الدار التي سكنها من بعد الشيخ المنجور العلامة المشهور^(٤٠) وعلى أثرها مصرية سكنها عدد من عيون الطلاب وعرفت بمصرية الحاجة^(٤١) ، ثم المكتب المحمل هناك على دكان كتي قبالة باب الأولياء حيث سكن عدد من أعيان الطلاب^(٤٢) .

وعن يسار الخارج من باب الصفر الأعلى توجد سلسلة من الدكاكين يبلغ عددها سبعة ، كانت في الأصل جميعها تقريبًا وقفًا على الجامع^(٤٣) ، لكن أكثرها اليوم مملوك ! فقد نصت حجج الوقف على أن بعضها لنظر المفتي لصالح الضعفاء والمحتاجين ، وبعضها لصالح المؤذنين^(٤٤) . وعن يسار الخارج من باب الخلفاء ست دكاكين أخرى أيضًا ملاصقة لجدار المسجد ، وضعها بنفس وضع الدكاكين السبعة السابقة^(٤٥) ، ويأتي بعد هذا باب مصلى الجنائز الذي يوجد عن يساره حانوتان كانا في القديم اروي يقف بها الذميون لشراء الجلد .

وعلى أثر هذا تجد عن يسارك تحت ساباط دربًا على يمين الداخل اليه مصرية رقم ٢٢ تتصل بدار اللآيريني وهي محملة على الساباط المذكور، وبعد هذه المصرية مصرية أخرى تحمل رقم ٢٤، ثم دويرة صغيرة رقم ٢٦، وبعدها الباب القديم الذي كان ينفذ الى راقعة ابن الغرديس، وبجانب الباب القديم نصب باب جديد يؤدي إلى ساحة الخزانة الكبرى، ثم تقع المصرية التي تتصل مباشرة بالجامع على مقربة من باب الخوخة (الباب الأصغر) الذي استغني عنه، وكان يوجد يسار الداخل للدرب المذكور.

وقد أصبحت راقعة ابن الغرديس سوقًا للاحذية كما يستفاد من ابن الوزان الفاسي^(٤٦) وبعض هذه السوق كان وقفًا على الضعفاء مما جعل لنظر المفتي، وبعضه وقفًا على أولاد الغرديس حسبما يوجد في الحوالات القديمة. وقد تعرضت هذه الجهة لتغييرات عديدة^(٤٧).

وعن يسار الخارج من باب المجلس العلمي^(٤٨) تقع سقاية الصفارين الحالية^(٤٩) التي يليها مخزن صغير ثم دار الحاج أحمد الجرندى^(٥٠) ثم الى السبع لويات^(٥١) التي كانت مساكن لعدد من أعيان فاس من علماء وأطباء وقضاة كذلك، وعلى الركن يقع فرن السبع لويات «الذي يعد أقدم فرن في فاس»، بل يقال إنه أقدم من القرويين^(٥٢). وفوق الفرن أروى كانت في الأصل دارًا، وقد تحولت الأروى اليوم الى دكانين، تقابلهما زنقة أو درب الطرون^(٥٣).

وفي درب الطرون المذكور توجد إحدى الدور الثلاثة المخصصة للعرائس في فاس، وقد أعدت بفرشها وأثاثها لزواج المقلين من الأشراف والفقراء^(٥٤)، والدار تحمل اسم دار العافية تفاؤلًا للذين يقرنون بها^(٥٥).

وقباله باب القرويين تقع بانحراف دار الخصة التابعة لوقف الجامع^(٥٦). وبعد المكتب المحمل على الساباط الذي كان في وقت من الأوقات «كتابًا» في يد الفقيه التاودي بن العربي العافية، يوجد على اليمين فندق الرضاع^(٥٧)، ثم يأتي على اليمين درب ابن حيون الذي كان يعرف بدرب الغماري^(٥٨) ثم فندق ابن حيون ويعرف الآن باسم فندق التطاوينين.

دار الصهريج :

وفي ركن الطريق عند المنعطف «بيت النساء» الذي يتوضأن فيه قبل التحاقهن بالجامع^(٥٩)، ويسمى «دار الصهريج» لأنه يحتوي على صهريج، والدار بحكم أنها تتصل بزنقة حجامه أيضاً تعد أنسب مكان لفضليات هذه الناحية يؤدين فيها شعائرهن على النحو الذي يجب، والبيت قريب أيضاً من درب ابن حيون ودرب السبع لويات الذي ينفذ الى حومة البلدة، انه مركز حسن الاختيار.

دار الأئمة :

وكما كان للقاضي بيت بزنقة حجامه^(٦٠) في أغلب الظروف، فقد خصص بيت للأئمة منذ العهد المرابطي والموحدي، هذا البيت في جوار دار الصهريج عن يسار الخارج من المدرسة المصباحية الحالية^(٦١) وقد سكنه سائر الذين تعاقبوا على إمامة هذا الجامع الأعظم، وهو البيت الذي تردد الإمام ابن الحاج (ت ٦٥٣) في سكناه - تورعاً - إلا بشرط أن يضيف الى الإمامة خياطة حصر الجامع^(٦٢)، ويذكر سدة الجامع أنه كان هناك باب ينفذ من أعلى دار الإمام الى المستودع^(٦٣).

المخزن :

وقبالة دار الأئمة يلاحظ باب كان في القديم ينفذ الى الرواق الخاص بالنساء ، وبعد أن استغني عن هذا الباب صلح كمخزن لبعض شؤون الجامع ، ولا صلة لهذا المخزن اليوم بالقرويين ، وعليه يحمل جانب من خزانة ابي عنان العلمية التي أسسها هنا .

مصرية القم :

وبعد المدرسة المصاحية وميضاتها توجد « المصرية » التي بنيت خصيصاً للشخص الذي يقوم على دارالوضوء الكبرى المحدثه على عهد الموحدين كما سلفت الإشارة الى ذلك .

حانوت الأواني :

والى جانب السقاية التي في بوطويل كان هناك حانوت وضع فيه عدد من مواعين الفخار ، أعد ليوهب للاطفال أو للخدم الذين يحدث أن تنكسر لهم الأواني هناك حتى لا يتعرضوا لعقاب أوليائهم^(٦٤).

حوانيت الموثقين :

وأثر حانوت الاواني كانت تبدئ مباشرة حوانيت الموثقين ، كان العدول يتلقون فيها الشهادة ، وبعد فترة من الزمن استعملت هذه الحوانيت مخازن لبعض آلات الحبس كما ورد في الحوالات الوقفية القديمة .

إنارة الحرم

وقد حرص الأقدمون على أن يولوا هذا الحمى أكبر عنايتهم ، فزودوه بعدد من السوامر بلغت في عهد الجزناني أربعين^(٦٥) نذكر منها العشر الأساسية ، الأولى سامرة تقابل باب سوق العطارين ، والثانية متصلة بباب دارالصهريرج على مقربة من فندق ابن حيون ، والثالثة تقابل درب ابن حيون بحائط الجامع . والرابعة بباب السبع لويات . والخامسة بالصغارين ، والسادسة بعقبة البطرين تقابل زنقة دار الشامي التي كانت بها مقصورة القرويين . والسابعة سامرة بزنقة صفايرة قبالة باب الخلفاء ، والثامنة بالشعاين تقابل باب القرويين ، والعاشر في النقطة التي تصل بين الشعاين وبين الطريق المؤدية الى الحرم الادريسي .

• • •

تلك صورة عن بناية القرويين في العصر الأول ، عهد الأدارسة والزناطين والمرابطين والموحدين ، ونحن نرى انها استكملت كل العناصر التي تجعل منها مسجدا جامعا عظيما في هذه العدة ، وكل الدلائل تشير الى انها ، أي القرويين ، كانت محل عناية كبرى - لدى سائر الذين مروا من فاس ، جميعهم كانوا يتوقون الى ان يلتفتوا الى هذا المسجد أكثر ، وان يولوه عناية أوفر ، بالرغم من الأيام العصيبة والفترات المتوالية .

ولم يعرف هذا الجامع الشكوى ، حاشا فترات أواخر هذه المرحلة ، زهاء عشرين عاماً ، أفقدت البلاد بهجتها . وأدخلت الكآبة فيها على النفوس ، فمن سنة ٦١٨ هـ الى سنة ٦٣٧ هـ شغلت الدولة وشغل معها الناس بصداً العوادي عن البلاد ، فقد خرب عدد من المساجد التي كانت تعد بالمئات ، وخرب عدد من المدارس العلمية التي تحدث عنها كتب التاريخ^(٦٦) ومئات من الفنادق وعشرات من المستشفيات ، ودور صناعة الكاغد والزجاج والمعاصر

والديار والدكاكين ومعامل الصابون ومعامل الجلود ومصانع الخزف والحياكة ، كانت فاس قد بلغت أوجها ،
« وانتهت في أيام المرابطين والموحدين الى درجة من العمارة والغبطة والرفاهية والدعة لم تبلغها مدينة من مدن الغرب ،
كما يقول ابن أبي زرع^(٦٧) .

ولا شك أن القرويين تأثرت بدورها من هذه الأيام ، فان جل الأملاك بفاس تابعة لها وراجعة اليها . فلما اختلفت
الأحوال ، وقلت الحبايات ، قل الإنفاق على الجامع ، حتى اضطر المشرفون على سيرها أن يقللوا من إنارة جوانبها ،
وتقشفوا في الإنفاق عليها ، وتلك دلالة دون شك على ما وصلت اليه الحالة في هذا الجامع ، ولا بد أن بعض
الجهات فيها تداعت أو بليت أو خربت ، ولكنها مع كل ذلك ظلت محل إيثار على سائر الضروريات ، محل
إكبار من سائر الشخصيات ، يحرصون على تزويدها بما تدعو اليه حاجة القاصدين للجامع ، ومن حسن الحظ
أن تلك الأيام لم تطل ، فقد صرف الله الشر عن المدينة ، واستعدت القرويين لاستقبال أيام جديدة من عمرها
السعيد الرغيد . أيام أنسها تلك السنين ، وصعدت بها الى مدارج الكمال . ويستطيع المرء من خلال أعمال البناء
هذه أن يلمس أيضاً جانباً آخر غير الجانب المادي ، ذلك هو الجانب الروحي ، فان كل تلك الترميمات وكل
تلك التوسعات كانت في الحقيقة لضمان سير الجامعة كمسجد وكمركز أيضاً للتعليم ، وعلاوة على تاريخ البناء
الشامل هناك تاريخ فكري حافل لهذه المؤسسة العظيمة ، وذلك ما نتحدث عنه في الفصل التالي :



تعليقات الفصل الرابع

(١) الأنيس ٤١ الآس ٧٧

(٢) نفي باب الحدودي الباب الذي يأتي الحديث عنه في العصر الثاني إمام بني مرين .

(٣) بقي اسما هذين المقارين تتناقلهما حالات الأوقاف حتى سنة ٩١٠ وسنة ٩٥٧ . انظر الحوالتين في الخزانة العامة بالرباط .

(٤) يعتقد طيراس أن المصارع كلها مربية ، ويتأكد لدي أن المصارع التي يباب الزواح القريب من الهرا ب يرجع تاريخها الى أيام الموحدين . . . ويظهر أن طيراس وقع في خطأ ناشئ عن ترجمة روض القرطاس . راجع التعليق حول باب ابن رقية الآتي .

(٥) تذكر طبقات الأنيس المطرب لابن أبي زرع اسم أبي يعقوب بن أبي يوسف بن عبد الحق ، وهو غلط دون شك ، فان تاريخ صنع الباب على ما ستعرف هو ٥٧٨ هـ ، وتاريخ تنفيذ حكم القاضي هو ٥٨٨ هـ ، وتاريخ وفاة ابن الملجوم هو ٦٠٥ هـ ، ووقت تركيب الأبواب على ما يذكر ابن أبي زرع نفسه هو سنة ٦١٧ هـ ، وزاد في اعتقادنا الغلط أمران :

الأول : تضارب كلام ابن أبي زرع إذ قال : الملك الذي حكم هو ابو يعقوب المريني ، مع أنه يقول إن الدفك ركبت عام ٦١٧ هـ يعني أيام الموحدين .

والثاني : أننا لم نعرف على اسم أبي محمد التادلي قاضيًا لأبي يعقوب ، وإنما كان قاضيًا للموحدين ، وقد توفي سنة ٥٩٧ هـ ، وقد وقع هذا الغلط طيراس في الخطأ فذكر أن الأبواب مربية ، وقد ذكر ابن عذارى (ت ٦٩٥ هـ) قصة الضرب على يد أبي القاسم ابن الملجوم التي كانت حديث المجالس دون شك : ابن عذارى ص ١٥٣ ، وابن أبي زرع ٤٢-٤٣ ، وابن الأحمر : روضة السرين ص ٢١ .

(٦) لقد نعت مؤلف الأنيس ابن الملجوم هذا بأنه هو المعروف بابن رقية كما رأينا ، ونحن نعلم أن ابن رقية كان صاحب الخزانة العلمية الكبرى التي يبعث خرونها بعد وفاته بستة آلاف دينار ، ونظرا للتواريخ المتقاربة يظهر أنها شخصية واحدة ، فهل الأمر يتعلق بوشاية دينية ! أو هي البشيرة الطاغية ، والنفس الأمارة بالسوء ؟ مشاهير فاس .

الأنيس ص ٤٢ ، التكملة رقم ١٦٥٢ - صلة الصلة رقم ١٥٠ .

الذخيرة السنية ، النبوغ المغربي .

(٧) اعتمدنا في هذه المقاييس المعلومات التي قدمتها إلينا مشكورة - مصلحة الآثار (مكتب فاس) .

Description de l'Afrique p. 184

(٨) انظر ترجمته بالفرنسية لجني زهرة الآس .

Description de l'Afrique 1, 192 (٩)

(١٠) الإشارة الى الامام عبد الواحد النشريسي الذي استشهد سنة ٩٥٥ هـ عند هذا الباب عندما رفض ان يصادق على بيعه السعديين على ما سئى .

(١١) الأنيس المطرب ص ٣٧ - الآس ص ٦٥ - الجذوة .

(١٢) يفيد صاحب الاستبصار الذي يسمى الباب باب التجارين انه بني سنة ٥٧٨ هـ وهو يقصد دون شك الى عملية تمت بعد الحريق . الاستبصار نشر سعد زغلول عبد الحميد ص ١٨٠ - ١٨١ .

(١٣) تردد ذكر الباب في حديث الشعراء عندما كبت الفرس الشعراء بالأمير موسى بن أبي عنان على اثر مغادرته المسجد ومن تحدثوا ابو الحسن علي بن ذي الوازئين محمد بن احمد بن موسى مسعود الخزاعي .

سولاي لا ذنب للشقاء إن عثرت
قد هالها ما اعترأها من مهاتكم
ومن يُلْمها لمصري فهو ظالمها
من أجل ذلك لم تبت قوائمها !

وقال ابو عبد الله محمد بن الحيمري الرندي :

إن الجواد ما كبا إلا لما فيه نبا
ذاك قبول ما به امانا تقربا

وقد شهد الباب حدثاً ظل كابوساً مظلماً في تاريخ الدولة السعدية ، ذلك عندما ظهرت هذه الدولة حاول محمد الشيخ الحصول على بيعته ، لكن أهل فاس أبوا لأنهم يرون أن الملك الشرعي هو ابو العباس الوطاسي ، وبلغ الشيخ أن يقف وراء معارضة فاس هو العالم سيدي عبد الواحد الونشريسي ، فحاول الحكام إقناعه ، ولكنه كان لا يجد مسوغاً لخلع بيعة أبي العباس الوطاسي من ذمته ، فقرر محمد الشيخ أن يسلط عليه قواسته ، وقد كان سيدي عبد الواحد اعتاد أن يدرس صحيح الإمام البخاري بين العشاءين في القرويين ... ومع أن بعض ذوي قرابة الشيخ حذروه فانه صمم على الاستمرار في نشاطه ، وكان أن وثبت عليه جماعة تحاول اخراجه من باب الشاعين ، فأسك بإحدى عضادتي الباب ، فضرب أحدهم يده مكسرها ، وأجهز الباقون عليه فقتلوه يوم ٢٧ سنة ٩٥٥ هـ ، ولذلك يسمّى باب الشهيد كما سلف الجزنائي : ص ٨٠ .

المقري : نفح الطيب ١٨٧/٧ الانتهاج ص ١٨٨ - ١٨٩ - السلوة ٢ - ١٤٦ ، تاريخ السعدية الدرعية التا كادرتية ص ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣
التراتب الإدارية ١ - ٣٤ - ٣٥ الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ٢ ص ٢٦١ الجليلي : تاريخ الجزائر العام ١٠٢٢ .

(١٤) للامة من أهل فاس أحاديث عن الدكّانة المرصودة ، فكثيراً ما تسمع من كبارهم : أن الصناع لما حاولوا إخراج السُلحفاة من قبوها صاحت قائلة : « الإحراق بالنار دون الخروج من الأوكار ! ! » ومن العامة من ينصح للذي يشكروجماً في ظهره أن يتمشط بظهره على سطح هذه الدكّانة ! ! ! هذا ، وقد أصبحت الدكّانة اليوم (رتاحة) للكهرباء التي تنير الجامع
Maroc france, 15 Mars 1918.p.82

(١٥) لا بد أمام مثل هذه الأساطير أن نذكر سخرية ابن خلدون من نزعات بعض كتب التاريخ التي تروي كل شيء وإن كان مستحيل الوقوع ، على نحو ما نراه هنا : حيوان يعيش بغير أكسجين. وقيل ابن خلدون - فيما يتعلق بالسُلحفاة بالذات ، نجد الجزنائي يتخذ فتوى أولئك الفقهاء الذين أشاروا بإعادة الأقيام على السُلحفاة ، قائلاً : إن ذلك لا يصح ، لأن السُلحفاة لا يخلو إيماناً أن تكون فيها حياة فلا يجوز البناء عليها ، وإما أن تكون ميتة فلا يجوز بناء المسجد على ميتة .

ابن خلدون ١ ص ٩ ، الجزنائي : الآس ص ٦٦ .

(١٦) كلمة الرّاق ترد كثيراً في كتب التراجم ويقصد بها أحياناً نساخ الكتب كما ورد في البكري عند ترجمة الامام يحيى الرابع الادريسي : كان عنده عدد من الوراقين ينسخون له الكتب ... وأحياناً يقصدون بها بائع الكتب وهو ما ورد في ترجمة ابن النديم : انه كان وراقاً يبيع الكتب ، وحيناً ثالثاً يقصدون به الشيخ الذي يتصفح الأوراق امام جمع من الناس ويقرأ عليهم ما فيها من المواعظ والفوائد وعليه قول الرواة : وكانوا يورقون بالترغيب والترهيب او الذخيرة او غيرها ... وقد ورد في المعيار (٢٦٧،٨) من قومة المسجد الحزاوين والمؤذنون والوراقون ... سواء كان القصد الى بيع الكتب او نسخها ... فإن الوراقة تعتبر من توابيع العمران كما يقول ابن خلدون ... المقدمة ٣٥٢ .

(١٧) وقفت في بعض الرسوم العدلية القديمة التي ترجع الى عهد السلطان المولى اسماعيل بتاريخ ١١٥ انها لذلك الوقت كانت وما تزال تعرف بباب الصالحين .

(١٨) توج أعلى هذا الباب بالمرز يتألف من خمس لوحات منقوشة في الجبس على نحو ما عرف عهد بني مرين ، وفوق النقوش (شَوَاف) : بقي تلك اللوحات من آثار الأمطار ، وقد نقش الصناع بيتاً من بردة الصناجي المشهور بابوصيري (ت ٦٠٠)
(ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الأسد في آجامها نجم)
ومن المعتقد أن لهذا البيت خصائص لدى رجال التصوف يرجع اليها في شرح البردة .

(٢٠) جرت تقاليد المغاربة من قديم الزمن على استقبال كبار الشخصيات بالتمر والحليب عند مدخل المدينة او عند ابواب المؤسسات والبيوت الكبيرة ، وهو يرمز في صدر ما يرمز اليه - الى اشمار الزائر بأنه ، وقد شاركهم الطعام ، لا يلقى منهم غير الوفاء والامان وقد تمعدوا اختيار التمر بالذات باعتبار ان النخيل شجر مقدس كما تمعدوا الحليب شريكا للتمر لأنه يجمع سائر المحاسن الصفاء والغذاء ...

(٢١) الجزنائي : الآس ص ٧٧٧ .

(٢٢) كان الذي اكتشف ذلك اول الأمر الاستاذ ريكار لكنه اخطأ عندما اعتقد انه الباب الذي اخذ من ابن الملحم . الانيس ٤٢ - ٧٨ .

(٢٣) ومن الطريف ان نسمع عن باب الخلفاء هذا انه - وقد عدّ من عيون الآثار الدولية - رشح ليعرض في اول مؤتمر للمهندسين المعماريين بقصر شايبو من ٦ مايو ١٩٥٧ الى ١٢ منه ، لقد احتل هذا الباب مكانا رفيعا بين الآثار المعروضة ، ووصع عند مدخل الرواق الذي خصص للنماذج والصور التاريخية المرشحة من مختلف الدول ... ولقد وقف امامها طويلا كل من المدير العام لمنظمة اليونسكو ووزير الفنون الجميلة بهرنا وتقدا - في صدر من تقدم - بالتهاني للحقا الثقافي لسفارة المغرب آنذاك .

(٢٤) الآس ص ٧٧ وتروي الذخيرة السنية أن الشيخ أبا محمد الفشتالي شاهد النار وهي تتصاعد من بين البطرين نحو مصاريع الجامع ، وأنه تصرع إلى الله قائلاً : ارجعي ياذن الله ! .

(٢٥) كان ذلك سنة ١٩٢٤ - ١٦٨ p. Les mosquées de Fes

(٢٦) الفرخة بتسكين الراء تعني في الاصطلاح المغربي القفل من خشب يكون له مفتاح خشبي كذلك يشي بلسان ، ولها اصل بالعربي .

(٢٧) نعرف ان مجلس القاضي كان بهذه الناحية منذ العصر المرابطي . الجزنائي ص ٧٨ .

(٢٨) هذا الباب يرجع تاريخه الى العصر المريني ، والحديث عنه يستوفي في موضعه . فيما بعد

(٢٩) وردت الإشارة الى الشيخ أبي مروان عبد الملك ابن حيون في الأنيس ٤٧ ، وزهرة الآس ص ٧٧ ، وفي كتاب (ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم) لمؤرخ مجهول ، وقد وقفت على حواله من عام ٩٢٢ تردد صدى وصية الشيخ عبد الملك المذكور بالثلثين للأسرى والثالث الباقي للساكنين ، وعند غلاء الأسعار يحول ثلثا الأسرى ليستعين به الفقراء على العلاء ، وابن حيون هذا هو من ذرية الحافظ أبي علي حين بن محمد ابن فيرو الصلبي من شيخ القاضي عياض الذي تحتفظ الجنيوب بنسخة للبخاري بخطه . وهو بالذات الذي خلع على الشاب عبد الله بن موسى المعلم برناً أيضاً عند تعيينه خطيباً على منبر القرويين ، وليس القصد الى محمد بن علي بن حيون كما في السلو ، فان هذا من أهل القرن التاسع (مشاهير فاس ، بيت الغاري) . السلو ١ ص ٢١١ .

(٣٠) كان العارف عبد المجيد البادي يسكن في هذا الفندق، وقد توفي سنة ١٠٠٤ - بلعياشي : البستان. مخطوط بالخزانة الملكية السلو ١٠٧،٣

(٣١) الآس ص ٧٧ .

(٣٢) سمي كذلك لان أحد المصلين كان ورد على القرويين فحبس حصانه عند الجدار فلما خرج وجد عددا من الناس يتقنون صاحب الحصان الذي تركه يوسخ باب المسجد بفضلاته ، فنلر له ان يجدد بناء الباب وعوضا عن ان يصب على الرمل والجير بالماء العادي كان يستعمل ماء الورد امعانا في تكريم المسجد فعرف الباب منذ ذلك الوقت بباب الورد . France maroc 1918

(٣٣) جددت قبة هذا الباب في عهد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد آخر ملوك دولة بني مرين عام ٨٤٨ بواسطة الحاجب ابن زكرياء يحيى الوطاسي ، على ما سيأتي في الباب الثاني .

(٣٤) سمي باب الحفافة لأن الفقراء من المؤمنين الحفافة الأقدام يدخلون منه ليشمكتوا من غسل أقدامهم في الليلة الممتدة عند مدخله وقد التبس هذا الباب على الاستاذ طيراس بالمياضة المجاورة ، فظن أن هذا الباب باب لها .

(٣٥) راجع الفصل الخاص بجلب الماء للقرويين للمرة الأولى .

(٣٦) الأنيس ١٤٥ ، الآس ص ٧٠ - ٧٢ .

(٣٧) سئل الامام التازغندي عن مشقة تعويض دار بني بشير الحربة بدرب ابن حيون من فاس المحبة على القرويين ، فأجاب أنه لا يصح . لأن هذا الموضع أغبط مكان في البلد ، الميعار ٧ ص ١٤١ (ويعبر عنها تطلو الديار وترخص) ، المقرئ : أزهار الرياض ص ١ - ٢٤ .

(٣٨) كان هذا منذ عهد المكودي شارح الألفية . واستمر الى ما قبل العهد الأخير . السلوة ١ - ١٨٧ .

(٣٩) نقصد الى الحوالات التي تلسلت منذ بداية القرن العاشر . كانت دون شك صورة لما كان عليه الحال أيام المرابطين والموحدين .

(٤٠) صارت دارُ الشيخ المتجور الى الشريف ابي حفص الامراتي الذي حبسها على بعض المؤذنين وتوجد بباب هذه الدار ذكاة . وكان مولانا ابر حمص عمر بن مولانا عبد الرحمن السجلامي الحسني الامراتي حبسها على المؤذنين الطالب محمد السلوي وعبد المجيد . وذلك في ٢٥ جمادي ١١٥٥ .

(٤١) الحاجة بتخفيف الجيم كانت تودع فيها اللقطات الضائعة للاعلان عنها عند باب الصالحين بعد صلاة الجمعة .

(٤٢) نذكر منهم الطالب السريفي : تبيه الصغير من ولدان : البحث العلمي يناير ١٩٦٦ ص ٢٤٧ - ٢٥٣ .

(٤٣) الحوالة الاسماعيلية سنة ١١١٥ .

(٤٤) الأول عن يسار الخارج من القرويين في ملك أولاد السلاوي اليوم ، والثانية في ملك بناني ، والثالثة في ملك الحارثي . والرابعة في ملك السراج . والخامسة في ملك المريني ، والسادسة في ملك العسري ، بينا الاخيرة وقف على الضريح الإدريسي ، ومن عمرها الكبي سيدي عمر بن الخياط .

(٤٥) الأول يد السلاوي ، ثم التي كانت يد الفقيه البردعي ، ثم التي يد السلاوي ، ثم التي يد العسري ، ثم التي يد الحلو ، ثم التي كانت يد سيدي الحبيب البلغيني .

(٤٦) جنى زهرة الآس ٧٨ - ١١٠ - الوزان : وصف افريقيا ١ ص ١٩٢ .

(٤٧) كانت تلك التغيرات بصفة خاصة على اثر الاستثناء عن باب الحدودي في عهد بني مزين ، وبعد تشييد مصرية الامام والخطيب في عهد الوطاسين وتأسيس المكتبة الاحمدية في عهد السعديين من بعدهم ، وقد اصبحت الجهة برمتها تابعة للخزانة الكبرى والمجلس العلمي : فعندما تقرر بناء دار للامام والخطيب تنفذ للجامع مباشرة ايام الوطاسين هدمت نهائيا باب الحدودي ، وقد اتصلت بهذه الدار خزانة السعديين ، وهكذا حُدِّدت القرويين من جهة الجنوب الشرقي بالدار التي صارت بناية للمجلس العلمي والتي لها بابان احدهما لداخل الجامع والثانية لساحة الصفارين . ونذكر بهذه المناسبة ان هذا الباب الذي يفتح على الصفارين كان يوجد عن يمينه درب يخترى على دورا ادركنا منها دار الجبابي الموقت ، وقد ادمج هذا الدرب في الخزانة الكبرى بعد توسعتها ، كما توجد عن يساره سقاية الصفارين التي تقابل - بانحراف - شجرتي التوت اللتين ما تزالان تظللان ساحة الصفارين ...

(٤٨) باب صغير مدرج ذو مصراعين يحاكي باباً قديماً وكان في الأصل باباً لمصرية الإمام الخطيب .

(٤٩) مما أمكنت قراءته على واجهة السقاية منقوشاً : « ان الاربار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيروا .. كل عمل هذه ٩ قعدة ٩٠ » .

(٥٠) يظهر بحسب جنى زهرة الآس أن باب الحدودي ربما كان حيث دار الجرندي الآن ، لأنه قال إن السقاية يمين الخارج من الباب ، وراجع مع هذا الحوالة الاسماعيلية لعام ١١١٥ .

(٥١) الاسم القديم للممر الذي يأخذ من باب السبع لويات مأثراً على القرن الى باب ابن حيون ، هو عقبة بن بكار في القديم .

(٥٢) جعل هذا الفران - بحسب الحوالات القديمة - الى نظر القاضي . يوزج دخله على الضعفاء والمساكين ، وهو اليوم بين ملاك كثيرين : الجاي ، ابن ابراهيم ، العلمي ، بنيس ، الازرق ، الصقلي ، والفرن يخدم دربين هامين يجاورانه : درب السبع لويات ودرب ابن حيون .

Ricard. France maroc 15 mars 1918

(٥٣) زنفة الطرون هي الدرب الضيق الذي فوق درب السبع لويات والدار المشار اليها كانت وفقاً على الاشراف القادرين .

٥٤) من جملة الأعمال الإنسانية التي تنب إليها المتقدمون الوقف على المزوجين الفقراء ، وهي دور بفرشها وأثاثها : واحدة في عُدوة الأندلس في حومة العيون بيد الشرفاء الدباغيين ، وثانية بنفس العدة من حومة الكدكان قرب جامع الأندلس قبالة جامع جنازها ، كانت الى وقت قريب زربية في تصرف الأوقاف ، وقد أصبحت الآن في عداد فندق وحوانيت هناك . وثالثة في عدة القرويين ، وقد ذكرت بعض المصادر أنها بالدرب الذي أعلى السج لوبيات أولى عن يسار داخله ، وهي ما تزال تصرف الأوقاف الى الآن ، وتحمل اسم «دار العافية» في الحوالات القديمة ، حول محاسن فاس (مجلة المغرب) ، الرباط ، مايو ١٩٣٣ ص ٢٠ - ٢١ - ٢٢ .

٥٥) دار العافية من وقف الشيخ ابن مروان عبد الملك بن حيون المتوفى سنة ٥٩٩ هـ ، ونحن نعلم أباده البيض على الفقير والكبير والأسير . راجع ص ١١٤ .

٥٦) الآس ص ٧٧ .

٥٧) هذا هو الفندق الذي ورد ذكره في وثيقة وقف منقوشة على رخامة مفروسة في قاعة الصلاة والدرس بمدرسة المطارين والمصاحبة وكان يسكن سيدي عبد المجيد كما سلف ، ويذكر ابن الوان القاضي ان بفاس زهاء مئتي فندق ، غالبا يحتوي على ثلاث طوابق ، وانها كانت في منتهى الابداع والاتقان بحيث لا تقل في الصاية والمظهر عن مدارس الطلاب ١٩٠، ١٠ .

٥٨) كان هذا الدرب من اهم دروب حريم القرويين . وكان يحوي على حمام داخله ، اصبح بعد أروى ، ويسب للمحسن الكبير الشيخ عبد الملك بن حيون المذكور صاحب الأوقاف المتعددة التي فيها الحبس على النادي في الأسواق بعد الأذان لحد الناس على الالتحاق بالمسجد .

٥٩) الانيس ص ٤٤ الحوالة الاسماعيليه - الحوالة السلجانية - ابن زيدان ، الدرر الفاخرة - وقد أصبحت هذه الدار مكانا لاجتماع المجلس العلمي على أثر حفلة التنصيب بقصر البطحاء يوم ١٦ رجب ١٣٣٢ (١٩ مايو ١٩١٤) .

٦٠) من أقدم الفضاة الذين سكنوا هناك القاضي ابن الغرديس الذي نزل عليه القاضي عياض ، المقرئ ازهار الرياض ١ .

٦١) الانيس ص ٤٨ - الآس ص ٧٤ .

٦٢) كان ممن سكنها الشيخ ابن عباد ، والمقرئ صاحب الفتح ، يقول : سكته لما توليت الخطابة والإمامة بها مضافين الى الفتوى .. الآس ص ٦٠ الفتح ٢٦٥، ٧ - ٢٦٨ .

٦٣) يذكر السيد ابن حمو شيخ سدة القرويين إنه كانت هناك قوس (خلوة) كان الشيخ ابن عباد يعتزل فيها للعبادة ، وان تلك القوس لم تختف إلا عندما جددت خزانة ابي عنان في الأعوام الأخيرة .

٦٤) كان هناك وقف مثل هذا على أبواب حفاة جامع الأندلس ، ونشير بالمنااسبة الى المقار الذي كان موقوفا لغرض شراء الحبوب للطيور ايام المسغبة ونوزيعها في كديتي البراطيل بباب الفتح وباب عجيبة .. هذا الى المال الموضوع بباب حوانيت سوق القيسارية لتسليف المحتاجين كما نص على هذا عند شرح قول ابن عاصم :

الْحَبْسُ فِي الْأَصُولِ جَائِزٌ، وَفِي مَنَئِجِ الْعَيْنِ بِقَصْدِ اللَّفِّ

علي الشرفي ، مجلة المغرب ، مايو ١٩٣٣ ص ٢٠ - ٢١ - ٢٢ .

٦٥) السوامر : جمع سامرة (باللهجة المغربية) تعني الفانوس ، وقد تحمل السامرة عددا من المصاييح . الآس ص ٧ ،

٦٦) ابن ابي زرع : الأنيس ١٥٤ .

٦٧) الأنيس ص ٢٨ - ٢٩ .

الفصل الخامس

- التاريخ الفكري للقرويين في العصور الاولى
- فاس حاضرة المغرب
- القرويين وفاس
- القرويين اقدم جامعة
- سيلفيستر في القرويين
- التيارات المذهبية بالقرويين
- التنافس بين مراکش وبغداد
- المدارس في عهد المرابطين والموحدين
- الخزائن العلمية
- الكراسي العلمية
- الاجازات العلمية
- ربي العلماء
- شروط الالتحاق بالقرويين
- طريقة التدريس
- المواد الدراسية
- المؤلفات المستعملة
- مركز العلماء
- رئاسة الجامعة واستقلالها ونظام القيم
- سجلات الاوقاف وموارد العلماء والطلبة
- العطل وسلطان الطلبة .

عرض تاريخي للقرويين

لكي نكوّن فكرة واضحة عن هذه المرحلة . نرى من المفيد ان نقدم عرضاً قصيراً لبعض الأحداث التي عاشها المغرب . فأن تاريخ القرويين الفكري ظل متأثراً بظروف الحياة في المغرب .

• • •

كان من مبادئ الدولة الادريسية ان تتمسك بعدم الانحياز أمام تنافس (الفاطميين) بافريقية . « والأمويين » بالأندلس . لكنها غلبت على أمرها في بداية القرن الرابع الهجري . فهدت اليد الى القيروان . وخطبت للفاطميين على المنابر . وهنا أخذت قرطبة تلوح بوعودها للرؤساء الزناتيين الذين كانوا قد أخذوا بزمام الأمر بعد اختفاء الادارسة . وظل منبر جامع القرويين رديحاً من الزمان ميدان تنافس بين قرطبة والقيروان . حتى ساعدت المصادفات الدولية على تخليص فاس . فقد اختلت الأمور بالأندلس أوائل القرن الخامس الهجري . وسقطت القيروان كعاصمة سياسية في نهاية النصف الأول من هذا القرن ، وهنا رجع المغاربة الى الاستقلال التام الذي كانوا يتوقون اليه . واستقرت الأحوال في البلاد . وقصد العلماء والشعراء أمير فاس . فهزّوه ومدحوه . ورأت (حاضرة المغرب) فاس « أعواماً » زاهرة .

لكن اختلاف الرؤساء كدّر من صفو عيشها أياماً . وبينما الزناتيون في نزاعهم سادرون اذا بالمرابطين ينزلون على أبواب فاس . وقد كان أهم عمل قاموا به إعادة توحيد البلاد والقضاء على البرغواطيين^(١) . ولقد أدى التدهور الذي اجتاح الأندلس الى قصد بابهم وطلب مساعدتهم ، وهكذا غدا المغرب أكثر من أي وقت مضى ملاذاً للفقهاء ورجال العلم الأندلسيين . وما اذفت سنة ٥٤٠ هـ حتى ورد عبد المؤمن يحاصر فاساً ويقضي على المرابطين ، ويعفي من آثارهم . وبالرغم من ان مدينة مراكش أصبحت مقر الخلافة . وجلسا لأعيان الامبراطورية الموحدية من أفريقية والاندلس وباقي أجزاء المغرب ، وتجمعا للقضاة والعلماء والفقهاء والخطباء والشعراء والأطباء . ظلت فاس تشهد كل هذه الوفود جيئة ورجوعاً اذ كانت الممر الطبيعي لسائر الجهات .

فاس : حاضرة المغرب

ظلت الشكوى من اهمال المغاربة لتاريخهم لازمة لكل الذين حاولوا ان يقدموا الى المكتبة المغربية تاريخاً مدققاً . وخاصة المراحل الأولى التي تقع وراء الظلال^(٢) . ومع ذلك فان هناك نصوصاً في منتهى الروعة والبداعة عن المدينة العالمية : فاس . ومن الملاحظ والطريف معاً أن جل الذين طوقوا جيد فاس بهذه القلائد الثمينة كانوا من غير أهلها الأمر الذي يزكي هذه الشهادات ويعطيها قيمتها الحقيقية ، لقد حلّاهم بالمدينة العظمى المؤرخ الجغرافي الرحالة اليعقوبي (ت ٢٩٢) وقال الشريف الادريسي (ت ٥٦٠) : « مدينة فاس قطب ومدار لمدين المغرب الأقصى... وهي حاضرتها الكبرى ومقصدها الأشهر ، تشد لها الركاب واليه تقصد القوافل . . . ولها من كل شيء حسن أكبر نصيب وأوفر حظ . »

وتحدث عنها السفير ابن منقذ (٥٨٦) رسول صلاح الدين الى المنصور الموحدي . بعد عودته بما أثار التقدير لها والإعجاب بها^(٣) .

أما عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب (٦٢١)، فقد آثرها بنصوص تبقى غرة في جبينها . وإن كان يتحدث في وقت كانت فيه مدينة مراكش هي العاصمة الرسمية للمغرب ، لقد نعتها بأنها بغداد المغرب . وأنها المدينة الوحيدة التي تستطيع أن تعيش مكتفية عن غيرها ، وأوضح أن المرابطين وكذلك الموحدون من بعدهم عندما اختاروا مراكش مركزاً لهم لم يقصدوا قط أن يقللوا من قيمة فاس . يقول المراكشي : «إنها حاضرة المغرب في وقتنا هذا ، وموضع العلم منه . اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة ، إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس لما كانت القيروان حاضرة المغرب . فلما اضطرب أمر القيروان كما ذكرنا بيعث العرب فيها ، واضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت أبي عامر محمد بن عامر وابنه . رحل من هذه وهذه من كان فيها من العلماء . والفقهاء من كل طبقة فراراً من الفتنة ، فنزل أكثرهم مدينة فاس ، فهي اليوم على غاية الحضارة ، وأهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف ، ولغتهم أفصح اللغات في ذلك الإقليم ، وما زلت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب ، وبحق ما قالوا من ذلك . فانه ليس في المغرب شيء من أنواع الظرف واللباقة في كل معنى إلا وهو منسوب إليها . موجود فيها ، وأخذ منها . لا يدفع هذا القول أحد من أهل المغرب ، ولم يتخذ لتوتة والمصامدة مدينة مراكش وطناً لهم ولا جعلوها دار مملكة لأنها خير من مدينة فاس في شيء من الأشياء ، ولكن لقرب مراكش من جبال المصامدة وصحراء لتوتة ، فلهذا السبب كانت مراكش كرسي المملكة^(٤) ، وإلا فمدينة فاس أحق بذلك منها . وما أظن في الدنيا مدينة كدينة فاس . ولا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج الى شيء يجلب إليها من غيرها إلا ما كان من العطر الهندي - سوى مدينة فاس هذه . فانها لا تحتاج الى مدينة في شيء مما تدعو اليه الضرورة بل هي توسع البلاد مرافق وتملأها خيراً^(٥) . هكذا بهذه الكلمات الصائبة يقدم المراكشي في المشرق فاس . وهي تؤكد القولة المأثورة : « العلم كقمح تنج بالمدينة . وصفي ببغداد . وطحن بالقيروان ، وغربل بقرطبة . وأكل بفاس^(٦) » .

ويأتي صاحب الاستبصار (٦٧٨ هـ) ليؤكد أنها قاعدة بلاد المغرب . بل وبلاد المشرق والأندلس لا سوا في عهد هذا الأمر العزيز (يعني دولة الموحدين) . ومنها يتجهز إلى بلاد السودان ، وإلى بلاد المشرق ، ومنها يحمل الناس النحاس الأصفر الى جميع الآفاق . وعظمت نفوس أربابها ، وشمخت أنوفهم . وكبرت همهم . قال : وإنما هجأهم أبو بكر البكي لأنه لم يصل الى مراتبهم . أو كما قال . ومن الطريف أن تستمع الى صاحب الاستبصار . وهو يحاول أن يتوصل الى اكتشاف السبب الذي جعل بعض الناس يسمحون لأنفسهم بهجو فاس - نستمع اليه وهو يقرر أن الشح الذي قد يؤاخذ به بعض أهل فاس - إن كان - يعدّ غريزة في النفوس التي تطمح الى المزيد من الثروة والكسب ... ! ومن الممتع كذلك أن نستمع اليه وهو يردّد صدى عتاب أبي الحسن بن حرزهم للبكي على ما بدر منه نحو فاس ، الأمر الذي يقدم البناء تزكية أخرى من العلامة ابن حرزهم ، قال : ولو كان عمل الشر مهلكاً لفاعله لهلك البكي لحينه ... ! ويختم صاحب الاستبصار بهذه الإفادة التي تلمس بعض العذر للذين أهملوا تاريخ رجالهم : « وكان بفاس في الدولة اللثمنية علماء أغنتهم شهرتهم فيها عن ذكرهم^(٧) » . وقد نقل صاحب كتاب مفاخر البربر عن المؤرخ محمد بن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) أنه كان بفاس من الفقهاء والأعلام الأجلة الأعيان الأنام ما ليس في غيرها من بلدان الإسلام . إذ هي قاعدة المغرب . ودار العلم والأدب . لكن أهلها أهملوا ذكر محاسن علمائهم . وأغفلوا تخليد مفاخرهم ويقول ابن أبي زرع (٧٢٦ هـ) : « وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم . فهي في القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية . وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب ، لم يزل ذلك على مر الزمان ... » .

وانتهت في أيام المرابطين وأيام الموحدين من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية والدعة ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب ، وانتهى عدد مساجدها الى سبع مئة واثنين وثمانين . . . وعدد معامل النسيج فيها الى ثلاثة آلاف وأربعة وستين معملا وعدد فنادق التجار والمسافرين الى اربع مئة وسبعة وستين فندقا ، وعدد معامل الزجاج الى أحد عشر معملا وعدد مصانع الخزف الى مئة وثمانية وثمانين مصنعا . وعدد مسابك النحاس الى اثني عشر مسبكا ، وانتهى عدد معامل الكاغد الى اربع مئة معمل^(٨) . في حين انه لم يكن مستعملا ولا معروفا في العالم أجمع باستثناء الصين^(٩) .

وقد ورد في المسالك للعمري (ت ٧٤٩) « انها تشبه بدمشق وغرناطة ... وان أهلها يشبهون بأهل الاسكندرية في المحافظة على علوم الشريعة ، وتغير المنكر ، والقيام بالناموس ... » وقد وصفها الكاتب المؤرخ ابن جزى (ت ٧٥٧) : بأنها مطمع الآمال ، ومسرح همم الرجال ، ومحط رجال الفضائل ، ومثابة امن الخائف ومنية السائل ... انثال عليها العلماء انشبال جودها على الصفاة ، وتسابق اليها الأدباء تسابق عزوماتها الى العداة . . . فهي القطب الذي عليه مدار العالم ، وفي القطع بتفضيلها تساوت بديهة عقل الجاهل والعالم .

ولم تفارق تلك الصفات مدينة فاس ، وكما تحدث عنها اولئك أيام الادارسة والزناطين والمرابطين والموحدين ، نرى طائفة من الرجال الأفذاذ يقدمونها في العصور اللاحقة على نفس الاسلوب الذي استعملته الأجيال السابقة... وهكذا نرى ابن الخطيب (٧٧٦هـ)^(١٠) وابن خلدون (٨٠٨هـ)^(١١) والعقباني (٨١١هـ)^(١٢) ، والونشريسي (٩١٤هـ)^(١٣) ، والغماري (٩١٧هـ)^(١٤) ، والوزان (٩٢٣هـ)^(١٥) ، وأبا المحاسن الفاسي (١٠١٣هـ)^(١٦) ، وابن القاضي (١٠٢٥هـ)^(١٧) ، والقادري (١٠٢٨هـ)^(١٨) ، والمقري (١٠٤١هـ)^(١٩) ، وغيرهم من أعيان العلماء والمؤرخين يتحدثون عن نفس الانطباعات التي كانت لأسلافهم ، وقد سجل التاريخ في صدر هؤلاء أسماء ملوك لم يستطيعوا كتم تقديرهم لفاس^(٢٠) .

... وكما أدى الثرواجية نحو حاضرة فاس ، انطلق الشعراء في القديم والحديث بما لم يعرف لمدينة من المدن ، لقد نعتها البجلي بأنها « المدينة التي أضفى عليها الله من خلق الأنبياء^(٢١) . وأخذت جدالها بلب الأديب الأندلسي ابن اللبانة (ت ٥٠٧هـ) ، فشب عيونها بالمدام ، ووصف بيوتها الجميلة بالكؤوس^(٢٢) ! وشاعر الجزائر أبو الفضل المعروف بابن النحوي (ت ٥١٣هـ) كان يرى أن الحسن كله مستمد منها^(٢٣) ، وشاعر مكناس (ت ٦٥٩هـ) ، وإن كان يحزن الى وطنه ، أشاد بفاس في شكلها وموضوعها ، مظهرها ومخيرها^(٢٤) . وجياها الكاتب المغيلي (كاتب السلطان يوسف المريني ٧٠٨هـ) في شعر رقيق ، وسمها فيه بأنها « جنة الخلد » ، وأشاد بالمتعة الفكرية التي يشعر بها المرء وهو يأنس فيها بجموع العلماء^(٢٥) ، وآخر يصف الوفود التي ما نفتأ تقصدها طلبا للفائدة والعلم^(٢٦) ، وشاعر آخر يباهي بها الشام ، وناهيك بدمشق في سالف الايام^(٢٧) !

ويقسم السلطان أبو العباس احمد بن ابي سالم المريني إن لفاس سيطرةً عليه ، ما يدري سرّها^(٢٨) . واعتبارا لمركزها العظيم هذا كان المقام بها مما قد تكتنفه المصاعب والمتاعب ، لذلك مثلها بعضهم بالجنة « تحتف بها المكاره^(٢٩) » ، وكان لتلك المصاعب رد فعل عند آخرين ، ظهر فيما رَوّحوا به عن أنفسهم^(٣٠) .

لقد استمرت فاس تستقطب العواطف ، وتحبب اليها النفوس ، بما احتضنته من أنواع المغريات التي كان من أبرزها هذه الحركة العلمية الدائبة التي تكفي وحدها لإثارة هذا التغيي بجبالها وحسنها^(٣١) .

ولو حاول الباحثون أن يستقصوا ما قيل في حاضرة فاس ، لسجلوا صفحات ذهبية وهاجة طافحة « ربما تنسي كل ما وُصفت به بغداد ودمشق والقاهرة » على حدّ تعبير علامة سوس الشيخ محمد المختار السوسي (٣٢).

والحقيقة أن اسم فاس يوحى بتاريخ زاخر بالحوادث والأجناد ، برجالاتها ومعالمها ، وإن اسمها لا يوحى باسم مدينة فقط أو موقع جغرافي في جهة من الجهات ، ولكنه يبعث في النفس ذكريات منارة متعالية ، هدّت باضوائها الوهاجة أولئك الغابرين ، وظلّت تضيئ بإشعاعها على هؤلاء الحاضرين ، وهل عرف العالم كلّ بلاد المغرب إلا إذا قرنت باسم فاس ؟ !

القرويين وفاس

عندما يتحدث التاريخ عن حضارة مدينة ما من المدن ، فانه يقصد الى عدد من الكيانات وطائفة من المقومات جعلت من تلك المدينة حاضرة ، وفيما يخص فاس بالذات ، فهي على الرغم من انها العاصمة الاولى للدولة الاسلامية في هذه الديار ، فيها شيء آخر كان وراء هذه العاصمة ، هو قلبها وهو عصبها وهو روحها وبصرها ، هو كل شيء فيها ، ولم يكن هذا الشيء غير « القرويين » التي ظلت القلب النابض والعقل المفكر لتلك الحاضرة ، اذكر ان القاضي ابا عبد الله بن ابي الصبر لما عاتبه السلطان ابو يعقوب على تسرعه في اصلاح فندق الشماخين دون رجوع سابق اليه ، اجابه بكلمة قصيرة ، ولكنها تحمل في طياتها كل الدلائل على ما للقرويين من اثر منذ ذلك التاريخ. فقد اقتنع العاهل المغربي ، وهو يستمع الى قاضي القضاة يقول : « كرهت الخراب بقرب القرويين الذي هو عين فاس (٣٣) وعندما تنصور العين ، تنصور معها كل عناصر الحياة ، كل عناصر الجمال ، فان ما عرفت به فاس من تقدم اقتصادي وازدهار صناعي ورفي اجتماعي كل ذلك ، مرتبط بالعلم والثقافة ، ولم يكن هناك من مركز يمثل ذلك العلم وتلك الثقافة الا القرويين الجامعة التي يرجع اليها الفضل الاول في اعلاء شأن البيوت وتدرجها في مدارج الكمال (٣٤) ، لهذا كانت فاس مدينة للقرويين في كل ما نالته من حظوة عبر التاريخ (٣٥).

بداية التعليم بالقرويين

يخيّل اليّ انه عندما يسأل المرء عن الوقت التي بدأت فيه دراسة العلم بالقرويين ، فكأنما يسأل عن الوقت الذي بدأت الصلاة فيها ؟ لأن تلك من هذه ، لا فرق بينهما اطلاقا في نظر الاسلام. وكما يعرف ذلك من لهم صلة بدراسة تاريخ المسجد ، ان العادة التي جرى عليها الاسلام منذ ايامه الاولى ان يتخذ من المسجد الذي تقام فيه الصلوات مركزا للتعليم والتثقيف ، كما يتخذة مجلسا لمناقشة الشؤون السياسية ومحاكم لتثيت الحقوق ، ففي البخاري عن ابي واقد الليثي ، قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد اذ اقبل ثلاثة نفر ، فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفا على رسول الله (ص) فرأى احدهما فرجة في الحلقة فجلس ، وجلس الآخر خلفهم ... » ، ولهذا نعتقد ان العلماء الذين وضعوا قبلة القرويين (٣٦) كانوا أول من خلق فيها لبث العلم والمعرفة ، وكيف تنصّر الحال في جامع لا يبعد عن بيت الإمام يحيى الاول (٢٤٩ هـ) الذي استبحر عمران مدينة فاس على عهده ورحل اليه الناس من الشرق والقيروان والأندلس ؟ لا بدّ أن يكون في أوائل الذين عقدوا مجالس علمية حافلة بالقرويين الحافظ الثقة الشاعر أبو عبد الرحمن بكر بن حماد التاهري (٢٩٦ هـ) الذي ورد على فاس باستدعاء خاص من الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس الذي كان على سابق معرفة به ، تجمعهم رابطة العلم

والأدب ، وقد عرف بمجاله سواء في بلده ، أو بالقيروان ، أو بغداد^(٣٧) فكيف لا يجلس للعلم بجامع عرفنا عنه ما عرفنا ؟ هذا الجامع الذي لا يبعد أيضاً عن بيت الإمام يحيى الرابع (٣٠٧ هـ) الفقيه العارف العالم الذي قصده العلماء والشعراء من كل جهات العالم الاسلامي والذي جاء في ترجمته أنه كان يتوفر على عدد من الوراقين لا شغل لهم إلا نسخ الكتب . وبماذا كان يشتغل أولئك العلماء والأدباء . ولن كان الوراقون يشتغلون ؟ وهل كان العلماء يزاولون دروسهم في الأزقة والدروب ، أم في الفنادق والمتاجر ؟ نحن لا نرى غير هذا البيت المقدس جديراً باحتضان تلك النخبة المختارة من قبائل العرب وديار الإسلام . نحن على اليقين كل اليقين أن البكري لو لم يتخطّ الحديث عن فترة الإمام يحيى . أو بالاحرى لو لم تضع الكراسي التي تخص هذه المرحلة ، لكننا وقفنا على الشيء الكثير مما يتعلق بنشأة القرويين . والأمر كذلك لو توفّرنا على تاريخ الوراق (٥٥٥ هـ) والبرنسي^(٣٨) وأصراهما . ومع ذلك فإن كل القرائن تدل على أن القرويين عرفت حلقات علمية منذ أيامها الأولى ، وكيف يتأتى ذلك في قرطبة والقيروان ، ولا يتأتى في فاس مع أنها أي فاس ظلت على صلة في كل الحالات ، سواء في حالة ميلها الى هؤلاء أو إلى أولئك ، ظلت على صلة بقرطبة والقيروان ؟ وقد وصف الجزنائي الدراسة أواسط القرن الرابع الهجري بمسجد الأندلس . توأم جامع القرويين ، فقال : « وكان جملة من الفقهاء يدرسون العلم في مواضع من هذا الجامع ، وكانوا أهل الثرى ممن يقتدى بهم ، يقصدهم الناس من أقطار البلاد ، فن مدرس ، ومن طالب مما شاء من فنون العلم . في مجالس شتى يقصدهم الناس للفتوى وطلب العلم ، كالفقيه جبر الله بن القاسم الخ ... » ونحن مؤمنون بأن إيثار مسجد الأندلس بهذا الوصف يرجع الى سبب واحد ، هو ما جرت به العادة عند فضلاء المؤلفين من التماس البركة عند ختام تاليفهم بذكر طائفة من رجال الصلاح كما قال الجزنائي نفسه : « وقصدنا البركة في سرد تواريخهم ، ونشر الرحمة عند ذكرهم »^(٣٩) ، والا فنحن امام جامع هام ، لاقى حتى ايام تداول الحكم بين الفاطميين والمروانيين رعاية خاصة باعتماد منبره . وتوسعته ، وذلك مما لم يظفر به جامع الأندلس .

والا فنحن نرى المؤلف نفسه آثر جامع القرويين بحديثه الطويل الذي استوعب منه عدة صفحات ولم يزل مسجد الأندلس غير سطور محدودة .

وان كل ما يمكن ان تتوفر عليه العاصمة موجود هنا في « المدينة العظمى » ، وليس على الذي يريد ان يقف على الفرق بين العدوتين - على انهما معا جليلتا القدر - الا ان يقف على وضعهما اليوم . فانه صورة متوارثة للعهود الغابرة ، وانه لمن الحيف حقا ان نبني السدود ، ونضع القيود بين أجزاء بلدة بعضها يرتبط ببعض ، لكن الأمعن في التعسف ان نقول بوجود حلقات علمية بعدوة الأندلس . ونتوقف في وجودها بعدوة القرويين ! وان نمنع اجتياز الخطيب الصدي^(٤٠) ، وجبر الله^(٤١) ، ودراس اسماعيل^(٤٢) . والشيخ ابي جيدة^(٤٣) ، والصديني^(٤٤) للجسر الذي يفصل بين العدوتين !! كما نمنع القاضي ابن ابي عيسى^(٤٥) . والخطيب الفارسي^(٤٦) ، وابن ودون^(٤٧) ، والأزدي^(٤٨) ، من عبّر الجسر من عدوة القرويين الى عدوة الأندلس .

• • •

هذا وان اقدم رواية وقفنا عليها مما تنص نصا على الجلوس لتدريس بالقرويين في غربيها وشرقيها ، وفي جنوبها وشمالها ، تذكر ان ابن ابي جامع الانصاري الجبائي كان يعطي درسا له بالجهة الغربية من القرويين سنة (٥١٥ هـ) قبيل

قيام المرابطين بعمليات البناء فيها^(٤٩) ، كما تذكر ان ابا الحسن على القيسي كان يعطي بها دروسه سنة (٥٥٤ هـ)^(٥٠) بل ان بعض الروايات تذكر منذ هذا التاريخ المبكر طوائف من علماء الأندلس اخذوا يشدون الرحال الى مدينة فاس ليتخصصوا في بعض العلوم كالحال في الشيخ عبد الحق بن خليل السكوني اللبلي (٥٨٠ هـ) الذي ورد على ابي عمر السالقي ليأخذ عنه علم الكلام . وعلى ابي بكر الخدب ليأخذ عنه كتاب سيويه^(٥١) ، كما يذكر التاريخ ان ابن ابي عبيدة الانصاري القرطبي ، (ت ٥٨٢ هـ) درس فيها وأخذ عنه جماعة بها علوم الحديث^(٥٢) ، ويتحدث التاريخ عن ابي نموي الفاسي (ت ٦١٤ هـ) الذي تصدر للاقراء شرقي القرويين بعد ان كان يدرس في مسجد زقاق الرواح^(٥٣) وكل اصحاب تلك المجالس اساتذة وطلابا لم يكونوا يستصعبون الذهاب الى جامع ما بفاس مهما كان ، عندما يسمعون بظهور استاذ جديد كالحال في الجماعة من الأئمة الاعلام الذين قصدوا مسجد الطالعة لحضور درس ابن تومرت ... تلك الجماعة التي كان على رأسها القاضي ابو محمد عبد الحق ابن معيشة ، كانت تضم ابن الملجوم ، واخاه ابا العباس ، وابن ابي داود ، وأحمد بن دبوس ، وعبد الرحمن بن الشكة ، وأحمد بن بيضاء ، وابن احمد ، وعبد الرحمن بن الشريف ، وابن برقوقة ، وعبد الرحمن بن زكو وابن الفرديس ، وابن المغيلي ، وابن يعبد رأسه^(٥٤) .

أقدم جامعة...

رأينا ان المسجد كان مركزا أيضاً للتعليم منذ فجر الاسلام ، وبهذا نستطيع ان نقول ان مسجد « المدينة » كان اول معاهد التعليم في المشرق ، تبعه جامع البصرة والكوفة والفسطاط ثم كانت اول قبة اختطت بالشمال الافريقي في القيروان ، وتبعته تلك وهذه مساجد انتشرت هناك وهنا كجامع الزيتونة بتونس^(٥٥) سنة ١١٦ هـ ، وجامع القرويين بالمغرب ، والجامع الأزهر بمصر سنة (٣٥٩ هـ) ، بيد ان هذه المساجد لم تظل باستمرار مهياة للتعليم ، فان منها ما انتهت فيه الدراسة منذ وقت مبكر ، ومنها ما انقطعت منه ردحا من الزمان .

لكن جامع القرويين بفاس يتميز اولا بأنه شيد في مدينة وضع حجرها الأساسي لا يرسم ان تكون معبرا او متجرا أو مصنعا ولكن لتكون اولا وبالذات « دار فقه وعلم »^(٥٦) ، وثانيا استمرت الدراسة فيها بصفة مطردة منذ الفترات الأولى ، ولم تنفك حلقاتها العلمية حتى في الفترات التي تمت فيها أعمال الترميم والبناء .

وحتى عندما اتخذ المرابطون مراكز عاصمتهم^(٥٧) عام (٤٦٢ هـ) وبُنيت جامع ابن يوسف ، ظلت القرويين مركز اشعاع علمي وظل قضاة « مقر الخلافة » من أمثال عيسى بن عمران (ت ٥٧٨ هـ) يبعثون ابنائهم للتزود من معينها ، وكان يتم مثل هذا في الاصقاع الجنوبية ومدن الساحل الشمالي^(٥٨) .

ولقد كان للقيروان الفضل الاول في تكوين جامعة فاس ، وكانت هذه لتلك بمثابة الفرع من الشجرة ، لكن القيروان لم تلبث ان تعثرت عثرتها الكبرى في القرن الخامس بتغلب عرب بني هلال ، فأصبحت اثرًا بعد عين ، وكان من شأن ذلك ان يبرز جامعة القرويين ، فتألق نجمها ، وقوي ساعدها في الوقت الذي ضعف فيه شأن القيروان التي كانت بالأمس من عمد القرويين في التلقي والأخذ . ولم يكن حظ الزيتونة باحسن حظا من الجامع الاول ، فبعد السنين الزاهرة التي عرفها الجامع والتي جمعت تكرارا ومرارا بين علماء فاس وعلماء تونس في مجالس استمتع بها الملوك والأمراء ، بعد ذلك لم ترحمها الأيام فان الاسبان لم يلبثوا ان قطعوا مسيرتها واسط القرن العاشر ، وكان

للتدخل العثماني ايضا اثره في « تريك » التعليم بالجامع الأعظم^(٦١)... والأزهر الشريف الذي بدأ حياته العلمية سنة (٣٦٥ هـ) على يد عالم مغربي^(٦٢) هو قاضي القضاة ابو الحسن علي بن النعمان القروي ، الذي نهض بعبء الرسالة الاسلامية بعد سقوط بغداد ، لم يلبث ان ركذ بعد ظهور دار الحكمة سنة (٣٩٥ هـ) ، ولم ينج من التقلبات والتدخلات^(٦٣) أما بغداد التي تحدث ابن جبير سنة (٥٨٠ هـ) عن مدارسها الثلاثين التي كان من أشهرها النظامية والتي تحدث ابن سعيد عن دور كتبها بما فيها مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني (٥٦١ هـ) ، فان ابن بطوطة لما زار بغداد عام (٧٢٧ هـ) لم يجد اثرا لكل تلك المدارس ، الأمر الذي تفسره زفرة. أرسلها ابن بطوطة على ذلك العهد في هذه الكلمة القصيرة : « سبحان مبد الأشياء ومغيرها »^(٦٤) : وهكذا سنجد انفسنا مضطرين - احبنا ام كرهنا - ان نحشر السياسة في حديثنا عن هذا الموضوع ، ان المغرب باعتبار موقعه الجغرافي ، واستماتة اهله في الدفاع عن بلادهم ، ظل على العموم محتفظا بمقوماته كما هي منذ آلاف من السنين ، فلم تتعرض مدينة فاس وجامع القرويين للرجات التي عرقتها الجامعات الأخرى .

واذا عرفنا الى جانب هذا ان جامعة بولونية بايطالية استت سنة (١١٥٨) وجامعة السوربون عام (١٢٠٠) واعقبتهما اوكسفورد ولامنكا ، قدرنا اذن ما تضافرت عليه نقول بعض الاساتذة والمؤرخين الأجانب ممن كتبوا في شأن فاس ، فقد كتب الاستاذ ديلفان منذ زهاء قرن يقول : « لقد كانت مدينة فاس بحق دار العلم بالمغرب ، وتعد جامعة القرويين فيها اول مدرسة في الدنيا »^(٦٥) ، وكتب المستشرق الروسي جوزي منذ ثلاثة ارباع القرن يقول : « ان اقدم كلية في العالم ليست في اوربا كما كان يظن ، بل في افريقيا في مدينة فاس عاصمة المغرب »^(٦٦)... ، ولما كان الاخوان جان وجيروم طارو يتحدثان عن القرويين اضطررا الى الحديث عن مراحلها الأولى بهذه العبارات تحت عنوان (مقبرة الفكر) قالوا : « في هذه القرويين حيث كانت تزدهر علوم الميقات وفن الجبر ، في وقت لم يعتن احد فيه بهذين الفنين ، الا في ايطاليا وحدها بل في فرنسا كذلك »^(٦٧)... ، ولما كان الاستاذ روم لاندو يتحدث لرسالة المغرب^(٦٨) عن جامعة القرويين قال : « وقد شيد في فاس منذ ايامها الاولى جامع القرويين الذي هو اهم جامعة وأقدمها ، وفي القرويين هنا كان العلماء منذ حوالي الف سنة يعكفون على المباحثة الدينية والمناظرات الفلسفية التي قد تتجاوز دقتها ادراك فكرنا الغربي ، وكان المثقفون يدرسون التاريخ والعلوم والطب والرياضيات ، ويشرحون ارسطو وغيره من مفكري الاغريق... » وأخيرا يتحدث عنها الاستاذ لوتورنو في كتابه الحافل عن فاس بهذه الكلمات الصادقة : « ... ويمكن الاعتقاد - وان كانت النقول بين ايدينا لا تعطي معلومات مدققة - بأن هناك دروسا كانت تعطى بكل تأكيد في هذه القرويين منذ ايامها الاولى... » وترد في ناحية أخرى من الكتاب هذه الجملة الجامعة « ... لم تعد فاس في كل وقت من الاوقات اوساطا مثقفة كان عشها الذي ترعرعت فيه ذلك المسجد الذي يسمّى القرويين »^(٦٩) وذلك الواقع هو الذي انعكس على اثار الشعراء والكتاب والعلماء المغاربة ممن تحدثوا في اوائل هذا القرن عن القرويين.

• • •

ان القرويين في بدايتها ككل المؤسسات التي يرجع تاريخها الى تلك العصور القديمة ، كما رأينا كانت مسجدا صغيرا فلم يلبث ان تطور شكلا ومضمونا عبر الايام الى ما رأينا ، على نحو ما تم في جامعة السوربون مثلا ، فقد كانت في اول أمرها تعطي بعض الدروس في اللاهوت ، يلقيها احد الرهبان في حجرة قريبة من

نوطردام بياريس ، وفي اثناء القرن الثالث عشر المسيحي بنى احد المحسنين ويدعى روبر دوسوربون منزلا لايواء طلبة اللاهوت الفقراء وذلك ما جعله يدعى من بعد بجامعة السوربون . وهكذا كان الشأن في جامعات بولونيا واكسفورد وسلامنكا .

سيلفستر في القرويين

كما نرسل ابناؤنا اليوم الى دول اوربا مثلا . كانت البلاد المسيحية تتجه في عصور الازدهار الاسلامي الى الأندلس ، لتغترف من معين الحضارة العربية والاثار الاسلامية هناك . ولما كان تاريخ المغرب قد امتزج امتزاجا وثيقا بالأندلس ، كان الطلاب الذين يردون على قرطبة العربية المسلمة أو على المدن والقرى التي في إدارتها ، لا يجدون صعوبة في اجتياز البحر ليجدوا أنفسهم في برّ العدو ، ومن هنا ذاع الحديث حول وصول جيرير الى المغرب ، أو بالاحرى الى مدينة فاس حيث اخذ بطريقة ما في جامعة القرويين عن مشايخها ايام كانت اوربا تعيش عصورها الوسطى .

ونعتقد انه لو قام احد بهذه الزيارة غير جيرير لأمكن ان تمرّ دون تعقيب ، بيد انه والأمر يتعلق بهذه الشخصية التي تبوّأت بعد منصب البابوية وأصبحت تحمل اسم سيلفستر الثاني^(٧٩) . لا بدّ أن يكون لها آثار جدّ بعيدة ، لأنها تمس أمما أخرى ، وتمس ديانة أخرى ، ثم إنها تثير حساسيات من شأنها أن لا تسمح بمرور الرواية دون نقد وتمحيض ، إن لم نقل دون تزييف أو تكذيب .

ونرى أنفسنا مطوّقين بأن نجب عن بعض التساؤلات التي أثارها زملاؤنا الباحثون ممن تناولوا هذا الموضوع ، وأحبّ بادئ الأمر أن أذكر أنّ هذه الرواية ليست من صنع « المثقفين المغاربة »^(٧٠) ، نسجوها حديثا اعتراضا بجامعتهم وجبا في اظهار مجدها ، ولكنها رواية لأحد المستشرقين المسيحيين المتعمقين ممن كان لهم فضل قوي على الدراسات الإسلامية والعربية بما قدّموه من مؤلفات ذات قيمة كبرى من الناحية الوثائقية ، ويتعلق الأمر بالاستاذ جوزي بندلي بن صليب أو جوزي كريستوفيتش^(٧١) (Jouse Ponteleimon Krestovitch) ، فقد نشر ضمن بحوثه القيمة كلمة قصيرة ولكنها مركزة في مجلة الهلال المصرية ، في الجزء الحادي عشر من السنة الأولى في أول يوليو من سنة (١٨٩٣ م) الموافق للسابع عشر من ذي الحجة من عام (١٣١٠ هـ) ص (٣٥٦)^(٧٢) كانت الكلمة بعنوان : « أقدم مدرسة كلية علمية في العالم » كان فيها قاله الأستاذ كريستوفيتش : « ... ان أقدم مدرسة كلية في العالم أنشئت لا في اروبا كما كان يظن ، بل في افريقية ، في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب سابقا ، إذ قد تحقّق بالشواهد التاريخية أن هذه المدرسة كانت تدعى (كلية القيروان)^(٧٣) وقد أسست في الجيل التاسع للميلاد ، وعليه فهي ليست فقط أقدم كليات العالم ، بل هي الكلية الوحيدة التي كانت تتلقّى فيها الطلبة العلوم السامية في تلك الأزمنة حينما لم يكن سكان باريز واكسفورد وبارو (Paroue) وبولونيا يعرفون من الكليات الا الاسم ، فكانت الطلبة تتوارد على كلية القيروان^(٧٤) من أنحاء اروبا وانكلترا فضلا عن بلاد العرب الواسعة للانخراط في سلك طلابها ، وتلقّي العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الطرابلسيين والتونسيين والمصريين والأندلسيين وغيرهم ، ومن جملة من تلقى علومه في هذه الكلية من الأوربيين جيربرت (Gerbert) أو البابا سيلفستر^(٧٥) ، وهو أول من أدخل الى أوربا الأعداد العربية^(٧٦) وطريقة الأعداد المألوفة عندنا بعد أن أقنئها جيّدا في الكلية المذكورة كما يظهر ذلك من رسالته الى الامبراطور أوتون (Othon) مساعدته ، التي أتى فيها على ذكر الصفر العربي ، بقوله : « إني أشبهك

بالرقم الأخير من الأعداد البسيطة العشرة الذي يزداد قيمة بوضع أعداد أخرى عن يساره ...» (٧٧). فهي نحن هؤلاء نرى أنها ليست «رواية مغربية»، ولكنها رواية عن علماء مختصين يصح أن نعددهم مصدرا هامًا لجوانب من حياة سيلفيستر، ما تزال خفية عن بعض الباحثين، ويصح أن تكون كلماته البينة الواضحة جوابًا عن بعض الاستشكالات التي وقفت في طريق أولئك الكتاب، وقد نشر تلك الكلمة في مجلة صاحبها «جرجي زيدان» مسيحيًا أيضًا. وكان الذين يردون عليه منازعه في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي) يهتمونه بالكيد لتاريخ الإسلام، فهو بعيد من أن يحاييه على حساب دينه.

لقد اتفقت كلمة الأوربيين الذين أرحوا لجيرير أنه قضى وقتًا طالبًا في الأندلس بين سنة (٩٦٧ م، ٣٥٦ هـ) وسنة (٩٧٠ م، ٣٥٩ هـ)، وهم يتفقون على أنه بعث من طرف القمط بوريل (Borrel)، ودرس تحت إشراف أوتون (Othon)، بمدينة فيش (Vich) الأندلسية شمال برشلونه (٧٨). ويعتقد أديمار دوشابان (Ad. de Chabannes) أنه وصل أيضا إلى قرطبة (٧٩). لكن بلوغه إلى مدينة فاس أمر أستصعبه بعضهم، وكان ممتنعًا عند البعض الآخر. ويذكر بعضهم: أن فاسًا كانت من الوجهة الفكرية في القرن العاشر الميلادي تلميذة لقرطبة (٨٠)، وخاضعة لها، يعني ليس من المعقول أن يقصد الطالب مدرسة فرعية ويترك المدرسة الأم، على أن بعضهم استبعد أن يكون جيرير قد تأثر في إنتاجه الفلسفي والعلمي بالعلماء العرب والمسلمين، نظرًا لتعذر ذلك من حيث اللغة. فان الأساتذة المسلمين كانوا يلقنون طلابهم بالعربية، ولم يكن جيرير يعرف العربية (٨١).

وهكذا نرى أن هؤلاء لا يستبعدون سفره إلى فاس حسب، بل يستبعدون أيضًا أن يكون متأثرًا بالحضارة الإسلامية.

والواقع أن حياة جيرير يكتنفها كثير من الغموض، لكنها - بفضل البحوث المتوالية التي تطلع بين الحين والآخر - تنجلي شيئًا فشيئًا للمتطلعين، وكان الأولى في نظرنا أن تكون كلمة الأستاذ كريستوفيتش خطوة في سبيل إزاحة بعض الغموض وكشف الستار عن جانب من الحقائق المتعلقة بهجيرير، كان الأولى في نظرنا أن يكون للكلمة التي نشرت منذ سنة ١٨٩٣ م لدى بيكافي (Picavel 7) المكتوب سنة ١٨٩٧ م ومن تبعه من الباحثين الذين كانوا يتوقون إلى معرفة مصدر هذا «الاختراع الأكاديمي» (٨٢).

كان مما ساور ذهني، وأنا أقارن وأفارق بين الأفكار المتضاربة في الموضوع، أن كلمة فيش (Vich) ربما التبتت على كريستوفيتش بكلمة فاس. فطفت ينسب إلى هذه ما لتلك، وربما كان من بواعث التباسه ذلك الحديث العاظم من طرف الوزان عن كلية القرويين (٨٣)، بيد أن تركيز الرجل - وهو من عرفنا - على فاس عاصمة المغرب كان مما يدفع تلك الخاطرة، وماذا يا ترى كان الفرق بين فاس والأندلس على هاتيك العصور؟ هل كانت هناك حراسة مضروبة على الأبواب تسأل الناس عن أوراق تعريفها؟ إن الرغبة الملحة في التعليم التي كان يتحلى بها جيرير تقتضي منه ذلك الاستطلاع، ويكفي حديث «جوزي» برهانًا، وإن من حفظ حجة على من لم يحفظ كما يقولون. وقد ذكر شارل سينيوبوس (Charles Seignobos) في كتابه تاريخ الحضارة (Histoire de la civilisation) أن أهل «بيزة» الإيطاليين كانوا ينزلون إلى مدينة «بجاية» في الجزائر، ومنها تعلموا في مصانعها صنع الشمع، ومنها نقلوه إلى بلادهم وإلى أوروبا، ولا يزال مسمى الشمع عندهم بوجي (Bougie)، وهو اسم بجاية في نطقهم الإفرنجي.

وبها أي بجاية تعلم الرياضي والمهندس الإيطالي اليونانيونثي المولود حوالي سنة (٥٧١ هـ ١١٧٥ م) العلوم الرياضية ، وخاصة منها علم الجبر والمقابلة ، وأدخلها الى أوروبا (٨٤). وما قيل عن بجاية ، نقل مثله قبل عن مدينة القيروان (٨٥) ، ولهذا فإننا على مثل اليقين من أن بلاد المغرب كانت مقصداً لطلبة أوروبا منذ أن أصبح للعرب والمسلمين وجود بتلك الديار .

أما « مشكل » اللغة التي كان جيرير يتفاهم بها مع أساتذته العرب ، فإننا نعتقد أنه مشكل غير موضوع البتة . بل إن ما قاله الأستاذ جوزي كان مما ينبغي الاستفادة منه أيضاً حول اللغات التي كان جيرير يتوفر عليها ، وكأني بأولئك الذين وضعوا نقط الاستفهام أمام معرفة المسيحيين للغة العربية ، يقارنون بين بلاد المغرب التي عرفوها أيام محتتها وأيام نكستها ، وبين بلاد المغرب التي كانت تمتد الى أوروبا وكانت تفرض لغتها على الجهات التي تصرف فيها ... لنقرأ ما يتحدث به المستشرق كوزليز بلانسية (Gonzalez Palencia) عن أيام العرب بالاندلس (٨٦) : « إن سلطان العربية تمكن من المسيحيين في هذا العصر » تدل على ذلك شكوى الفارو ١٤٣٠ - (Alvaro) كاهن قرطبة ، وفيها يقول : « إن اهل ديني لا تلد لهم إلا قراءة الشعر والقصص العربي ، يدرسون كتب التوحيد والفلسفة الاسلامية ، لا للرد عليها ، بل لتعلم الأسلوب العربي الفصيح ، أين من يطلع على كتب اللاتينية غير رجال الدين ؟ واحسرتاه ! إن التابعين من الشباب المسيحي لا يعرفون إلا لغة العرب وآدابهم ، يدرسون كتبها باهتمام . وينفقون في جمعها الأموال ويصرحون باعجابهم بها فاذا خاطبتهم بما في الكتب المسيحية ، أجابوك باشمزاز قائلين : ليس فيها ما يستحق الذكر ! يا للالم : ان المسيحيين نسوا كل شيء حتى لغتهم (٨٧) ، فلا تجد في الألف واحداً يتقن رسالة باللغة اللاتينية في حين أن عدد من يتكلم بالعربية الفصحى لا يحصى ، بل كثير جداً عدد من يؤلفون القصائد الفنية الفاتحة الممتازة عن قصائد العرب . »

كذلك يشكو الفارو ، ومهما تكن في تلك الشكوى من مبالغة ، فإنها على كل حال تين مقام اللسان العربي عند المسيحيين واليهود على السواء . واذا كان الحال على ما نرى ، فكيف لا يفكر جيرير في أن يتعلم العربية ، أو يتخذ له - في الاقل - ترجماناً يهديه الى معالم الطريق ؟ على أن الذين نصبوا أنفسهم للتعليم والتثقيف من الأساتذة العرب كانوا من المقدرة والاستعداد بحيث يحسنون لغة طلبتهم سواء اكانوا مسيحيين ام عبريين ، وهكذا كنا نجد في الاندلس مدارس تضم في الوقت الواحد والمكان الواحد متعلمين من الملل الثلاث اليهودية والمسيحية والاسلام . وقد استمرت هذه المعاهد تعمل الى سقوط مدينة مرسية . فقد ذكر صاحب الاحاطة انه عام ٥٥٣ كان في بياسة عالم غرناطي يدعى عبد الله بن سهل كان يحضر دروسه جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود ... وورد في نفح الطيب في ترجمة الاستاذ محمد بن أحمد بن ابي بكر القرموطي المرسى انه كان من اهل الاندلس بالعلوم القديمة : المنطق والهندسة والموسيقى والطب ، فيلسوفاً طبيباً ماهراً اية الله في المعرفة بالاندلس ، يقرئ الأمم بالستهم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلمها . ولما تغلب طاغية الروم على مرسية ، عرف له حقه ، فنجي له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود (٨٨) . لكل هذا فان الذين تحدثوا عن وصول سيلفيسترلفاس ، وعن نقله للارقام العربية (٨٩) وعن افادته لتطور الشريعة الروماني (٩٠) وحركة الاستشراق (٩١) ، كانوا أبعد نظراً وأوسع أفقا من الذين ضربوا عليه الحصار في شمال برشلونة !

• • •

التيارات المذهبية بالقرويين

لقد عرفت هذه الجامعة منذ أن فتحت أبوابها مناقشات ومناظرات حول شتى المذاهب التي غزت مدينة فاس ، ولقد تكبد علماءها ومشايخها مختلف ضروب الامتحان والشدائد في سبيل نصره هذا المذهب اوداك ، وكان مما يزيد في تصعيد النقاش بين المتناظرين بعد اختفاء بني إدريس ، تلك الاصطدامات التي كانت تقع بين الفئتين المتنافستين الامويين والفاطميين - على كسب المغرب تلك الاصطدامات التي كانت تصيب شرارتها - في صدر من تصيب - طوائف من العلماء او المشايخ الذين يتعرضون للقمع والتعذيب والنفي سواء من هذا الفريق أو ذاك حتى بعد أن أصبح المغرب حرّاً في اختياره غير تابع لا للقيروان ولا لقرطبة فان الذين تولوا مقاليد الامر فيه لم تتفق كلمتهم على المذهب الذي يجب أن يكون شعاراً للبلاد ، وهكذا ظلت السياسة مهيمنة على عواطف الذين كانوا يطمحون الى الحكم عن طريق اختيار هذا الرأي أو إبطال الآخر لتحقيق أهدافهم ...

نحن نعلم أن المغرب بالرغم من بعده مسافة عن المشرق ، فانه ظل مرتبطاً به ، مصيخاً باسماعه لما يجري فيه ، يتلقف ما يصل اليه من آراء وأفكار بواسطة المبعوثين والرّسل ، والحجاج والرحالة ، وكذلك عن طريق المضطهدين الذين كانوا يجدون في المغرب حماية منيعة لهم من متابعة الحكام في المشرق ، وبهذا نفّس مزاحمة عدد من المذاهب في المغرب لمذهب السلف الذي كان متشرباً في البلاد في صدر الاسلام ، وفي صدر تلك المذاهب مذهب الخوارج الذي تلقته طائفة من المغاربة أول القرن الثاني بصدور حجب ، لما قدّم لهم عنه من مغريات ظهرت لهم محققة للغرض الذي كانوا يشدونه من الاسلام ، ولا سيما بعد أن شاهدوا من بعض الولاة ما لا يرضيهم ، على أن في تلك المذاهب أيضاً مذهب الاعتزال الذي تزعمه في المشرق واصل بن عطاء ، فقد وجد هذا المذهب أيضاً ، بسرعة متناهية ، صداه في المغرب ، وامسى له رؤساء وزعماء ، ولا بد من أن نعيد الى الذاكرة أن أول درس لقته إدريس لحاكم « ويلة » ، كان يتعلق بمذهب المعتزلة (٩٢) ، والى جانب هذا طبعاً كانت هناك بقية المذاهب المنتشرة في الوقت ، وهي مذهب الشيعة ، ومذهب أبي حنيفة ومذهب الأوزاعي ومذهب داود الظاهري . لقد ورد إدريس يحمل مذهباً غير كل هذه المذاهب ، فنحن على سابق علم بما ورد عن الامام مالك من مناصرة بالأمس لمحمد النفس الزكية ، تلك المناصرة التي عرضته للمحنة والعذاب ، فلم لا يدعو الإمام إدريس اليوم الى الاقتصار على مذهب مالك ؟ وهكذا جاءهم « بالموطأ » ، فنشره بينهم ، وكان يؤثر عنه قوله « نحن أحق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه » ، وذلك لرواية الإمام ادريس للموطأ عن والده عبد الله الكامل (٩٣) . وكما كان موقفه مع المعتزلة عند مقدمه ، فقد ناهض مذاهب الخوارج هنا وهناك في محاولة ناجحة لجمع المغرب على كلمة واحدة ، وانه إذا كان هناك من فضل للذين سعوا من أجل مغرب موحد المذهب موحد العقيدة موحد المحراب - موحد الحرف والتلاوة (٩٤) ، فان الفضل الاكبر يرجع الى إدريس الذي استطاع أن يحمل الناس على ان يتخذوا مذهب عالم المدينة قاعدة لعقيدتهم ، ولم يكن عمل إدريس شاقاً في إقناع المغاربة بقبول مذهب مالك ، لأن كل الخصائص التي تنسجم مع طباعهم تتوفر فيه ، فهم ميالون الى الأشياء الواضحة التي لا يكتنفها غموض .

لقد فتحت القرويين عيونها اذن على مذهب مالك ، وعلى بقية بقية من المذاهب الأخرى (٩٥) ، بيد أن سائر

تلك المذاهب أخذت تنقلص يوماً بعد يوم ، ولكن من غير أن يقفل باب النقاش حول بعضها كمذاهب . ولهذا فانتا مقتنعون بأن حلقات القرويين ما انفكت مجالاً للطريبات الرائجة في المدينة والكوفة . وقد كان يشجع المذهب المالكي في مدينة فاس مناصرة بني أمية في الأندلس له لقد نقل أحد الحجاج لعبد الرحمن الداخل عن الإمام مالك قوله ، وقد جرى ذكر عبد الرحمن : « ليت الله زين حرماً بمثله !! » لذلك لا يختلف شعور أهل الأندلس إزاء مالك عن شعور مملكة المغرب . وقد أثار هذا حفيظة الفاطميين فلم يمض قرن من الزمن على تأسيس القرويين حتى كانت حملة جوهر المحمومة على فاس ، فقتل عدداً من المالكية ، وحمل الناس على مذهب الشيعة ، وصحب معه خمسة عشر من أشياخ فاس رهائن ، ونصب على المحراب أرساداً تدل على « الوجود الشيعي » في القرويين . ثم كان رد الفعل الذي تبعه رد فعل آخر ، وكل هاتيك الردود كانت تنهادها زوايا القرويين ومثلاتها ، وفي أي مكان غيرها يمكن أن يجد العلماء والطلبة فيه مجلسهم ؟ إن كل الحملات التي شاهدها فاس كانت تعكس آثارها بين أساطين القرويين وقد رأينا كيف أن أحد عمال المنصور بن أبي عامر ، بعد جولة للأمويين على فاس ، فتح موضوعاً فقهياً مع الشيخ أبي جيدة ، ظل مشغلة الناس حقبة من الزمن^(٩٦) . ثم رأينا أحد علماء فاس المذهبيين^(٩٧) ، أبا عمران الفاسي ، كيف يصطدم مع رجال الحكم ليمسي في منفاه بالقيروان ، ويشن من ثمة حملاته بمناصرة المذهب المالكي بين ظهري القرويين . وقد عاشت هذه القرويين أيام المحنة التي أصابت الناس بسبب إحراق كتاب الإحياء للإمام الغزالي ، ونال بعض علمائها الكثير من المضايقة في سبيل مناصرة آراء الشيخ أبي حامد لقد رأى قوم أن بعض الأحاديث التي يتضمنها الإحياء كانت موضوعة لا أصل لها^(٩٨) ، وتخوف آخرون من أفكار الغزالي التي تتضمن آراء المتكلمين ومذاهب الصوفية مما قد يمس عقائد الناس ، وهناك فريق من الناس رأى في ظهور الكتاب تهديداً للمركز السامي الذي ينعم به الفقهاء في البلاط المرابطي ، فقد نشأت طبقة من المختصين في فروع المذهب المالكي ، نالت مكانة عليا في الدولة ، ومن شأن كتاب كالأحياء يستمد مباشرة من كتاب الله وحديث رسول الله أن « يشوش » على هيبة الفقهاء ، فأدى ذلك إلى إعزاز ابن حمد بن قاضي قرطبة^(٩٩) لأمر المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بإحراق كتاب الإحياء ، فأحرق ، وتوعدوا بسفك الدماء واستصفاء الأموال كل من ضبطت عنده نسخة من الكتاب ، لكن هل كان ذلك كافياً لاقناع رجال العلم ؟ إن هناك جماعة من علماء فاس الذين كانوا قد اندفعوا مع التيار أول الأمر تراجعوا حين ظهرت الحقيقة للناس ونذكر من هؤلاء أبا الحسن علي بن حرزهم الذي نهج طريق علماء آخرين في جهات أخرى أفتوا بأن الإيمان التي أقسم بها الناس على أنهم لا يملكون « الإحياء » لا تلزمهم ، لأنها إيمان مقتضبة^(١٠٠) ! لا بد أن تتصور حماسة هذا الفريق وذلك ، لا بد أن تتصور الصدع الذي وقع في صفوف رجال العلم حول الموضوع سواء في عدوة القرويين أو في عدوة الأندلس ، لا بد أن نعرف مع هذا أن القرويين في هذا التاريخ دخلت مرحلة حاسمة من تاريخها إذ أصبحت ملاذ المرابطين في الوقت الذي اختفى فيه ذكر مسجد الأندلس^(١٠١) .

• • •

ولم تمض إلا أعوام قلائل حتى سمع علماء فاس^(١٠٢) ، وأولهم عبد الحق بن معيشة قاضي فاس ورئيس القرويين وقتئذ ، الذي ما يزال اسمه إلى الآن منقوشاً في قبة المحراب ، في القبة المستطيلة منها ، سمعوا بوجود ابن تومرت في مسجد طرانة من طالعة فاس ، وأنه يلقي دروساً هناك ، فقصدوه ، فسمعوا منه كلاماً مزيجاً بين مذهب الشيعة ومذهب الخوارج ومذهب المعتزلة ، لقد دعا ابن تومرت إلى الرجوع للكتاب والسنة . إن التقليد جمود ، واختلاف المجتهدين في

المسألة الواحدة خطأ^(١٠٣). لقد عاش ابن تومرت مع الغزالي ثلاث سنوات في بغداد ، ومن هنا نعرف انطباعاته عن الذين أقدموا على إحراق كتابه الإحياء ، ولتصور حديث المجالس العلمية بعد هذا اللقاء الثير. فمن هنا ابتدأت الحملات على محصوم الغزالي ، وانتصب عدد من العلماء في القرويين من أمثال السلالجي (٥٦٤هـ) ، وابن الاشيلي (٥٦٧هـ) لنشر العقيدة الأشعرية والرد على المراتبين (المجسمة) قصدهم علماء من الأندلس للتخرج عليهم والاستفادة منهم^(١٠٤)، بل ان الحملات تجاوزت هذا النطاق الى الميدان السياسي ، فاتهم المراتبون بالضعف امام العباسيين ، والاستسلام لهم بالدعاء لهم على المنابر ، وإرسال السفراء اليهم^(١٠٥).

عرفت مجالس القرويين كل هذه الموضوعات بتفاصيلها وثناياها وغضونها ، وانهارت دولة المراتبين لتحل محلها دولة الموحدين التي جذدت الدعوة لمذهب الظاهرية ، وبعثت القول بعصمة الإمام لقد أوقعوا المحنة بالفقهاء ، ومنعواهم من صعود المنابر ، لأنهم رفضوا نعت المهدي بالمعصوم ، وإمعاناً منهم وعناداً منعوا صعود المنابر أيضاً على من لم يخطب بالبربرية ، فأثار ذلك حفيظة المؤمنين^(١٠٦)، فكبرهم ، وضر بهم بالسياط ، وألزمهم بالايان المغلظة أن لا يملكوا من الآن كتاباً من كتب الفقه ! ويقول عبد الواحد المراكشي : شهدت منها (أي كتب المذهب) كمدونة مسحون ، وكتاب ابن يونس ، ونوادير ابن أبي زيد ومختصره ، وكتاب التهذيب لابن البراذعي ، وواضحة ابن حبيب وأنا يومئذ بفاس ، يؤتى منها بالاحمال ، فتوضع ، وتطلق فيها النار^(١٠٧). وقد طلب الى العلماء جمع أحاديث المصنفات العشرة . قال المراكشي : « وكان قصده محومذهب مالك » ، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والسنة .. علينا أن نرحل الى تلك القرون الخالية بفأس ، ونشهد مجالس القرويين ووجوهها الجديدة ، وعلينا ان نسال عن رجال المرحلة الذاهية ، فهل استسلموا ؟ سنرى أن حظ التنازل كان ضعيفاً جداً ، وأن بعض الناس آثروا المصاعب على الحياة السهلة . لقد اشترط في الخطيب على منبر القرويين أن يتحدث الى المؤمنين بالبربرية ، كما اشترط فيه الى جانب ذلك أن يكون مذهبياً ، أي أن يضيفي على المهدي بن تومرت صفة « العصمة » ! وينبغي أن نتصور فقهاء القرويين الذين يرون في العربية الوسيلة المقدسة لمخاطبة الله ، ورون أن العصمة مقصورة على الأنبياء . « ابن معيشة ، وابن الملقوم ، وابن داود وابن يضا ، وابن مسونة ، وابن الغرديس ، وابن المغيلي أمثال هؤلاء وتلاميذ هؤلاء ابن راحو ؟ لقد رأينا بعض الفقهاء من العرب الكنانة لم يترددوا في التعبير عن استيائهم من الموحدين بعدم الدعاء لهم على المنابر^(١٠٨) كانوا يعتقدون ذلك عقوقاً للرحم التي جمعت بين القرآن والعربية ، ولذلك كان رد الفعل - إزاء هذه « السياسة الرجعية » كما يسميها الأستاذ كنون ، وإزاء بدعة « العصمة » - في منتهى القوة أضف الى هذا ما تهامس به العلماء من النكبة التي حلت بعد بابن رشد الحفيد من قبل المنصور الموحدي بسبب مذاهبه الفلسفية . لقد كان الفقهاء يتبارون في حفظ الفروع حتى يقطعوا الطريق على كل الذين يريدون النيل منها^(١٠٩) ، وكانوا أنشط ما يكون لتعقب الآراء التي يريد الموحدون نشرها بين العامة ...

التنافس بين مراکش وبغداد

لم ينس التاريخ ما كان اقدم عليه هارون الرشيد من العمل بإشارة وزيره البرمكي لجعل حد للدولة الادريسية بالمغرب ، ومع ان ولاية المشرق على القيروان ما انفكوا يجددون الغارات والحملات من أجل اخضاع الدولة فان المغرب ظل - كما عرفنا - متمسكا بمبدأ الاستقلال الذي اعلنه الامام ادريس غداة تنصيبه اميراً على البلاد ، ولم يكن معنى هذا بالنسبة الى المغرب قطع صلاته الروحية بالمشرق ، فانه كان يقدر جيداً الوشائج التي تربطه باخوانه في اللغة والدين ، ولهذا حرص على ان يبقى دائماً على علاقاته ببغداد ، ولهذا ايضا بعث بمجرد ما أحرز

عليه يوسف بن تاشفين من نصر ميين في وقعة الزلاقة الشهيرة بالاندلس سنة ٤٧٩ هـ - سفارة هامة الى المستظهر بالله، على راسها الامام ابن العربي ، ليحيطه علما بظروف الواقعة ، وليستمزج رايه في وحدة شاملة بين جناحي العالم الاسلامي ، ورجع الوفد يحمل معه رسائل من الخليفة المستظهر ومن الوزير ابن جهير ومن الامام الغزالي^(١١١)، تعترف جميعا بتولية السلطان يوسف بن تاشفين بلقب امير المسلمين الذي كان تلقب به قبل وقعة الزلاقة بمقتضى منشور رسمي بتاريخ ٤٦٦ هـ^(١١١). وتعبيراً من المرابطين عن حسن النية ازاء الخلفاء في المشرق، دأبوا على ذكرهم على منابر المغرب الى جانب اسمائهم هم ، لكن هذا لم يكن مما يرضي الموحدين الذين استولوا على الحكم من بعد المرابطين، فقد كان ابرز انتقاد وجهوه الى سياسة خصومهم الخارجية ان هؤلاء ظهروا بمظهر الضعف الكبير امام بغداد في وقت كانت فيه قوى المغرب في تصاعد وتزايد^(١١٢)، وكانت النتيجة طبعاً ان الغي ذكر حكام المشرق على المنابر، وان تلقب السلطان في المغرب بالخليفة الى جانب تولى امير المؤمنين. لكن الملاحظ في كل تلك الحالات ، سواء عندما كان المغرب يدعو لاولئك على المنابر او عندما عاد لحالته الاولى من الاختصار على ذكر ملوكه ، انه اي المغرب ظل مرهف السمع لكل ما يجد في المشرق، فانت تشعر بنوع من المنافسة ، تصل أحيانا الى صراع تختفي اثاره لتظهر مرة أخرى، وكان من المعقول جدا بالنسبة الى المغاربة ان يراقبوا مسيرة بغداد ، اذ كانوا يرغبون في دفع بلادهم الى مستوى افضل. وقد لاحظنا ان ملوك المغرب كانوا يستطيعون بواسائهم الخاصة احضار المخطوطات المشرقية أحيانا بسرعة متناهية حتى لتفوق أحيانا المعتاد (٤) ، وليس امر ظهور الاحياء للامام الغزالي في المغرب ببعيد عنا ، فقد وصل ودرس واعطى فيه الرأي في فترة جد وجيزة تفسر لنا سرعة ورود اخبار المشرق على المغرب ، ولا شك ان عكس الحال موجود بالنسبة الى بغداد . فقد كان الخلفاء يتخذون لهم «اصحاب اخبار» يغدقون عليهم الأموال والعطايا ، ليزودهم بآخر التطورات في المغرب^(١١٣) وقد نقل التاريخ عددا من الاخبار، تدل جميعها على ان هؤلاء في المغرب كانوا يعدون العدة لتزعم دولة اسلامية واحدة تمتد من المغرب الى أقصى المشرق^(١١٤)، كما تدل على أن اولئك في المشرق كانوا يرون في المنصور الموحيدي بصفة خاصة خطراً على كيانهم ، وذلك ما جعل صلاح الدين الأيوبي يتحفظ في تحليه ملك المغرب بأمر المؤمنين^(١١٥) ، والى جانب اهتمام المغرب بما ينشر من مذاهب ، وينسخ من مخطوطات هناك ، كان أيضا يعني جيدا بكل مظاهر الحضارة التي تنتقل اليه مما تسبق به بغداد ، ويبدل غابة الجهد ومختلف الوسائل ليزود بها المملكة المغربية ، حتى لا يكون لبغداد مزية على امبراطوريته الواسعة العظيمة ، وبهذا كان يجمع بين الاستعداد من الغرب عن طريق الاندلس ، ومن المشرق عن طريق بغداد ، وبهذا نفس ظهور المدارس المغربية مباشرة بعد المدرسة النظامية (٤٥٩ هـ) وقبل بناء المدرسة المستنصرية (٦٣٠ هـ) . وعلى هذا نعتد في ظهور الكراسي العلمية هنا على اثر ما بلغ من أصداء عن كراسي المعاهد البغدادية ، ومن أجل ذلك أيضا نسمع عن نصب الساعات المائية بمدينة فاس ، وفي القرويين بعد وقت قصير من ظهور ساعة المدرسة المستنصرية ، ونرى كذلك عن أشياء أخرى من محاسن ما ظهر في تلك الديار ، وهكذا كان التنافس المستمر في الماضي بين الخليفين مبعث استفادة لجانب الحركة الفكرية بمدرسة فاس .

١ - المدارس في عهد المرابطين والموحدين

مدرسة المرابطين (٤٦٢ هـ ١٠٩٦ م) :

بعد ثلاث سنوات من تأسيس المدرسة النظامية عرفت فاس مدارس احتضنت الطلبة الآفاقيين الذين يردون

بقصد الدرس من سائر أطراف البلاد ، تحاكي تلك المدارس ما اصطَلَحُوا اليوم على تسميته بالأحياء الجامعة^(١١٦)، بل إن فكرة المدرسة تجاوزت فاساً إلى الجنوب ، إلى السوس الأقصى حيث كانت المدرسة التي بناها وجاج بن زلو^(١١٧) بالرغم من الأحداث الداخلية التي عصفت بفاس في الأيام العvisية التي شاهدها فإننا لا نلبث من حين لآخر أن نسمع أثراً لبعض تلك المدارس مغموراً في أثناء الحديث عن ترجمة صالح من صلحاء فاس وعالم من علمائها. سنجد بعض أصحاب التراجم^(١١٨) عند حديثهم مثلاً عن العلامة أبي زيد الهزميري ينقلون أنه دفن بفاس على مقربة من مسجد الصابرين المعروف الآن بروضة سيدي أبي مدين^(١١٩)، وقد كانت في القديم مدرسة^(١٢٠)، بل يضيفون إلى هذا أن مدرسة أبي مدين هي التي كانت تحمل في القديم اسم مدرسة الصابرين والمرابطين اللتين ، لأن يوسف بن تاشفين منهم هو الذي بناها بعد دخوله مدينة فاس حوالي سنة (٤٦٢ هـ) (١٠٩٦ م) ، وبحسب بعض المخطوطات المجهولة المؤلف التي نشرتها جمعية أصدقاء فاس ظلت المدرسة المذكورة تقوم بمهمتها في إيواء طلبة العلم وتثقيفهم طيلة أيام المرابطين ، فلما سقطت هذه الدولة واحتلّ الموحدون المدينة (٥٤٠ هـ - ١١٤٥ م) . كان طلبة المدرسة في أول الذين قاوموا ظهور الموحدين ، واستمروا معتمدين بالمدرسة يقاومون ويصابرون ، ولكنهم وقعوا بعد حصار طويل في يد خصومهم ، فقتلوا أجمعين ، وعرفت المدرسة بعد باسم مدرسة الصابرين^(١٢١) وما تزال أطلال هذه المدرسة ماثلة إلى الآن قريباً من المنطقة التي كانت معروفة في القديم باسم (حومة الكفاطين)^(١٢٢) وإن الوصايا الوقفية القديمة تدلّ دلالة واضحة على أنها كانت ملاذاً للواردين عليها من سائر الجهات للالتزام بها على نفقة الاحباس^(١٢٣)، ولا شك أن لمدرسة الصابرين نظائر هنا وهناك مما اختفى أثره وذهبت معالمه .

مدارس الموحدين

والموحدون : أصحاب « مملكة الطلبة » الذين ازدهرت المعارف على عهدهم بما أنشؤوه من معاهد ومدارس في إفريقية والأندلس ، أتراهم يهملون المغرب ؟ أتراهم يهملون فاساً ، فلا يشيدون بها مدارس للطلبة . وقد قامت فيها جامعة القرويين التي اعتمدوا عليها في صدر ما اعتمدوا لنشر افكارهم ومذاهبهم ؟ أتراهم يزودون مدينة سلا^(١٢٤) ومراكش^(١٢٥) ، ويتناسون حاضرة فاس التي ظلت منذ كانت دار علم ؟ الحق انه كان للموحدين هنا مدارس كثيرة تأوي الطلاب ، ولكن يد الزمن عبثت كذلك بمعاملها كما كان الأمر بالنسبة إلى مدارس المرابطين . وماذا كنا نتظر لمدارس كانت مراكز لمشايخ امتحنوا بالنفي والاعتقال ، وذهبت معالمهم هم الآخرون ؟

انه لولا وجود نصين واضحين في الأتيس المطرب ، لذهب الحديث عن المدارس في هذه المرحلة ادراج الرياح . الاول النص الذي يصور وجه فاس المشرق أيام المرابطين والموحدين بالرغم من انها لم تكن مقراً للخلافة آنئذ :

وانتهت مدينة فاس في أيام المرابطين وإيام الموحدين من بعدهم من العمارة الفبطة والرفاهية والدعة ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب^(١٢٦)...

اما النص الثاني ، فهو الذي يفسر جانباً من جوانب تلك العمارة والرفاهية حيث يركز على بناء المدارس ، قال ابن أبي زرع : « وبني أمير المؤمنين أبو يوسف يعقوب بن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي بن المدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس ، وأجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم ، فكانت إيامه زينة الدهر ، وشرفاً للإسلام^(١٢٧)... »

وبهذا يتضح لنا ان ما ذكره ابن مرزوق في (المسند) مما يفيد ان اول من بنى المدارس بفاس سنة (٦٨٤ هـ) هو مفضل العذري يحتاج الى تأويل (١٢٨) ، وذكر المراكشي صاحب الاعلام ان استدعاء الامام ابن رشد الى مدينة مراكش سنة (٥٤٨ هـ) كان للاستعانة به على ترتيب المدارس التي ينشئها الموحدون^(١٢٩) . وهل يتصور ان يفكر الملوك المغاربة في استدعاء^(١٣٠) الصناع من الاندلس لتصب الأرحاء ثم لا يفكرون في استخدام العلماء للمساعدة في تسيير المدارس ؟ وللمركز الذي ظلت تنعم به مدينة فاس ، كان لذكورها اثر في سائر المدارس المتناثرة في مختلف اطراف الامبراطورية المغربية في تخوم الصحراء ، في السّوادين ، في غانا القديمة (غينيا الحالية) . في مالي ، في سنغاي Songai في بلاد التكرور وفي تونيوكتو^(١٣١) ، في تلك الجهات كما في بقية أجزاء المغرب بسجلماسة . جزولة ، درعة ، اغمات ، مراكش ، سبتة^(١٣٢) وسلا وطنجة وتادلة^(١٣٣) وبهذا نرى أن هذه الفترة بالنسبة الى العلم كانت من الأيام المخجلة في تاريخ القرويين . لأنها الأيام التي ساعدت بصفة قوية على انتشار تعاليم الإسلام واللغة العربية في البلاد طولاً وعرضاً ، وقد برهن المرابطون والموحدون من بعدهم على رغبة في التفتح على حضارة بالغة ، وعلى أنهم لا يدعون فرصة دون أن يستفيدوا منها ليرفعوا من مستوى البلاد^(١٣٤) .

ونرى أن علينا أن نذكر في عداد المراكز التي كانت بمثابة مدارس مؤهلة للالتحاق بالقرويين هذه المساجد المتناثرة هنا وهناك في أرجاء فاس ،... والتي وصل عددها الى زهاء الثمان مئة فعلاوة على الأندلس والأشياخ والشرقاء ، نجد مسجد درّاس بن اسماعيل ، ومسجد ابن محسود ، ومسجد الطالعة ، ومسجد زقاق الماء ، ومسجد الحوراء ، ومسجد ابن حنين ، وكل تلك الفروع لها إمامها المشرف عليها وفيها ما كان مزوداً بكراسي علمية ، بل وأحياناً برفوف تضم عشرات المجلدات .

لقد كثرت مراكز العلم بمدينة فاس ، وكان في استطاعة العلماء أن يلقّنوا دروسهم هنا وهناك ، وكانت العادة المتبعة أن لا يتصب للتدريس بالقرويين الا من انتهت اليه المهارة والكفاية في العلم والسلوك ، تلك الكفاية التي يذبح أمرها عن طريق التدريس في تلك الفروع ، على أن بعض الشيوخ كان يؤثر الاختصار على بعض تلك المساجد الصغرى ، لاشتهارها به واشتهاره بها ، أو لقربها من بيته ، أو لأن الأوقاف المجعلة تحت تصرفها تمتاز بتعويض لا يوجد في المجالس العلمية بالجامع القرويّ .

الخزانة العلمية

وقد عرفت هذه المرحلة من تاريخ القرويين نوعاً من المجامع الأكاديمية ، تجلّت في هذه المكتبات العلمية العديدة ، وقد عرف عن علماء فاس أنهم يتبارون في اقتناء الكتب واتساعها ، وقد عرفنا الإمام العالم العارف يحيى الرابع (٢٩٢ - ٣٠٧ هـ) الذي قال فيه البكري : إنه كان يتوفر على عدد من الوراقين. لا شغل لهم إلا نسخ الكتب^(١٣٥) . وما من شك في أن مكتبته كانت رهن إشارة رجال القرويين بالدرجة الأولى ، لأن الكتب من مستلزماتهم ، وإن شعار السلف الصالح كان يستهدف تعميم الفائدة ، وخاصة في عصور نقية طاهرة كتلك العصور .

اما في العصر الزناتي الذي حظيت فيه القرويين كما علمنا بعناية (الناصر) الزائدة . بتوسعتها وتأثيرها ، فانه من غير المعقول ان لا تتجاوز عنايته ميدان المادة الى صعيد الروح ، كيف وقد عرف الناصر بشغفه الزائد بالكتب النادرة ونشرها بين الناس^(١٣٦) ، ولذلك لا نشك في ان نصيباً من تلك الكتب كان من حظّ القرويين ، ويوجد

بها الى الان كتاب شرح الفصوص في صناعة الطب ، الذي يعتقد انه للفارابي (٣٣٩ هـ) ونسخة من تفسير ابن ابي زمنين الذي قرئ بقرطبة عام (٣٧٥ هـ).

واذا كانت النصوص ما تزال تغيب عنا حول تفاصيل المكتبة العلمية في العصرين الذهبيين ، فانها على عصر المرابطين والموحدين من بعدهم كانت في غاية الوضوح والبيان ، ويكفي ان نعرف ان كلا من الدولتين قام على مذهب ، ومن شأن ذلك ان يجعل الدولة تفرض انتشار كتب معينة بل ان تجعلها في تناول العموم كل لحظة وبهذا نفسر ورود ورايين متقنين ، من مدينة شاطبة حيث التخصص في صناعة الكاغد الشطي^(١٣٧).

وبهذا نفسر أيضا تأسيس الخزائن العلمية الى جانب المدارس^(١٣٨) وما تزال خزانة القرويين الكبرى تحتفظ الى اليوم بنسخة من كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك ، وقد كتب سنة (٤٦٥ هـ) ، وكتاب الناسخ والمنسوخ لأبي بكر بن العري ، عليها خط الحافظ بن مفوز سنة (٤٨١ هـ) هذا الى اختصار الموطأ للمهدي بن تومرت ، وفي اوله سند عبد المؤمن بن علي عن المهدي الى الامام مالك. هذا الى بقية من نسخة من الموطأ في عدة أجزاء في رق الغزال ، ثبت في جزئها الحادي عشر بخط ناسخه ما صورته : « مما كتبه لخزانة امير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف ادام الله تأييده ونصره ... » وكان نسخها في شعبان من سنة اثنتين وخمس مئة ، كذلك سيرة ابن اسحاق المكتوبة سنة (٥٠٦ هـ) وبعض هذه ، كان منسوخا كما رأينا في حضرة مراکش لخزانة امير المسلمين أو أمير المؤمنين لكن المعروف ان فاسا وصلت في عهد المرابطين والموحدين إلى ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب ، ولذلك كان حظ القرويين من الخزانة الملكية حظاً الاسد فيما نعتقد^(١٣٩) وقد وقفنا في العهد الموحيدي على اسماء الخزائن المنتشرة وبعض أسماء القيمين على الخزائنة أو المحافظين كما يسمونهم اليوم ، ووقفنا على درجة الأهمية التي يولونها لمن تعهد اليه إدارة الخزائنة ، وأنه كان يختار من عليّة الناس ومن أكملهم علماً وأكثرهم اطلاعا ، وقد كان من أبرز ما يثير انتباه المتبع لظهور الخزائن العلمية هذا العدد من العلماء الذين أخذوا بدورهم يتفرون على مكاتب عظيمة تحدث عنها التاريخ بلسان رطب طيب ، وتناقلت أصداء هذه الأحاديث مجالس علماء المشرق ، فهذه مكتبة بني الغرديس التغلبين لصاحبها قاضي فاس وناظر جامع القرويين أبي عبد الله محمد الغرديس التغلبي بزقة حجارة حيث نزل القاضي عياض^(١٤٠) ، وهذه مكتبة القاضي ابي القاسم عبد الرحيم بن الملجوم بفاس (٥٢٤ - ٦٠٤)^(١٤١) التي كونها من مكتبة والده عيسى الأزدي الزهراني ومن مكتبة أستاذه أبي عبد الله محمد بن احمد الخرجي الحياتي وما أضاف الى هذه وتلك من النفائس والذخائر ، وهذه مكتبة الأستاذ المؤلف أبي القاسم عبد الرحمن بن الملجوم (٥٣٥ - ٦٠٥ هـ) التي شيد لها غرفة فخمة كان يقصدها كبار البلد وعيونها ، وجمع لها من الكتب والدواوين الشيء الكثير ، حتى صارت أكبر مكتبة في المغرب لذلك العهد ، بيعت خرومها وحدها بعد وفاته بستة آلاف دينار^(١٤٢) . وانه اذا كان هناك من ظروف تحتم وجود مكان يجمع اليه الطلبة على الكتب ، فهو هذا العصر الذي كان الحاكون فيه يحاولون جمع الناس على مذهبهم ، وليس هناك من مدينة تنهياً لهذا أولى وأقرب من فاس ، التي تحتوي على أربع مئة معمل للكاغد.^(١٤٣) ! والتي قصدها من كل ناحية أبرع المخططين والورّاقين الذين كانوا يحدون في نسخ الكتب فائدة لهم تغنيهم أحياناً عن المرتبات الرسمية (١٤٤) .

الكراسي العلمية

ولا بدّ أن يكون علماء القرويين قد استعملوا الكراسي منذ الوقت المبكر ، للاستعانة بها على تلقين طلبتهم ،

ولا سيما حين يكثر عددهم ، وقد كان عدد كبير من المغاربة حَضَرُوا مجالس العلم ببغداد ، وشاهدوا المشايخ والعلماء والأساتذة ، وهم يتربعون على الكراسي لإسماع المريدن ، فلم لا يسنُّ أولئك المغاربة هذه العادة لمجالس علمهم ؟ وقد حضر الشيخ أبو مدين مثلاً مجالس الشيخ الكيلاني التي كان يتبوأ فيها كرسبه ، فلا بدُّ أنه كما تأثر بالنواحي الروحية - تأثر بالنواحي الشكلية . ولا بدُّ أن تلامذته عملوا على نهج أساتذتهم . وقد عرفنا عن بعض مجالس العلم بجامع القرويين لهذا العهد ما كان يناهز عدد الحضور فيه آلافاً من الناس ، فكان ضرورياً للأستاذ أن يتخذ له كرسيّاً لإسماع كلِّ هذا العدد ، وقد نقل الجزنائي وصفا لبعض مجالس الوعظ ، وهي طبعاً شيء زائد على المجالس العلمية ، فذكر أنه بعد تلاوة الحزب^(١٤٥) إثر صلاة الصبح مباشرة كان بعض الأئمة كثيراً ما يقرأ بين يديه في أول النهار تفسير القرآن للثعلبي ، وحلِّية الأولياء لأبي نُعَيْم ، واعتاد آخرون أن يجلسوا في الجامع حلّقاً حلّقاً ، وقد رأى ذلك الإمام أن يجمع هؤلاء المحلِّقين ، فأمر قارئه أن يتخذ مجلسه قرب المحراب ، وهناك يقرأ من هذه الكتب فصولاً لإسماع الناس ، وقد كان يجتمع إليه سائر من كان يقصد القرويين في ذلك الوقت . وبلغ عدد الحاضرين أحياناً آلافاً من الناس فاستدعى ذلك الزيادة في عدد الكتب المتناولة ، وهكذا أضيفت إلى تفسير الثعلبي وحلِّية أبي نُعَيْم قراءة الإحياء للإمام الغزالي ، ثم كتاب الشفا للقاضي عياض^(١٤٦) .

الإجازات ...

كانت الإجازة في العصور الأولى للإسلام بمثابة تصريح بالصلاحيّة للمهنة العلمية أو الوظيفة كالتدريس والفتيا والقضاة ، فهذا النوع من الاجازات يشبه كثيراً الشهادات العلمية الحديثة^(١٤٧) ، ولها تأثيرات اجتماعية كما لا يخفى ، وكما سبق ان قلنا ان ما عرف في المشرق كان لزاماً له ان يجد له اصدقاء في المغرب ، ولا سيما بعد ان اخذ بعض المغاربة يرجعون باجازات موقعة من لدن بعض الشخصيات العالمة في بغداد وفي الاسكندرية ، من أمثال ابن العربي الذي عاد يحمل معه اجازات الغزالي والطرطوشي لأمير المؤمنين يوسف بن تاشفين ، وما من شك في ان ابن العربي لم يكن ليطلب اجازة العلماء لميكه لو لم يكن قد حُمل هذه المهمة من قبل يوسف ، ولو لم تكن عادة الاجازة قد سارت بها العادة في اوساط العلماء وخاصة بفاس ، وقد ورد في ترجمة القبذائي (ت ٥٢٠ هـ) انه سأل الحافظ السلفي بالاسكندرية ان يكتب له اجازة لسultan المغرب على عهده الأمير تاشفين ابن علي بن يوسف (١٤٨) . كما رأينا - وهذا بيت القصيد - ابن الملقوم وهو يتسلم الاجازة في فاس من شيخه الهواري سنة (٥٢٧ هـ)^(١٤٩) ، كما عرفنا في ترجمة القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) انه حرص على نيل اجازة ابن القرج ، كما حرص على نيل اجازة الاصفهاني الاسكندراني^(١٥٠) ، واذا كانت الاجازة قد تكون فخريّة فيما يتعلق بالملوك المرابطين ، فانها بالنسبة الى القاضي عياض مثلاً كانت تتضمن تركية لعلمه ولكفايته زيادة على اتصاله باسانيد الرجال الذين اخذ عنهم وبمؤلفاتهم والكتب الغريبة التي يروونها ، وقد كان القوم يقولون ، الإسناد من الدين ومن خصائص هذه الامة ، ولا بد ان القاضي عياض اجاز عدداً من تلامذته وهو يزور جامعة القرويين ويجتمع بعلمائها وطلابها وقاضي فاس ...

شعار العلماء

من الطريف ان نجد اثاراً منذ القدم تشهد لفكرة « اللباس الجامعي » الذي اعتادت الجامعات العصرية اليوم اتخاذه واملاءه على رجالها ابان مزاولة اشغالهم داخل حرم المؤسسة ، وقد كان علماؤنا في اتخاذ شعارهم متأثرين ، من

غير شك بتوجيه الدولة وتعليماتها على الأقل فيما يتعلق باللون المستعمل ، لقد كان من مميزات المملكة المغربية غداة استقلالها عن بني العباس في بغداد ان اتخذت لها شعارات خاصة كان في هذه الشعارات ما يمس المذهب والعقيدة بيد أن فيها ما كان يخص المظهر . ولا كان اللون الأسود من خصائص العباسيين ، اختار المغاربة اللون الأبيض ، ومن المصادفات ان تتفق الذوق الاندلسي والمغربي على هذا الاختيار ، وقد سارت على هذا الدول المتعاقبة على الحكم بالبلاد^(١٥١) واحترمته بدقة ، وانطلاقاً من هذا نرى العلماء يقبلون جميعهم على البياض . واذا ما تتبعنا أنماط الملابس التي قدمت الى العلماء من الأمراء عند توليهم ، أو التي خلفوها وراءهم ، فاننا لا بد أن نجد « البرنس الأبيض » ولهذا عددناه لباساً جامعيًا من مميزات العلماء ، ويخطئ من يدعي أن العلماء كانوا لا يعرفون التأنيق في اللباس ، أو بالأحرى كانوا لا يهتمون بمظهرهم الخارجي . فلقد كان جبر الله بن القاسم لا يجلس لإعطاء دروسه إلا وهو يرتدي برنسه^(١٥٢) ، وكان الأستاذ السلاجلي حسن البرة^(١٥٣) ، وورد في ترجمة العلامة الخطيب عبد الله بن موسى أنه كان يرتدي البرنس الأبيض حين يظهر للمستمعين اليه^(١٥٤) وورد في ترجمة ابن البناء أنه كان يلبس الملابس الرفيعة حين كان يلقي دروسه^(١٥٥) ، وكانت « البرة » و« الدلبس » تعني في صدر ما تعني البرنس والحايك ، ونسمح لأنفسنا باقتباس عبارة رسول السلطان أبي عنان الى الفقيه العالم أبي الحجاج الأنفاسي ، وقد بعث مع الرسول الى العالم المذكور ببرنس وحائك أبيضين عند تعيينه خطيباً على منبر القرويين ، هذه العبارة كانت جواباً عن اعتذار الفقيه وامتنانه ، قال له الرسول : « انما قصد مرسلها التنويه بأهل العلم مثلك ، ولأجل أن يمتاز أهل الخطط من غيرهم . . . » .^(١٥٦) فيها نحن نرى أن الأمر يتعلق بشعار يعرض من المسؤولين على رجال العلم .

ويصح ان نذكر ان لبسة الملوك المغربية ايام الجمع والاعياد والمناسبات تعتبر اللبسة المثالية للعلماء الأقدمين^(١٥٦) وما نزال الى الآن نرى هذا اللون شعاراً لرجال الدولة من القيادة الى القاعدة ، ليس في المواسم المفرحة وحدها ، بل في المناسبات الأخرى كذلك . لأنهم يرون فيه تعبيراً عن البسمة ، بما يعكسه من صفاء وبريق ، كما يرون فيه تعبيراً عن الباطنة التي تقتضيها مظاهر الحداد^(١٥٧) .

شروط الالتحاق بالقرويين

كان في صدر ما أثار انتباه الذين كتبوا في شأن القرويين الجامعة ان الذي يريد ان يدرس فيها لا يمكنه ان يحضر مجالسها ولا ان يستفيد من مشايخها الا بعد ان يكون على سابق معرفة بعدد من الفنون الاولى التي تمكنه من الارتفاع الى مستوى الطلاب الجديرين بهذا الوصف ، وهذه المعرفة الاولى هي التي تكفلت بها الكتابيب او « المساييد » (جمع مسيد) كما يسميها المغاربة^(١٥٨) ؛ فهنا في المسيد يعكف الصغار اولاً على استظهار كتاب الله^(١٥٩) حتى يتفوقوا في تجويده وتلاوته على الرجة الحسن ، كما يأخذون بمبادئ الدين وقواعد اللغة العربية ، وتكون المرحلة الثانية ان يتناول بعض الفنون في المساجد الصغرى القريبة من بيته ، ينتهي بعدها الى مجالس القرويين ، وبهذا تتجلى أهمية انتشار (المساييد) وانتشار المساجد بأزقة ودروب فاس : مئات من المساييد ومئات من المساجد ، ولم يكن هناك سنّ محددة تؤهل الطلاب للتصدي للعلم ، ولا فترة معينة لتمضية وقت الدراسة بالقرويين ، ولهذا نرى من خلال تراجم بعض رجال القرويين ان هناك من الذين تصدروا للخطبة على منبر القرويين - وهو ما هو - من كان لا يتجاوز ثمان عشرة سنة^(١٦٠) ، وهو أمر يشير الى جو النشاط الفكري الذي كان يهيمن على وسط

العلماء بل ان من الظواهر التي لاحظها جلّ الذين عالجوا هذه المرحلة انه امكنهم أن يسجلوا ان أغلبية النبغاء من رجال العلم في هذه المرحلة كانوا من علماء الشباب^(١٦١) وفي مقابلة ذلك نذكر انه لم يكن هناك حدّ لتقاعد الاستاذ عن نشاطه ، ومن الملاحظ ان من العلماء من استمروا في اداء واجبهم وهم يناهزون المئة سنة .

طريقة الدّرس وحلقات العلم

اما طريقة التدريس او ما يسمى اليوم بالطرق البيداكوجية ، فهي نفس الطريقة التي كانت معروفة في اطراف العالم الاسلامي الاخرى ، لان الذين يتوفر عليهم المغرب من العلماء في هذه الفترة كانوا متأثرين بتلك الجهات ممن وردوا على فاس من القيروان أو بمن ورد عليها من الاندلس ، ولا شك ان الطريقة المتبعة في كلا الجناحين المذكورين ، كانت لا تخرج عن الطرق التي تبلورت بعد ، واصبحت تحمل اسماء علماء متأخرين ، من امثال المشذّالي^(١٦٢) والعبدوسي ، اصف الى هذا ان الرحالة من المغاربة الى بلاد المشرق كانوا يرجعون ايضا وهم متأثرون بأسلوب شيخ من المشايخ او طريقة من طرائقه^(١٦٣) .

واذا كانت طرائق التدريس قد اختلفت تبعا للشيخ الذي يتولى التدريس ، فان شكل المجلس كان يتخذ صورة طبق الاصل للمجالس العلمية على عهد الرسول ، تلك الصورة التي ردّد وصفها الامام البخاري . تتميز بالجلوس امام الشيخ حلقة حلقة ، تبعا للسلوك الفطري عند الانسان في التحليق ، نجاء الطلبة يحتلون الحلقة الاولى ، ويليههم من يأتي بعدهم ، ثم من يليهم . ويتوسط طلبة الحلقة الاولى قارئ يتولى تلاوة الآية المراد تفسيرها او سرد الحديث المقصود شرحه ، ويعرف باسم « السّارد » وله اهمية كبرى بالنسبة الى الشيخ ، فان هذا يعتمد عليه في تتبع عناصر الدرس وغضون الحديث ، ويذكر ابن صاحب الصلاة (٥٩٤هـ) انه حضر مجلس شيخ طلبة الحضرة وخطيب امير المؤمنين الفقيه ابي الحسن علي بن محمد المعروف بابن الاشيلي : سمعت عليه عقيدة التوحيد والعقيدة المباركة ، وكتاب اعزّما يطلب ، وكان اذا قرأ القارئ المذكور (يعني ابا عبد الله بن عميرة (٥٧٨هـ) فصلا بما ذكرته من العقائد ، شرح غامضها وفتح اقفالها للطلبة ، وذلّل لهم صعابها حتى يروض رايضها ... وكان يخصني مع الطلبة بالسؤال^(١٦٤))

المواد الدراسية

يستطيع الباحث أن يوزع الحديث حول المواد المدروسة الى ثلاثة فروع : العلوم الدينية ، والعلوم الأدبية . والعلوم البحتة ، وذلك اعتمادا على ما تتوفر عليه من نصوص تؤكد اهتمام العلماء بكل تلك النواحي في المرحلة الأولى من تاريخ القرويين .

ففيما يتعلق بالعلوم الدينية نرى أن اتفاق المؤرخين يطبق على اقبال الناس على دراسة الكتاب والسنة بما يتبعهما من علوم القراءات ودرجات الحديث ، وقد اتخذت المادة الفقهية - نتيجة لتأثر القرويين بالمذهب المالكي - اتجاهاً خاصاً ، وأصبحت المؤلفات التي دونها رفاق مالك هي التي تحتل زوايا القرويين ، واستمر قادة الفقه المالكي في ازدهار طيلة أيام المرابطين لم تستطع كتب المذاهب الأخرى أن تجد لها مكاناً في حلقات القرويين ، بالرغم من عناية بعض العلماء أيضاً بالمذهب الشافعي ، كالشيخ ابن حيدة (٣٦٥هـ) وابن الرمامة (٥٦٧هـ) لم تستطع ذلك إلا عندما أخذ المرحدون بزمام الأمر ، فعندئذ غيروا من المنهاج المرابطي الذي كان في نظرهم إجهازاً على الفكر والاجتهاد ، وهكذا

اختفت كتب الفروع على ما عرفنا ، وامسب المادة الدينية تؤخذ مباشرة من الصحيحين البخاري ومسلم ومن الترمذي والموطا وإبي داود ، وشاع الى جانب ذلك مذهب التصوف على طريقة الإمام الجنيدي التي أتى بها أبو مدين عن شيخه الجليلاني صاحب بغداد ، وتوسعت دراسة علم الكلام وعلم الأصول حتى لقد نزل الناس من الأندلس لتعاطيها في فاس من أمثال السلاجبي ، وفيما يتعلق بالعلوم الأدبية وفيها النحو واللغة والعروض والبيان والتاريخ ، والسير وما فيها من العلوم الفلسفية ، فإن في استطاعة الناقد أن يقف على مجموعة من الآثار الأدبية تعبر هي نفسها عن تأثر أصحابها بآثار الأدباء المشارقة ، الأمر الذي يدل دلالة قاطعة على أن جامعة فاس كانت تحتضن هذه الفنون الأدبية بنفس الحماسة التي تتقبل بها الكتب الدينية^(١١٥) . وإذا عرفنا مدى اقتناع الفقهاء بل إيمانهم بأن معرفة الكتاب والسنة لن تكون متأتية متيسرة بحال الا عن طريق فهم العربية وأسرارها وآدابها وبلاغتها نثرها وشعرها والا اذا تضلعنا من سير الاقدمين وتواريخهم ، اذا عرفنا ذلك لم نستغرب توفر المكتبة المغربية على عيون كتب الادب التي كانت تصل احيانا الى المغرب قبل ان تنتشر في المشرق ، وقد عرفنا أن فاساً أسمى لها وزنها بإزاء المدارس الأخرى ، وقصدها من الأندلس بعض العلماء ، ليدرسوا كتاب سيويه ، ويتخصصوا في العربية عن الخدب (٥٨٠) ^(١١٦) . ويرووا الاشعار عن مثل أبي العباس الكسرواني^(١١٧) .

وأما فيما يمس العلوم البحتة ، فإن كل الدلائل تعزز الرأي القائل باشتغال القرويين بها وهناك مبدأ يربط حياة المسلم بالحساب لتسوية حالات إرثه ، وضبط مناسك صلاته وأوقات صومه ، ولا شك أن كل هذا يقتضي من العلماء أن يوجهوا عنايتهم الى الأرقام ، ومن الطريف أن نقف على نص تاريخي يتحدث عن تجمع للموقتين من علماء القرويين لمناقشة إمكانية توحيد التاريخ الهجري بين المغرب والمشرق بعد أن لوحظ الفرق بين التواريخ في الرسائل المتبادلة بين ملوك المغرب وملوك بغداد^(١١٨) . لقد كان ذلك يعني أن القرويين كانت تدرس التنجيم ، وأن نقف على تراجم بعض علماء هذه المرحلة كذلك ، وخاصة أهل فاس منهم ، من أمثال ابن الياسمين الذي برع في الهندسة والتنجيم والهيئة ، ونظم أرجوزة في الجبر قرئت عليه وسمعت منه باشيلية سنة سبع وثمانين وخمسة مئة ، والحسن المراكشي صاحب كتاب المبادئ والغايات في علم الميقات الذي يصفه صاحب كتاب كشف الظنون : بأنه أعظم ما صنف في هذا الفن^(١١٩) . وإلى جانب هذه العناية بالأرقام نجد في المؤرخين من ردد صدى مدرسة طيبة عرفت بالمدينة منذ القرن الرابع الهجري^(١٢٠) فأين كانت هذه المدرسة اذا لم تكن من توابع القرويين ؟ وأين هم مدرسوها ؟ إن كتب التراجم تتحدث عن عدد من الرياضيين والأطباء والصيدالة كانوا يزاولون نشاطهم في مدينة فاس العاصمة ، وكيف يسع الباحث (أي باحث كان) أن يتصور أن الامبراطورية الواحدة المتمثلة في الاندلس والمغرب على أنها ظلت غير متصلة ؟ كيف يمكن أن يفصل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسته في الاندلس من قبل علماء ، تكونوا في مدارسها ، ثم ساروا في مواكب ملوك المغرب من اشيلية او قرطبة الى فاس او مراكش او اغامت حيث تكون عدد مهم من الاطباء من امثال سعيد الغماري^(١٢١) . إن للمغرب الحق اذن - يقول الدكتور رينو - في ان يتبني ابن باجة وابن طفيل وابن رشد^(١٢٢) .

المؤلفات المستعملة

استمرت مدينة فاس في فتراتنا الاولى تعتمد في كل ما تتدارسه على المخطوطات التي ترد من المشرق ، في علوم القرآن والحديث وعلوم الآداب والحساب ، وقد مر بنا عدد من اسماء الكتب المشرقية التي كانت متداولة بين العلماء والفقهاء في شتى الفنون ، ومنها كتب التفسير والحديث والفقه وكتب الفلسفة بيد ان الظاهرة التي نرى تسجيلها هنا هي المحاولة

الناجحة التي حاولها العلماء المغاربة في سد الفراغ الذي شعروا به ، وهم يعتمدون في كل ما يدرسون على زملائهم المشاركة وقد كانت المؤلفات المغربية التي ظهرت في هذه المرحلة من تاريخ القرويين الفكرى تتناول مختلف الفنون .

وإذا كانت المصادر لم تزودنا كثيراً بمؤلفات العهد الادريسي والعهد الزنالي^(١٧٣)، فانها لم تستطيع كتم ما ظهر في العهد المرابطي والعهد الموحيدي ، وهكذا ظهر على عهد المرابطين مختصر كتاب ابن ابي زمين لابراهيم بن جعفر اللوالي (٥١٣هـ) ، والاعلام بحدود قواعد الاسلام للقاضي عياض (٥٤٤هـ) ، وكذا الاجوبة المحبرة على الاسئلة المتخيرة والنوازل القضائية ، والتهيئات المستنبطة على الكتب المدونة ، هذا الى كتب اخرى في التفسير والحديث ، مثل : تفسير ابي بكر بن الجوزي السبتي ، واكمال المعلم ، في شرح صحيح مسلم ، للقاضي عياض ، والشفا في التعريف بحقوق المصطفى له ، وفي التوحيد كان تصنيف ابن الجوزي السبتي المتقدم ذكره ، وفي التاريخ ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة اعيان مذهب مالك للقاضي عياض ، وكذلك الغنية ، ومعجم شيوخ ابي علي الصدي ، والفنون الستة ، في تاريخ سبعة ايام في الادب فهناك ديوان خطب مروان بن سمجون (٤٩١هـ) ، وغنية الكاتب ، وبغية الطالب ، في الصدور والترسل للقاضي عياض ، وسر السراة في أدب القضاة .^(١٧٤)

هذا وقد تميز العهد الموحيدي بأنه كان اثرى واغنى من العهد المرابطي . بما ظهر فيه من مختلف الكتب التي تناولت مختلف العلوم والفنون ، ففيما يتعلق بالتفسير والحديث توفرت المكتبة المغربية على تفسير القرآن لعبد الجليل القصري الذي أخذ بفاس (٦٠٨هـ) ، وله شعب الايمان وتنبيه الأنام في مشكل الحديث ، وشرح أسماء الله الحسنى والناسخ والمنسوخ لأبي الحسن الحصار (٦١١هـ) والمدارك ، في وصل مقطوع حديث مالك له ومفتاح اللب المقفل لفهم الكتاب المنزل لأبي الحسن الحرالي المراكشي ، وتفسير القرآن للمزدغي الفاسي (٦٥٥هـ) . وشرح حديث اذا نزل الوباء بأرضها ، للمزدغي أيضا ، وكتاب الاستدراك والإتمام لكتاب السهيلي المسمى بالتعريف والإعلام بما أبهم في الكتاب العزيز من الأسماء والأعلام لابن فرتون السلمي الفاسي (٦٦٦هـ) وكتاب النزاع في إبطال القياس لابن القطان الفاسي (٦٢٨هـ) ، وكتاب الوهم والايهام الواقعيين في كتاب الاحكام لعبد الحق الاشيلي له ، وكتاب مختصر النظر في أحكام النظر له ، تعقب كتاب الوهم والايهام الذي ألفه ابن القطان لابي المواق (٦٤٢هـ) وشرح مقدمة صحيح مسلم له ، واختصار الموطا للمهدي بن تومرت^(١٧٥) وله اختصار مسلم وكتاب أحكام المهارة من الحديث ، وكتاب تحريم الخمر من الحديث وكتاب الجهاد .

وفي موضوع التصوف والفقه كتاب الهداية لأبي عبد الله محمد بن ابراهيم المهدي (٥٩٥هـ) ، وحاشية على المدونة لأبي محمد يشكر (٥٩٨هـ) ، وحاشية أخرى على المدونة لراشد الفاسي (٦٧٥هـ) ، وله كتاب الحلال والحرام ومجموعة الفتاوى ومقالة في المكايل والأوزان لابن القطان الفاسي وأنوار الأفهام في شرح كتاب الأحكام للمزدغي ، وكتاب فيما يجوز الاخذ منه للشرفاء المضطرين من اموال الاغنياء المغترين له وكتاب الإنابة الى طريق أهل الاستجابة لمحمد بن قاسم التيمي الفاسي (٦٠٤هـ) ، وله الايضاح في طريق اهل الصلاح وكشف أحوال المفتون عن الدنيا والدين ، وبستان العابدين وأدب المريدين له .

وفي موضوع الأصول وعلم الكلام كتاب أعز ما يطلب للمهدي بن تومرت ، والعقيدة المرشدة له ، وله التنزيهان والسيحان ، والامانة ، وتعاليق في الاصول ، والعقيدة البرهانية للسلالجي (٥٦٤هـ) ، وعقيدة المزدغي ، وأرجوزة في الاصول له .

وفي التراجم والسير برنامج عبد الرحيم بن الملقوم (٥٦٠٣) ، وفهرست أبي الصبر أيوب (٥٦٠٤) وبرنامج ابن القطان الفاسي ، وبرنامج ابن فرتون ، والذيل على صلة ابن بشكوال ، والنجوم المشرقة فيمن اخذت عنه من كل ثبت وثقة لمحمد بن قاسم التميمي الفاسي ، والمختصر والملمعة في ذكر أزواج النبي وأولاده السبعة ، والمستفاد من مناقب العباد والزهاد بمدينة فاس وما والاها من البلاد .

وفي موضوع التاريخ والجغرافيا والادب والشعر اخبار المهدي للبيدق ، ونزهة المشتاق للشريف الادريسي (٥٦٠) وديوان قاضي فاس ابي حفص عمر السلمي (٥٦٠٤) ، وديوان الخطابي الفاسي (٥٦٣٧) ، وديوان ابن حبوس الفاسي (٥٥٧٠) وكتاب الانساب والشعر لابن رقية (٥٦٠٥) ، والبرهان في ذكر حنين النفوس الى الاحبة والاطوان لمحمد بن قاسم التميمي الفاسي .

وفي موضوع النحو واللغة كتاب التوصية في العربية لابن العباس احمد بن عبد الجليل التدميري (٥٥٥٥) والمقدمة لأبي موسى الجزولي (٥٦٠٧) .

وفي موضوع الرياضيات والحكم اصلاح هيئة ابن افلح لابي الحجاج يوسف بن سمعون (٥٦٢٣) وجامع المبادئ والغايات في علم الميقات لابي الحسن علي بن عمر المراكشي (٥٦٢٧) ^(١٧٦) ، وارجوزة الجبر لابن الياسمين الفاسي (٥٦٠١) ، وتلقيح الأفكار في العمل برسم الغبار ^(١٧٧) .

• • •

واذا وقفنا على العدد العديد من اهل فاس ممن اسهموا في اعداد تلك الجملة الوافرة من المؤلفات يتضح لنا الى اي حد يمكن ان نتقبل معه ما اورده المرقئ في ازهار الرياض نقلا عن احد المتأخرين من انه لم يظهر من علماء فاس قبل المئة الثانية شيء من التأليف المرتجلة ولا الملخصة الا ما كان سبيله النسخ بها على ما هي عليه ، كما في تقايد المدونة المنسوبة الى الشيخ ابي الحسن علي الزويلي المعروف بالصغير (٥٧١٩) ، وتقيد الرسالة المنسوبة الى الشيخ ابي زيد الجزولي (٥٧٤١) ، هذان التأليفان اللذان لا تصح اولاً نسبتهما الى من نسا اليه ، ومع ذلك لا يقال فيها تأليف ، وانما هما تخيير للكاغد ^(١٧٨) ومثل ما نقله المرقئ يؤثر عن ابن خلدون ، ولعل القصد الى الحديث عن عهود خاصة يتحدثان عنها ، وبماذا نفسر وجود اربع مئة معمل لصنع الكاغد بفاس مما لم يتحقق في جهة ما من الجهات ؟ وبماذا نفسر وجود شارع طويل يعانق جدار القرويين يحمل اسم الوراقين الذين يحترفون الوراقة التي يقول عنها ابن خلدون انها رمز لضخامة الدولة وتوابع الحضارة والعمران ، ودليل على كثرة التأليف العلمية والدواوين ، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والاعصار ^(١٧٩) ؟

مركز العلماء لدى الدولة والشعب

لكل امة من الامم شخصيتان : احدهما مادية ، والاخرى معنوية ، فالشخصية المادية المحسوسة تتجلى في موقعها واستراتيجيتها وطبيعة ارضها واحوال مناخها ، وتتجلى الشخصية المعنوية في ذلك التراث الروحي ، في تلك الحضارة المتوارثة واذا كان على الجيش أن يقوم بحماية الشخصية الأولى فان الذين وكل اليهم حماية الجهة الثانية هم

العلماء ، ومن هنا كان مركزهم خطيراً لدى الشعب ولدى القادة ، فهم في الأمة عيونها وشهودها ، يحضرون محافلها ومآتمها ، افراحها واتراحها ، ومن حق أبسط رجل في الشعب أن يستوقفهم ويطلب فتواهم ، ومن حقهم أن يفتحوا بيوتهم وقلوبهم لكل طالب راغب . وهم لأجل هذا ينعمون لدى الملوك والأمراء بمرتبة عليا ، لا يصل إليها أحد بالرغم من أنهم أحيانا يقسون على أولئك الملوك بما يقدمونه من نصائح هادفة بناءة ! وكما كان الأطباء بالامس واليوم يتخذون من الوخز بالإبر وسيلة للعلاج ، ووسيلة لإحياء الانسجة المهددة بالنموت في الجسم فان الملوك كانوا يرون في الكلمة العادلة من العالم العامل وخزاً محبباً ، يغذي أرواحهم ، ويشدها دائماً الى جانب الحق والإنصاف^(١٨١) وما كان يزيد في ثقة العالم بنفسه أنه الى جانب احترامه من لدن رئيس الدولة عرف احتراماً سابقاً له من المتقدمين الذين جعلوا له في مال الأوقاف نصيباً ، لئلا يضطر الى طرق أبواب قد توصل في وجهه غداً .

وهكذا نرى الأمير أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إدريس وهو عالم بني إدريس ، استفتى قاضي الجماعة بفاس أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى سنة ٣٣٢هـ في أمر استنفار المغاربة للدخول الى الأندلس للوقوف الى جانب عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) على أثر ما وصل من أخبار للمغرب بعد وقعة ٣٢٧هـ التي ضاع فيها مصحفه ، وكان لا يقدر بقيمة^(١٨١) ، وعلى مقتضى فتوى العلماء تحرك الأمير أحمد .

وعلى أثر تدهور الحال في الأندلس ، وردت على المغرب سفارة عن بطليموس برئاسة قاضي المدينة أبي اسحاق ، وسفارة عن غرناطة برئاسة قاضيها أبي جعفر القلعي ، وسفارة عن إشبيلية وقرطبة برئاسة عبد الله بن أدهم ، وقد أشرف على البعثات الثلاث الوزير أبو بكر بن زيدون ابن الشاعر المشهور ، وردت لتستجد بيوسف بن تاشفين ، لكن يوسف هذا بما وراءه من بأس وقوة ، ورجال وعتاد كان لا يستطيع أن يتحرك قبل ان يتوجه الى شيخ من شيوخ القرويين ، هو يوسف بن الملقوم^(١٨٢) (٤٩٢هـ) . ولما ورد ابن منقذ سفير صلاح الدين ليستجد بالاسطول المغربي ، قام المنصور الموحيدي باستفتاء العلماء قبل أن يقوم بتقديم قطعه البحرية المثة والثمانين التي منعت النصارى من سواحل الشام^(١٨٣) . وقد كان الملوك مع هذا يحرصون على الاقتناع بفتاوى علمائهم ، ولهذا زاهم أحيانا يميلون الى الأخذ براء أخرى لعلماء آخرين اذا تبين لهم وجه الصواب في ذلك كالحال في استشارة الناصر لابن القطان حول السلوك الديبلوماسي المناسب عند مقابلة الأجانب^(١٨٤) .

ومن الطبيعي ان ينعكس ذلك التقدير للعلماء في داخل بيوت اهل فاس ، بين النساء وربات الخدور ولا سيما ان في فضليات فاس على هذا العهد فقيهاً ، من امثال العالمة خيرونة التي كان لها الفضل في نشر العقيدة الاشعرية بين نساء فاس ، وشاعرات ، من امثال ام النساء الفاسية التي دوى صداها في الشرق ايضاً ، ولا بد ان نشهد اوبة علامة فاس الشيخ ابي جيدة من المشرق وخراج النساء قاطبة لاستقباله اكباراً لمقامه واعزازاً لمكانته^(١٨٥) .

لقد عرف كل ذلك لعلماء القرويين ، وهم على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم ينعمون بحظوة زائدة وشغوف بالغ .

رئاسة الجامعة واستقلالها ونظام القيم

وقد عرفت هذه المرحلة عدة خطط في الدولة ، فهناك رجال الافناء ، وهناك رجال الشورى ، وهناك القضاة بيد ان رئاسة الجامع او عمادته كما نسميها اليوم تسند الى قاضي الجماعة النائب عن امير المؤمنين في الامور الشرعية ، ونعني بالعمادة ما يشمل الادارة في النواحي الثلاثة للمسجد : الناحية الدينية والتعليمية والمالية هذا

طبعاً الى وظيفته كحاكم ، واذا كان العلماء كثيراً ما يعتمدون على نفوسهم في اختيار السكن ، فانه قد خصصت دار للعميد منذ القدم على مقربة من الجامعة حتى يظل على اتصال بها . وقد كان الرئيس يتمتع بصلاحيات واسعة ، فهو الذي يقوم بتعيين العلماء ورعاية شؤونهم ، وتوزيع الاوقاف عليهم بحسب مؤهلاتهم ، بل كان له ان يولي او يوقف القضاة في غير مدينة فاس .

والقاضي كالخطيب يعد - بالرغم من مكانته السامية - موظفاً من موظفي الدولة عليه ان يتقيد باختيارها اذا كان يرغب في الاحتفاظ بمنصبه ، وله طبعاً ان يبدي رأيه كاستشار ، فاما ان يؤخذ برأيه واما ان يعدل عنه الى رأي ابعد منه نظراً مع العلم أن عادة الموحدين أن لا يتجاوز القاضي في مهمته أكثر من عامين^(١٨٦) .

وبدلنا على المركز المرموق الذي كان للقاضي في الجامعة ان جل احداثها الكبرى لا تؤرخ بظهور دولة او باختفائها ، وانما تؤرخ بأيام القضاة بها ، فكثيراً ما سمعنا ان الخطيب فلاناً صعد المنبر ايام القاضي السني او القيسي وكثيراً ما سمعنا عن أن هذه الجهة من القرويين شيدت في عهد ذلك القاضي أو هذا... ، كل ذلك تعبير عن مبدأ استقلال الجامعة عن السلطة ، وحتى يشعر العميد ويشعر العلماء معه ان هناك مجالاً رحباً لنشاطهم ، عليهم ان يظهروا فيه كفاءاتهم ، واذا كان للمنافسات ما قد يسوغها بين قاضي وآخر فانه لا مكان لها بين العلماء وبين قاضيه ، ولذلك نراه يكون منهم بمنزلة النقيب الغيور عليهم ، ويكونون منه بمنزلة الأبناء الروحانيين ، يكفي ان يقترح فيمثلوا أو يشير فيفعلوا (١٨٧)

• • •

ولكن ما تركز التخصص في بعض الفنون ، وفي بعض عيون الكتب على الخصوص ، نرى نظام القيم يظهر منذ هذا التاريخ المبكر وقد كان ابن باق (٥٣٨ هـ) قياً على كتب ابي علي الفارسي ، وكتب ابي الفتح بن جني وإبي سعيد السيراني ، ولا نشك في ان فكرة وظيفة القيم تسربت من الاندلس ، فقد كان لكتاب المحكم والمحيط لعلي بن اسماعيل (٤٥٨ هـ) مشرف يسمى قياً على اللغة . وقد تطورت فكرة القيم او النقيب - اذا شئت ان تقول - فامتدت دائرتها بمرور الزمن ، فتناولت المؤسسات ايضاً الى جانب العلوم ، وعدنا نسمع عن رياسة هذا العالم لفن كذا ، وذلك لمدرسة كذا^(١٨٨) تماماً على نحو ما نسمع اليوم في الكليات : رئيس قسم اللغة ورئيس قسم التاريخ.

موارد العلماء والكلية وسجلات الأوقاف

ان القرويين ليست مجرد بناية ، ولكنها مؤسسة تقوم على ائمة ومؤذنين وموقتين ، على خطباء وعلماء وقضاة ومفتين ومستشارين ، مؤسسة تحتاج الى فرش وانارة ، وإلى ماء وصيانة ، وكل هذا يتوقف طبعاً على موارد ، وهي تحتاج الى من ينظمها وينسق جمعها وتوزيعها من نظار ووكلاء ومشرفين .

عرفنا كيف ان الذين فكروا في بناء القرويين جعلوا في تقديرهم منذ الايام الاولى الطرق التي من شأنها ان تضمن بقاءها ، وعرفنا كيف ان فاطمة شيدت الجامع في جانب من الأرض التي اشترتها واحتفظت بجانب آخر شمالي الجامع وقفاً على الدلو والحبل ، والحصير والمصباح ، وعرفنا ان الامام يحيى الاول كان يشرف بنفسه على البناء ، فلا بد ان تكون له بادرة بازاء مسجد اسس على مقربة من بيت الاشراف الادارية ، ثم رأينا ايام حلف المغرب ، سواء للفاطميين او للامويين ، انها كانت فرصة اثبتت ان القرويين تأتي في مقدمة كل

المشاغل ، بل انها المكان الوحيد الذي ظل ملتقى لحبّ الجميع ، الكل يهفو الى رضاه بالبذل والسخاء اللذين كانا شعار سائر المؤمنين على اختلاف مراكزهم الاجتماعية ، وقد سمعنا عن إسهام الناصر بالمبالغ الضخمة من أخماس الغنائم لتكميل المصاريف الباهظة التي كانت لازمة عند التوسعة الأولى للجامع الأعظم^(١٨٩).

لكن كل ذلك لم يكشف بصفة واضحة عن الأرقام المدققة التي كانت ميزانية القرويين تتوفر عليها ، فان القلاقل التي سببها التنافس المستمر على المغرب ظلت تسدل حجابها الكثيف على كل التفاصيل المتعلقة بذلك ، بيد أنه عندما رجع الأمر الى يد المغاربة ، وقرر الفقهاء والأشياخ الزيادة في القرويين ، اكتشفنا الشيء الكثير مما كانت تزخر به سجلات أوقاف القرويين من وفر كان يزاحم أحياناً وفر الدولة نفسها.

لما استأذن القاضي ابو عبد الله محمد بن داود أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين في توسعة المسجد للمرة الثانية ، اغتنمها العاهل فرصة ، ليقتراح على قاضي القضاة أن يتم الاتفاق من بيت المال على هذه الزيادة ، لكن القاضي ابن داود قدّم عرضاً مفصلاً لما تتوفر عليه القرويين من ذخائر وأموال تمثل في هذا العدد العديد من أنواع العقار الذي تملكه داخل المدينة وفي ضواحيها كذلك ، وأخبره أن ما يتجمع الآن من أوقافها في أيدي النظار ووكلاء النظار من شأنه ان يكفي وحده لتسديد كل المبالغ ، وهكذا عرفنا منذ اليوم أن القرويين لا تتوفر على مالية هامة فقط ، ولكن أيضاً على جهاز قوي يشرف على تلك الثروة الطائلة ، تألف من النظار والوكلاء ، لقد اقتصر عون أمير المؤمنين على تزويد القاضي بصالح الدعاء ، وإعطائه التعليمات اللازمة احتراماً لمبدأ التحري الذي قام عليه هيكل القرويين من أول يوم ، وقام القاضي بعمليات الجرد والاحصاء لكل ما تملكه القرويين ، لكثرت وفرته وُجِدَ من الأعوان من ضموا عدداً من الأملاك الى أموالهم ، فكانت مناسبة لتغييرات شاملة في موظفي الأوقاف ، ومتابعات دقيقة للذين كانوا يتساهلون في أموال القرويين ، لقد اجتمع للجامع من المحاسبات الجارية ما يزيد على ثمانين ألف دينار ، أي ما يفوق سبعة وثمانين مليوناً من الفرنكات القديمة^(١٩٠).

لقد بلغت فاس أيام المنصور الموحدي ما لم تبلغه أية مدينة مغربية ، وقد عثر على سجل يرجع لتاريخ ٥٨٥ هـ - ٦١٠ هـ نقلاً عن المشرف^(١٩١) على المدينة في ذلك الوقت الفقيه الغريفر ، يعطي وصفاً مجملًا لما كانت عليه المدينة التي تعلم سلفاً أن جل مرافقها إن لم تكن كلها ملك للجامع القرويين

٧٨٢	فلقد انتهى عدد المساجد الى
٨٠	وعدد السقايات سواء منها التي بمياه العيون والأنهار
٤٢	وعدد دور الوضوء
٧٣	وعدد الحمامات
٤٧٢	وعدد الأرحاء في داخل المدينة
٨٩,٢٣٦	وعدد الدور
١٩٠٤١	وعدد المصاري
٤٦٧	وعدد الفنادق بما فيها المعدة للمسافرين والتجار
٩,٠٨٢	وعدد الحوانيت
٢	وعدد القيساريات في عُدوة القرويين والأندلس

٣,٠٦٤	وعدد الترايع والطرز المعدة للحياكة
٠٤٧	وعدد الدور المعدة لصنع الصابون
٠٨٦	وعدد الدور المعدة لدباغة الجلد
١١٦	وعدد دور الصياغة
١٢	وعدد دور سبك النحاس
١٣٥	وعدد الكوش المعدة لعمل الجير
١,١٧٠	وعدد الأفران
١١	وعدد معامل الزجاج
١٨٨	وعدد معامل الفخار خارج فاس
٤٠٠	وعدد معامل الكاغد

هذا الى أوقاف البيمارستانات والمدارس التي تحدث عنها كتاب المراكشي وابن أبي زرع^(١٩٢)؛

لقد عُمر رجال القرويين بشتى أنواع التكريم بما نالهم من الأوقاف : مؤذونها وموقتها ، أئمتها وخطباؤها ، علماؤها وقضاتها ، طلبتها وقومتها ، الكل يتوفر على عيش رغد كريم ، وبالرغم من أن هذه الاجور المغربية أثارت جدلاً بين الفقهاء باعتدادها أمراً غير لائق بالدعاة الهداة ، فإن المبدأ ما لبث أن قبل من أغلبية العلماء بحجة أن الاعتماد على أموال الأوقاف يضمن للعلماء حماية كاملة من أي تأثيرات قد تفرضها تقلبات سياسية طارئة ، ولهذا كان هناك نوع استقلال للعلماء فيما اليه يذهبون .

• • •

ونظرا للفيض الذي حصل في الأوقاف المخصصة للقرويين ، فقد التفت أهل فاس الى بعض الأعمال الانسانية الأخرى التي تدخل في إطار الوفاء لرسالة القرويين ، وقد أمكننا أن نعرف الكثير عن الوثائق الهامة التي ترجع الى القرن السادس كذلك ، ترفع رأس تاريخ الأوقاف بفاس عاليا ، ونذكر منها وصية الشيخ أبي مروان عبد الملك بن حيون (٥٩٩ هـ) بتخصيص الثلثين من العقار الموقوف على الأسرى ، وتخصيص الثلث الباقي للمساكين ، وعند غلاء الأسعار يحول ثلث الأسرى للمساكين ليستعينوا به على الغلاء^(١٩٣)، وقد جعلها كلها رهن نظارة أوقاف القرويين .

العطل وسلطان الطلبة

وقد تحكمت المواسم الدينية في تحديد مواعيد العطل ، ووجدنا الدراسة تتوقف أيام الأعياد وتخف في بعض المواسم ، وتعرف العطلة عند المغاربة باسم «العواشر» أخذاً للكلمة فيما يظهر من عاشوراء التي تمد في صدر الأيام المعطلة منذ أيام الإسلام الاولى. وبالرغم من أن المبدأ هو تعطيل الدراسة أيام الخميس والجمعة ، وتوقيفها في الأربعين الصيفية ، نلاحظ من خلال تراجم بعض المشايخ أنهم كانوا يصحبون تلامذتهم أيام الراحة في نزوة بظاهر المدينة ، يجمعون فيها بين المتعة والفائدة^(١٩٤)؛

ومن هنا نرى بعض الباحثين ينسبون عادة سلطان الطلبة - التي دأب المغرب على الاحتفاظ بها عدة قرون - الى هذا التاريخ المبكر، إن لم تكن هي بذاتها فأصلها، لقد دأبت الدولة في المغرب، على أن تشجع اختيار الطلبة لأحد زملائهم، ينصبونه سلطانا عليهم في فصل الربيع لمدة تقارب نصف الشهر، يقضونها خارج مدينة فاس على «وادي الجواهر» تحت الخيام، ولما كان المعروف عن الموحدين أن مملكتهم (مملكة الطلبة)، فقد أثار ذلك الانتباه الى أن جذور هذه العادة ربما يرجع الى القرن السادس الهجري، حيث كان للدولة الموحدية تقاليد وعادات تلمس تنظيم الطلبة وتمييزهم والترفيه عنهم... طلبة الحضر، وطلبة الموحدين، والطلبة الأمراء، ولكل صنف من الثلاثة رئيس يسمى «السلطان»، ينتخب كل عام مرة، وقد كان من مشاهير رؤساء الطلبة عبدالله المالحى (١٩٥).



تعليقات الفصل الخامس

(١) اخلاط من قبائل شتى اجتمعوا الى صاح بن طريف اليهودي الأصل ، نشأ ببرناط حصن من عمل شدونة من بلاد الأندلس ، ثم رحل الى المشرق ، فأخذ على عبيد الله المعتزلي ، وقدم المغرب سنة ١٢٥ فنزل ببلاد تامسا فادعى النبوة وسَّ طائفة من التشريعات الغريبة (راجع ص ٨٩ و ٩٠ من ابن أبي زرع).

(٢) مرآة المحاسن ص ٤ المحاضرات ص ٥٩ سلوة الأنفاس الجزء ١ ص ٣. ٢. Les historiens des charfas فواصل الجبان ص ٣.

(٣) سالك الأبصار ، البحث العلمي : يناير ١٩٦٤ - ١ - ص ١٤١ الاستقصا ١٦٣/٢ .

(٤) نرى ان اتخاذ مراكش عاصمة دون فاس لم يئل من نشاط فاس ، ولهذا كان كلام الاستاذ دوفردان في كتابه Marrakouch عن كسوف فاس وركودها على العهد المرابطي والموحدي كلاماً يحتاج الى تمحيص الكتاب الذهبي (ص ١٥٩) ١٦٢
(٥) المعجب (نشر المغرب) ١٩٣٨ ص ٢٢١ ، ونشر القاهرة ١٩٤٩ ص ٣٥٧ . الكتاب الذهبي : ١٦١ .

(٦) الكتاب الذهبي ٣٢٩ الاستبصار.

(٧) الاستبصار نشر د . سعد زغلول عبد الحميد .

(٨) الانيس ص ١٩ - ٢٠ . ص ٢٨ - ٢٩ .

(٩) تاريخ الجزائر العام ١ ، ٣٨٥ .

(١٠) من مقامات ابن الحطيب : « معيار الاختيار ، في ذكر المعاهد والديار » هي الحشر الاول ، والقطب الذي عليه المولى والكتاب الذي لا يتأول . بلد المدارك والمدارس والمشايخ والفهارس ، وديوان الراجل والفارس ... ومن نقاضة الجراب ، وعلالة الاغتراب ، بمن بقي من الأصحاب : « ام القرى ويجمع الوري ... » .

(١١) كان السبب الرئيسي لرحيل ابن خلدون عن مدينة فاس حادثا شخصيا بينه وبين الوزير عمر بن عبد الله قال :

ووقع ما رمى الترحل عن قلبي ولا سخطه للعيش فهو جزيل
ولا رغبة عن هذه الدار انها لظلل على هذا الأنام ظليل !

الكتاب الذهبي ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(١٢) جاء في فتوى للإمام العقباني قاضي تلمسان « أنه ما عرفت إلا وهي طيلة العام ذئابة مجتهدة مواظبة ... » الوشريسي : المعيار ٧ ، ٢٣٩ . ازهار الرياض ١ ص ٢٥ .

(١٣) قال : « والذي احتوت عليه فاس من غرائب الأشياء الدينية والدينية ، وخصوصا الكعب الغريبة ، شيء لا يشاركها فيه غيرها ، وهذا شيء لا يحتاج الى دليل . المعيار ص ١٧٧ .

(١٤) السلوة ، ١٧٤ - الكتاب الذهبي ص ١٧٠ - ١٨٩ - ١٨٧ و ١

(١٥) وصف إفريقيا ١ ١٨٧ - ١٨٩ .

(١٦) كان كثيراً ما يردد ابو المحاسن ان ما يجري على ألسنة العامة في مدينة فاس يستند الى علم أو عرف سليم وقد أُثِر في هذا الصدد عن بعضهم تأليف (العرف الآسي في العرف الفاسي) يستبسط أقوال أهل فاس من القرآن والسنة . المعيار ١١٨,٩ الازهار العاطرة ١٥٤ - ١٥٥ .

(١٧) يقول ابن القاضي : « ... والحاصل أنَّ بها من الحسن ما ليس في مدينة من مدن الدنيا ، ولما سكنها ادريس انتهت اليها التجارات والصناعات من كل صقع ، حتى تكامل فيها كل متجر ، وبقت اليها خيرات الأرض ، وجمعت فيها طرف الدنيا ، وتكاملت فيها حتى صار لأجل ذلك : لا عالم أعلم من عالمهم ، ولا راوية أثبت من روايتهم ، ولا متكلم أجزل من متكلمهم ، ولا قارئ أتقن من قارئهم ، ولا كاتب أضبط من كاتبهم ، ولا خطيب أبرع من خطيبهم ، ولا واعظ أبلغ وأعظم من وأعظمهم ، ولا نحوي أعرف من نحويهم ، ولا شاعر احذق من شاعرهم ، ولا قوال أطرب من منبئهم ... » .

(١٨) جاء في تحفة الإخوان أن سكان فاس طبقات ، وأن كل واحدة منها تحترف لما مهنة تخصصها وتبرع فيها ، زيادة على ما تتصف به تلك

الطبقات من علم وفقه ، وكان القادري يعلق على العلماء الذين كانوا يصونون أنفسهم باتخاذ حرفة لهم ...

(١٩) بالرغم من الظروف الخاصة التي فرضت على المقرّي مغادرة فاس ، وما كان يمكن أن تسيّبه من ردّ فعل ضدها ، فقد ظلت كتاباته تفوح نعيماً طيباً عن فاس ، فقد قال : « إنها قطر المغرب الذي تمت محاسنه ... » ، وقال عن عدوة القرويين « إنها محل الأعلام ، والخاص والعام من الناس ، وهي حضرة الخلافة ، وقبة الاسلام في المغرب » . النفع ١ ، ٢٣ ، ٧ ، ص ٢٧٠ .

(٢٠) مما يؤثر عن السلطان المولى الرشيد ، وقد سئل عن رأيه في فاس ومراكش ، فأجاب بكلمته المأثورة : « بينها ما بين بانيها » كما يؤثر عن السلطان المولى سليمان تحمله النقد في سبيل إثارة لفاس ، حتى لقد تحدثوا عنه معرضين باهل فاس :

بُـنـو قـريـظـة قـد نـالـوا مـرادـهم مـن الأـمـير وحـازوا غـايـة الأـرب !!

(٢١) قال :

(٢٢) ولا سرى الله عنك ثوب نعمته أرض تجنّبَتِ الاثام والزورا

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووس

فكأنما الأنهار فيه مدامة وكأن ساحات الدّيار كؤوس !

(٢٣) يا فاس منك جميع الحسن مُسَرَّقُ وساكنوك أهنيهم بما رزقوا

(٢٤) راجع شعر ابن عبدون . عند الحديث عن تأسيس العاصمة : فاس .

(٢٥) راجع شعر المغيلي . عند الحديث عن الخصّة الحسنة .

(٢٦) أليس لها على البلدان فضل وتأتيها الركائب والوفودُ

ويكفي لصحة هذا القول أن تلقى نظرة على الأسر التي تسكن مدينة فاس في الماضي والحاضر ، لتجد فيها الأسر الشرقية من العراق والشام واليمن وصقلية ، والأسر الأندلسية من قرطبة وغرناطة ، والبيوتات الجزائرية والتلمسانية علاوة على الأسر التي انتقلت إليها من باقي المدن المغربية كتازة وسبتة وسلا وتطوان ، أو القبائل كتنسول والشاوية وبني يازغة .

(٢٧) قال الشاعر :

إن فآخر الشرق يسوماً بدمشق ، فقل ناهيك ليس كفاس من اليوم من بلد !

(٢٨) يا فاس إني وأيم الله ذو شغف بكّل ربع به مغناه يسييني

وقد أنت بقرب منك يا أملي ونظرة فيكم بالأمس تحيني

البحث العلمي مايه ١٩٦٦ ص ١٩٧ .

(٢٩) مما ينسب الى ابن عاشر قوله :

وقد مدحوا فاساً بأشياء جمّة من العلم والآداب والدين والسنة

وقالوا : بها عيب . تكذّ مريدها نعم ، صدقوا ، لكن كذاك هي الجنة !

الآس ص ٣٣ ، التعليق ٧٨ .

(٣٠) من ذلك قول البكي :

رأيت جنات عدن في منامي وحنور العين في أنسى لباس

فقلت بما أحصل بعض هذا فقال : اذا هجوت لأهل فاس

فدع عنك الصلاح وكل سرّ فهجوهم يؤمن كلّ باس !

(٣١) من ذلك قول الشيخ الرياحي سفير تونس للمغرب سنة ١٢١٨ هـ :

صاح ، اركب العزم لا تخذل الى اليأس
واشرح مشون صباباتي لجيرتها
لا يبصر الحزن إلا في وجوهكم
واصحب أخا الحزم ذا جدّة الى فاس
وحسّ حياً ، بهم قد كان إنساني
وليس يمنح في حبّ لوسواس

وقول الكاتب غريب :

ناهيك من حاو لكل بديمة
سألت مذنبه فكراً ذوائباً
تبدو لمين الألمسيّ الرائي
نشرت ببيض ترائب وتراقي

وقول الكاتب المزورّي مدح جواباً علمياً صدر عن فاس :

لله در جواب زائنه أدب
من أفق فاس أنت تحدو به النجب

وقول الشاعر بوعشرين :

فاس السيدة أفردت بيائها
حاكى بقوته وصوت خريره
ودليل ذلك بين في مائها
نبح العلوم يفيض من علمائها !

وقول الشاعر العراقي محمد الجبوري :

يا فاس يا بهجة الآمال باسمة
ما زال جامك الممور مفخرة
وجنة المغرب الأقصى لما رحبا
للضاد طروق المنّة الحقبيا

فواصل الجحان ص ١٩٥ الأدب العربي في المغرب الأقصى ١ ، ١٠ - ١١ مجلة المغرب ، دجنبر ١٩٦٥ - دعوة الحق : يونيو ١٩٦٠ .

(٣٢) يقول الشيخ المختار ، رحمه الله :

« ان كل من عرف فاسا - وما أدراك ما فاس ، واستحضر ما كتب حولها منذ القرن الرابع الى الآن كتابة ناقصةً مجففةً ، وقد ادرك الدور العظيم الذي مثله فاس ، لا في المغرب ولا في شمال إفريقيا ، وإزاء الاندلس فحسب ، بل وفي العالم الإسلامي اجمع - يوقن أن تاريخها لم يكتب بعد كما يجب أن يكتب ، فلو تصدى باحث أو باحثون لكتابة تاريخ فاس من نواحيها كلها ، لفتحوا صفحة عريضة ذهبية وهاجرة طافحة ربما تسي كل ما كتب عن بغداد ودمشق والقاهرة ... فاس الماجدة العظيمة التي هي فاسنا كلنا لا فاس سكانها وحدهم ؛ لأن فاس فاس العلم والفكر والحضارة ، لا فاس شيء آخر ، وان تاريخ المغرب الثقافي العام ليكاد يكون كله كجوانب الرحي حول قطب فاس ، فها أناذا أعلن عن سوس هذه التي أولعت بها ان اول عالم سوسي عرفته سوس فيها نعلمه هو وكأك . وما هو إلا تلميذ أبي عمران الفاسي ... فهي الأستاذة أمس واليوم ، وكل اتجاه المغرب تلايذ لها ... »

- سوس العالمة ص د - المصول ١ - ١٤ - ١٥ ،

(٣٣) جني زهرة الآس ص ٨٠ ، نفع الطيب ١٨٧/٧ .

(٣٤) كانت القرويين لأعيان فاس وعليها بمثابة مرجع «Référence» فيكفي ان تقول : « فلان عالم بها ، او ابوه كان عالماً بها » يكفي ذلك لتبني شخصيته ومعرفته مركزه .

(٣٥) دور القرويين في جمل فاس من بين العواصم الاسلامية الكبرى - الكتاب الذهبي ، ص ١٠٩ .

(٣٦) جني زهرة الآس ، ص ٤٦ .

(٣٧) بعد بكر بن حماد من مشاهير الجزائريين ، ولد بتبهرت حوالي (٢٠٠ هـ) ، وأخذ العلم في بلده ، ثم ارتحل الى القيروان فأخذ منها ، ودخل بغداد سنة (٢١٧ هـ) فلقى أبا تمام وغيره من أعيان الأدباء ، توفي سنة (٢٩٦ هـ) البكري : المسالك - تاريخ الجزائر العام ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٣٨) الآس ص ٢٧ الأنيس - ١١ .

(٣٩) يرى بعض الكتاب ان لعناتة جامع الاندلس أثراً في أفراد الجزناني له بهذه المأثره ، ونحن نعلم ان امر العناتة متكلم فيه من العلماء ، فكثير منهم يرى ان القرويين والاندلس كلاهما سواء في هذه الصفة ، على ان هناك من يجعل الأفضلية للقرويين ، اذ تضم عددا أكثر من المصلين ، والفريق الثالث يرجح جانب الأندلس لانها عوض عن جامع الأشياخ الذي كان اول مسجد . الازهار العاطرة . ص ١٣٩ .

(٤٠) الانيس ص ٣٣ - ٣٤ .

(٤١) جنى زهرة الآس ٩٤ - ٩٥ . الجلدوة ص ١٥٩ - السلوة ١ ، ص ٣٥٦ .

(٤٢) الآس - ٢٠ - ٢١ الجلدوة ص ١٢١ - السلوة ٢ ص ١٧٥ .

(٤٣) الجلدوة ١٠٨ - السلوة ٣ ص ٩٢ .

(٤٤) الكتاب الذهبي ص ١٦٠ .

(٤٥) البكري ص ١٣٠ .

(٤٦) الانيس ٣٣ - الكتاب الذهبي ١٦٠ .

(٤٧) مشاهير فاس .

(٤٨) الكتاب الذهبي ص ١٦١ .

(٤٩) التكلة رقم ٦٦٨ ، الذيل والتكلة ج ٤ .

(٥٠) صلة الصلة نشر بروفنصال رقم ٩٢ وترجم في التكلة رقم ٢٣١٥ .

(٥١) صلة الصلة رقم ٤ والتكلة رقم ٨٠٣ - الجلدوة ٢٢٤ .

(٥٢) الكتاب الذهبي ١٦١ .

(٥٣) التكلة ٢ ص ٧٤٠ رقم ٢٠٩٩

(٥٤) البيذقي ص ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ .

(٥٥) حج - ح . عبد الوهاب : وراقات ١ . ص ١١٦ .

(٥٦) الأنيس - ص ٢٠ .

(٥٧) المصدر السابق ١٧ .

(٥٨) ورد في الجلدوة في ترجمة عيسى بن عمران هذا (ت ٥٧٨ هـ) انه لما انتقل الى مراكش للعمل بها ترك ابنه بفاس يدرس بالقرويين ، وقد كتب له رسالة الى فاس يستنهضه منه ويدعوه للجد والاجتهاد : « ادرس نرأس ، واقرأ ترق ... الح » هذا مع العلم ان جامع ابن يوسف بمراكش أسس عام (٥١٤ هـ) ولا بد ان الوالد وهو قاضي الحضرة - اعرف بالمراكز العلمية القوية في البلاد . ويضاف الى هذا شهادة ابي مدين الفوث الذي قصد مدينة مراكش لطلب العلم ، فقبلت له الكلمة الماثورة « إنما هذا محل الأجناد ، فعليك بمدينة فاس » .

(٥٩) الكتاب الذهبي ص ٥٧ .

(٦٠) المونس ص ١٥٥ . تونس عبر التاريخ ١٠١ - ١٩٩ - القيروان عبر العصور ص ١١٣ .

(٦١) القصد الى قاضي القضاة ابي الحسن علي بن النعمان القروي على ما يروي الاستاذ عبد الله عنان في كتابه تاريخ الجامع الأزهر ، ويلاحظ الدكتور محمد جمال سروران دور ابي الحسن كان مقصوداً على نشر الثقافة المذهبة وبخاصة المذهب الاسماعيلي ...

٦٢) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أزهري . فريد وجدى : كنز العلوم واللغة (١٣٢٣ هـ) ص ٥٣٢ .

٦٣) الدكتور مصطفى جواد « جامعة القرويين » الكتاب الذهبي ص ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ .

٦٤) Le Maroc de demain 1989

٦٥) اورد النقيب ابن زيدان في الموضوع قصيدة لمحدث المغرب ، علامة الرباط الشيخ المدني بن الحسين رحمه الله ، تقتطف منها ما يلي :

وان « الجامع القروي » فيسا	كنبراس يضيء لذي اعتصام
له للمغربي على سواه	فخار لا كمخسر بالسوام
جميع مدارس الدنيا تبنت	متابعة كتلي للإمام
وقد ضربت له آباط إبل	لشيخ او لكهل او غلام
وراهب رومة قد رام فيه	علوم الكون من دون انتقام

الاتحاف . المجلد ٣ ص ٧ مجلة المغرب الرباط عدد جمادي الاول ١٣٥١ - مجلة المغرب الجديد عدد ربيع الثاني ١٣٥٥ ...

٦٦) Fez ou les bourgeois de l'Islam 1930..

٦٧) رسالة المغرب . الرباط . ١١ يوزيه ١٩٥١ .

٦٨) Fez avant le protectorat p. 453-454.

٦٩) ولد جيرير أو سيلفيتر الثاني بين سنة ٩٤٠ وسنة ٩٤٥ في Aquitaine قريب من أورياك Aurillac . ولدا يسمى Gerbert d'Aurillac وبعد ان تقف علوم اللاهوت في مسقط رأسه ذهب لتكامل دراسته على عرب اسبانيا ، وقد كان يدرس تحت إشراف أوتون الثاني (Othon II) مبعوثاً من القبط بوريل ، من مؤلفاته المنشورة : رسائله وقد بلغت مئة وتسما وأربعين رسالة ، ولما قيمتها الكبرى . وخطبه E. H. Vollet : Sylvestre الزيات : تاريخ الأدب العربي . ص ٤٩٤ - الفاخوري : تاريخ الأدب العربي ص ٩٢٨ . (la grande Encyclopedie) II ou Gerbert (٧٠) ... Colin : Hesperis T. 20-1935 p. 94-98

٧١) من اصل عربي بسيريا ، درس بروسيا في أكاديمية اللاهيات بموسكو وقازان ، وأعطى دروسا في اللغة العربية والفرنسية بأكاديمية قازان . وفي سنة (١٨٩٩ م) ظهرت أطروحته في المعتزلة . وهي دراسة تاريخية اعتقادية حول الاسلام ، وفي سنة (١٩١٦ م) أعطى جوزي دروسا في الحقوق الاسلامية بالجامعة ، وبعد ثورة أكتوبر اشتغل بجامعة باكو أستاذاً ، وفي هذه الفترة نشر عدة مؤلفات وبحوث وفصول ذات قيمة كبرى في موضوع الوثائق العربية حول تاريخ القوقاز . وقد تجاوزت مؤلفاته البارزة اثني عشر كتابا . ولد سنة (١٨٧١) وتوفي في مدينة باكو يوم ٢٠ يناير ١٩٤٢ م . المعلم الجديد، العدد ٨-٩-١٩٥٩ - ص ٦٨ - الزركلي : الأعلام ٢ ص ٥٤ مجلة الهلال يولييه ١٨٩٣ ج ١١ ص ٣٥٦ سنة أولى

٧٢) لقد سجل بعض هذه المعلومات الشيخ المدني بن الحسين في أبيات من القصيدة التي سلفت الإشارة إليها ، وكان ألقاها يوم الأحد ٢٣ صفر ١٣٤١ هـ . (١٥ أكتوبر ١٩٢٢ م) في حفلة امتحان المدرسة الشاذلية الحرة بمدينة الرباط ملهبا بها حاسة الشبية ، ولم تُلَف تلك المعلومات أنظار الباحثين الا بعد ذلك عندما نشر صديقه المؤرخ النقيب ابن زيدان الجزء الثاني من إتحافه المطبوع سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م مشتملا على القصيدة مع تعليق ناظمها عليها ، وقد صارت هذه القصيدة من محفوظات التلاميذ حتى خارج الرباط ... (الكنائشة المخطوطة الخاصة بسيدي المدني ، وهي في مكتبة ولده الأستاذ عبد الكريم) .

٧٣) (كذا) يعني كلية القرويين .

٧٤) كذا .

٧٥) ممن وصل الى المغرب قديما من المشاركة هبة الله المصري ، وأبو الوفاء المصري ، وابن حمويه الاسكندراني ، وابن مودود الفارسي ، وابن أبي القاسم الخراساني ، وابن عبد الوهاب الدمشقي ، وابن مهذب البغدادي ، وابن كوجيا المصلاوي ، وابن موسى الكردي ، وابن أبي شاعر الإربلي ، وأبو علي القالي صاحب الأمالي ، وابن زكون التلمساني ، وابن الصقر ، وبعض اليهود الذين أعطوا وأخذوا عن علماء فاس من أمثال خلوف وابن ميمون ... وقد ترجم المقرئ لمشارقة الذين وصلوا الى المغرب ضمن استطلاعات ومهمات علمية . التكملة رقم ٦٥ - النفع ١ - ٣٦٢ -

لجنة ٢٦٢ مجلة الهداية الاسلامية ، القاهرة ١٢ م ١ جمادي الاولى ١٣٤٨ . علمائنا والتبادل المعكري بين المغرب والمشرق . دعوة الحق دجنبر ١٩٦٠ يناير ١٩٦١ . الكتاب الذهبي ص ١٩٨ . الكتاب الذهبي ص ١٩٩ .

(٧٦) يقصد بالأرقام أو الاعداد العربية الأرقام القبارية التي دأبت بلاد المغرب على اتباعها دون الأرقام الهندية المستعملة عند المشاركة الذين يتعنون أرقامنا تاهلا بالأرقام الفرنجية . ومعلوم ان الموسوعات العالمية تطبق على نسبها للعرب وسترنا تعليقات تؤكد هذه المعلومات .

(٧٧) نرى من المفيد أن ننبه على بعض الأخطاء التي وقعت عند نقل تاريخ المجلة التي نشرت هذه الكلمة . وكان له فيما يظهر أثر في ارباك الذين عُنوا بالموضوع . لقد كان العلامة الرئيس الشيخ المدني بن الحسي ، وكذلك صاحبه المؤرخ المغربي الكبير المولى عبد الرحمن بن زيدان رحمهما الله ، وجدا في المقال المذكور مستنداً جديراً بالعناية ، لكن وقع تحريف مطبعي في التاريخ المجري ، ثم انهم نقلوه بالأرقام الهندية لا بالأرقام العربية . فحدث أن فتحت عين الصفر في ١٣١٠ فأصبحت ١٣١٥ ، ثم نقلها عن تاريخ القتب ابن زيدان كثير من الأدباء المغاربة خمسة عشر . واستحالت عند آخرين الى ١٣٥١ بتقديم الواحد على خمسة ، وهكذا أمكن ان تقرأ في الأعداد القديمة لمجلة المغرب والمغرب الجديد تواريخ متضاربة لهذا المقال . ولو ان مؤرخنا قلدوا جريير في اعتياده على الأرقام العربية ، لأراحونا من هذا التطبيق . الانحاف ٢ ص ٥٧ ، مجلة المغرب عدد جمادى الأولى عام ١٣٥١ هـ . مجلة المغرب الجديد . ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ .

(٧٨) Gerbert, humanisme et chretienté du Xe siecle 1946 / Etudes sur le règne de Robert le pieux 996-1031, 1885 l'Eglise au pouvoir des laïque T: VII de l'histoire de l'Eglise 1940 .

(٧٩) Histoire de l'Espagne musulmane Paris 1950 .

(٨٠) CHEVIN : La relation de la France avec le Maroc. Hes. T. XLIV anné 1957 3 et 4 T. P. 249-266-298.

(٨١) Un Pape philosophe d'après l'histoire et la legende 1997 page 21 .

(٨٢) مجلة العربي . الكويت عدد أكتوبر ١٩٦٠ ص ١٨ .

(٨٣) Description de l'Afrique I, 192.

(٨٤) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج ٦ ص ٢١٠ رقم الابداع القانوني ١٩٨٦/٢٥

(٨٥) الجامعات المغربية وأثرها في جامعات أوروبا . البحث العلمي ، دجنبر ١٩٦٥ ، ص ٢٠٧ .

(٨٦) بلا فريخ : الأدب الأندلسي ، الاول ص ٣٠ - ٣١ .

(٨٧) عثر في خروم خزانة جامعة القرويين على شذرات من أناجيل لوقا ومرقص ويوحنا مكتوبة على رق الغزال . وأحد الكراسين بحسب رأي المستشرق أرتوركجي عضو المجمع العربي بدمشق - يشتمل على إنجيل القديس لوقا من الفصل (٢١) - ١٢ الى الفصل (٢٤) - ٢٧ ، ويشتمل الكراس الآخر على إنجيل القديس يوحنا من الفصل (١١) - ٥٧ الى الفصل (١٨) ٤ ، وقد كتب أيضاً حول الأوراق الراهب طيسراً لما زار فاسا ووقف عليها في ٢٣ أبريل ١٩٣٨ وعددها من أهم نسخ الأناجيل وأقدمها . ويجمل هذه الأوراق في الخزانة رقماً ترتيبياً ٧٧ ورقاً حجماً ٤٠ / ٧٣٠ ، ويعتقد أن هذه القطع عرّبت أيام ازدهار العربية بالأندلس . مجلة المغرب ، عدد يولييه ١٩٣٣ - الخزانة العلمية . حوادث وآراء عدد خاص ٥ ص ٢٩ .

(٨٨) مخطوطة الاحاطة - الإسكوريال رقم ١٦٧٣ ورقة ٢٢٢ - النسخ ١٣٠٠،٤ طبعة بيروت - دار صادر - المن بالامامة ص ٤٨٩ تعليق ٣ .

(٨٩) اتفقت الموسوعات العالمية والمصادر التاريخية على نسبة هذه الأرقام الى العرب Les chiffres Arabes وكل رجال البحث كذلك يتفقون على انها وصلت الى اوربا عن طريق عرب الأندلس ، ومن المعلوم ان هذه الأرقام التي تعتمد على الزوايا عرفت في المخطوطات المغربية القديمة ، ولا تخفى أهمية الانتصار عليها من قبل العرب اليوم . وبالنسبة نذكر هنا ما رددته الأوساط العلمية عن مزايها هذه الأرقام العربية ، او ه القلم البّارة كما يعرف قديما ، وذلك بمناسبة رحلة (أبوللو ١١) الى القمر ، فقد اشادت تلك الأوساط بالعرب الذين وضعوها قائلة : انه لو اضطر العلماء والفنّين في هوستون وكيب كينيدي الى استعمال الأرقام الرومانية بدلا من الأرقام العربية لما تمت رحلة (أبوللو) . تراث العرب العلمي ١٩٤١ (ص ٢٢) .

الأرقام المغربية أرقام عربية أصيلة ، مجلة اللسان العربي ، العدد الثاني يناير ١٩٦٥ ص ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ ، جريدة الأنباء المغربية ، عدد ٢٦ يوليو ١٩٦٩ راجع ص ١٣٣ .

٩٠) المنقول عن جبرير انه تأثر - ان لم نقل اخذ - بالنظريات الفقهية الاسلامية ، وان الفضل يرجع اليه في تطوير التشريع الروماني بما اقتبسه وادخله الى اوربا الحديثة مما لا تزال نلاحظ اثره فيها الى اليوم وهكذا فعندما يتفق ان نجد توافقا بين التشريعين الاسلامي والاوربي مثلا ، فان ذلك لا يعني بحال ان فقها تأثر أو بالأحرى أخذ من الفقه الآخر كما يراه كولدزيهر Goldziher . وقد ذكر ابن تيمية في « القول الصحيح » .

« ان النصارى في طائفة من بلادهم كانوا ينصبون لهم من يقضي فيها بشرع المسلمين ، اذ لم يكن لهم شرع عام يحكم به الناس ، فليس في الانجيل احكام ، بل عاتته الأمر بالزهد . وقد نقل ابن خيرة في تعليقاته على النهاية ان طلبة العلم الفرنج كانوا يسافرون الى غرناطة لطلب العلم ، واعتصموا كثيرا بنقل الفقه الاسلامي الى لغتهم ، لاستعماله في بلادهم ، لرداءة الاحكام عندهم ، خصوصا في المئة الرابعة والخامسة . ونحن مؤمنون بانه لو كان الفقه مأخوذا من جهة أخرى ، لكان لتلك الجهة ذكر عند العلماء المسلمين ، لأنهم عودونا دائما وأبدا ان ينسبوا العلوم والفنون الى أهلها بدون أي تعصب ولا تحيز . ولناخذ مثلا على ذلك علم المنطق الذي لم يضرهم اطلاقا التنصيص على ارسطاطاليس الذي وضعه ، والقلم الرومي الذي استعمله المؤثقون قديما في رسومهم الشرعية والفنون التي يمارسونها . ارشاد المعلم والناس في اشكال القلم الفاسي . هل تأثر الفقه الاسلامي بالفقه الروماني او الحقيقة هي العكس ؟ » الرسالة المصرية ، العدد ٦٧ - ١٣ ، مايو ١٩٣٥ .

٩١) يذكر المؤرخ الانكليزي ميلير في كتابه فلسفة التاريخ : أن مدارس العرب كانت هي مصادر العلوم ، وكان الطلاب يهرعون اليها من كل قطر . يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضية وما وراء الطبيعة ... ومن ورد من تلك المناطق الراهب جبرير . راجع فصل : الاستشراق منذ القرن العاشر للسيلاد . الزيات : تاريخ الادب العربي ص ٤٩٤ الفاخوري : ص ٩٢٨ .

٩٢) كان عبد الحميد الأروبي صاحب « وليلة » معتزلي النزعة كما يذكر البكري ص ١١٨ . الأنيس ، ص ١٧ .

٩٣) تاريخ الجزائر العام ٢١٩ / ١ .

٩٤) ان المغاربة الذين كتب لهم أن يزوروا بلاد المشرق ، يسجلون في مؤلفاتهم القديمة والحديثة تعدد الفرق واختلاف المذاهب . عبد الهادي بوطالب : « بين المذاهب الإسلامية والوحدة العربية » طبعة دار الكتاب بالدار البيضاء - ١٩٦٨ -

٩٥) نقول « بقية باقية » ، لأننا نلاحظ على طول أيام التاريخ آثار هذه « البقية الباقية » ، فما تزال في المغرب الى اليوم عادات في عاشوراء لدى بعض الأسر . وخاصة منها الأسر التي تحل من الرسول عليه الصلاة والسلام عادات تشتمل الحزن والحداد على المأساة التي أصابت الاسلام باستشهاد الإمام الحسين . وما زالت في المغرب عادة تشييد الرأس (اي حلقه) التي كانت في الأصل من شعار الخوارج ، وتعتمد من سمات المغاربة « قوم يحلقون الرؤوس ويلبسون البرنس وياكلون الكسكس » . لقد كانت أبوابه مفتوحة للكل ، ولذلك يسع سائر ما يرد ، ولو كان صالح بن طريف زعيم البرغواطيين ! . الأنيس ص ٨٩ - ٩٠ .

٩٦) وذلك عندما سأل أهل فاس : هل تحت أرضهم عتوة أو صلحا ؟ فكان جواب الشيخ أبي جيدة : لا صلح ولا عتوة ، وإنما أسلم عليها أهلها . الاستقصاء ، ١ ص ٨٠ . : البوغ المغربي (ص ٥٠) .

٩٧) لقد أخرجه الطغاة من فاس ، أنظريوتات فاس في القديم . نشر عبد القادر زمامة ، البحث العلمي ، عدد يناير ١٩٦٥ ص ٨٥ - الشوف : ٦٤ : النبوغ المغربي ١ ، ٦٢ - ٦٣ .

٩٨) كتاب مشاهير فاس - البحث العلمي - دجنبر ١٩٦٤ ص ٦٤ . المذاهب الاسلامية بالمغرب ، ص ٣٥ .

٩٩) النبوغ المغربي ، (٣٠ / ١) .

١٠٠) حدث ابن الزيات صاحب الشوف عن أبي الحسن علي بن حرزهم قال : لما وصل الى فاس كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بالتخريج على كتاب الإحياء ، وأن يحلف الناس بالابيمان المنفلطة إن كتاب الإحياء ليس عندهم ، ذهبت الى أبي الفضل (المشهور بابن النحوي (٥١٣ هـ) بقلعة حماد - الجزائر) أستفتيه في تلك الابيمان ، فأفتاني بأنها لا تلزم ، وكانت الى جنبه أسفار . فقال لي : هذه الأسفار من كتاب الإحياء ، ووددت أني لم أنظر في عمري سواها . وكان أبو الفضل قد انتسخ كتاب الإحياء في ثلاثين جزءا . فاذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزءا - استقصا ٢ ص ٦٦ - ٦٧ . الاس ٣١

١٠١) في هذا التاريخ قام المرابطون بأعمال التوسعة الكبرى التي أمر بها علي بن يوسف بن تاشفين في القرويين على يد قضاته السني . وابن داود ، وابن معيشة والقيسي .

١٠٢) يفيد اليزدق أسماء بعض المشايخ الذين حضروا درس ابن تومرت ، فهم علاوة على ابن معيشة رجال من أمثال ابن الملجوم والغريس والمنجلي كما سلف ... اليزدق ص ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ .

١٠٣) الميار ٢ ص ٤٠٣ . ع . هـ . عبد الحق بن معيشة احد عمداء القرويين ، ٥٢٩ - ٥٣٣ مجلة التربية الوطنية ، دجنبر ١٩٩٠ . : « أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين » ١٣٤٩ ص ٨٥ .

١٠٤) بعد عثمان بن عبد الله القيسي السلاجي مرجع فاس في علم الكلام والأصول . صلة الصلة رقم ١٠١ التكملة رقم ١٨٦٢ التشوف ١٧٨ .

١٠٥) نعلم أن السلطان العظيم يوسف بن تاشفين وجه سنة (٤٩٠ هـ) (١٠٩٧) بعثة دبلوماسية الى بلاط بغداد لاستمزاز الرأي مع المستظهر بالله حول تطرح بعض الزعماء في الأندلس على الأجنبي ، يشنون حلفه ضد أبناء جلدتهم ، كانت تألف من الإمام عبد الله بن العربي ونجله القاضي أبي بكر . وقد استقبلت البعثة من لدن المستظهر بحضور الوزير ابن جهرير . « جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي » مطبعة فضالة ١٩٦٧ ، ص ٧ .

١٠٦) يرى الأستاذ الحاج عبد الله كتون أن في مقدمة أسباب هذا التصرف من الموحدين إبعاد الفقهاء العرب عن مراكز الزعامة . وإحلال البربر مكانهم . ويظهر لي أن سبب ذلك الحرص على تمجيد الفائدة وتعميمها في أسرع وقت ، وألا فإن اللغة العربية ظلت مكان قداسة في المغرب الأقصى منذ اليوم الأول الذي احتضن فيه المغاربة الاسلام .. انظر ترجمة سالم بن موسى السوسي (ت ٥٨٩) التكملة ٢ رقم ٢٠٠٦ النبوغ المغربي . ص ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ابن صاحب الصلاة ص ٦١ .

١٠٧) المراكشي : المعجب طبعة القاهرة ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

١٠٨) راجع ترجمة الامام بشكر في جنى زمرة الآس ، وفي مشاهير فاس ص ٨٢ ، عدد يناير ٦٥ من البحث العلمي .

١٠٩) كان أبو الحسن علي بن عشرين يحفظ المدونة . ولما أحرقتها الموحدون ، كتبها الفقهاء من حفظه عند ظهور دولة بني مرين . كتاب مشاهير فاس .

١١٠) دعوة الحق . دجنبر ١٩٦٦ - يناير ١٩٦٩ . تاريخ المغرب الدبلوماسي - ص ٧ - .

١١١) ابن خلدون المقدمة ص ١٩١ . الحلل الموشية ص ١٨ - ١٩

روض القرطاس ٣٦ - ٤٣ - ٤٧ - ٤٨ - الميارج ١٣٨٨ صبح الاعشى ٤٤٤٥ - انظر (النفع) حول لقب الملك بين الإسلام وبني اسرائيل ...
الترتيب الادارية ار - ١٢ - ١٣ مقدمة ابن خلدون ١٩١ الحلل الموشية ١٨ - .

١١٢) قيام دولة المرابطين ١٩٥٧ ص ١٨٢ . Catalogue des monnaies Musulmanes. P. 198 the coin of marrs.

١١٣) في الوقت الذي كان فيه العباسيون بالشرق يعلقون أهمية كبرى على التلقب بالخليفة و امير المؤمنين و امير المسلمين نلاحظ ان المرابطين كانوا لا يجدون فرقا بين هذه الالقب بالرغم مما يحاوله بعض المؤرخين والكتاب من تجسيد الموضوع ، ويدلنا على ذلك ما نجده من وثائق ومستندات معاصرة . فقد ورد في الميارج استفتاء امير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين لفقهاء غرناطة حول الاملاك المحبة على بيع التصاري ... كما ورد اسم علي بن يوسف منقوشا في قبة القرويين وقد حلى بالخليفة والملك و امير المسلمين هذا الى التقدود المرابطية المضروبة سواء باغصات عام ٤٨٩ او غيرها وهي تحمل لقب امير المؤمنين و احيانا امير المسلمين وثارة تمت كذلك الخليفة العباسي بامير المسلمين ، والامر كذلك على العهد الموحيدي الذي يستعمل الالقب كلها كما نقرأ ذلك في روض القرطاس ، وكما نجده منقوشاً على ساق الثريا الكبرى بجامع القرويين ، وكذلك بنو مرين الذين نجدهم ينعنون احيانا بامير المسلمين و احيانا بامير المؤمنين ، كما نرى في النقش الموجود على خزانة المصاحف بالقرويين ... وتسمياً للموضوع نذكر هنا ان المغرب اقتبس بعد ذلك نعت السلطان الذي كان اول من تلقب به خالد بن برمك ثم بنو بويه ممن بعدهم من الملوك السلاجقة وغيرهم ... ونقل العمري ان المتعارف عليه ان لقب السلطان يعطي للامير يكون تحته ملوك آخرون ..

١١٤) تذكر الاخبار ان الناصر العباسي كان يعتمد على (ابن تاتلي) من الملمعين لاستئزال الموحدين من الحكم ، كما ان الناصر اهتم اهتماما كبيراً بمخطوطة (الاستقصاء في نسب من اقصى) لمحمد الحسن الحسيني باعتبارها قد ترفع نسب الحكام المغاربة وقتلذ الى البيت النبوي مما يزيد في التشويش عليه . وكان يعتزم مصادرة الكتاب . مصطفى جواد : « المنصور الموحيدي والناصر العباسي » ، دعوة الحق ابريل ١٩٦٩ ص ٥١ .

١١٥) الموحدون والوحدة الاسلامية - مجلة التربية الوطنية - مارس - ابريل ١٩٦١ .

(١١٦) عرفنا سابقاً عن مدرسة للطب كانت في فاس في القرن الرابع الهجري . شهيرات المغرب مخطوط : الطب والاطباء بالمغرب ص ١٥ .

(١١٧) الاستقصاء ٢ ص ٦ .

(١١٨) الأزهار العاطرة الانفاس ٢ . السلوة ٢ ، ص ٥٢ - ٥٦ .

(١١٩) عرفت قديماً بمدرسة أبي مدين لان ابا مدين كان يقيم بها ايام مقامه بفاس بعد رجوعه من بغداد وقبل التحاقه بثلسمان . وقد افاد الأستاذ محمد السراج - رحمه الله - الذي كان يعرف تلك المنطقة بتوقيف من والده وغيره من الطاعنين في السن أن أطلال المدرسة تقع يسرة الداخل لروضة الأنوار : روضة أبي مدين . وبنة الداخل للمدرسة ابن غازي المحدث هناك . وجنوباً مدفن موسى بن أبي العافية ، وغرباً الطريق المؤدية الى هذا المدفن ، وتمثل هذه الأطلال بعض أقواس وأسس بعض الجدران وقبالتها يفصل الطريق مقبرة ابن غازي وسيدي يحيى السراج الصغير ، وبها مستند الى جدار روضة أبي مدين قبر الفقيه الرقاق صاحب الرقاية كما يوجد بجوارها ضريح العارف الهزميري ويحيى السراج المتوسط من ركنها الشرقي .

(١٢٠) ورد في تحفة الإخوان أيضاً في معرض تعريفه بزاوية سيدي علي صالح ، قال : مما بين الطريق الممرور عليها لوادي الزيتون والزينة الممرور عليها لمدرسة المرابطين الصابرين للمتونة وتقابل دارازا الاندلسي . وبعد مجاعة عام (١١٥٠) خرب المكان وصار الى يد الشاميين . (١٢٢٨ هـ) التحفة القادرية (مخطوطة) المجلد الثاني ص ٣٧ (:) النسخ المغربي ص ٧٥ .

(١٢١) "Anis de Fes" Medinat Fas (La Rive des Andalus Conférence)
promenade du 14 Février 1954 sous la conduite de sir Mohamed Berdellah
et Maurice Neny: La Medersa Almoravid page. 12-13 Sig. M. B.

(١٢٢) سبب بذلك لأنها كانت تتعوب فيما يظهر بعض المعامل التي تومر عليها فاس لصنع الكاغد . والتي نافست . ثم ورثت صناعة مدينة شاطبة الأندلسية التي اشتهرت بالورق الشاطبي .

(١٢٣) من جملة الرصايا التي وقفت عليها بهذا الصدد وصية الشيخ أبي زيد بن خنوسة ، وأمه فاطمة بنت أبي الفضل الزرهوني ، بجنان الزيتون بعد انقراض عقبهما . على هذا المكان ليشتري من الجناد الطعام للواردين على الجامع الملتزمين به من الفقراء والمرابطين بعدما ينفق في خدمة ذلك ما يستدام به الوقف المذكور . وقد حررت الوصية في خامس شهر رجب من عام (٧٩١) ، وأمر بالنظر في تطبيق الوصية المذكورة أمير المسلمين سيدي محمد بن مولانا أمير المسلمين أبي سالم المريني . الأنيس ص ٢٩٩ . المعيار ٧ ، ص ٢١٠ - ٢١١ . درة الحجال : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ص ١٠٢ .

(١٢٤) النسخ المغربي ص ١٣٨ .

(١٢٥) ورد في مسالك الابصار لابن فضل العمري : « وفي رجة قصر الخلافة توجد المدرسة وهي مكان جليل » به خزائن الكتب . العلوم والاداب والفنون ص (٢٧٨) .

(١٢٦) الانيس ٢٨ .

(١٢٧) الانيس ص ١٥٤ -

(١٢٨) لعله كان يعني ان الباني الاول في عهد بني مرين ، ونعتقد ان سلسلة المدارس المرينية لم تؤسس فجأة بعد فراغ شامل فانه لا يوجد . حسب رأي نقاد المؤرخين . شيء يحدث فجأة دون ما سابق مقدمات .

المجلد ٢٢٠ - ٣٤ . ص - Hesp . المدارس الاسلامية للمؤرخين العرب (محاضرة) الدكتور حسين مونس .

(١٢٩) الاعلام في تاريخ مدينة مراكش تقرأ عن (RENAN) انظر دائرة المعارف الاسلامية، مادة ابن رشد

(١٣٠) جنى زهرة الاس ص ٤٢ .

(١٣١) ان عمل الفاتح عقبه بن نافع في افريقية كله دون شك الامير ابو زكريا يحيى بن عيسى (٤٤٧ هـ) ، ثم واصله امير المؤمنين يوسف بن تاشفين الذي اتعت امبراطوريته من طنجة الى جبال الذهب من بلاد (السودان) . وكان ضرورياً لكي تضمن الدولة وجودها في هذه الاقطار الثانية ان تعمل على نشر اللغة العربية لتركز في النصوص الدعوة الاسلامية الطاهرة ، وكان على مدرسة فاس (جامعة القرويين) ان تعد العلماء الذين يقصدون تلك الديار دعاء مدرسين الى جانب آخرين يقصدونها من الجنوب المغربي ، وقد ساعد انضمام الاندلس الى المغرب على سد الحاجات والرغبات ، وهذا ما يفسر لنا اهمية المركز العلمي في تونوكو ، وهوما يفسر لنا معجزة انطلاق لسان أبي العباس الكرواني البربري الاصل يمثل هذا الشعر يخاطب به امير المؤمنين يوسف ابن عبد المؤمن :

إن الامام هو الطيب وقد شفا علل البرايا ظاهراً ودخيلاً
حمل البطة وهي تحمل شخصه كالروح يوجد حاملاً محمولاً !
وانطلاق لسان اسحاق ابراهيم بن يعقوب الشاعر الاسود الذي خاطب المنصور الموحدي بمثل هذا الشعر الرقيق :

أزال حجابيه عني وعيني نراه من المهابة في حجاب
وقرّني تفضله ولكن بعدت مهابة عند اقترابي !

وبكشف لنا كذلك عن اسرار ظهور امثال الشيخ عبد الله البرنوي وابن الملقن التكروري ، وغيرهما .. الاستقصاء ١٩٠١ ، ٤٢٤ / ٥٢ - ١٤١ / ٦٦ - ١٢٩ ٣ ١٦٧ - ١٥١ - ١٠٢ - ٩٩ ، ٧ - ١٣٣ .
Description, 99-102-133

« افريقية تحت اضواء جديدة » ، الممالك الاسلامية القديمة في افريقية السوداء ، دعوة الحق ، مارس ابريل . مايو ، يوليو ١٩٦٢ « افريقية الغربية في ظل الاسلام » ص ٢٧ .

(١٣٢) تعد مدينة سبتة من أجل دور العلم بالمغرب واقدامها ، فقد كانت همزة الوصل بين الاندلس ، فيها يجد العلماء راحتهم ، وتشتهر المدينة بالمدرسة التي بناها الشارقي (٦٤٩ هـ) بعد ان اتم دراسته بفاس وقد كان بسبتة الى جانب هذه المدرسة مدرسة ابي الحسن المريني ، يضاف الى هذا ٦٢ خزانة علمية ، كان فيها ٥٤ بدور كبار العلماء ويكفي ان نعد من تلامذة مدرسة سبتة الشريف الادريسي الجغرافي المشهور : اختصار الاخبار .

(١٣٣) عن الصلات الوثيقة التي شددت بعض هذه المراكز بجامعة القرويين ، راجع كتب الشيخ المختار السوسي وخاصة كتابه (سوس العالة) وكتابه (من خلال جزولة) ، وراجع كتاب الجامعة اليوسفية في تسعة مئة سنة ، لمحمد بن عثمان المراكشي ، وبحث الشيخ الرحالي الفاروقي عميد كلية مراكش ، بعنوان : القرويين وكلية مراكش المنشور في الكتاب الذهبي للقرويين ...

(١٣٤) لقد ظلم دوزي المرابطون حين نعتهم باسم النعوت ، فقد عرف رجال العلم على عهدهم ما سيظل خالداً في شخص ابن ياجعة ، وابن رشد ، وابن طليل ، وابن زهر ، وابن العربي ... ونعتقد أن ريفيرا كان على حق في حكمه على ما كان يستوجبه امتزاج الحياة الثقافية والفكرية بين المغرب والاندلس .

(١٣٥) المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب ، ص ١٢٥ - ١٤٢ .

(١٣٦) لقد بحث الناصر خديعة العباس بن ناصح الثقفي الى بغداد بقصد شراء كل غريب نادر من الكتب . الخزانة العلمية بالمغرب . ص ٨ .

(١٣٧) راجع ترجمة اللخمي (ت ٤٢٢) الذي نسخ استاذ كارابن عبد البر سنة (٤٩٨ هـ) في تراجمنا لرجال القرويين في ملحق الباب الأول .

(١٣٨) ورد في كتاب مسالك الابصار لابن فضل الله العمري : « وفي هذه الرحلة المدرسة ، وهي مكان جليل ، به خزائن الكتب ... » والنص وان كان حديثاً عن حضرة مراكش ، لكننا على علم من تفوق فاس على سائر مدن المغرب ... الانيس ص ٢٨ .

(١٣٩) الانيس ص ٢٨ .

(١٤٠) ازهار الرياض ١ ، ٢٣ - ٢٤ - المخطوط رقم ٣٣٥٤ من الخزانة العامة .

(١٤١) ولي القضاء بعد ابن أبي موسى ، لقي ببلده أبا الفضل عياض ، وأبا بكر ابن الجلد ، ثم رحل الى الأندلس التكملة ٢ ، ٦٠١ صلة الصلة رقم ١٥٠ ، الجلود ص ٢٦٠ رقم ١١٦٧٤ السلوة ٣ ، ١٧٨ .

(١٤٢) هذا هو المعروف بابن رقية ، وقد كان وهب خزانته لابنته ، وهي التي تولت بيعها ، كان من أخذ عنه الطالب الإسكندراني أحمد بن عمر الانصاري الأندلسي . الذي تحدث عن خروم المكتبة التي بيعت بذلك المبلغ ، وليس الامام الطرطوشي هو المتحدث ، فانه توفي قبل سنة ٥٢٠ . ولذلك كان ما نقله ديلفان في كتابه عن الطالب الحرشاوي ، يحتاج الى تحقيق ، الانيس ٤٢ - صلة الصلة رقم ١٥٠ - التكملة لكتاب الصلة رقم ١٦٥٢ جزء ٢ ص ٥٩٠ الدياج : ص ٦٨ راجع ص ١٠٨ .

Fez, son université et l'enseignement supérieur.

(١٤٣) كانت صناعة الكاغد بفاس من الصناعات المتداولة البسيطة حتى تسربت الى داخل البيوت ، واشتهرت سيدات فاس بصناعة أوراق (البطيلة) التي تعد عنصراً يدل على المهارة في الوراقة !

١٤٤) لا تنسى أنه يوجد على مقربة من الجامع الأعظم سوق الكتيبيين ، أو المجلدين ، وسوق العطارين التي كانت في جملة ما تقوم ببيعه السواك والسمن (الصنح) المستعملين في الكتابة وه الغبار الذي يصلح للتشيف على هاتيك العصور الى جانب الأقلام التي كان جلّ الناس في فاس يعرف بريها وإجادتها .

١٤٥) يذكر ابن صاحب الصلاة أنه على عهد أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي سَت في سائر بلاد المغرب تلاوة القرآن إثر صلاة الصبح والمغرب على أقساط معينة : وهذا القسط هو ما نسبته جزياً ، يتلى حزب عند الصباح ومثله عند المساء ، فلا يمر الشهر الا وقد تليت الستون حزباً جميعها . وتركزت هذه العادة أيام المرينيين ، وتوسعت فلم تقتصر على زاوية واحدة من زوايا القرويين ، ولكنها تعدت الى عدد من جهاتها ... فعلاوة على حزب المحراب هناك حزب ظهر الصومعة وظهر خصة العين ، وظهر العنزة ، والمستودع ، والثريا الكبرى ، وباب الرواح الاعلى ، وباب الصالحين . وقد تضاعفت العناية بالموضوع على مر الأيام ، فشجعت الأوقاف القراء الذين يتقنون القراءات السبع ، وخصصوا لهم جرايات لقراءة الحزب بمختلف القراءات ، وقد أدركنا منهم عدداً ، واستمعنا اليهم بباب الصومعة ، وكانت الدولة تلحقهم بعملاء المرتبة الثالثة أولاً ، ثم فرق بين البصريين والحمزويين ، فالأولون يلحقون بالمرتبة الرابعة : والآخرون يلحقون بأهل المرتبة الثالثة ، ولا ينخرطون الا بعد أداء الامتحان لدى لجنة تركب من القراء الاقدمين مع حضور ممثل عن المجلس العلمي . وقد خصصت أوقاف واسعة لكل هؤلاء المقرئين على اختلاف العصور . جنى زهرة الآس ص ٨٠ - القادري ، النشر الاول ص ١٥٥ - الحوالات الوقفية (مخطوطة) بالخزانة العامة .

١٤٦) جنى زهرة الآس ص ٨١ .

١٤٧) تاريخ الجامعات الاسلامية .

١٤٨) الصلوات الثاقبة بين الاسكندرية والمغرب . الكتاب الذهبي ص ٩٩ .

١٤٩) التكملة . نشر العطار ص ٦٧٥ رقم ١٧٠٨ .

١٥٠) عياض : الغنية ص ٢٣ - ٢٦ - ٢٧ .

١٥١) ابن صاحب الصلاة : ص ٤٣٨ .

١٥٢) يعطي ابن الوزان الفاسي تفاصيل أكثر دقة للملابس الطبقات المرموقة بمدينة فاس ، فقد تحدث أيضاً عن الثياب الداخلية . لكنه لاحظ أن البرنس يظل شعار تلك الطبقة ، وسجل عدم اهتمام الناس بالجوارب إظهاراً للنشاط المتواصل واستعداداً للوضوء . المجلد الاول أ ص ٢٠٨ .

١٥٣) الثشوف ص ١٧٨ . صلة الصلة ١٠١ - التكملة ١٨٦٢ .

١٥٤) الانيس ص ٤٧ طبعة فاس - الآس ص ٥٨ .

١٥٥) الجذوة ص ٧٣ - ٧٤ .

١٥٦) جنى زهرة الآس ص ٩٥ .

١٥٧) اصدر السلطان يعقوب من بني مرين أمراً بأن لا يلبس الا البياض عندما كان يتهأ لاستقبال سائحة بالجزيرة الخضراء يوم ٢٠ شعبان ٦٨٤ على اثر انتصار حقه المغرب ، هذا ولم يعرف تاريخ المغرب على الاطلاق تمييزاً عن الحزن بالوان اخرى الا في حالة واحدة وذلك عند احتلال مدينة العرائش من قبل الأسبان ، فقد لبس اهل المغرب الأحذية السود . واستمروا على ذلك الى ان استرجعوا المدينة .

وفي موضوع لبس البياض بمناسبة الحزن وردت الايات التالية خطاباً لأهل الاندلس :

الا يا أهل اندلس فطتم	بلطفكم إلى أمر عجيب
لبتم في ماتكم ياضاً	فجتم فيه في زي غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن	ولا حزنا اشد من المشيب !

١٥٨) تحريف مغربي لكلمة (مسجد) ، للتمييز بينهما ، ويلاحظ ان حظ الجيم دائماً غير سعيد ، فهي عندنا تستحيل هنا الى ياء ، وفي مصر الى كاف معقفة ، وفي بعض الجهات تتغير الى خاء ، هذا وقد ذكر ابن الوزان انه كان بفاس على عهده مائتان اثنان من المساييد . هذا ويقم الاقارب عد وصول اطفالهم الى سورة الاخلاص احتفالاً بسمونه (جايوه) كما يسمون احتفالهم باستظهار القرآن (حيينا) لانهم كانوا يأتون بالطفل لداره في مواكب ينشد فيه جهاراً :

العز والصولة في نظام الدولة ج ١ ص ٧٥-٧٦، الكتابات القرآنية، مجلة المغرب، مايه ١٩٣٣ . ENS. Pub. N° 159 . PERETIE-ZEGHRI, Bull

١٥٩) يعيد ابن خلدون ان لتعليم النشء مذهبين : فيها المشرقي والمغربي . فمما يخص المذهب المغربي بتعين على المتعلم في أول الأمر إتقان القرآن ورسمه واختلاف حملة القرآن فيه ثم التدرج في مبادئ العلوم . ويلاحظ ابن خلدون - نتيجة لهذا - ان المغاربة تفوقوا في حفظ القرآن تفوقاً بالغاً . ونعلم الى جانب هذا ان من اقدم نظريات التعليم نظرية ابن العربي (٥٤٣ هـ) الذي كان يرى ان يقتصر المتعلم في المرحلة الاولى على تعلم البلاغة والنحو وعلوم العربية ونصوص من الادب البليغ . فادا تقوى في ذلك انتقل الى الحساب والرياضيات ، فاذا نمت عنده الملكة الرياضية رجع عندئذ لدراسة القرآن وحفظه . بعد أن يكون الأدب قد حُسن من ذوقه . وتكون الرياضيات نقشت فكره ، فيكون قادراً على ادراك معاني القرآن ، وينبغي ابن العربي على نبي قومه المغاربة تلقينهم القرآن في اول الامر . قال ابن خلدون : ولعله تأثر بمذهب المشاركة . فأراد حمل أهل المغرب عليه ، ولكن العوائد لا تساعد عليه وهي أملك بالاحوال ! على حدّ تعبير ابن خلدون . لأنها كما تهدف الى تحصين الولدان من افات جنون الصبا ، فقد يصرفه مانع من الوصول الى القرآن . وربما عصفت به تبايرح الشبهة . . . الخ . ابن خلدون : المقدمة ص ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ ، جي زهرة الآس ص ٥٧ .

١٦٠) الانيس ص ٤٧ ، عبد الواحد الفاسي : خطباء القرويين (محاضرة في مؤتمر المعهد العلمي) مجلة المغرب مايه ١٩٣٣ .

١٦١) ابن صاحب الصلاة : المقدمة ، ص ١٥ .

١٦٢) ذكر أن للسندائي أسلوباً عالياً في الالتقاء ، يقابل أسلوب العبدوسي ، وقد ذكر أن طلبته تبرموا من غموض افكاره . وطالبوه ان ينزل في عبارته اليهم ليعلموه . فقال لهم : لا تنزلوني اليكم ودعوني أريكمكم الي ... ،

١٦٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٦٠ - تاريخ الجزائر العام ٢٠٢٢ - ٢٥٢٢ .

١٦٤) تاريخ المن بالامامة . ص ٢٢٩ - ٢٣٠ . التراتيب الادارية ٢١٧٢ .

١٦٥) توجد تراجم لعدد من الأدباء المغاربة الى جانب زملائهم أهل الاندلس في المجموعات الأدبية المعروفة . كفلائد العقيان ، وذخيرة ابن بسام . وغيرهما وقد وقفنا في تاريخ ابن صاحب الصلاة على طائفة من القصائد الرفيعة التي تسمو الى نفس المثني وابن هاني الاندلسي ورفاقهما . راجع الأشعار فيه

١٦٦) التكلفة لكتاب الصلة رقم ٨٠٣

١٦٧) الاستقصاء ٢ ر ١٤١ .

١٦٨) على أرسفارة ابن العربي الى بغداد عام ٤٩٠ هـ توالى الرسائل بين المرابطين والعباسيين . ولما كانت المكاتب البغدادية تحمل تاريخاً يختلف عن التاريخ الذي يؤرخ به في الديار المغربية . فقد عمل ذلك في قلب الخليفة علي بن يوسف بن تاشفين ، على حد تعبير الوثائق القديمة . وكلف وزيره وكتاب ديوانه ابا القاسم ابن الحد أن يستشير فقهاء المغرب . وفي صدرهم علماء القرويين :

« محو تاريخ هجري موحد ، دعوة الحق ، العدد الثاني - السة العاشرة . شعبان ١٣٨٦ ديسمبر ١٩٦٦ م . ص ١٦ - ١٧ -

١٦٩) ذكر أنه رتب على اربعة فنون : الأول في الحسابات . والثاني في وضع الآلات . والثالثة في العمل بالآلات . والرابع في التطبيقات . وفي كل باب منها مسائل على طريق الجبر والمقابلة . السبع المغربي ١٥٧ هـ .

١٧٠) نقل الكانوني في مخطوطته : « شهرات المغرب » عن كتاب « فن الأسان بالمغرب الأقصى » انه كان بفاس في القرن الرابع الهجري مدرسة طبية . . . الطب والاطباء بالمغرب ص ١٥ .

١٧١) حضرات يوم الى باب امير المؤمنين الطيب سعيد الفماري مع الاديب احمد الكرواني فقال امير المؤمنين : من عجائب الدنيا شاعر من كروان وطيب من غمارة ! ولما بلغ الكرواني ذلك قال : « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه » اعجب منها - والله - خليفة من كومية ! استقصا ٢ ر ١٤١ .

١٧٢) الطب القديم بالمغرب . نشرة معهد الدروس العليا . عدد ١ ص ٧٢ .

١٧٣) مع هذا لا ننسى كتاب الشيخ ابي جيدة (٣٦٥ هـ) حول الوثائق على الطريقة الشافعية . وكتاب الاصيلي (٣٧٢ هـ) الآثار والدلائل في خلاف مالك وأبي حنيفة والشافعي . وكتاب ابي عمران الفاسي ٤٣٠ (التعليقات على المدونة الذي خرج فيه عوالي حديثه . - الكتاب الذهبي ص ١٦٠ - النبوغ المغربي ٥١ . (٤) ازهار الرياض ٢٢ - ٢٣ .

١٧٤) ازهار الرياض ص ٢٢ - ٢٣ .

١٧٥) يوجد في خزانة القرويين برواية عبد المؤمن عن المهدي الى الامام مالك

١٧٦) النبوغ المغربي . . .

(١٧٧) يوجد في الخزانة العامة بالرسالة تحت رقم ك ٢٢٢ . راجع ص ١٠٠ تعليق ٢ .

(١٧٨) المقرئ : ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض ٣١٣ .

(١٧٩) ابن خلدون - المقدمة طبعة مصر ص ٣٠٢ .

(١٨٠) كتب أمير المسلمين الى القاضي أبي عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا المعروف بابن الفراء (٥١٤ هـ) يأمره بفرض معونة استثنائية على أهل المربة ليتقوى على الجهاد ، فأجابته القاضي بأن ذلك لا يجوز فأجابته العاهل بأن عمر بن الخطاب فرضها في زمانه ، فراجعته القاضي بهذا الكتاب الذي يظل شاهداً تاريخياً للحوار الشريف الهادف المتبادل بين الملوك المغاربة وعلمائهم : إن كان عمر قد اقتضاها ، فقد كان صاحب رسول الله ووزيره وضجيعه في قبره ولا شك في عدله وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله ولا بوزيره ولا ضجيعه في قبره ولا بمن لا شك في عدله ، وأن عمر ما قام بذلك حتى دخل مسجد رسول الله ، وحلف بمحضر الصحابة أن ليس عنده في بيت المال درهم واحد ، فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع بحضرة من هناك من أهل العلم ، وليحلف أن ليس عنده في بيت المال درهم ينفقه ... « الصلة ١١ رقم ١٢٦١ طبعة ١٩٥٥ ، الاستقصاء ٢ ص ٥٣ - ٥٤ .

(١٨١) البكري : المسالك ، صفحة ١٣٠ .

(١٨٢) التكملة رقم ٢٠٩٧ ص ٧٤٠ ابن صاحب الصلاة ص ٢٢٩ ، الجلد ٣٤٥ ، الدكتور صلاح خالص : المعتمد بن عباد ص ١٤٣ - ١٤٤

(١٨٣) قد مدح ابن منقذ المنصور بقطعة شعرية من أربعين بيتاً ، يقول في مطلعها :

سأشكر ببحراً ذا عُبَابٍ قطعت الى بحر جود ما لأخراه ساحل ...

المع ٣٤٦،٦ - الاستقصا ص ٢١، ١٦٣ - .

(١٨٤) الف ابن القطان (٦٢٨ هـ) مقالة في معاملة الكافر بمناسبة ورود فرناند الثاني (البسج) على الناصر الموحيدي سوغ له فيها القيام له عند استقباله ، لم يرضها العاهل ، وما يزال بروتوكول المغرب إلى الآن على استقبال الملك للسفراء ، وهو على حالة الجلوس . ابن صاحب الصلاة ص ٢٢٢ - الذيل والتكملة خامس . جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي طبعة فضالة .

(١٨٥) من الطريف ان نعرف ان الشيخ ابا جيدة تأثر من رؤية سيدات فاس يسمين الى رؤيته ، فدعا الله لهن بقوله المشهورة « اللهم لا تشقهن » ، ومن هنا بداية عادة نساء فاس ان يقصدن ضريحه كلما زل بيتهن ما ينذر بشقاء ، وقد شاع في السنة اهل فاس نعت الزوج الذي لا يعصي امرأ لزوجته بأنه من اصحاب سيدي بوجيدة . وهذا ما يفسر تهافت سيدات فاس هذه الايام على حمل ازواجهن على اعادة بناء الضريح من مالهم الخاص ! + ...

(١٨٦) كانوا يرون أن القاضي اذا طال مدت فانه لا يحصل لمن يأتي بعده النفوذ المطلوب . تاريخ الدولتين ص ٤٤ .

(١٨٧) الأنيس المطرب ص ٤٨ .

(١٨٨) الروض الهتون ص ٥٩ - الجلد ٢٩٩ عند ترجمة يحيى السراج الاكبر . كتاب قيام دولة المرابطين .

(١٨٩) الأنيس ص ٣٤ ، الآس ص ٤٧ .

(١٩٠) بتراوح وزن الدينار المرابطي بين ٤٥٣ كرام وبين ٨٦٦ كرام وقد قدر بمبلغ الف فرنك وثلاثة وتسعين ساتيماً في بداية القرن العشرين فيكون المحصل بالضبط : ٨٧،٤٤٠،٠٠٠ ، ابن أبي زرع ص ٣٦ .

Le Maroc dans les premières années du XVI siècle (monnaie) page 99-100-101-102. .

(١٩١) المشرف لقب مغربي أندلسي قديم ، يعني تقريباً وظيفة المفتش العام للميزانية ، فهو الذي يشرف على كل الحقوق والواجبات اللازمة عند التصميم والاياد ، ويكون المشرف مع الوصي في بعض الاحوال كما في باب الحجر والايضاء ونوازلها وقد دخل اللفظ في اللغة الاسبانية **Almajorifie** ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ١٨٧ ، القرطاس ٢٩ ، دوزي ص ٣٨١ .

(١٩٢) المعجب ص ٨٢٧ روض القرطاس ١٥٤ .

(١٩٣) راجع لائحة العقار هذا عند الحديث عن تاريخ بناء باب القرويين المسمى (باب ابن حيون)

(١٩٤) ابن صاحب الصلاة : المن بالامانة ص ٦١ .

(١٩٥) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامانة ص ١٢١ ، الكماك - محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب .

ملحق للباب الأول

تراجع لبعض أعلام فاس في هذه العصور

بالرغم من الفراغ الذي شعر ويشعر به الكتاب المعاصرون عندما يتعلق الأمر بتدوين التاريخ الماضي ، فإن هناك عنصرًا مهمًا خدم تاريخ المغرب خدمة جلى ، ساعد على اكتشافه منذ بداية العصر الوسيط ، ونعني به أدب التراجم . وإذا كنا فقدنا الى حد ما - تاريخنا المكتوب ، فإننا قد توفرنّا على ما هو أجل من ذلك التاريخ . ألا وهو تراجم الكبار فمن حسن الحظ أن تملك سلفنا شعور بأن نزول الرحمة يقترن بذكر الصالحين ، فدأبوا على استمرار البحث والتنقيب على أولئك الرجال الذين كانوا مثلاً يُحتذى في سلوكهم وفي جهادهم لإسعاد بني جلدتهم . وهكذا وجدنا أمانًا طائفة مهمة من الزعماء والعلماء والفقهاء ممن كان لهم شأن عظيم في بناء المجتمع القاسي عبر السنين .

وقد كانت الانطباعة الأولى أن جل أولئك الرجال تأثروا ، بطريق مباشر أو غير مباشر . بما كان يرد من المشرق من أفكار وكتب وعلوم وفنون ، وإن الشرق كان وما يزال وسوف يبقى المنطقة التي يبدو منها الصّباح أولاً!! وإذا سمحنا لأنفسنا بأن نجعل للأندلس كيانًا خاصًا ، فإننا سنقول - قياسا على ذلك - إن للجو الأندلسي تأثيرًا في رجال فاس لم يستطيعوا حماية أنفسهم منه ... مئات منهم رحلوا الى المشرق ، ومئات منهم اضافوا الى تلك الرحلة الإمامة بقرطبة أو إشبيلية أو مرسية مثلاً ، وسنجد في أولئك الرجال قوًماً من صميم المغرب ، أو قوًماً من أقحاح العرب ، وآخرين من فارس ، وغيرهم من الأكراد ، لكن الإسلام استطاع أن يجمعهم على هدف واحد . وبوحدهم على لغة واحدة ... سنقف من خلال تلك التراجم على عدد من الآثار التي خلّدت ذكر أصحابها مؤلفات عالجت مواضيع أصبح المجتمع في حاجة ماسة اليها ، بسبب اختلاطه الخارجي بالعالم .. سنرى أن العلماء كانوا يواكبون سير الأحداث ، ويحاولون أن يتغلّبوا على مشكلات الساعة ... سنقف على عدد من علماء المغرب ممن عادت أفضالهم على المشرق بما بثوا فيه من علوم ، فأجابوا عن جميل الأُمس بجميل متجدد ، وعمموا في تلك الجهات ما اقتنعوا بصلاحيته من مذاهب لم تكن متشرة هناك ... سنقف على عدد من أعلام الفكر الإسلامي والمسيحي والموسوي كذلك كان لعلماء فاس أثر في تكوينهم وظهورهم ، من أمثال : ابن خزم ، وسيلفيستر ، وابن ميمون .. وسنلاقي فيهم نوعاً من العلماء المتجولين يعلمون حصة من السنة في هذه الجهة ، ويتنقلون الى الجهة الثانية في حصة ثانية من الزمن .. سنقف على نوع من العلماء كانوا يقضون مجالسهم مع الطلاب أكثر مما يقضون مجالسهم كحكام وقضاة .. وعلى نوع آخر من العلماء كانوا يُؤثرون أن يحترفوا الى جانب اشتغالهم بالدرس حتى لا يكونوا عبئاً على الدولة ، وحتى لا تتعرض كرامتهم للامتحان ... سنقف على عدد من القسّمين على العلوم والكتب ممن كانوا علماء أعلاما .. سنقف على الظاهرة التي كانت تميز التاريخ الفكري المغربي في العصور الوسطى : لا حدود ولا قيود ، قاضٍ بإشبيلية يصبح قاضياً بتونس ومراكش ، إلى أن يصل إلى القمة : فاس ... شبكة محكمة الاتصال بين مدرسة فاس ومدرسة سبتة ومراكش وأغمات وتلمسان والقيروان وقوطبة ... إجازات متبادلة بين هؤلاء وهؤلاء ، عدد من الصيادلة والأطباء والمؤقتين وأهل الهيئة ... إن على هذه القرويين كانت تعتمد الأطر المغربية في تزويدها بالعناصر الضرورية لسيرها في الداخل والخارج .. وسنرى في

علماء القرويين من طمحت نفسه ، وهو بالشرق ، الى أن يأخذ من عالماته المشهورات : ست الملك ، وست العلم .. وسنشهد بعض ما تعرضت له البلاد من الأحداث السياسية والظواهر الطبيعية : زلازل ، ستون عجاف ، سيول جارفة ، أوبئة معدية يذهب معها وجوه البلاد من فقهاء وعلماء ... ستعرف دورَ العنصر النسائي في تكوين هذا المجتمع ، لم تخل مرحلة من مراحل التاريخ من فقيهة تنير الطريق لزميلاتها ، أو عالمة تبين لمن وجه الصواب فيما يقصدن أو شاعرة تساجل وتنافس أدباء العصر ... كثير وكثير من المعلومات الطريفة حول الحياة الاجتماعية والفكرية يمكن أن نلتمسها من خلال تلك السطور القليلة.

الحق أن تراجم الكبار أجلّ من التاريخ كما قالوا لأنّها تحتوي على التاريخ وزيادة ... ولهذا رأينا أن نأتي بتراجم طائفة من أولئك الأعلام في سطور قليلة ، تنمّي للفائدة :

تراجم لبعض أعلام فاس على هذه العصور

(١) يحيى الأول (٢٣٤ - ٢٤٩ هـ) :

هو الإمام يحيى بن محمد بن إدريس الثاني بن إدريس الأول . عهد اليه الأمر بعد وفاة أخيه الإمام علي ابن محمد بن إدريس ، ويذكر ابن خلدون أن الدولة المغربية عظمت في أيامه ، وأن العمران استجد في مدينة فاس العاصمة على عهده ، فاستدعى بناء المزيد من فنادق التجار والحمامات ، وامتدت معه العمارة الى خارج أسوارها لاستيعاب الذين قصدوا المدينة من الأندلس وإفريقية والثغور القاصية ، والإمام يحيى هذا هو الذي أشرف على بناء جامع القرويين ، (ابن ابي زرع : الأنيس ص ٣٢ ، ابن خلدون ١٥٠٤).

(٢) فاطمة أم البنين (٢٤٥ هـ) :

هي فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني ، وتكنى أيضاً بأُم القاسم ، وقد وردت من إفريقية مع أفراد أسرتها على المدينة حيث سكنت عُدوة القرويين على مقربة من مكان الجامع الذي كتب لها شرف تشييده ، وبالرغم من أننا لم نجد لها ولا لوالدها ذكراً في معالم القيروان ولا في أعلام فاس ، فإن عملها هذا كان كافياً لسردها في عداد الخالدين (الأنيس ص ٣٢ - ٣٣).

(٣) داود بن إدريس (٢١٣ - ٢٦٣ هـ) :

كان ضمن إخوة الإمام محمد بن إدريس الذين اختص كل واحد منهم باقليم من أقاليم المغرب ، بإشارة من الجدة كنزة ، وقد كان من نصيبه في بادئ الأمر بلاد هواره وتسل وتازة ، وما بين ذلك من قبائل مكناسة وغيانة ، ولكنه لم يلبث بعد تولي يحيى الثاني (٢٤٩ - ٢٥٢) أن اتخذ عُدوة الأندلس مقراً له ، حين كان يحيى يحتفظ بعدوة القرويين أو المدينة العظمى ، وقد تحدث التاريخ عن (مناورات ومخالفات) بين يحيى وعمه داود من أجل الاستيلاء على عدوة القرويين ... وقد عثر على لوحة تحمل اسمه بتاريخ (٢٦٣ هـ) مغروزة في أعلى البلاطة الوسطى لجامع القرويين ... البلدان ١٨٩٠ ص ١٣٧ - : الإمام داود بن إدريس ، دعوة الحق ابريل ١٩٦٠ ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٣٦ جزء ٣ ص ٢١٢ .

(٤) احمد بن القاسم بن إدريس الاول (٢٩٦ هـ) :

من علماء عدوة القرويين الأعلام ، وهو من أعلى بني إدريس شأنًا ، شقيق يحيى الثالث (٢٩٢ هـ) وكان من أهم

ما ذكره التاريخ به أنه استدعى أحد مشاهير العلماء الجزائريين بكر بن حماد (البكري : المغرب ، في ذكر إفريقيا والمغرب) .

٥) بكر بن حماد (٢٩٦ هـ) :

أبو عبد الرحمن بكر بن حماد الزناتي التاهرتي . ولد حوالي سنة (٢٠٠ هـ) وأخذ العلم من علماء بلده ، ثم ارتحل الى القيروان فأخذ هناك ، ثم ارتحل الى بغداد سنة (٢١٧ هـ) فلقى عدداً من الادباء من امثال أبي ممام صاحب الحماسة ، ومسلم بن الوليد صريع القوافي ، وابن الاعرابي ، واتصل بخلفاء بني العباس وحصلت له حظوة ، تصدر بجامع القيروان لإملاء العلم والأدب سنة (٢٧٤ هـ) ، وقد استدعي من قبل الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس لزيارة فاس . البكري - المغرب - الجليلي : تاريخ الجزائر العام ص ٢١٠ - ٢١١ .

٦) الفارسي (٣٠٧ هـ) :

هو الخطيب ابو محمد عبد الله بن علي الفارسي الذي وقع عليه الاختيار من بين تلك الجملة الوافرة من المشايخ الذين عرفتهم عدوة فاس ، وكان ذا لسان وجنان ، وكان أول خطيب تحدث على منبر القرويين ، ولم يذكر التاريخ زمناً محدداً لوفاته ، وإنما احتفظ لنا بتاريخ (٣٠٧ هـ) الذي هو تاريخ نقل الخطبة من مسجد الشرفاء لجامع القرويين ويذكر بعضهم ان هذا الحادث كان سنة (٣٢١ هـ) اي السنة التي تم فيها نقل الخطبة الى جامع الأندلس على أن هناك رأياً ثالثاً يذكر ان الخطبة نقلت الى القرويين سنة (٣٤٥ هـ) لكن الذي يساعد عليه مجرى الأحداث هو تاريخ (٣٠٧ هـ) كما سلفت الإشارة الى ذلك عند الحديث عن المنبر الفاطمي .

٧) يحيى الرابع (٣٠٨ هـ) :

الإمام يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس كان أعلى بني إدريس شأنًا وحالاً وعلماً ، لم يبلغ أحد من الشرفاء ما بلغ ، قال علي النوفلي : كان يشهد مجلس يحيى بن إدريس هذا ، العلماء والشعراء ، وكان أبو احمد الشافعي من جلسائه ، ومن يتكلم عنده في العلم ، وكان ينسخ له عدة من الوراقين ، فقيه ، حافظ للحديث ، فصيح ، صاحب بلاغة وبيان . - المغرب - الأنيس ص ٥٢ . ابن خلدون ص ١٦ .

٨) ابن بكار :

من بيت بني بكار الذي تعاقب أفرادُه على مناصب العلم والقضاء بمدينة فاس على عهد الأدارسة ، وهم يتصلون نسباً براشد مولى إدريس . وهؤلاء غير بني بكار القيسيين الذين سمي باسمهم الزقاق الذي بين السبع لويات ودرب ، ابن حيون وقد استمر ذكرهم الى أواسط القرن العاشر في بعض الحوالات الوقفية (٩٥٩ هـ) عندما عوض فندق الرضاع في زنقة بن بكار بعقار آخر لمصلحة أحد أفراد هذه الأسرة ، وهو محمد بن بكار كتاب مشاهير فاس - الحوالات الوقفية - ...

٩) الصدي (٣٢١ هـ) :

أبو الحسن بن محمد الخطيب الأول لمسجد عدوة الأندلس ، ويتساءل عن صلة الحافظ الصدي به ، فاذا ثبت أن هذا يمت لذلك ، فيرجع تاريخ وجود أسرة ابن حيون الصدي بفاس الى هذا التاريخ المبكر قبل الشيخ عبد الملك بن حيون (ت ٥٩٩) الأنيس - ٣٣ - ٣٤ - الآس ٩٢ .

- (١٠) أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إدريس (٣٣٢ هـ) :
هو غير أحمد (الأكبر) المتقدم ، يُعدّ من أعلم بني إدريس وأكثرهم اتصالاً بمجالس العلماء ورجال الإفتاء ،
وقد نقل البكري عنه أنه كان استشار قاضي المدينة سنة (٣٣٢ هـ) في أمر التطوع للغزو بالأندلس الى جانب عبد
الرحمن الثاني . وهذا تكون أول فتوى لمساعدة الأندلس صدرت بفاس . البكري : المغرب ص ١٣٠ .
- (١١) ابن أبي عيسى (٣٣٢ هـ) :
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى قاضي الجماعة بمدينة فاس ، وهو القاضي الذي استفناه الأمير
أحمد بن إبراهيم في دخول الأندلس من أجل نصرة المسلمين الذين كانوا عرضة للأذى .
- (١٢) جبر الله (٣٥٠ هـ) :
هو جبر الله بن القاسم الأندلسي ، من المتقدمين الذين كانوا يلزمون بصفة خاصة جامع الأندلس في الجانب
الغربي منها ، ومن ساعدوا على انتشار المذهب المالكي في العدوتين ، ولذلك يعد من مشاهير علماء فاس وفقهائها .
لقي الإمام أصح بن الفرّج . وسمع عنه ، كان يرتدي برنسه قبل أن يتصدر للدرس ، وهو من لحقوا دراس بن
إسماعيل ... الجزنائي : الآس ص ٩٥ - الجذوة ص ١٠٩ - السلوة ص ٣٥٦ .
- (١٣) ابن سعادة (٣٥٥ هـ) :
الفقيه عيسى بن سعادة بن موسى . من فقهاء فاس الأولين . الذين أخذوا عن جبر الله بن القاسم . وقد طلب العلم
أيضاً بالقيروان ومصر والأندلس ، كان صاحب أبي الحسن القابسي وسمع من أبي الحسن بن الإمام والدباغ والاباني
وصحب الاصيلي أيضاً وحمزة بن محمد الحافظ وغيرهما . ذكره ابن سهل في مختصر المدارك . أدركه أجله بمصر
سنة (٣٥٥ هـ) (الجزوة ص ٢٨٠) .
- (١٤) دراس بن اسماعيل (٣٥٧ هـ) :
وهذا علم عظيم من أعلام فاس أيضاً أستاذ بالأندلس والقيروان وسبته ، أخذ العلم عن شيوخ بلده ، ورحل الى
الأندلس واستقر بها طالباً ومجاهداً ، وسمع منه غير واحد ، وحدث عنه أبو الفرّج عبدوس بن محمد الثغري الطليطي
(ت ٣٩٠ هـ) وتوجه للحج فدخل القيروان ، وأخذ عنه بها أبو محمد عبد الله بن أبي زيد صاحب الرسالة والناظر
(٤١٠ - ٣٨٦ هـ) ، وأبو الحسن علي القابسي المحدث الفقيه صاحب الملخص والممهد (٣٢٣ - ٤٠٣ هـ) .
وخرج منها مع أبي محمد الأصيلي والقابسي الى مصر ومكة ، ولقي علياً بن مطر بالاسكندرية ، وسمع منه كتاب
ابن المواز ، وحدث أيضاً به في القيروان ، ثم رجع الى فاس ، فكان أول من أدخل اليها مدونة سحنون (ت ٢٤٠ هـ)
ومن أخذ عنه أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبي الاقليشي ، وأبو عبد الرحمن عبد الرحيم بن أحمد بن العجوز
الكلامي عالم سبته الذي روى عنه جماعة من سبته ومن فاس ، وكانت اليه الرحلة بالمغرب في وقته ، وعليه مدار الفتيا
- الضي : بغية المتمس رقم ٧٣٨ . جنى زهرة الآس ص ٢١ - ٢٢ ، الدياج ٢٠٠ ، الجذوة ١٢١ ، السلوة ٢
ص ١٧٨ ، الكتاب الذهبي ص ١٦٠ .
- (١٥) سيليفتر (البابا) (٣٥٩ هـ) :
هو جبر الله الذي اتفقت كلمة المؤرخين على أنه قضى فترة من حياته طالباً بالأندلس ، ومن هنا يذكر بعضهم أنه

نزل الى مدينة فاس حيث كانت الدراسة مزدهرة بجامعتها القرويين ، وحيث نقل من هناك الأرقام العربية الى أوروبا جوزي بندلي بن صليب : أقدم مدرسة كلية علمية في العالم . الهلال ، أول يولييه ١٨٩٣ م ، ص ٣٥٦ .

(١٦) ابو جيدة (٣٦٥ هـ) :

الشيخ ابو جيدة بن أحمد الفاسي اليزغيتي (بنو يزغتن هم بنو يازغة) . أدرك صدرأ من فقهاء فاس . وكان يحسن مذهبي مالك والشافعي ، وله تأليف في وثائق الشافعية وتصانيف كذلك . وهو مع درّاس ممن بعثوا الحياة في جسم الأمة المغربية . له رحلة الى المشرق افاد فيها واستفاد ، وقد عرف بفضله فاس لقوة عارضته وسعة اطلاعه . وكان محل تقدير من سائر أهل فاس ، الآس ص ٧ ، الجذوة ١٠٨ ، السلوة ١ ، ٣٧٨ ، ٩٢ .

(١٧) ابن ودّون (٣٦٩ هـ) :

القاضي الفقيه أبو مروان عبد الملك الزواغي ، ولي القضاء بمدينة فاس أول دولة الزناتيين وبيت الزواغين . كان بيت علم وعدالة ، وهم الذين كانوا يملكون موضع المدينة قبل أن يشتريه الإمام ادريس . وعبد الملك هذا هو والد الفقيه المعروف صاحب كتاب تاريخ الأدارسة المتوفى سنة (٣٨٠ هـ) . (كتاب مشاهير فاس) . البيوتات العلمية بفاس . الكتاب الذهبي ص ١٧٥

(١٨) ابن البان (٣٦٩ هـ) :

القاضي الفقيه محمد الأردّي ، من أسرة عالمة تعرف ببيت بني البان نسبة الى جدّتهم السيدة البان بنت القاضي . وقد كان ابن البان هذا قاضي مدينة فاس أيام مغراوة الزناتيين ، ومنهم القاضي عبد الرحمن بن البان المتوفى سنة (٤٣٨ هـ) الذي تولى القضاء بها بعد وفاة ابن ابي شعيب . (كتاب مشاهير فاس) .

(١٩) ابن دجّانة (٣٦٩ هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن إدريس ، من بيوتات فاس القديمة المعروفة بالعلم والفقه . تولى قضاء المدينة بعد وفاة ابن البان . ابن سودة : الكناشة .

(٢٠) الأزدي (٣٨٢ هـ) :

القاضي أبو محمد قاسم بن عامر ، من اعلام فاس ورؤساء القرويين . استقضاه زيري بن عطية على المدينة . الكتاب الذهبي ص ١٦١ .

(٢١) الصديني (٣٨٨ هـ) :

الفقيه الكبير والشيخ الشهير أبو هارون موسى بن يحيى الصديني الفاسي ، فقه حافظ للمسائل ، عالم بالرأي . له رحلة الى المشرق لقي فيها أبا جعفر الأسواني المالكي ، ودخل الأندلس ، وتردد في الثغور ، وكتب عنه هناك ، وحدث عنه عبدوس وغيره ، ولا يزال في فاس زقاق يحمل اسم عقبة الصديني ، كما أن هناك قبة القيسارية بالقيسرية تحمل اسم قبة الصديني كما في بعض الحوالات القديمة . الكتاب الذهبي ص ١٦١ .

(٢٢) ابن الولي (٣٩٢ هـ) :

قاضي القضاة بفاس ، من أصل بربري ، من بيت عريق في العلم والفقه ، وقد ذكر من هذا البيت سبعة قضاة موزعين في سائر جهات المغرب ، وهم من زناتيين المغرب ، لا من زناتيين إفريقيا ، ولا تزال أسرة أولاد الولي معروفة

بفاس . : الكتاب الذهبي ص ١٧٥ .

(٢٣) ابن مخلوف (٣٩٨ هـ) :

الفقيه الناسك أبو عبد الله محمد بن مخلوف الفاسي ، قدم قرطبة في شهر رمضان سنة (٣٩٨ هـ) ، وكتب عنه الفقيه محمد بن عتاب مع شيخه أبي عثمان سعيد بن سلمه . الكتاب الذهبي ص ١٦٠ .

(٢٤) الهواري (٣٩٩ هـ) :

فقيه فاس أبو الحسن علي بن سعيد بن أحمد الهواري ، له رحلة الى المشرق ، روى فيها عن أبي علي الحسن بن عمر بن الصباغ الاسكندراني ، وقدم الى الاندلس فحدث بطليلة سنة (٣٩٩ هـ) ، وسمع منه أبو اسحاق ابراهيم بن شنطير الأموي الطليطي (ت ٤٠٢ هـ) وصاحبه أبو جعفر بن ميمون ، وكانا رفيقين في الرواية ولهما حلقة واحدة في جامع قرطبة ، وكذلك سمع منه أبو عبد الله بن شق الليل وغير هؤلاء . ابن الحسني ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٢٥) ابن فتوح (القرن الرابع) :

الفقيه الغازي ، كان من أعلام فاس في المئة الرابعة . المصدر السابق .

(٢٦) جنان (القرن الرابع) :

القاضي جنان من بيت جنان المعروف بالعلم والفقه ، وهو والد الست البان التي يتنسب اليها بنو البان ، وقد كان منهم ابن البان السالف ذكره . (مشاهير فاس) .

(٢٧) اللواتي (القرن الرابع) :

الفقيه الجليل الحسن اللواتي من العلماء اللامعين على عهد الزناتين ، وقد تسلسل العلم والفقه في ذريته ، فكان فيها الفقيه أبو الحسن علي بن الحسن وكان له ذكر على عهد المرابطين ، وكذلك حفيده علي الذي اشتهر أيضاً على عهد الموحدين . (مشاهير فاس) .

(٢٨) ابن عبودة (القرن الرابع) :

الفقيه الجليل عبد الواحد بن عبودة ، برز في الفقه والعلم ، وبالرغم من أن أسرته حديثة عهد بالاسلام ، اذ انها لم تدخل فيه إلا أيام الإمام ادريس ، فقد نبغ فيها عبد الواحد الذي كان متحمساً أكثر ما يكون التحمس لنشر الفقه والعلم .

(٢٩) ابن نزار (القرن الرابع) :

الفقيه ابو موسى بن أبي عيسى الفاسي ، رحل الى الشرق فسمع ببغداد أبا طالب محمد بن علي العشاري ، (٣٦٦ - ٤٥١ هـ) : الكتاب الذهبي ص ١٦١ .

(٣٠) ابن ملولة (٤١٠ هـ) :

القاضي الجليل ، من بيت من أصل فارسي ، كان ممن ورد على الإمام إدريس ، وتولى القضاء منهم بفاس جماعة . ابن سودة : الكناشة .

(٣١) ابن عزانة (٤٠٠ هـ) :

القاضي حسين بن عزانة ، من أصل بربري ، وقد نبغ عدد منهم في الفقه ، فكان بيتهم بيت علم ووليّ حسين القضاء بمدينة فاس أيام الزناتيين . (كتاب مشاهير فاس) .

(٣٢) ابن محسود (٤٠١ هـ) :

القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن المحسود الهواري قدم على مدينة فاس من قرية أوربة ، وثقف بفاس ، ثم رحل الى القيروان ، فلقى بها الفقيه الحافظ أبا محمد بن أبي زيد وشاهد تأليفه النوادر . ثم ولى القضاء بفاس ، وكان مثلاً أعلى في العدالة والتحفّظ والتحري ، ونوادره حول هذا الموضوع تعد في عداد المثل الأخلاقية النموذجية . كان ينزل أول الامر بعدوة الاندلس ، ثم لم يلبث أن انتقل الى عدوة القرويين ، وبها كان مثواه . وما يزال بفاس مسجد يحمل اسمه يقع في النواعرين كما تفيدته الحوالات الوقفية . جنى زهرة الآس ص ٩٥ - ٩٦ - التشوف عدد ١٧ ، ص ٩٥ - ٩٦ - الجندوة ص ٢٣٥ - ابن عيشون الشراط - السلوة ١٦٠٣ .

(٣٣) ابو علي الفاسي (٤١٢ هـ) :

العالم الفاضل أبو علي الحسن بن علي الفاسي ، لم يزل يختلف الى العلماء ويلازمهم . رحل الى الاندلس فكان يقصد مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد الازدي المصري المولد والوفاة (٤١٠ هـ) ، وفي هذا المجلس صحبه الحافظ أبو محمد علي بن حزم القرطبي الظاهري (٤٥٦ هـ) لما عقل وانتفع به كثيراً ، قال ابن حزم في (طوق الحمامة) : « ما رأيت مثله علما وعملا فنفعني الله به .. » وبهذا تكون فاس قد أسهمت في تكوين الحافظ بن حزم الذي يعد من أجمع الناس لعلوم الإسلام في عصره بالاندلس . ابن الحسني : الكتاب الذهبي ص ١٦١ .

(٣٤) ابن العجوز (٤١٣ هـ) :

الفقيه العلامة أبو عبد الرحمن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي ، روى عنه بالإضافة الى اهل سبتة عدد كبير من طلبة فاس ، وكانت الرحلات تشدّ اليه ، وعليه تدور الفتيا ، ويبت ابن العجوز بيت فقه وعلم . (مشاهير فاس ...) الكتاب الذهبي ص ١٦٠ .

(٣٥) ابن أبي شعيب (٤٢٧ هـ) :

القاضي ابو عبد الله محمد بن أبي شعيب ، من قضاة فاس المرموقين ، . ابن سودة : الكناشة .

(٣٦) ابن زنوبة (٤٢٩ هـ) :

حجاج بن خلق الله بن زنوبة البيت المعروف بالعلم والفقه الذي يتسب اليه ابن زنوبة صاحب الوثائق والفقيه منصور ، واحمد ، وعلي . (مشاهير فاس) .

(٣٧) ابو عمران الفاسي (٤٣٠ هـ) :

ابو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي الفاسي ، بيته بفاس معروف ، واليه ينسب درب أبي حاج بالطالعة ، وقد جمع علومه الاولى بمدينة فاس ، لكن صرامته وصراحته لم يمكنه من العيش مع الولاة الزناتيين ،

فاخرجوه من المدينة ، فاستقر بالقيروان ، وهنا تفقه أيضاً على أبي الحسن القاسبي وغيره ، ثم رحل الى قرطبة فدرس على أبي محمد الاصبلي وغيره ، ثم رحل الى المشرق ، واخذ بمصر القراءات عن أبي الحسن عبد الكريم ، واخذ بمكة ، ثم حج حجاً كثيرة . ودخل بغداد سنة (٣٩٩ هـ) . وحضر مجلس الباقلاني ، ثم انصرف الى القيروان حيث عكف على الدرس ، ونال شهرة جعلته كعبة الطلاب الذين يريدون من سائر أطراف البلاد . كان الإمام الباقلاني يقول : « لو رأى مالك أبا عمران القاسي والقاضي عبد الوهاب ، لسرّ بهما » . ولم ينس أبو عمران فاساً مسقط رأسه كما ان فاساً لم تنسه ، ولهذا ظل بيته مفتوحاً للرواد من فاس جيئة وذهاباً ، وبعد الرأس المفكر الذي اوعز باستئصال ولاية زناتة عن طريقة تلامذته المغاربة . واليه يرجع الفضل في تركيز المذهب المالكي بالمغرب الكبير . حضر جنازته جميع أهل القيروان ، يتصدرهم السلطان المغربي باديس . وهناك كلمة تجري في تونس مجرى المثل : « مشكلة لا يفكّها إلا قاضي فاس » يعتقد أنها ترجع في أصولها الأولى الى أيام أبي عمران القاسي هناك . التشوف ، ص ٦٤ معجم البلدان : ٢٣٠ / ٤ مادة فاس - الديباج ص ٣٤٤ - يرم التونسي : الرحلة .

(٣٨) القيسي (٤٥٣ هـ) :

القاضي بكار بن قاسم القيسي ، وهو غير بكار بن عبد الرحمن الحفيد المتوفى سنة (٥٤٠ هـ) . تولى القضاء بعد عبد الرحمن بن البان المتوفى (٤٣٨ هـ) . (الجذوة ص ١٠٤) .

(٣٩) البجلي (٤٦٠ هـ) :

العالم الاديب محمد بن اسحاق استهوت مدينته فاس وبخاصة عدوة القرويين منها . روى عنه البكري في المغرب هذين البيتين المشهورين في مدح العدو المذكورة :

ولا ندري صلة البجلي هذا بعلي بن عبد الله البجلي زعيم البرغواطيين . البكري : المغرب ص ١١٧ سوس العالمة ص ١٧ . راجع ٤٤ .

(٤٠) ابن حنين (٤٧٣ هـ) :

الفقيه الشاعر أبو الطيب سعد بن حنين ، من بيت علم وفضل وجمال في مدينة فاس . ولهم زقاق بالمدينة يحمل اسمهم . (كتاب مشاهير فاس) . البحث العلمي ، يناير ١٩٦٥ ص ٨٠ .

(٤١) ابن العجوز (٤٩٠ هـ) :

الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن احمد الكتامي المعروف بابن العجوز . ولاء ابن تاشفين قضاء مدينة فاس . بعد أن التجأ اليها فاراً بنفسه على أثر مؤامرة دبّرت له . الجذوة ص ١٥٥ - السلوة ص ٢٩٨

(٤٢) الديباجي (٤٩٢ هـ) :

الفقيه العلامة عبد الجليل بن أبي بكر الربيعي ، روى عن أبي عمران القاسي وأبي عبد الله الأزدي . وأقرأ بمدينة فاس . ولقيه أبو عبد الله بن شبرين وكان ممن أخذ عنه يوسف ابن الملحوم . التكملة ٢ ص ٦٥٣ رقم ١٨١٧ .

(٤٣) ابن الملحوم (٤٩٢ هـ) :

المفتي النقيع العالم أبو الحجّاج يوسف بن عيسى بن قاسم الملقب بالملحوم بن فترس بن الأمير مصعب بن

الوزير عمير الأزدي ، من أهل الفتوى والشورى . استفناه يوسف بن تاشفين اللمتوني لما أراد الجواز الى الأندلس لينزل ملوكها المختلفين المتظاهرين بعضهم على بعض بالاجنبي والضارين على المسلمين ما لا يطيقونه من المغارم والمكوس الخ ... وبيت بني الملجوم كما رأينا ينحدر من عمير بن مصعب الأزدي وزير الإمام إدريس ، وقد تداولت في أسرهم الفتوى والشهادة والقضاء ، لقب جدهم قاسم بالملجوم للثغة في منطقه لازمته من صغره ، واتصل وجودهم الى القرن العاشر ... (مشاهير فاس). البحث العلمي دجنبر ١٩٦٤ ص ٤٨ - الجذوة - ص ٣٤٥ .

(٤٤) اللخمي (٤٩٢ هـ) :

أبو مروان عبد الملك بن محمد بن عبد العزيز اللخمي شاطبي ممن رحلوا الى فاس من أهل الأندلس ، وروى بها عن نزيلها أبي الحسن علي بن محمد بن سعيد بن الطشتير ، ونسخ بها استذكار أبي عمر بن عبد البر ، كان حسن الوراثة نقيها ، وما يزال أهل فاس ينعنون أحسن الكاغد بأنه شطي ، أي شاطبي . الذيل والتكلمة شريط عن مخطوط بالقاهرة الجزء الرابع .

(٤٥) ابن الصيقل (٥٠١ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري ، من أهل شاطبة أيضاً من كبار العلماء المحدثين . رحل الى سجلماسة ، فسمع من بكار بن الفرديس . وسمع صحيح مسلم باغمات ، واستوطن مدينة فاس . فأخذ عنه الكثير . الغنية ص ٢٤ - ٢٥ - التكلمة ص ١٤٢ رقم ٥٠٣ .

(٤٦) الشارقي (٥٠٠ هـ) :

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن . سمع بالمشرق ، ودخل بغداد فأخذ عن أبي إسحاق الشيرازي . وسمع محمد بن صدقة من العلماء الاكراد . كان مشاركاً في معرفة الأصول والفقه على مذهب أهل العراق . ودخل فارس والأهواز ومصر والأندلس ، ثم سكن مدينة فاس ، فسمعت منه طائفة من الناس (الصلة رقم ٧٥) الغنية ص ٢٨ .

(٤٧) الطليطلي (٥٠٣ هـ) :

الخطيب أبو عبد الله محمد بن علي . سمع من عدة مشايخ . منهم عبد الرحمن بن سلمة وقاسم وإبي الوليد الباجي والتحق بمدينة سبتة ثم بمدينة فاس حيث ولي الخطابة . ابن شكوال الصلة رقم ٥٣٧ .

(٤٨) التيمي السبتي (٥٠٥ هـ) :

القاضي أبو عبدالله محمد بن عيسى بن حنين التيمي السبتي ، طلب العلم بالأندلس ، فسمع من أبي عبدالله المرابط بالمرية ، وأبي مروان بن سراج ، وغيرهما ، وانتقل الى سبتة أستاذاً فأخذ منه القاضي عباس قبل أن يلتزم القضاء بمدينة فاس سنة (٥٠٣ هـ) ، وهو الذي بنى باب المؤتقين من القرويين (الصلة رقم ٥٧٢ - التكلمة ١٤٨٠ - معجم اصحاب الصدف رقم ٨٢ - الغنية ورقة ٩ - ٨ ، الجذوة ١٤٥) .

(٤٩) المجري (٥٠٦ هـ) :

الطبيب أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل المجري ، أصله من شاطبة . من أهل المعرفة بالعربية واللغة والأدب ، تعلم الطب ، ثم انتقل الى فاس حيث قعد للعلاج الى أن توفي بها (التكلمة لكتاب الصلة ، ١٧٢ رقم ٣٦٣) .

٥٠) ابن اللبانة (٥٠٧ هـ) :

محمد بن عيسى الأديب الأندلسي . شاعر من أهل دانية ، أقام مدة طويلة في فاس ، وصاحب علماءها وأدباءها ، وقد كان من الشعراء الذين تغنوا بجمال فاس .

جنى زهرة الآس ص ٣١ راجع ص ١٢٢ تعليق ٢ .

٥١) القيسي (٢١٠ هـ) :

أبو الحسن علي القيسي ، من بيوتات فاس المعروفة ، رحل الى الأندلس لاستكمال معرفته ، فأخذ من الخشني ، ورجع الى فاس فتولى التدريس والافتاء ومهمة الشورى . صلة الصلة نشر بروفنصال ص ١٤٦ الترجمة رقم ٢٩٢ .

٥٢) ابن أبي الدؤس (٥١١ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن أغلب ، من أهل مرسية في الأصل ، كان عالماً بالعربية والأدب . رحل إلى فاس حيث تابع نشاطه العلمي هناك ، أدركه أجله بمراكش ، (التكملة ص ١٤٧ رقم ٥١٧) .

٥٣) ابن النحوي (٥١٣ هـ) :

علامة المغرب الأوسط أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف ، من أهل العلم والعمل ، كان ممن انتصر لعدم إحراق كتاب «الإحياء» للإمام الغزالي لما كتب علي بن يوسف بن تاشفين بالتحريج على الناس في هذا الكتاب ، وقد استفتي من قبل أبي الحسن بن حرزهم حول الأيمان التي أعطيت لعدم تملك الأحياء . عاش ردحاً من الزمان في مدينة فاس حيث نزل بعقبة ابن ديوس ، وقد أخذ جمال المدينة بلبه فنظم الشعر المعروف :
(يا فاس منك جميع الحسن مسترق) وهو صاحب قصيدة (المنفرجة) الشهيرة

(الأنيس ص ١٨ - الآس ٣١ - ٩٦ - ٩٧ - التشوف : ٧٢ - ٧٣ - الجذوة ٣٤٦) .

٥٤) الصدي (٥١٤ هـ) :

أبو الخير سالم بن إبراهيم بن عبد الرحمن (من سرقة) ، سمع من أبي علي الصدي ، وأكثر عنه ، وكان أحد الملازمين لمجله ، وعُني بالحديث ومسابيل الرأي وبالفقه والوثائق ، استوطن مدينة فاس حيث تابع نشاطه ، وقد أدركه أجله بديار مصر ... المعجم ص ٣٠٧ - ٣٠٨) .

٥٥) ابن العجوز (٥١٥ هـ) :

عبد الرحمن بن محمد الكتامي الفقيه ابن الفقيه ابن الفقيه ، درس العلم بسبته ، وولي القضاء في عدة مدن ، والتحق بفاس حيث أفاد واستفاد . (الصلة رقم ٣٣٨ - الغنية ص ٥٢ الجذوة ٣ ، ٢٩٥) .

٥٦) الصنهاجي (٥١٥ هـ) :

القاضي أبو سعيد خلوف بن خلف الله الصنهاجي ، سمع بغرناطة ، وولي قضاء مدينة غرناطة من قبل المرابطين سنة (٥١٠ هـ) ، ثم قضاء مدينة فاس ، وبها توفي وهو متول قضاءها . (التكملة ص ٦٢ رقم ١٩٨ - الجذوة ١١٦) .

٥٧) ابن رشد (٥٢٠ هـ) :

القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (الجد) ، قاضي الجماعة بقرطبة ، من أعيان المالكية . وهو جد

ابن رشد الفيلسوف (Averroes) محمد بن أحمد المعروف بالحفيد ، له تآليف منها : (البيان والتحصيل) ، والفتاوى واختصار المبسوط . حل بفاس ، وكانت له صلات بأساتذتها وطلبها . الجدوة ١٧٦ .

(٥٨) الشاطبي (٥٢١ هـ) :

أبو القاسم خلف بن محمد سمع من عدد من الشيخ بالأندلس ، قصد مدينة فاس فسكنها ، وسمع منه فيها عدد من الطلبة . (ابن شكوال : الصلة ص ١٧٣) .

(٥٩) ابن الصقر (٥٢٣) :

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري البلنسي ، من أهل المرية ، من العدد العديد الذين رحلوا من الأندلس للأخذ بمدينة فاس . وقد سمي ابن القاضي عدداً من شيوخه بفاس (الجدوة ص ٢٦٢) .

(٦٠) ابن زغبوش (٥٢٤ هـ) :

عبد الله بن محمد بن حماد بن محمد ، من طلبة فاس الذين كانت لهم عناية بتأليف المهدي بن تومرت التي كانت محور الدراسة الأولية لدى الموحدين . (الروض المتون ١٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٦١)

(٦١) ابن تومرت (٥٢٤) :

محمد بن عبد الله المهدي مؤسس الدولة الموحدية ، كان في عداد الذين درسوا بالشرق ، وعادوا فربطوا صلاتهم بعلماء فاس باعتبار أن فاساً منطلقاً لسائر الأفكار التي يراد لها الرواج ، وقد هب لحضور درسه بمسجد الطالعة عدد من علماء القرويين على ذلك العهد ، كان في طليعتهم أبو محمد عبد الحق بن معيشة ، على ما سلف . اخبار المهدي بن تومرت ص ٦٣ .

(٦٢) ابن عطية (٥٢٥ هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية ، أصله من إفريقية ، أخذ العلم بقرطبة واستقصى بتلمسان ، ثم رجع إلى الأندلس قاضياً باشيلية ، ثم عين قاضياً على مدينة فاس حيث أشرف على شؤون القرويين ، وقد كان من أهل المعرفة والعلم ، وبعداً مثلاً ناطقاً للأحدود بين أجزاء الامبراطورية المغربية حيث ولد في جهة ، وتعلم في ثانية ، وتوظف في ثالثة الخ ... الغنية ص ١٥ - الجدوة ص ١٥٧ .

(٦٣) الهواري (٥٢٧ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الهواري ، أبوه أبو الطيب من جالية القيروان ، كان من العدد العديد الذين فارقوا القيروان عند فتنة العرب بها ، دخل الأندلس وسمع بها ، ولم يلبث أن قصد مدينة فاس فأصبح من أهلها ، واكتسب سمعة بها مكنته من الإجازة لأبي القاسم بن الملجوم الذي حضر مجالس ابن تومرت . البيذق ص ٦٣ ، التكملة : نشر العطار ، ص ٦٧٥ ، عدد ١٧٠٨ .

(٦٤) ابن داود (٥٢٨ هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن داود ، قاضي الجماعة بفاس على عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، أشرف

على بناء باب الشماخين من جامع القرويين ، وزاد في صحن المسجد بلاطين غربيه ومثلهما شرقية . الأنيس ص ٣٦ - ٣٧ .

(٦٥) الصّدي (٥٢٩ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عيسى بن القاسم ، كان ممن أخذوا عن أبي علي بن سكرة الصّدي ، ولازم مجله . فكان فقيهاً عارفاً بالوثائق ، أدبياً شاعراً . رحل الى فاس فكان له عدد من التلامذة قبل أن يستكتبه ابن الملجوم في قضائه على مكناس . التكملة ص ١٦٤ رقم ٥٧٦ معجم الصّدي ص ١١٧ .

(٦٦) الثّقفي (٥٢٩ هـ) :

عبد الله بن يحيى من أهل سرقطة ، روى ببلده عن صاحب الأحكام . وعن أبي علي الصّدي بمرسية ، وبقرطبة عن أبي بحر الأسدي ، ثم انتقل الى مدينة فاس حيث أقام بها معلماً . التكملة ص ٤٦٤ رقم ١٣٤١ - معجم الصّدي رقم ١٩٤ ص ٢٠٨ .

(٦٧) ابن وشون (٥٢٩ هـ) :

القاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن وشون الهذلي . من ابرز فقهاء فاس وأحسن من تولى القضاء بها الى جانب قيامه بالخطبة . وبه بيت علم وفقه . الآس ص ٩٧ - مشاهير فاس . البحث العلمي يناير ٦٥ ص ٨٢ - الجذوة ٢٣٥ . السلوة ٢ . ٤٩ .

(٦٨) ابن أبي الحسن (٥٣٢ هـ) :

الفقيه الجليل أبو علي كان ذا منزلة سامية ، وكان بيته يحاذي الجدار الشرقي للجامع القرويين ، ولعلّو مركزه . تيب القاضي ابن معيشة أن يفاتحه في شأن تسليم بيته لتعديل محراب القرويين . (الأنيس ص ٣٨) .

(٦٩) ابو القاسم بن فرتون (٥٣٢ هـ) :

أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون ، من كبار علماء شتّرين . انتقل الى مدينة فاس فأقام بها معلماً للحديث والسير وعلوم القرآن بمسجد حنين ، وعاد إلى الأندلس وأدركه أجله بقرطبة . (الغنية لعياض) .

(٧٠) ابن معيشة (٥٣٣ هـ) :

القاضي ابو محمد عبد الحق الكناقي الغرناطي ، أحد رؤساء جامع القرويين على عهد المرابطين بعد القاضي ابن داود ، كان يحتفظ بأربع خطط : فقه ، مشاور ، إمام ، قاضٍ ، ويذكر التاريخ أنه كان على رأس علماء القرويين الذين حضروا مجالس ابن تومرت في مسجد الطالعة ، وبما يدل على ان عبد الحق تأثر بدعوة ابن تومرت أن بعض التجار في أدوات الطرب واللّهو التجؤوا اليه بعد أن قام طلبة المهدي بتكبيرها ، فأجابهم : «لولا ان ابن تومرت لم ير فيها منافاة للشرع ، لما أمر طلبته بذلك ؛ وكان هذا مما استدعى عزله من قبل علي بن يوسف بن تاشفين ، لأن قوله هذا يشجع على الفوضى . البيذق : ص ٦٣ - ٦٤ - الأنيس ٣٨ .

(٧١) ابن باجّة (٥٣٣ هـ) :

هو المعروف عند المسيحيين باسم (Avanpace) جاء في ترجمته أنه أصلح حال العلوم الرياضية هناك من طب وهندسة وفلسفة ، ويعد أول فيلسوف مغربي جروء أن يستغل تأليف فلاسفة المشرق من أمثال الفزالي . ومن حق المغرب أن يتباه كما يقول الدكتور رونو . الجدوة ص ١٥٧ . مجلة المغرب ، نونبر ١٩٣٦ - المغرب الجديد : عدد ١٥ - ٢٠ ، يولي ١٩٣٦ ص ٩٦ ، الفلسفة الإسلامية بالمغرب : ص ٢٧ ، قيام دولة المرابطين . النبوغ المغربي ...

(٧٢) ابن فرتون (٥٣٧هـ) :

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن خلف بن الحسن بن الوليد السلمي من أهل فاس ، دخل الأندلس . وسمع من عدد من المشايخ ، منهم أبو علي الصدي ، سمع منه الموطأ ، وأجاز له ابن الآبار : المعجم ص ٦٢ رقم ٤٦ . الجدوة ص ٥٦ .

(٧٣) القيسي (٥٣٧هـ) :

القاضي أبو مروان عبد الملك بن بيضا القيسي الذي عين القضاء بعد عبد الحق بن معيشة ، الأنيس ٣٩ - الجدوة ٤٢ .

(٧٤) العتاد (٥٣٨هـ) :

أبو يحيى الأستاذ الأدهب اللغوي الشاعر كان إماماً في اللغة والشعر ، روى عنه جملة من رجال القرويين ، وهو الذي صنع منبرها الذي يعدّ أقدم تحفة في العالم الإسلامي . الأنيس ص ٣٨ - الآس ٥٥ .

(٧٥) ابن باق (٥٣٨هـ) :

القاضي أبو جعفر محمد بن حكم بن محمد بن أحمد (من سرقطة) . روى عن أبي الوليد الباجي وغيره ، واستقر بمدينة فاس ، وولي أحكامها ، وأفتى بها . وأقرأ كتاب سيويه . وكان ذا حظ من علم الكلام . له شرح على الإيضاح لأبي علي الفارسي ، وكان واقفاً على كتبه وكتب أبي الفتح بن جني وأبي سعيد السيرافي . وقد كان ممن روى عنه بالمدينة العلامة علي اللواتي ، أدركه أجله بثلمان . (التكملة ص ١٧٤ رقم ٦٧٠ . صلة الصلة رقم ١٤٧ .

(٧٦) الغافقي (٥٣٩هـ) :

أبو مروان عبد الملك بن أبي الخصال الأديب البليغ الكاتب ، من شقورة . سكن قرطبة زمناً ، وانتقل إلى فاس في خدمة المرابطين ، فكانت له بها مجالس . التكملة ١١ ص ٦١١ رقم ١٧٠٦ .

(٧٧) العامري (٥٣٩هـ) :

أبو العباس أحمد بن محمد ، من الفقهاء المتضلعين من المذهب المالكي ، وهو إلى ذلك بارع في الأدب وعلوم العربية وكتب مجيد ، توفي بفاس . الديباج ٥٥ .

(٧٨) القيسي (٥٤٠هـ) :

الفقيه العالم بكار بن عبد الرحمن القيسي ، وهذا البيت هو بيت بكار بن راشد مولى الإمام ادريس (كتاب مشاهير فاس).

(٧٩) الحاجة ورقاء (٥٤٠ هـ) :

وهذه الشاعرة الأدبية الحافظة البارة الخط الحاجة ورقاء بنت يتان الطليطي ، انتقلت الى فاس وسكنها ، وتضاف الى عدد من النساء اللاتي برزن في العلم والفقه ، وازدانت بهن أوساط النساء المحجبات . الجذوة . ص ٣٣٤ ، الزركلي : الأعلام ٩ - ١٣١ .

(٨٠) ابن عيسى (٥٤٠ هـ) :

الخطيب الإمام أبو محمد مهدي بن عيسى ، من أقطاب القرويين وعلمائها . كان أول خطيب ارتقى المنبر الذي نصبه المرابطون بالجامع ، لكنه لم يقض سوى خمسة أشهر حتى ظهر الموحدون فدخلوا فاساً سنة ٥٤٠ هـ ، ولما كانت الخطبة وظيفة دينية سياسية ، وكان الموحدون اشتراطوا فيمن يخطب على الناس في الجمع أن يكون ملماً باللسان البربري ، صرفوا ابن عيسى (الأنيس ٣٩ - الآس ٥٦) .

(٨١) التجيبي (٥٤١ هـ) :

محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن مطرف ، من أهل قلعة أيوب . نزل بفاس ، وروى عن جماعة من علمائها ، وروى عنه جماعة . كان من أهل العلم ، وله دفاتر ودواوين نفيسة ، التكملة ص ١٨٣ رقم ٦٤٧ .

(٨٣) ابن مالك (٥٤١ هـ) :

أبو بكر عثمان بن مالك ، من رجالات فاس وعلمائها المرموقين في العهد المرابطي ، كان يدرس في أحد فروع جامع القرويين ، بمسجد زقاق الماء ، وهو من شيوخ أبي الحسن بن مرزهم ، (الكتاب الذهبي ص ١٨٤) .

(٨٣) ابن عمر (٥٤٢ هـ) :

العالم الصوفي أبو عبد الله محمد بن عمر الأصم ، من أهل سجلماسة . أحضر الى مدينة فاس في عهد تاشفين ابن علي ، وبعد امتحان تعرض له مع زميله الدقاق أخذ عنه بفاس جماعة . (التشوف ١٣٤) .

(٨٤) البلنسي (٥٤٣ هـ) :

عبد الله بن يوسف بن غالب الأنصاري البُلَنسي . رحل الى فاس لطلب العلم ، فكان ممن روى عنهم بفاس عباد بن سرحان . الجذوة ٢٤١ - ٢٧٧ ، الكتاب الذهبي ص ١٨٣ .

(٨٥) ابن الملجوم (٥٤٣ هـ) :

القاضي أبو موسى عيسى بن يوسف بن عيسى السالف ذكره ، من فقهاء فاس وعلمائها الأفاضل . تولى القضاء بفاس ومكناس . وكان عارفاً بالنوازل ، ذاكراً للمسائل ، متقدماً في الأحكام ، كتب اليه أبو علي الصوفي مرتين : إحداهما سنة ١ هـ . الثانية في سنة ٥١٣ هـ . وله بقرطة سماع من أبي فرح والغساني وحازم بن محمد وغيرهم . ابن الآبار : المعجم ص ٢٩٠ رقم ٢٧٢ ، مشاهير فاس البحث العلمي ، دجنبر ١٩٦٤ ص ٤٧ - ٤٨ .

(٨٦) ابن العربي (٥٤٣ هـ) :

أبو بكر بن الإمام عبد الله بن العربي المعافري . صحب أباه وهو شاب الى بغداد في سفارة ليوسف بن تاشفين لدى المستظهر بالله ، وقد استفاد من رحلته هذه جيداً فاجتمع بعدد كبير من العلماء ، وتحدث عن مجلس الوزير ابن جَهِير . وجمعت المصادفة بابن تومرت في المشرق ، وبعد أن صرف عن القضاء أقبل على نشر العلم ، دخل لفاس وأخذ عنه بها جماعة ، وكان ممن استحس احراق كتب الفروع كما يؤخذ من كتابه العواصم . له تفسير على القرآن سماه (أنوار الفجر) في ثمانين مجلداً ، كان في خزانة أبي عنان الذي كان يقدر مركزه ويحله ، وقد جدد ضريحه السلطان المولى اسماعيل . تاريخ المن بالامانة ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ، الغنية ص ١٥ - ١٦ . ابن بشكوال : كتاب الصلة رقم ٥٥٩ - الديباج المذهب ص ٢٨١ - ٢٨٣ ، نفع الطيب ٢ ص ٢٣٣ - ٢٤٩ الجذوة ص ١٦٠ . التازي : تاريخ المغرب الدبلوماسي . . .

(٨٧) المؤناني (٥٤٤ هـ) :

الفقيه الإمام المفتي المدرس عيسى بن معنصر الأصل (مع نصر) الشريف الحسني . اعترف العلماء في جميع الأقطار بسعة الاطلاع وقوة المعرفة ، وحسبك أن الإمام القاضي عياضاً ينقل عنه قائلاً : قال عيسى المؤناني فقيه أهل فاس . وبلغ من الاعتداد بنفسه أنه كان يُعَلِّي رأيه على بعض الملوك ذكره ابن الأحمر في حديقته ولم يذكر وفاته .

(٨٨) عياض (٥٤٤ هـ) :

عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، سكن أجداده مدينة فاس ، فاحتفظ بذكرها الطيبة ، فزارها يوم الاثنين ثامن شهر رجب ٥٤٣ هـ ، ونزل على مقربة من القرويين بدار القاضي ابن الغرديس بزينة حجامة ، تحدثت الركبان بمجالسه وبطريقة تأليفه التي جمعت بين الأسلوب المغربي الذي يهدف الى تمحيص الألفاظ ، والأسلوب المشرقي الذي يقصد الى المعنى ، ويوجد الى الآن مسجد بحومة الصاغة يحمل اسمه تخليداً للأيام التي قضاه معلماً بفاس . (معجم الصدي ص ٢٩٤ ، أزهار الرياض ١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ ، الجذوة ٢٧٧ ، مجلة المغرب نوفمبر ١٩٣٦ ، النبوغ المغربي ص ٨٨ - الحوالة الاسماعيلية) .

(٨٩) ابن الغرديس (٥٤٤ هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد الغرديس الذي نزل عليه القاضي عياض في شهر رجب عام ٥٤٣ هـ وقد احتفظت الحوالات الوقفية ببعض العقار مما حبس على أعقاب آل الغرديس ، ولا بد أن له علاقة بابن الغرديس الذي كان في جملة من حضر مجلس ابن تومرت . (أزهار الرياض ١ - ٢٤) .

(٩٠) ابن جامع البغدادي (٥٤٦ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم بن عيسى بن هشام بن جامع ، من أهل جَيَّان . وقد عرف بالبغدادي لطول مقامه بها للدراسة ، وقد اخذ ايضاً في مصر والإسكندرية والقبروان ، كان من الفقهاء المشاورين الذين تصدروا لتدريس الفقه بغربي القرويين منذ عام ٥١٥ هـ ، وكان في جملة من اخذ عنه من الطلبة العديدين أبو القاسم عبد

الرحيم بن الملجوم الذي قال فيه : لزمناه وقرأنا عليه وسمعنا منه ، وقد تحول الى بلده جيان حوالي عام ٥٤٠ هـ . ثم عاد الى فاس بعد أربع سنوات ، وأقام يدرس الفقه وأصوله ومسائل الخلاف ، ولم يزل مقبلاً على نشر العلم وافادته الى أن توفي . التكملة ٤ ص ٦٦٨ ، الذيل والتكملة مصور بالخزانة العامة رقم ٢٦٤٥ / د ، السفر الرابع ، الجذوة ١٦١ - ١٦٢ - السلوة ٣٣ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٩١) الصنهاجي (٥٤٩) :

المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني ، المكنى بأبي علي ، سمع بقرطبة ومرسية وبلنسة ، وانتقل الى مدينة فاس سنة ٥٢١ هـ ليكمل معلوماته في الحديث . وقد جمع من الدواوين ما لم يتيسر لأحد . أدركه أجله في ياسة (التكملة ص ٣٩٢ رقم ١١٢٢) .

(٩٢) الهواري (٥٥٠ هـ) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن ميمون ، وقد ذكر في ترجمة محمد بن عمر الكاتب بمناسبة الصلاة عليه من قبل ابن ميمون الهواري . (الجذوة ص ١٧٠) .

(٩٣) الزيتوني (النصف الأول من القرن السادس) :

يحيى الزيتوني ، أحد الادباء الذين نبغوا من أهل فاس ، ذكره ابن بسم في الذخيرة ، وقال : كان حاضر الجواب ذكي الشهاب . (النبوغ المغربي ص ٩٣) .

(٩٤) ابن الصفار (٥٥٢ هـ) :

أبو يونس مغيث بن يونس بن محمد بن مغيث الأنصاري ابن الصفار ، من أهل قرطبة ، ممن كاتبهم أبو علي الصدي ، سمع من أبيه وغيره ، وله رواية عن عدد من الاعلام حدث عنه ابنه أبو محمد عبد الله وأبو القاسم بن الملجوم الذي لقبه بفاس وأجاز له ، وكان فقيهاً مشاوراً . ابن البار المعجم ص ١٩٦ .

(٩٥) ابن زكون (٥٥٣ هـ) :

حسن بن ابراهيم بن عبد الله بن أبي سهل التلمساني المعروف بابن زكون ، دخل الاندلس فسمع بقرطبة ومرسية ، ورحل الى مدينة فاس حيث اكمل ثقافته ، وشغل ايضاً الكتابة لعيسى بن يوسف بن الملجوم الفاسي . له تأليف في الرأي . البيذق : اخبار المهدي التكملة رقم ٦٥ ص ٢٥ معجم الصدي ص ٧٣ - ٧٤ .

(٩٦) اللخمي الفلنقي (٥٥٣ هـ) :

أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي المعروف بالفلنقي ، من أهل اشيلية الذين قصدوا مدينة فاس واستوطنوها وتصدروا للإقراء بأحد المساجد القرعية : مسجد الحوراء . كان إماماً في العربية والآداب ، وله تأليف في القراءات سماه (الايماء الى مذهب السبعة القراء) ، وارجوزة سماها (لؤلؤة القراء) . اخذ عنه أبو محمد بن عبيد الله الباجي ، وأبو ذر الخشني ، وغيرهما . التكملة ، الترجمة رقم ١٣٤٥ ص ٤٨٨ (الجذوة ص ١٦٣ - الزركلي الاعلام ٧ - ٢٥٠) .

(٩٧) الزرهوني (٥٥٤ هـ) :

منصور بن مسلم بن عبدون الزرهوني الفاسي . دخل الأندلس ، وسمع من أبي علي الصدي في سنة ٥١١ هـ صحيح ومسلم ، وقرأ عليه جامع الترمذي ، وكان فقيهاً حافظاً مشاوراً مدرساً . روى عن عدد من العلماء ، وحدث عنه أبو القاسم ابن الملجوم . التكملة ٣٩٢ رقم ١١٢٣ معجم الصدي ص ١٩٥ .

(٩٨) ابن مسعود (٥٥٤ هـ) :

أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن محمد بن مسعود القيسي البسطي ، روى عن عدد من الاعلام بالأندلس ، وانتقل إلى العُدوة فنزل مدينة فاس . وأقرأ علوم القرآن بها وكان ممن أخذ عنه المقرئ أبو محمد قاسم بن محمد بن محمد عبد الله بن طويل إمام جامع القرويين . له كتاب في الاستدلالات على رفع الاشارات في جمع القراءات وتبيين المبهمات ، ذكره الشيخ في الذيل ، القسم الاخير من كتاب صلة الصلة لابن الزبير نشر بروفنصال رقم ١٨٢ ، التكملة رقم ٢٣١٥ .

(٩٩) اليكي (٥٥٥ هـ) :

أبو بكر يحيى بن عبد الجليل اللخمي اليكي ، شاعر مجيد ، من أهل الأندلس من بكة جوني مرسية ، استوطن مدينة فاس . كان من عيون الادباء وفحول الشعراء . ممن حدث عنه بفاس أبو علي حسن بن مسعود الملي . وهو الذي شنع عليه أبو الحسن بن حرزهم هجوه لمدينة فاس ، ووسمه صاحب الاستبصار بالحد . الاستبصار ١٨٢ ، صلة الصلة رقم ١٧٨ رقم ٣٥٠ .

(١٠٠) الوراق (٥٥٥ هـ) :

أبو محمد عبد الملك بن محمود الوراق ، من علماء فاس ومؤرخيها . وهو صاحب كتاب المقياس الذي يعتمد به في النقل الجزنائي في جنى زهرة الآس ، وهو أحد المغفورين الذين خدموا التاريخ ، ولكن التاريخ أهملهم : الآس ص ٢٧ .

(١٠١) التدميري (٥٥٥ هـ) :

أبو العباس أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله المعروف بالتدميري ، نشأ بالمرية ، وروى عن جماعة مهمة من العلماء . كان عارفاً بالعربية واللغة والآداب ، له كتاب سماه نظم القرطين وضم اشعار السطيين ، جمع فيه اشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي البغدادي ، وهو صاحب كتاب التوضيحية في العربية .. (الجذوة ٦٩) .

(١٠٢) عبد المؤمن (٥٥٨ هـ) :

أمير المؤمنين الموحي الذي أخذ بجامع القرويين وظل مدينة فاس في معارفه وقد حكى التاريخ أنه كان يعتمد دائماً المروربها في حركاته . الإدريسي : زهرة المشتاق ص ٦٤ ، ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالأمانة ، ص ١٤٤

(١٠٣) ابن عطية (٥٥٨ هـ) :

الخطيب الفقيه ذو اللسانين أبو الحسن علي بن عطية الذي كان يأتي بالعربي المبين ويترجمه إلى البربرية كذلك

باسلوب نافذ مؤثر. الانيس ٤٤ ، الآس ٥٦ .

(١٠٤) ابن حرزهم (٥٥٩ هـ) :

ابوالحسن علي بن اسماعيل بن عبد الله بن حرزهم (الحفيد) ، من كبار الفقهاء والمدرسين بها . متضلع من علوم الشريعة . درس عليه بفاس عدة مشايخ من امثال ابي مدين الغوث ، وابن العربي الحاتمي الذي تعتز فاس بانها اسهمت في تكوينه ، وهذا غير ابن حرزهم ابي محمد صالح بن محمد بن عبد الله ، فان هذا عمه ، وهو الذي اخذ بالمشرق عن الغزالي ، وعاد الى فاس . والى ابن حرزهم تنتسب العين المعدنية على مقربة من فاس التي كان مدسرها وفقاً على جامعة القرويين . الشوف ص ٧١ - ١٧٤ - ١٥٧ ، : الروض العاطر الانفاس في اخبار الصالحين من اهل فاس القرطاس ١٩١ نيل الابتهاج ١٨٢ - الجذوة ٢٩٣ - ٣٣٢ الاستقصاء ٢ - ١٨٤ - السلوة ١١ - ٧١ - النبوغ المغربي ١ - ٩٠ .

(١٠٥) الاموي (٥٦٠ هـ) :

قاسم بن محمد بن مبارك نزل بمدينة فاس ، تصدر للإقراء ، واخذ عنه جماعة من اعلام فاس . كان منهم ابن خروف وابو الصبر ايوب بن عبد الله . التكملة ٢ ص ٧٠١ رقم ١٩٧٠ .

(١٠٦) الحمدي (٥٦٠ هـ) :

ابو علي منصور بن احمد اليفرنى الحمدي ، فقيه مرموق ، ويته من مشاهير بيوتات فاس . (كتاب مشاهير بيوتات فاس) .

(١٠٧) اللخمي الفاسي (٥٦٠ هـ) :

احمد بن عبد الله بن هشام بن الحطيئة . نشأ بمدينة فاس . له معرفة بالآداب ، رحل الى المشرق وبمصر ادركه اجله - الجذوة ٥٥ .

(١٠٨) الإدريسي الشريف (٥٦٠ هـ) :

من اشهر الجغرافيين العالمين من اهل سبتة . قصد قرطبة لاستكمال دراسته ، وزار الكثير من بلاد البحر المتوسط ، وعمل مع ملك صقلية روجر الثاني ، ونزل في قصره في مدينة بلرم (بالرمو) وقد اتى في وصفه لمدينة فاس بما يعزز الرأي بأنه قضى ردحا من الزمان في المدينة مفيداً ومستفيداً .

(١٠٩) الهزميري (٥٦١ هـ) :

ابويعزى ، احد تلامذة ابي الحسن بن حرزهم كان شيخاً عالماً . وهو من مشاهير فاس . كان يسكن في حومة البلدة غير بعيد عن القرويين . مشاهير فاس ، الجذوة ص ٣٥٥ ، السلوة ١ ، ١٧٢ .

(١١٠) ابن فتوح (٥٦٢ هـ) :

ابوالحجاج يوسف بن فتوح بن محمد بن عبد الله القرشي ، اخذ بالاندلس ، وانصرف بعد حجه الى المغرب ، فدخل مدينة فاس ، وحدث بها . وكان له حظ من علم التفسير واصل الفقه الى دراية كبرى بخصائص النبات والعشب

ولهذا كان يعرف بالعالم العُشَّاب ، لانه كان يلقي العلم والصيدلة . وكان ممن أخذ عنه من اهل فاس الخطيب ابو محمد قاسم ، وابو الحجاج يوسف بن احمد الورداني ، وغيرهما . (صلة الصلة رقم ٢١٢ . ابن الابار ٢٠٧٧ . التكملة ٢ ص ٧٣٣ رقم ٧٩ - ٢٠ ... الجذوة ٣٤٤) .

(١١١) ابن خنوسة (٥٦٣ هـ) :

القاضي ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن خنوسة . تولى قضاء فاس في ايام امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، واسرته معروفة في مدينة فاس . (كتاب مشاهير فاس) .

(١١٢) السلاجي (٥٦٤ هـ) :

ابو عمر عثمان بن عبد الله القيسي المعروف بالسلاجي . اخذ عن ابن الاشبلي الذي توفي بعده . كان إماماً في العلم بفاس ، بلغ رتبة الجويني المشهور بإمام الحرمين ، واطبق رجال التاريخ على انه كان عمدة اهل المغرب كله في علم الاعتقاد . درس بالقرويين وبجامع مراكش النحوف وفروع الفقه . كان حسن البزة يعني بمظهره ، تخرج على يده جملة من خُذَّاق العلماء ، ولم تكن السلفية مما تروقه مذهباً ، فعمل على تقليص ظلها من القرويين فكثرت من خصومه بين اهل فاس الذين انهالوا عليه بالشتيع والتقد ، فقال فيهم شعره المعروف :

خذوا ضماني أَن لا تُفْلِحوا أبداً ولو شربتم مداد الكتب بالصحف ! !

كان موثقاً بسماط العدول ، ودفن بإزاء الدَّرَّاس اسماعيل . صلة الصلة رقم ١٠١ ، التكملة رقم ١٨٦٢ ، التشوف ١٧٨ . مشاهير فاس ، النبوغ المغربي ص ١٥٠ ، الكتاب الذهبي ص ١٢٨ . الجذوة ٢٨٩ . السلو ٢ ص ١٨٣ .

(١١٣) ابن طويل (٥٦٥ هـ) :

ابو الحسن علي بن طويل بن احمد . من اهل مدينة فاس وذوي بيوتاتها الكبرى ، وبها درس . وسع على عدد من المشايخ ، منهم علي الازدي وغيره ، ورحل الى الاندلس ، واخذ بمسيرة عن الخشني . ورجع الى بلده لمواصلة نشاطه . (صلة الصلة ١٤٦) .

(١١٤) ابن الاشبلي (٥٦٧ هـ) :

علي بن محمد بن خليل الأنديلي . اخذ عن جماعة من الأعلام ، واستقر بمدينة فاس . كان أصولياً ماهراً متكلماً حاذقاً ، وهو الذي قرر علم الاصول وعلم الكلام على قواعده بجامع القرويين ، وعنه اخذ السلاجي السالف ذكره الذي يعد مرجع الفاسيين . صلة الصلة رقم ١٠١ التكملة ١٨٦٢ .

(١١٥) ابن الرّامة (٥٦٧ هـ) :

القاضي ابو عبد الله محمد بن علي القلعي (من قلعة حماد) ، من العلماء الاعلام الذين اخذ عنهم عبد الصمد البلغري واحمد بن محمد البكري . وروى عنه من الجلة ابو ذر الخشني . كان قاضي فاس ومفتيها ، وإلى جانب تفضله من مذهب مالك كان حجة في مذهب الشافعي ، وقد عكف على كتاب الإحياء للغزالي ، وله تأليف منها البسيط وتسهيل المطلب في تحصيل المذهب . التكملة ص ٣٧٠ - ١٠٥٤ ، التشوف ١٥٨ .

(١١٦) ابن ميمون الحاخام ٦٠١=١٢٠٤

موسى بن ميمون القرطبي الطبيب الفيلسوف اللاهوتي رئيس اليهود في عصره ، وصاحب كتاب دلالة الحائرين وغيره من التأليف بالعربية والعبرية ، خرج مع أسرته من قرطبة الى فاس فكان له اتصال بعلمائها ، وكان يحفظ القرآن ألف رسالتين إحداهما لليهود المغرب ، والاخرى لإخوته يهود اليمن ، ثم سار الى مصر فكان حاخام يهودها وطبيب صلاح الدين الأيوبي. جامع القرويين الكتاب الذهبي ١٦٦ . د. التازي : الغزالي وابن ميمون - ندوة اكادير نونبر ١٩٨٥

(١١٧) ابن حنين (٥٦٩ هـ) :

علي بن احمد بن ابي بكر الكنايني القرطبي . اخذ ببلده اولاً . ثم رحل الى المشرق فلقي ابا حامد الغزالي ، واستوطن مدينة فاس منذ سنة ٥٥٣ هـ فانقطع للعلم أخذاً وعطاء ، وكان ممن اخذ عنهم بها ابو القاسم خلف بن فرتون . ومن تلامذته الخشني وعبد الرحمن الاموي الاشيلي ، وكان يعلم ويؤم في المسجد المنسوب اليه بفاس : سيدي حنين ، ولعل له صلة بابن حنين السالف (٤٧٣ هـ) . التكملة رقم ١٨٦٥ صلة الصلة نشر بروفتال رقم ٢٠٨ ، الذيل والتكملة مخطوط بالخزانة العامة رقم ٢٦٤٦ د الرابع .

(١١٨) ابن اصبغ (٥٧٠ هـ) :

عبد الولي بن محمد . روى عن جماعة من الأعلام ، وروى عنه جماعة بمدينة فاس ، وله ترجمة في الذيل والتكملة رقم ١٢٩٢ .

(١١٩) ابن حبوس (٥٧٠ هـ) :

محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس الفاسي العالم المحقق الذي قال فيه المعجب : إن طريقته كانت على نحو طريقة ابن هالي الاندلسي في قصد الالفاظ الرائعة . ومن شعره يخاطب عبد المؤمن بعد تخليصه لمدينة المهدية يوم عاشوراء ٥٥٥ هـ .

شدت إليك على الرياح سروج أين الفرار بأهلكم يا جوج ؟

ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامانة ص ١٢٢ ، التكملة ص ٣٧١ رقم ١٠٥٥ .

(١٢٠) ابن الحداء (٥٧٠ هـ) :

عيسى بن الحداء ، خريج مدرسة ابي الحسن بن حرزهم ، تصدر بعد وفاة شيخه لإقراء رعاية المحاسبي ، وانتقل الى عدوة القرويين عندما علت مكانته . الجذوة ، الكتاب الذهبي : ص ١٨٥ .

(١٢١) القيسي (٥٧٠ هـ) :

محمد بن عبد الله بن محمد بن خليل ، من اهل لبله ، وقد صحب عدة مشايخ وسمع منهم ، ثم نزل مدينة فاس فانتفع به عدد من الطلاب قبل ان ينتقل الى مدينة مراكش . التكملة ص ٢٣٣ رقم ٧٦٤ .

(١٢٢) الأوربي (٥٧٢ هـ) :

ابوخزريخلف بن خزر ، العلامة المفتي المدرس الحافظ ، بيته شهير بفاس بالفقه والصلاح . (كتاب مشاهير فاس - التشوف ص ١٥٧) .

(١٢٣) الصافي (٥٧٢ هـ) :

ابوعبد الله محمد بن غالب الشاعر المبدع ، من مدينة الرصافة . دخل مدينة فاس ، فكانت له مع ادبائها وشعرائها وطلبتها مجالس أنس . والرصافة هي بالذات مدينة بلنسية بالاندلس ، وفيها يقول عبد الرحمن الداخل :

ترأت لنا فوق الرُصاة لينةً تناءت بأرض الغرب عن بلد النحل !

(١٢٤) ابن زيادة الله (٥٧٢ هـ) :

الخطيب ابو عبد الله محمد بن حسن بن زيادة الله المزني ، قدم للخطابة بالقرويين بتوكيل من الإمام يشكر الجورائي ، لما كان يعرفه فيه من مقدرة على التبليغ وسعه الاطلاع الانيس ٥٦ - الآس ٥٧ .

(١٢٥) المكناسي (٥٧٣ هـ) :

ابوالحسن علي بن عبد الله بن حمود المكناسي المولود بفاس ، رحل الى المشرق عام ٥١٢ هـ ، ولقي حلة من العلماء . ورجع سنة ٥١٨ هـ فاقام بمدينة فاس ينشر العلم ، ثم دخل الاندلس بنية الغزو ، وعاد الى فاس لموصلة عمله . وفي سنة ٥٢٦ هـ رحل ثانية الى المرية ، ومنها توجه الى الاسكندرية حيث ادركه اجله هناك . (صلة الصلة ص ١٤٧) رقم ٢٩٦ .

(١٢٦) اللواتي (٥٧٣ هـ) :

القاضي المفتي ابوالحسن علي بن الحسن ، من اهل فاس وأعيانها . دخل إشبيلية ، واخذ بها عن ابي الاخضر وأبي عبد الله بن شبرين وجماعة ، وعاد الى وطنه فاس للاشتغال بالعلم . روى بفاس عن أبي الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن عديس وأبي جعفر بن باق . وكان عالماً بالفرائض والعقود ، صلة الصلة رقم ١٤٧ - معجم الصدف ص ٢٨٧ رقم ٢٧٠ .

(١٢٧) الانصاري (٥٧٤ هـ) :

محمد بن محمد بن فتح الأنصاري الإشبيلي ، أخذ بمالقة والمرية ، وقرأ بقرطبة ثم بشلب ، وبعد هذا انتقل الى مدينة فاس ، فتصدّر للتدريس ، وأخذ عنه جماعة ، منهم أبو القاسم بن الملجوم وعبد الجليل بن موسى . (التكملة ٢ : ص ٧٠١ رقم ١٩٦٧) .

(١٢٨) المغيلي (٥٧٤ هـ) :

يحيى بن أحمد بن عبد الله أحد علماء فاس المتقدمين ينتمى اليه العلماء والادباء ، من بيت المغيلي ، ولهم زقاق بفاس ، ومغيلة قبيلة بربرية . (مشاهير فاس - الجدوة ص ٣٣٨)

(١٢٩) ابن دُبُوس (٥٧٨ هـ) :

القاضي عبد الحق بن عبد الله بن أحمد اليفرنى ، كان عالماً مفتياً وربما لقب في بعض التعاليق بالأمير ، ولا بدّ أن له علاقة بأبي العباس أحمد بن دُبُوس الذي حضر مجالس المهدي بن تومرت. (البليدق ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - الجذوة ٣٤٧ السلسلة ٣ : ٣٤٠) .

(١٣٠) ابن عمران (٥٧٨ هـ) :

القاضي أبو موسى عيسى بن عمران ، تولى القضاء بمدينة مراكش ، وترك ابنه بمدينة فاس ليدرس العلم هناك ، مع أن جامع ابن يوسف بمراكش كان قد أسس منذ سنة ٥١٤ هـ ، بيد ان القاضي كان يعلم أن خير مركز يتخيره لولده هو مدرسة فاس ، وقد احتفظ التاريخ بفقرات من رسالة بعث بها الى والده : « أَدْرَسُ تَرَأْسُ وَأَقْرَأُ تَرْقُ... » . (الجزء ٤) .

(١٣١) ابن عفير (٥٧٩ هـ) :

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عفير الأموي ، من أهل اشبيلية ، انتقل الى مدينة فاس لأخذ العلم . فدرس على أبي الحسن بن حنين سنة ٥٦٨ هـ (كتاب الشهاب) ، ثم رجع الى الأندلس فتولى الخطابة رداً من الزمان في مسجد القديم . (التكملة ٢ ص ٦٠٨ ورقم ١٦٠٨) .

(١٣٢) الخَدَب (٥٨٠ هـ) :

محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري المعروف بالخذب ، من أهل اشبيلية ، أخذ علم العربية عن أعلام وقته ، ورأس الناس فيها ، وكان قِيَمًا على كتاب سيبويه وأصول ابن السراج ومعاني القرآن للفراء والإيضاح للفارسي ، وله تعليق على كتاب سيبويه ، سماه الطُّرَر ، لم يسبق الى مثله ، وانتقل الى فاس فاجتمع عليه طلبتها ، فقعد لذلك وأقام مدة هناك ، وأخذ عنه جماعة فيهم أبوذر الخثني وأبو الحسن بن خروف وغيرهما . ثم ارتحل الى المشرق فأقرأ بمصر ، وأقسم أن يقرئ بالبصرة حيث وضع سيبويه كتابه في النحو . أدركه أجله بيجاية ، (التكملة لكتاب الصلة رقم ٨٠٣ - ٢٤٩ - الجذوة ١٦٨) .

(١٣٣) السكوني (٥٨٠ هـ) :

أبو محمد عبد الحق بن خليل بن اسماعيل بن خلف ، من أهل لبلة ، من بيت علم معروف ، روى عن جماعة منهم ابن العربي وعياض ، وشذ الرحلة الى فاس ليأخذ علم الأصول والكلام عن أبي عمرو السلاجبي ، وقد أحكم عنه العِلْمَيْن ، وأخذ كذلك علم العربية عن الخذب ، صلة الصلة رقم ٤ الجذوة ٢٧٤ .

(١٣٤) الحمصي (٥٨٠ هـ) :

محمد بن عامر الحمصي . أخذ في المشرق ، واستقر زمنًا بدمشق وحلب يعطي العلم ، ثم قفل الى المغرب للاستقرار بفاس حيث تابع نشاطه . السلسلة ٣ ص ٢٦٧ .

(١٣٥) الحضرمي (٥٨٠ هـ) :

عبد الرحيم بن عمر بن عبد الرحيم ، من أهل فاس ، وبها درس ، ثم دخل الأندلس حيث سمع بقرطبة وإشبيلية على عدد من الأعلام ، كان فيهم أبو بكر بن العربي ، وقد كان فقيها مشاورا . التكملة ص ٦٠٠ رقم ١٦٧٥ .

(١٣٦) ابن حميد (٥٨١ هـ) :

الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن حميد ، خطب على منبر القرويين بتوكيل من الفقيه يشكر بعد وفاة بن زيادة الله ، وكان فقيها جليلا ، واستمر ملازما للمنبر نحواً من تسع سنوات ، وهو الذي تولى بناء المستودع مع القرويين . الأنيس ص ٤٣ - الآس ٥٧ - ٧٠ .

(١٣٧) ابن طفيل (٥٨١ هـ) :

من اعلام الفكر الذين استفادت منهم مدينة فاس اثناء تروده على المغرب وقد كانت ارجوزته الطيبة تدرس بالقرويين ، وما تزال الخزانة الكبرى تحتفظ الى الآن بنسخة فريدة لها ، ويذكر الدكتور رونو ان من حق المغرب ان يتبنى ابن طفيل نظرا لصلته الوثيقة بالبلاد . مخطوط لابن الطفيل ، مجلة التريية الوطنية - ابريل ١٩٦٢ .

(١٣٨) الأنصاري (٥٨٢ هـ) Hesp. 1946 T. 33

ابراهيم الانصاري . أديب نحوي ، وصيدلي خير ، نزل بمدينة فاس ، فكان يتعاطى الأمرين : إلقاء النحر وبيع الأعشاب ، وقد بلغ مركزاً خوله أن يتوق أمثال ابن القطان الى إجازته . التكملة لكتاب الصلة ص ١٩٣ رقم ٤٠٨ .

(١٣٩) ابن البقار (٥٨٢ هـ) :

محمد بن إبراهيم بن حرب الله الفاسي ، روى عن أبي الحسن بن حنين وأبي عبد الله بن الرامة وأبي محمد إسحاق بن قرقول وغيرهم ، ولقي بالأندلس أبا القاسم بن بشكوال ، وهو من أهل الفقه والحديث ، التكملة ص ٣٧٢ رقم ١٠٥٨ .

(١٤٠) ابن أبي عبيدة (٥٨٢ هـ) :

أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي السعدي العبادي ، نسبة الى سعد بن عباد ، استوطن مدينة فاس ، والتزم إسماع الناس الحديث والتكلم على معانيه بجامع القرويين . واستمر على ذلك حيث كان يلازمه خلق كثير من الناس ، وله مؤلف طريف في الرد على رهبان طليطلة ، وآخر في غريب القرآن ، وناسخه ومنسوخه . الديباج المذهب ص ٥١ - السلوة ٣ ص ٢٤٢ ، الاعلام ، ١٤٦ .

(١٤١) الغريفر (٥٨٥ هـ) :

كان مشرفاً (Al Mojarif) على أوقاف القرويين أيام الناصر بن المنصور سنة (٥٨٥ هـ) ، وعنه نقلت المعلومات الدقيقة عن العمارة بمدينة فاس وما فيها من مساجد وفنادق ومعامل ومصانع ، وعن تقييده نقل علي

ابن عمر الأوسي . (الآس ص ٤٤) .

(١٤٢) ابن الحسين (٥٨٦ هـ) :

القاضي أبو المكارم هبة الله المصري . كان من أهل العلم ، عارفاً بالأصول ، حافظاً للحديث ، متيقظاً ، حسن الشارة والصورة ، التجأ الى المغرب خوفاً من صلاح الدين الأيوبي مع جماعة من قومه . وولي قضاء إشبيلية . ثم قضاء مدينة فاس ، ثم قضاء مدينة تونس . التكملة رقم ٢٠٢٤ . نفح الطيب ، طبعة جديدة ٦٨٤ ، الجذوة ص ٣٣٤ . محمد الخضر حسين : مجلة الهداية الاسلامية ج ١٢ م ، القاهرة ، جُمادى الأولى ١٣٤٨ .

(١٤٣) الغافقي (٥٨٦ هـ) :

عيسى بن محمد الغافقي ، من قرمونة ، انتقل الى فاس فزاوول فيها التعليم ، وكان فقيهاً نحويّاً بصيراً بالوثائق ، أديباً كاتباً . صلة الصلة رقم ٤٩ - التكملة ص ٦٨٨ رقم ١٩٢٧ .

(١٤٤) ابن منقذ (٥٨٨ هـ) :

الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن ، من أهل فاس ، روى عن جماعة من علمائها ، ودخل بسطة . وحدّث عنه جماعة . التكملة ص ٢٦ رقم ٦٩ .

(١٤٥) السوسي (٥٨٩ هـ) :

ابو علي سالم بن موسى . انتقل من سجلماسة الى فاس للدرس والتحصيل ، وقد سمع بها صحيح الإمام البخاري عن ابي عبد الله بن الرامة . وكان جامعاً لمسائل الفقه قديراً على أدائها جميعها باللسان البربري . التكملة ٢ ص ٧١٢ رقم ٢٠٠٦ - التشوف : ٢٧٧ .

(١٤٦) ابن ابي الحجاج (٥٩٠ هـ) :

ابوزكريا يحيى بن ابي الحجاج . اخذ علم العربية بمدينة فاس عن الخدب وغيره ، وانتقل الى مدينة مراكش . صلة الصلة ، القسم الاخير رقم ٣٧٠ .

(١٤٧) ابن سكاك (٥٩٠ هـ) :

ابن سكاك القاسي ، من اشهر الفلكيين . الجذوة - الكتاب الذهبي . ص ١٤٠

(١٤٨) الانصاري (٥٩٠ هـ) :

زكريا بن عمر بن احمد بن عبد الرحمن . روى عن ابي بكر بن العربي وغيره من كبار العلماء ، غادر وطنه الى مدينة فاس حيث استقر ، وكان يعقد الشروط الى جانب مجالسه الأدبية والفقهية . التكملة رقم ٢٣٧ ص ٧٢ .

(١٤٩) الألميري (٥٩١ هـ) :

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله الحجري الألميري ، من المرية . قرأ على شريح صحيح البخاري بإشبيلية ، وحكي أنه قرأه في احدى وعشرين دولة ، قال : وقد اجتمع للسمع عليه نحو ثلاث مئة من اعيان طلبة البلاد . انتقل

الى مدينة فاس فاقام بها ردها من الزمان يقرئ ويسمع . ابن الأبار : التكملة طبعة العطارص ١٩٥٦ - ٨٦٩ .
(١٥٠) ابن مضاء (٥٩٢ هـ) :

القاضي ابو العباس احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن مضاء اللخمي ، قاضي الجماعة بفاس ، وهو الذي وقعت مشادة بينه وبين ابن خروف (ت ٦٠٩ هـ) عندما ألف اللخمي كتابه (تنزل القرآن عما لا يليق من البيان) الذي يظهر أن القاضي حمل فيه على النحويين وتعسفاتهم في تخريج القرآن ، فاستاء ابن خروف ، ودافع عن النحويين في كتاب أسماه « تنزيه أئمة النحوعما نسب اليهم من الخطأ والسهو » ، وقد استخف القاضي قائلاً ومعرضاً بـ ابن خروف : « لا نبالي بالكباش النطاحة ، فكيف تعارضنا أبناء الخرفان ؟ ! » صلة الصلة ٢٤٥ - التكملة طبعة الجزائر ٢٣٤ - الجدوة ٧١ ، د. التازي : طه حسين في المغرب مجمع اللغة العربية في القاهرة - ١٤١٨ - ١٩٩٨ .
(١٥١) السالمي (٥٩٣ هـ) :

الخطيب ابو الحسن علي بن موسى بن خلف الانصاري السالمي ، تصدر للإقراء بمدينة فاس ، وولي خطبة الجامع ، اخذ عنه ابو الحسن بن القطان ، واليه تنسب شذور الذهب في الكيمياء . كان حياً عام ٥٩٣ هـ (الجدوة ٣٠٨) .
(١٥٢) ابو مدين (٥٩٤ هـ) :

شعيب بن حسين الانصاري ، من أهل فاس من حومة الرميطة ، أصله من الأندلس من حصن قطنانة من عمل إشبيلية ، عزم على ان يتعلم فعبير العُدوة المغربية . ولما عرف الناس قصده في طلب العلم ، نصحوه بالتوجه الى مدينة فاس اذا كان يريد التفرغ للعلم ، فلزم جامعها ، وكان يجلس الى حلق الفقهاء . وكان ممن اخذ عنهم بفاس ابو الحسن بن حرزهم ، ومن اخذوا عنه مولاي عبد السلام بن ميثيش المقتال عام ٦٢٦ هـ فدين غمارة . ورحل الى المشرق فاخذ عن عدد من المشايخ ، كان منهم صاحب بغداد الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وادركه أجله في ضواحي تلمسان .
(التشوف ٣١٧ - ٣١٨ - مشاهير فاس - السلوة ١ ، ٣٦٤ مجلة المغرب ٤ - ٧)
(١٥٣) ابن دافال :

القاضي ابو الحسن علي بن عيسى بن عمران بن دافال ، ولي قضاء المدينة . (الجدوة ٣٠٦) .

(١٥٤) المهدي (٥٩٥ هـ) :

الاستاذ العلامة ابو عبد الله محمد بن ابراهيم المهدي صاحب كتاب الهداية ، لازم جامع القرويين نحواً من اربعين سنة . لم تفته فيها صلاة في جماعة قط الا يوماً واحداً (التشوف ص ٣٣٢ - الجدوة ١٦٩) .

(١٥٥) ابن رشد (٥٩٥ هـ) : (Avérroès)

محمد بن احمد ابو الوليد الفيلسوف الملقب بالحفيد ، غني بارسطووترجمه الى العربية ، له نحو خمسين كتاباً ، منها فلسفة ابن رشد ، وقد استدعي لمراكش سنة ٥٧٨ هـ فعين طبيباً للخليفة ابي يعقوب ، وهو الذي كان يشرف له على المدارس الطلالية ، ولا شك انه عرج على فاس كما كان الحال في جده واتصل برجال القرويين . التكملة ، نشر العطارص ٥٥٣ رقم ١٤٩٧) .

(١٥٦) الفندلاوي (٥٩٥ هـ) :

ابوعبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم . من اهل فاس ، علامة أصولي جليل ، له عدد من الطلبة لا يحصون كانوا مناراً للعلم بعده في سائر ارجاء المغرب الكبير ، وقد نسب اليه الجزنائي (كتاب المستفاد في ذكر الصالحين من فاس والعباد) - صلة الصلة رقم ١٩٠ - التكملة ص ٣٧٣ رقم ١٠٦٢ الآس ص ٨ .
ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ١ ، ٦١ .

(١٥٧) يصلوتي (٥٩٥ هـ) :

ابوعبد الله محمد بن الحسن يصلوتي ، من اهل سجلماسة ، انتقل الى فاس لطلب العلم ، وبها توفي .
(التشوف ٣٤٦) .

(١٥٨) ابن زهر (٥٩٥ هـ = ١١٩٩) (أبو بكر) :

اسرة ابن زهر . سلسلة غنية باطبائها وطبيباتها .. فيها الطبيب ابومروان عبد الملك (الجلد) بن الفقيه ابو بكر محمد بن مروان بن زهر . الذي تولى رئاسة الطب في بغداد (ت ٤٨٣ ؟) وبعده ابنه ابو العلاء زهر المتوفى ايام علي بن يوسف بن تاشفين (ت ٥٢٠ ؟) وبعده ابنه ابومروان عبد الملك (الحفيد) الذي خدم المرابطين وادرك الموحدين . (ت ٥٥٧) وهو المعروف باسم (Avenzoar) . وبعده يأتي ابنه ابوبكر المترجم له هنا الذي ظل متنقلاً بين الاندلس وفاس ومراكش (ت ٥٩٦ ؟ بمراكش) د. التازي : ابن زهر الحفيد، درس افتتاحي لجامعة ابن زهر. أكادير ١٩٩٧-١٩٩٨ .
ابن ابي اصيبعة، طبعة بيروت ١٩٦٥ ص ٥١٧ - نفح الطيب طبعة بيروت ١٩٦٨ ج ٢ ، ٢٤٤ .

(١٥٩) المالكي (٥٩٦ هـ) :

عبد الله بن محمد بن عبد الملك المالكي . من اهل فاس . يعرف بابن السكاك . دخل المربة . ثم رحل حاجاً فسمع بالاسكندرية عن ابي طاهر السلفي . وحدث عنه جماعة ، منهم ابن القطان ، واستوطن فاسا . واقام على تدريس المربة والحديث (التكملة ٢ ص ٥٣٠ رقم ١٤٩٠) .

(١٦٠) ابن عمر (٥٩٦ هـ) :

ابوعبد الله محمد بن عمر . من اهل مالقة ، انتقل الى فاس فتصدر للكتابة وللأقراء ، كان حافظاً للتاريخ والاداب وقد صلى على جنازته القاضي ابن ميمون الهواري - التكملة ص ٢٧٢ رقم ٨٥٨

(١٦١) التادلي (٥٩٧ هـ) :

القاضي ابومحمد عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي . صاحب القاضي عياضاً . ولقي ابن شكوال ، كان عالماً متفتناً ، وأديباً جليلاً القدر ، له أشعار ورسائل . وكان أبوه يعدّ من حفاظ المذهب المالكي . وكان من المستشارين بفاس أيام المرابطين ، وقد عين عبد الله هذا قاضياً على فاس من قبل الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن . وهو الذي نفذ الحكم الصادر على أبي القاسم بن الملجوم المعروف بابن رقية . الخامس من الذيل والتكملة على كتابي الموصول والصلة

الأنيس ص ٤٢ الجذوة ٢٣٦ .

(١٦٣) يشكر الجوراني (٥٩٨ هـ) :

الخطيب أبو محمد يشكر بن موسى الجوراني ثم الغفجومي ، نشأ بتاجنت من ناحية تادلة ، ثم انتقل الى فاس ، وتفقه بها على عدد من اشيخ القرويين الافذاذ ، وكان الى قوة باعه في العلم يجد صعوبة في الاسترسال في الحديث بالفصحى ، لذلك كان يוכל على الخطبة بالقرويين بعض تلامذته ، ومن اعتداده بنفسه انه أعرض عن الدعاء للعاهل الموحد خلافاً لما جرت به العادة ، كان إماماً في الفقه ، عليه المدار بفاس ، وله حواش على المدونة ، وله ذكر متواصل في تاريخ بناء القرويين : المستودع ، والخصّة الحسنة ، ودارالوضوء . النشوف ١٧١ - ٣٣٨ - الأنيس ٤٣ - ٤٦ الآس ٥٦ - ٥٧ - ٧٢ - نيل الابتهاج ١٦٠ ابن خلدون ، المقدمة - ٢٢٥ الجذوة ٣٣ .

(١٦٣) الرعيني (٥٩٨ هـ) :

ابوعبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد الملقب بالركن ، كان فقيهاً متحققاً في علم الكلام ، وقد باشر القضاء بمعدن عوام بضواحي فاس (التكملة ص ٣٧٥ - رقم ٨٦٨) .

(١٦٤) الهواري (٥٩٨ هـ) :

الحسن بن حجاج بن يوسف ، أصله من بجاية ، ودخل الاندلس مراراً وولي الخطبة بإشبيلية بعد المالقي ، وانتقل الى فاس حيث توفي . التكملة ص ٢٦ رقم ٧٠ .

(١٦٥) ابن حيون (٥٩٩ هـ) :

ابومروان عبد المالك بن حيون الصدي الأنديسي ، وهومن ذرية أبي علي الصدي ، كانت له يد يضاء على القرويين ورجالها ومرافقها ، وتحفظ الحوالات الوقفية بوصاياه لمصالح المؤذنين بالجامع ، ومصالح المجاهدين الذين يقعون في الأسر . ومصالح الصفاة . عند غلاء الاسعار . الأنيس ص ٤٧ - الحوالة السليمانية راجع ص ١٠٤ .

(١٦٦) ابو عمران موسى (٥٩٩ هـ) :

الخطيب أبو عمران موسى الشهير بالمعلم ، لأنه كان في بداية الامر استاذاً بمدرسة أولية (مسيد) وهو ثالث الخطباء الذين قدمهم الى المنبر يشكر الجوراني ، خطب ثمانى عشرة سنة ، لم يتوقف ولم يتلجلج ، شهد له القاضي أبو عبد الله محمد بن ميمون الهواري الفزاري بالمعرفة الفائقة ، واليه تنتسب اسرة (ابن موسى) التي تفرعت بفاس وانتشرت في المغرب (الانيس ص ٤٦ - ٤٧ - الآس ٥٧ - ٥٨ الجذوة ص ٨٤) .

(١٦٧) ابن ابي شامة (٥٩٩ هـ) :

ابو عمران موسى بن حسن العالم المهندس اللامع ، اشرف على تركيب الخصة الحسنة بالجهة الشرقية التي كانت مضرب المثل . الانيس ص ٤٠ - الآس ٧٢ - ٧٣ .

(١٦٨) الهواري (٥٩٩ هـ) :

القاضي ابو عبد الله محمد بن ميمون الهواري الفزاري ، وقد كان على عادة القضاة مهتماً بخطباء القرويين

شكلاً وموضوعاً ، ويحكي ابن أبي زرع أنه لما رأى أول الأمر شكل الخطيب ابن موسى المعلم لم يرقه ، لكنه لما سمع خطبته غير رأيه فيه . الأنيس ص ٤٦ - ٤٧ الآس ٥٧ - ٥٨ .

(١٦٩) المواق (٥٩٩ هـ) :

القاضي ابوبكر خلف الأنصاري المعروف بالمواق الفقيه المتحرم من اهل قرطبة ، انتقل الى مدينة فاس فسكنها . كان حافظاً حافلاً في علم الفقه والخلاف العالي فيه ، ملازماً للتدريس ، تام النظر ، لا يدانيه أحد في ذلك . وله تنبيهات ومقالات مفيدة ، منها في المكايل والاوزان . سمع منه ابو الحسن بن القطان . دفن بداره المعروفة بدرب بن صافي من عدوة القرويين ... (التكملة لكتاب الصلة ص ٢٦٢ رقم ٥٩٦ الجذوة ص ١٠٣ السلوة أ ٢٢٤ .

(١٧٠) السجل ماسي (٥٩٩ هـ) :

ابو الحسن علي بن عبد الله الفقيه المشارك ، اشتهر بالإنفاق على الخصة واليلة اللتين بالجهة الشرقية للصحن . الانيس ص ٤٠ الآس ٧٢ - ٧٣ .

(١٧١) ابن جنون (القرن السادس) :

ابو القاسم ابن جنون المؤرخ ، كان مرجعاً لابن أبي زرع ، له كتاب تاريخ فاس ، يقول ابن سودة في « دليل مؤرخ المغرب » : إنه من رجال القرن السادس أ ٤٥ طبعة تطوان .

(١٧٢) المسفر (القرن السادس) :

ابو الحسن علي بن خليل المسفر ، لقيه الشيخ محيي الدين بن عربي ، ويظهر أن له علاقة بآل المسفر الحسينيين المعروفين بفاس ، : النبوغ المغربي ص ١٥٦ .

(١٧٣) المراكشي (القرن السادس) :

هو الفقيه عبد المنعم المراكشي . ورد على فاس في القرن السادس واخذ العلم عن رجالها . الكتاب الذهبي ص ١٣٠

(١٧٤) ابن عبد الحق (القرن السادس) :

القاضي أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق ، قاضي الجماعة بها ، وهو الذي جدّد في أيامه باب الشعاعين بعد احتراقه ، وكان المشرف على ذلك الفقيه أبو الحسن بن محمد الازرق العطار (الانيس ٣٧ - ٣٨) .

(١٧٥) ابن افلاطون :

الأستاذ الطبيب الذي كان يشرف على مستشفى بمدينة فاس خلال القرن السادس - التشوف ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(١٧٦) ابن الصائغ (٦٠٠ هـ) :

يحيى بن محمد الأنصاري المعروف بابن الصائغ ، من اهل سبتة روى عن جماعة ، ودخل الاندلس فأخذ بها ، وسمع باشبيلية وقرطبة ، وكان كثير الاختلاف الى فاس ، وكانت له فيها مجالس حافلة . صلة الصلة رقم ٢٠٠ - التكملة رقم ٢٠٧٠ .

(١٧٧) ابن عتيق (٦٠٠ هـ) :

أبو الحسن علي بن عتيق بن عيسى الانصاري الخزرجي ، روى بالأندلس عن جماعة ، وأجازه أعلام الاندلس في وقته ، ورحل الى المشرق فلقى جماعة من العلماء ، وكانت له مشاركة في علم الكلام . وفي الطب حدثت عنه جماعة مهمة في فاس ، وكان منهم أبو الحسن الغافقي - صلة الصلة رقم ١٠٣ ، التكملة رقم ١٨٦٥ .
(١٧٨) ابن فرحون (٦٠١ هـ) :

أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي الفاسي ، عالم كبير بالحساب ، من اهل قرطبة ، ورد على فاس فاقام بها زمناً يعلم الرياضيات ، وهو صاحب كتاب لب الباب في مسائل الحساب ، وكان كتابه ضمن المؤلفات التي تدرس بالقرويين . جذوة الاقتباس ٣٠٦ - الزركلي ٥ ، ١٥٠ .

(١٧٩) ابن الياسمين (٦٠١ هـ) :

أبو عبد الله عبد الله بن محمد بن حجاج ، من اهل مدينة فاس ، رياضي ، برع في عدة علوم منها المنطق والهندسة والتنجيم والهيئة ، وخاصة الحساب والعدد ، فكان لا يدرك ، يتناول فيها ، ولا ينازع في الاختصاص بمعرفة دقائقها وغوامض مسائلها . له أرجوزة في الجبر ، قرئت عليه ، وسمعت منه بإشبيلية سنة ٥٨٧ هـ . فكان هو الذي نشر ذلك العلم بها . التكملة لكتاب الصلة - ص ٥٣١ رقم ١٤٤٢ - الذخيرة السنية - الانيس ٢٣٧ - الجذوة ٢٣٧ - تراث العرب العلمي ص ٧٢ - ٧٣ : مجلة البحث العلمي يناير ١٩٦٤ .

(١٨٠) ابن الملجوم (٦٠٣ هـ) :

القاضي أبو موسى عيسى بن أبي الحجاج يوسف ، من أسرة بني الملجوم السالف ذكرها . ولي قضاء فاس ، كان عارفاً بالفقه ، مستحضراً للمسائل والنوازل ، متقدماً في علم الفرائض ، راجع بيوتات فاس ، البحث العلمي ، دجنبر ١٩٦٤ الذخيرة السنية ٤٤ - الجذوة - .

(١٨١) السلمي (٦٠٣ هـ) :

القاضي أبو حفص عمر بن القاضي عبد الله السلمي الاغماتي ، انتقل الى فاس ، فاخذ عن عدة اعلام ، واصبح من أهل المعرفة والتفنن . كاتب ، وشاعر مجيد ، ولي قضاء إشبيلية وتلمسان وفاس ، اذا اقبل شمت منه رائحة الطيب على بعد . صلة الصلة رقم ٧٢ - ورقم ١٣٠ - التكملة ٢ ص ٦٣٣ - ٦٥٩ رقم ١٧٧١ - ١٨٣١ - الجذوة النبوغ : ص ١٦٩ - ٢٨٦ صلة الصلة رقم ٧٢ - الجذوة ٢٤٤ .

(١٨٢) الخشني (٦٠٤ هـ) :

أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني ، من أهل جيان ، اخذ عن أبيه علم العربية والآداب واللغات ، واخذ عن ابن حنين وعبد الله بن الرمامة بفاس ، وعن أبي مروان عبد الله بن هشام الخضربتللمسان ، وعن ابن ملكون بيجاية . وكان رئيساً في صناعة العربية عالماً بها قائماً عليها ، درسها حياته كلها ، ورحل الناس اليه فيها ، ولي الخطبة بجامع إشبيلية ، وولي قضاء جيان ، واستوطن بعد هذا مدينة فاس ثانية ، واقام بها يقرئ العربية ويدرس كتاب الاحكام ، وكان له إشراف مطلق على القرويين في فترة من الزمن ، ولذلك يعد من كبار رجالاتها . الانيس ص ٤٩ صلة الصلة

رقم ١٤٦ ابن الآبار : التكملة عدد ١٠٩٨ ص ٣٨٥ سفزاول . الروض المعطار ص ٧١ - ٧٢ الذخيرة السنية - نفع الطيب ٤ ، ص ١٠٣٧ .

(١٨٣) ابن الملجوم (٦٠٤ هـ) :

القاضي أبو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم ، سمع ببلدة فاس من ابيه ابي موسى وعمه ابي القاسم ، وروى عن ابن الإشبيلي الذي استوطن فاساً ، ولقي ببلده كذلك ابا مروان بن مسرة ، و ابا الفضل عياض ، وأبا الحسن الزهري ، وأبا بكر بن الجدد ، وأبا القاسم بن رشد ، ورحل الى الاندلس فلقني بقرطبة ابا شكوال ، روى عنه علي الغافقي الشاري . التكملة ٢ ص ٦٠١ رقم ١١٦٧٤ - ٢٧٦٧ - صلة الصلة رقم ١٥٠ - ١٨٢ - الجذوة ٢٦٧ - السلوة ٣ ص ١٧٨ . البحث العلمي ، دجنبر ١٩٦٤ ، ص ٤٨ .

(١٨٤) التميمي القاسي (٦٠٤ هـ) :

محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم ، من اهل فاس كان له مجلس علم بالمسجد الازهر بزقاق الخيل ، من فاس وبه أخذ عنه ابن العربي الحاتمي ، ورحل الى المشرق فاقام فيه نحواً من ١٥ عاماً فاخذ عن عشرات الاعلام ببغداد والاسكندرية والقاهرة ودمشق والقدس وطرابلس وإفريقية كما تتلمذ للاختين الصالحتين ست الكل وست العلم ابنتي عبد الله بن رفاعة السعدي ، وفاطمة بنت سعد الخير الانصارية بالقاهرة ، وتقية بنت الخطيب غيث الأرمناري ، وينسب اليه كتاب المستفاد . راجع ترجمة الفندلاوي (ت ٥٩٥) . أبو مروان عبد الملك بن ابي القاسم التوزري المعروف بابن الكردبوس - الذيل والتكملة الفتوحات المكية قسم الوصايا المطبوع على حدة بالمطبعة الأميرية بمصر عام ٣٠٦ ص ١٢٨ . الكتاب الذهبي ١٨٥ .

(١٨٥) ابن الملجوم (٦٠٥ هـ) :

أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن رقية من آل الملجوم المعروفين . كان له اعتناء كبير بالتاريخ ، ومعرفة بالشعر والنحو واللغة والادب . جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من أهل المغرب ، وكانت خزانة كبة من اشهر الخزائن المغربية ، وقد بيعت خرومها بعد وفاته بستة آلاف دينار من طرف ابنته ... وهو صاحب العلية الشهيرة بفاس والتي يوجد بابها ضمن الابواب الداخلية . وكان ممن اخذ عنه الطالب الاسكندراني احمد بن عمر الانصاري الاندلسي . (التكملة رقم ١٦٥٢ ص ٥٩٠ جزء ٢ صلة الصلة ١٥٠ - الانيس ٤٢ - الذخيرة السنية

(١٨٦) الانصاري (٦٠٦ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عبد الله من أهل إشبيلية ، رحل الى مدينة فاس لطلب العلم ، فاخذ عن ابن زرقون ، وعاد الى بلاده ليقوم بتعليم الطلاب . التكملة ص ٢٩٢ رقم ٨٩٨ الترجمة رقم ١٥٤٢ ص ٥٧٧ .

(١٨٧) القصري (٦٠٨ هـ) :

أبو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الانصاري الأوسي القصري ، اخذ بفاس الموطأ عن الحاج ابي الحسن الكتاني بن حنين ، له تأليف كلها جليل ومفيد ، ألف كتاب تفسير القرآن ، وشعب الايمان ، وشرح اسماء الله الحسنى ، والأسئلة والأجوبة . القسم الأخير من صلة الصلة نشر بروفصال رقم ٤٤ التكملة رقم ١٨١٨ .

النبوغ ١٤٧ .

(١٨٨) ابن سعيد (٦٠٨ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عثمان ، من أهل فاس ، لقي في رحلته أبا محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشيلي
بباجة سنة ٥٧٥ هـ ، فتحمل عنه مختصره في الأحكام ، وحدث به . كان مفتياً أصولياً . التكملة ٣٧٦ رقم ١٠٦٧ .

(١٨٩) الحسني (٦٠٨ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن طاهر الحسني الشريف ، اخذ عن أبي إسحاق بن قرقول ، وكان من كبار
المحدثين . تولى القضاء بمراكش وإشبيلية . التكملة ص ٣٧٥ رقم ١٠٦٦ .

(١٩٠) الغماري (٦٠٩ هـ) :

القاضي أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم السعدي المجابري الغماري ولي القضاء أيضاً بسبتة وجيان وإشبيلية .
كان أبو الخطاب خليل يختلف إليه بإشبيلية في مسائل من كتاب ابن البراذعي ، كان يحفظ المدونة عن ظهر قلب .
كناشة ابن سودة (مخطوطة) : الجذوة ٩٩ .

(١٩١) ابن خروف (٦٠٩ هـ) :

علي بن محمد بن علي الحضرمي . من أهل إشبيلية ، روى عن جماعة من العلماء . أقرأ بقرطبة ورندة
وإشبيلية وسبتة ، وبمدينة فاس أخذ عنه كتاب سيويه جلة من العلماء وأقرؤوه بعده ، ممن اخذ عنه بفاس
أبو الحسن الشاذلي ، له مؤلفات ، منها شرحه لكتاب سيويه . صلة الصلة رقم ١٢٢ - ٢٤٥ - التكملة رقم ١٧٨٤ .

(١٩٢) العجلاني (٦٠٩ هـ) :

محمد بن حماد العجلاني ، من أهل فاس . سمع بها أبا ذر الخشني وغيره ، وصحب قاضي الجماعة أبا
عبد الله الحسني ، واختص به ، وكتب له . ولي قضاء سبتة ، وكان من أهل العناية بسماع العلم ورواية الحديث ،
وكان هو المخصوص بقراءة كتب الحديث ودواوينه - التكملة ص ٣٧٦ رقم ١٠٦٨ .

(١٩٣) الجراوي (٦٠٩ هـ) :

أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي ، من أبرز الشخصيات الأوربية في العصر الموحيدي ، وقد كان
مما حيا به العاهل الموحيدي عند مقدمة على إشبيلية عام ٥٦٦ :

لو كانت الجوزاء من أعدائه لم تنج من غاراته الجوزاء !

تاريخ المن بالامامة ص ٤٥٤ - شاعر الخلافة الموحدية ص ٣ .

(١٩٤) ابن يحيى (٦١٠ هـ) :

مروان بن عمار بن يحيى ، من أهل بجاية ، سمع ببلدة عبد الحق بن عبد الرحمن الإشيلي ، ودخل
الأندلس فسمع عدداً من المشايخ ، ثم رجع الى سبتة فسمع كذلك أبا محمد بن عبد الله ، وأخذ بمدينة فاس

عن أبي ذر الغفني كثيراً من كتب العربة لآداب واللغة ، ولقي أبا عبد الله بن حميد فأخذ عنه بعض كتاب سيويه ، وأجاز له . التكملة ص ٣٨٤ رقم ١٠٥ .

(١٩٥) ابن موسى (٦١١هـ) :

أبو محمد عبد الله بن أبي عمران موسى المعلم السالف ذكره . رَقِيَ المنبر ، وهو ابن ثمان عشرة سنة ، اجتمع فيه الثلاثة الشباب والعلم والجمال . قدّمه قاضي فاس للصلاة على والده ، ومن ثم طفق يخطب على منبر القرويين ، وقد استقبله أهل الموحدي الناصر ، واستأذنه في الانصراف اتبعه السلطان بالثياب والصرّة ، فقبل الثياب واعتذر عن قبول المال راجياً أن يوزع على الأجناد والغزاة الأنيس ٤٨ - الجذوة ٣٤ .

(١٩٦) الأوسي (٦١١هـ) :

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي المالقي المعروف بابن المرأة ، رحل من الأندلس إلى فاس للأخذ عنها ، روى بها عن أبي الحسن بن جبيرة وأبي الحسن علي بن حاتم ، حدث عنهما بالموطأ . الجذوة ص ٨٧ - الكتاب الذهبي ص ١٨٤ .

(١٩٧) ابن الحصار (٦١١هـ) :

أ. الحسن علي بن محمد الخزرجي الفاسي المعروف بابن الحصار مؤلف البيان في تنقيح البرهان ، ويعدّ من أعلام علم الكلام في بلده - التكملة الكتاب الذهبي ص ٤٤ .

(١٩٨) التادلي (٦١٢هـ) :

يحيى بن داود نزيل مدينة فاس ، سمع من عدد من العلماء كابن الرامة وابن حنين ، وتفقه على مشيخته . التكملة ٢ ص ٧٣١ رقم ٢٠٧٢ .

(١٩٩) ابن الحسن (٨١٢هـ) :

أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن الحسن الشهير بابن زانيف من أعيان مدينة فاس وعلمائها الأعلام الذين تشد إليهم الرجال في مذهب الإمام مالك ، له من علم الحديث وغيره ، وكان يقوم على المدوّنة قياماً تاماً (الجذوة ص ٢٥٤) .

(٢٠٠) ابن نموي (٦١٤هـ) :

أبو الحجاج يوسف بن عبد الصمد بن يوسف بن نموي الأصولي الجليل . كان من أهل التفنّن في العلوم ، عارفاً بالسيرة والتاريخ وعلم الأصول وغيرها ، قعد للتدريس في زقاق الرواح من فاس حيث سكنه وسكنى سلفه ، ودخل إشبيلية وأقرأ بها ، ثم عاد إلى فاس سنة ٦١٣ هـ ، وقعد للتدريس في شرقي القرويين إلى أن توفي . التكملة ص ٧٤٠ رقم ٢٠٩٩ الذخيرة ٥٣ الجذوة ٣٤٥ .

(٢٠١) ابن جبيرة (٦١٤هـ) :

الرحالة أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبيرة ، ولد في مدينة بلنسية ، وعاش ردحاً من الزمان بفاس حيث

روى عنه «الموطأ» إبراهيم بن يوسف الأوسي (٦١١ هـ) ، وقد باع املاكه بفاس ، وطاف في بلاد البحر المتوسط وبغداد وعدد من الأقطار ، توفي في الاسكندرية ... ٢١٤,٦ - الاعلام ج ٣ ، ص ٩٠ - ابن عبد الله : دعوة الحق ، دجنير ص ٢٨ . الكتاب الذهبي ص ٢٠٦ .

(٢٠٢) القضاغي (٦١٥ هـ) :

الخطيب أبو محمد قاسم بن محمد بن عبد الله القضاغي ، كان تلميذه الخطيب الشاب هو الذي استخلفه ، فبارك أمير المؤمنين هذا الاستخلاف ، وأسكنه في الدار الخاصة نائمة المسجد . الأنيس ٤٨ - الذخيرة السنية الآس ص ٥٩ التعليق رقم ١٢٤ الجذوة ٣٥ ص ٣١٧ .

(٢٠٣) ابن عمران (٦١٧ هـ) :

القاضي أبو يعقوب يوسف بن عمران . كان له إشراف على العادة على شؤون الجامع ، وهو الذي أمر بإسراج الثريا الكبرى بعد أن كانت قد عطلت ، وفتح على عهده باب الوراقين الأنيس ص ٤٢ .

(٣٠٤) المغيلي (٦١٩ هـ) :

عبد الرحمن بن القاسم بن يوسف بن محمد المغيلي ، من أهل فاس وبها نشأ ودرس ، ثم سكن غرناطة . روى عن أبي ذر الخثني ، وأجاز له ابن الجد وابن رشد ، ثم تصدر للإقراء بغرناطة ، وبها أدركه أجله . التكملة ٢ ص ٥٩٢ رقم ١٦٥٦ .

(٦٠٥) ابن فتوح (٦٢١ هـ) :

أبو الحجاج يوسف بن فتوح ، نزل مدينة فاس ، وكان له حظ من علم التفسير والفقه ، وله معرفة بعلم النبات وأعيان العشب الجذوة .

(٢٠٦) المراكشي (٦٢١ هـ) :

عبد الواحد بن علي التميمي ، مؤرخ دولة الموحدين ، من أهل مراكش الذين وردوا على فاس لطلب العلم ، كان بها سنة (٥٩٥) ، وسنه أربع عشرة سنة ، وفيها التقى بالعالم الطيبي العظيم أبي بكر بن زهر ، وكان بينها حديث ومسامرة ، وابن زهر يومئذ في الثمانين أو هو قد جاوزها . وارتحل إلى المشرق ، وأمضى في مصر سنين ، ثم غادرها إلى الحجاز ، ثم إلى بغداد ، والشام حيث اجتمع بوزير من خاصة الخليفة الناصر لابن الله العباسي فألف سنة (٦٢١ هـ) كتابه المعروف «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» جمع فيه بين تاريخ الأندلس والمغرب السياسي والأدبي .

(٢٠٧) الأنصاري (٦٢١ هـ) :

محمد بن أحمد بن حمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري ، من أهل المرية الذين رحلوا إلى مدينة فاس لأخذ العلم هناك ، فلقني أبا الحسن بن حنين ، وسمع منه الموطأ ، وأجاز له - التكملة ، نشر العطار ، ص ٦١٣ ، رقم ١٦١١ .

٢٠٨ (٢٠٨) القطني (٦٢١ هـ) :

محمد بن موسى ، من أهل شاطبة . لقي بمدينة فاس أبا القاسم عبد الرحيم بن عيسى بن الملجوم ، فسمع عنه ، وأخذ عن جماعة ، وعُني بالعربية ، فكان أستاذاً لها . التكملة ص ٣٣٠ رقم ٩٦٨ .

٢٥٩ (٢٥٩) ابن باديس (٦٢٢ هـ) :

عبد الله بن باديس اليحصبي الشُقري ، من أهل جزيرة شُقُر ، وسكن بَلَنْيَّة ، فسمع من عدد من العلماء ثم أجاز البحر الى مدينة فاس فلقى هناك عدداً من العلماء من أمثال أبي الحجاج ابن نموي وطبقته من أهل علم الكلام وأصول الفقه . التكملة ٢ ص ٥١٣ رقم ١٤٤٥ .

٢١١ (٢١١) ابن سمعون (اليهودي) (٦٢٣ هـ) :

أبو الحجاج يوسف بن يحيى بن إسحاق بن سمعون الطبيب الرياضي المعروف بابن سمعون ، وهو جده العاشر أو التاسع ، عرف به ابن القفطي في عيون الأنباء ، فقال : كان طبيباً إسرائيلياً ، من أهل فاس ، قرأ الحكمة ببلده ، فساد فيها وفي العلوم الرياضية ، وقد ارتحل لمصر واجتمع بابن ميمون الحاخام ، ثم سافر تاجراً الى العراق ، (النيوغ ١٥٨) .

٢١١ (٢١١) البلوي (٦٢٣ هـ) :

عبد الصمد بن عبد الرحمن الْبَلَوِي ، رحل الى فاس فأخذ بمدينة عن عدد من العلماء ، كان من بينهم أبو عبد الله بن الرامة . (صلة الصلة ١٥ بالتكملة رقم ١٨٠١) .

٢١٣ (٢١٣) السمائي (٦٢٤ هـ) :

عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز بن زيدان ، من أهل قرطبة ، نشأ بمدينة استجة ، واستوطن مدينة فاس ، وروى عن أبي ذر الخشني وأبي إسحاق بن قرقول ، وأخذ عن أبي الحسن بن حنين ، سمع منه الموطأ ، وكتب للقاضي أبي حفص عمر بن أبي عمر أيام ولايته القضاء بفاس . (التكملة ١١ ص ٦٣٣ رقم ١٧٧١) .

٢١٣ (٢١٣) الاسكندراني (٦٢٦ هـ) :

أبو العباس بن أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري الأندلسي ، من أعيان المذهب المالكي ، سمع الحديث على مشايخ المغرب ، ولقي بفاس أبا القاسم عبد الرحمن بن عيسى بن الملجوم ، ثم انتقل الى الاسكندرية ، فكان عالماً من أعلامها ، درس بها ، له كتاب على صحيح مسلم أحسن فيه واجاد (الدبياج ص ٦٨) .

٢١٤ (٢١٤) يعيش بن مسعود (٦٢٦ هـ) :

يعيش بن علي بن يعيش بن مسعود ، سمع بفاس من أبي عبد الله بن الرامة وأبي الحسين اللواتي وأبي عبد الله بن خليل الاشيلي ، وكان من أهل المعرفة بالقراءات والأخبار ، حدث عنه ابن القطان . (التكملة ٢ ص ٧٤٣ رقم ٢١١٠) .

(٢١٥) المراكشي (٦٢٧ هـ) :

أبو علي (أو أبو الحسن) بن علي المراكشي. وكان من كبار الرياضيين الفلكيين الذين اعتمدت جامعة القرويين على كتبهم ، وهو صاحب (كتاب الميادئ والغايات في علم الميقات) الذي يقول فيه صاحب كشف الظنون إنه أعظم ما صنف في هذا الفن . وفيه جانب عن الأسطره . والآخر عن الساعة الشمسية ، منه نسخة في مكتبة المرحوم المحامي عباس العزاوي. بغداد (كشف المظنون ١ ص ٣٨٤ ، النبوغ ١٥٧ - تراث العرب العلمي ص ٦٠) معجم المطبوعات ١١ ص ١٧٢٥ .

(٢١٦) الخطيب الشلي (٦٢٨ هـ) :

الخطيب الموقت أبو عبد الله بن عبد الرحمن الخزرجي الشلي . كان يروى عن أبي الحسن بن خروف وأبي الحسن بن جبير . ولي الخطبة بالقرويين بعد القضاء ، وكان الى جانب بصارته بالعلوم العقلية والنقلية يتوفر على معرفة تامة بقرن التوقيت . (الأنيس ٤٨ ، جنى الآس ٥٩ الجذوة ص ٣٥ - ١٩٥٠) .

(٢١٧) الحافظ ابن القطان (٦٢٨ هـ) :

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي سلطان الطلبة بمراكش ، سمع بفاس من أبي ذر الخشني وجماعة ، له مقالة في المكايل والموازين ، ولما أراد الناصر الموحدي استقبال فيرناندو الثاني استشار العلماء في مراسيم الاستقبال ، فألف ابن القطان مقالته التي ينصح فيها بالوقوف للأجانب بمجاملة عند اللقاء . (الذيل والتكملة الخامس ، ابن صاحب الصلاة ٢١٩ - ٢٢٠ - ٤٠٢ - النبوغ ١٤٩ - الكتاب الذهبي ١٤٤) .

(٢١٨) أبو بكر القرطبي الأنصاري (٦٣٠ هـ) :

محمد بن عبد الله المكيني أبا بكر ، من أهل إشبيلية ، ويعرف بالقرطبي لأن أصله منها ، رحل الى مدينة فاس في طلب العلم ، فأخذ عن جماعة ، منهم ابن زرقون ، ثم عاد الى بلده لتدريس العربية الخامس من الذيل ، والتكملة على كتابي الموصول ، والصلة الترجمة ١٥٤٢ ص ٥٧٧ .

(٢١٩) ابن أبي الجيش (٦٣١ هـ) :

صهيب بن عبد المؤمن رومي الأصل ، أصله من ضواحي جيان . ولي قضاء جيان ، سمع الموطأ على ابن الجد ، وارتحل الى مدينة فاس لطلب العلم ، واجتمع بابن فرتون ، وأجاز له بعد أن درس عليه صحيح مسلم ، (التكملة ١١ ص ٤٣٠ رقم ٤٣٠) .

(٢٢٠) ابن دحية (٦٣٣ هـ) :

أبو الخطاب ابن دحية الأندلسي ، قضى ردها من الزمان في فاس ضمن جولاته في مدن المغرب ، زار إصبةان وبغداد ونيسابور وشيراز ودمشق والقدس ، ثم استقر بالقاهرة في كنف الملك الكامل في رعاية شاملة وبهتة سفيراً عنه الى الناصر ببغداد فبعثه هذا رسولا عنه الى بعض ملوك العجم تقديراً لعلمه ونخبته - الذيل والتكملة ق ١ ص ٢١٥ رقم ٢٢

(٢٢١) ابن عبد الله الخطيب (٦٣٥ هـ) :

الخطيب أبو عبد الله الحاج محمد الملقب بالخطيب . خطب بعد الشلبي لما كان له من الصنعة في اختيار جيد الكلام وبديع الأسلوب . الأنيس ٤٨ - الآس ٥٩ .
(٢٢٢) السقطي (٦٣٥ هـ) :

أبو الحجاج يوسف بن محمد بن علي ، كان على معرفة تامة بالتوقيت والنجوم ، ورد من قصر كتامة على مدينة فاس أيام إمامة الشلبي السالف ذكره ، فالتمس من قاضي المدينة أبي يعقوب يوسف بن عمران أن يفسح له في المجال للظهور بمدينة فاس بالخطبة على منبر القرويين ولو لجمعة واحدة ، فاقترح القاضي على الخطيب الشلبي أن ينزل عن المنبر ليوم واحد ليشتهر أمر السقطي ، الأنيس ٤٨ راجع ص ٨٢ .

(٢٢٣) البدوي (٦٣٥ هـ) :

أبو العباس احمد بن علي الحسيني ، دفين طنطا ، صاحب الشهرة الكبيرة . ولد بفاس وبها تفقه ، وطاف البلاد ، وأقام بالحرمين الشريفين . وزار الشام والعراق . واستقبله الملك الظاهر بيبرس بعسكره . الكتاب الذهبي (١٦٢) .

(٢٢٤) ابن عربي (٦٣٦ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي ، أخذ بمدينة فاس عن أبي عبد الله بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي ، وسمع عليه كتابه المستفاد بمسجد عين الخليل : المسجد الأزهر - الكتاب الذهبي ١٦٣ - ص ١٨٥ .

(٢٢٥) عبد الغفار (٦٣٦ هـ) :

الخطيب أبو محمد عبد الغفار . خطب على منبر الجامع بعد ابن عبد الله الملقب بالخطيب ، ولكنه لم يظل فيه إلا نحو ستة أشهر ، لأن بعض الناس روى أنه سمعه يجمع بين التنوين وأداة التعريف وهذا وحده يدل على مدى خطورة الهفوة النحوية بالنسبة الى خطيب القرويين !! ! الأنيس ص ٤٩ .

(٢٢٦) الخطابي (٦٣٧ هـ) :

ميمون بن علي الخطابي من أهل مدينة فاس ، كان شاعراً فحلاً ، اديباً ممتازاً ، له مجالس أدبية بالعاصمة ، وقد أدركه اجله بالرباط ، النبوغ ١٧٠ .

(٢٢٧) الصنهاجي (٦٣٩ هـ) :

أبو عمر عثمان بن كثير ، من الطلبة الذين انتقلوا من مدينة فاس ، واشتهروا بمصر القاهرة ، تفقه وبرع في مذهب الشافعي ، وقضى بقوص ، ودرس بالجامع الأحمر بالقاهرة . الكتاب الذهبي ص ١٦٢ .

(٢٢٨) أبو الصبر (٦٤٢ هـ) :

أبو الصبر أيوب بن عبد الله بن يكتون ، اخذ عن محمد بن عبد الله الداني ، من رجالات القرويين ، واليه

ينتسب بنو الصبر الذين كان لهم ذكر بفاس - الانيس ٣٥ ، الصلة ص ٢١٢ رقم ٧٢٢ .

(٢٢٩) الانصاري (٦٤٥ هـ) :

محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الطراز الانصاري ، الغرناطي ، سمي ابن القاضي ستة من شيوخه بفاس .
من بينهم اثنان انتفع بهما في الكلام وأصول الفقه ، اخذوه ١٧٦ ، الكتاب الذهبي ١٨٦ .

(٢٣٠) الفشتالي (٦٤٦ هـ) :

أبو محمد الفشتالي من فقهاء القرويين الصالحين الذين كان لهم رأي في تنصيب خطبائها ، وهو اول من بايع
بني مرين . مشاهير فاس : البحث العلمي ، دجنبر ، ١٩٦٤ ، ص ١٥٥ . السلوة ٢ - ٤٥ .

(٢٣١) المغيلي (٦٤٦ هـ) :

القاضي أبو عبد الرحمن محمد بن يحيى بن أحمد بن عبد الله قاضي القضاة بفاس ، اجتمع اليه نفر من مشيخة
المدينة للاستفادة - زهرة الآس ٣٢ ، التعاليق رقم ٧٦ ، الذخيرة ٨٤ .

(٢٣٢) الصنهاجي (٦٤٧ هـ) :

عبد الله بن محمد بن عبد الله ، من أهل طنجة ، انتقل الى مدينة فاس للتعلم ، فسمع هناك عن أبي عبد الله
الفندلاوي وأبي محمد بن زيدان . وكان ممن أجازوه أبو القاسم بن الملجوم ، وأبو ذر الخشني ، وابن جبير - التكملة ٢
ص ٥٣٢ رقم ١٤٩٥ .

(٢٣٣) القشيري (٦٤٨ هـ) :

علي بن أحمد ، أخذ ببلدة غرناطة ومالقة واشيلية ، رحل الى فاس لاستكمال معلوماته ، فاخذ بها عن أبي
البقاء يعيش بن القديم ، وأبي محمد بن زيدان ، وغيرهما . صلة الصلة رقم ١٣٨ .

(٢٣٤) الشاري (٦٤٩ هـ) :

أبو الحسن علي بن محمد الغافقي الشاري ، درس على جماعة طائفة من كتب الحديث والفقه والأدب وغيرها ،
ثم رحل الى مدينة فاس للاستزادة من العلم ، فلزم بها محمد الفندلاوي ، وتفقه عليه في علم الكلام وأصول الفقه ،
كما أخذ عن أبي القاسم عبد الرحيم بن الملجوم وابن عمه عبد الرحمن وأبي الحسن علي بن عتيق ، وأخذ عن النحوي
أبي الحسن بن خروف ، ثم دخل الأندلس ، وبني مدرسة ببلدة سبتة . صلة الصلة ، رقم ١٥٠ ، التكملة ٢ ص
٦٨٧ رقم ١٩٢٢ .

(٢٣٥) أبو عمران (٦٥٠ هـ) :

القاضي أبو عبد الله من قضاة فاس من قبل أبي يوسف بن عبد الحق ، في إمامه اعتدي على المستودع بالقرويين .
الذخيرة السنية ، الأنيس ٤٣ ، الجذوة ٣٤٩ .

(٢٣٦) الأنصاري (٦٥١ هـ) :

القاضي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن قطرال ، روى عن جماعة مهمة من العلماء ، وولي القضاء

بقرطبة وبلنسية وشاطبة وسبنة ، ثم مدينة فاس ، وأخذ عنه عالم كثير من الطلبة . صلة الصلة رقم ١٣٩ - الجذوة ٣٠٨
(٢٣٧) الهكوري (٦٥٣ هـ) :

أبو محمد صالح بن جنون الهكوري ، فقيه فاس وعالمها وصالحها . أخذ عن الشيخ أبي محمد يشكر شيخ القرويين ، وأخذ عنه أبو الفضل راشد الوليدي صاحب كتاب الحلال والحرام ، والشيخ أبو ابراهيم الاعرج صاحب الطرز على المدونة ، وله تقليد على الرسالة ، كتب من إملائه في درسه لها . وهو غير أبي محمد صالح الصوفي الاسفي ، وقد كانا متعاصرين . : النبوغ ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢٣٨) ابن الحاج (٦٥٣ هـ) :

الخطيب أبو الحسن علي الشهير بابن الحاج ، ولعظم مقام الخطابة بالقرويين تهيبها أبو الحسن أول الامر ، ثم قبلها بعد لأي ، وعلى شرط أن لا يسكن الدار المحبة على أئمة الجامع وأنه - كما يقول أبو الحسن - لا ينبغي أن تكون السكنى عوضاً للإمامة ! ولا حاولوا إقناعه بأن رفضه سيعطل مقصد المحبس ، عاد للقبول ، ولكن في مقابلة السكنى سيقوم بنفسه بتخطيط حصر الجامع الأعظم . الانيس ص ٤٩ ، الآس ٦٠ ، الذخيرة السنية ٢٨ ، الجذوة ٣٥ .

(٢٣٩) الطليطي (٦٥٤ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الكفيف المعروف بالربوطي ، سمع ببلده ، ثم انتقل الى مدينة فاس فتولى التعليم بها ، وكان يخطب ويصلي الجمعة بالناس . : الغنية ص ١٨ - ١٩ .

(٢٤٠) المزدغي (٦٥٥ هـ) :

الخطيب أبو عبد الله محمد بن الفقيه الصالح يوسف بن عمران المزدغي من أسرة الخطباء والعلماء . كان عالماً يعلم الكلام والأصول والتصريف والعربية ، حافظاً الحديث . خطب بعد عبد الغفار . له تفسير للقرآن جميل مفيد انتهى فيه الى سورة الفتح ، وله أنوار الافهام في شرح الاحكام ، وتأليف فيما يجوز الأخذ منه للشرفاء المضطرين من أموال الاغنياء المغترين ، وارجوزة في العقائد . رحل الى الأندلس ، فأخذ عن اهلها . وروى عن الخطيب المزدغي هذا عدد من العلماء ، منهم ابنه : أبو القاسم محمد ، وأبو جعفر أحمد ، والعمري ، وإلى هذا تنسب أسرة المزدغي المعروفة الى الآن بفاس . وفي باب درب السعود مسجد يقال له مسجد المزدغي كان به كرسي للعلم والتوريق وخزانة كتب صغيرة . الانيس ٤٩ - الآس ٦٠ ، الابتهاج ٢٢٩ ، مشاهير فاس ، الجذوة ٣٦ - ١٣٨ ، الحوالات الوقفية

(٢٤١) ابن عبدون (٦٥٨ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي المكناسي الأديب الشاعر ، وهو غير عبد المجيد بن عبدون الأندلسي ، قضى وقتاً مهماً في فاس ، وكانت له بها مجالس خُبر فيها المدينة في موضوعها وشكلها أو طيبها وزيبها على حد تعبيره في شعره المشهور . الانتحاف ١١١ ص ٥٧٨ - ٥٧٩ ، النبوغ ١٧١ .
(٢٤٢) المزدغي (٦٦٣ هـ) :

الخطيب أبو القاسم محمد بن الخطيب أبي عبد الله محمد السالف ذكره . كان والده قدمه - بعد حين - للقيام

بمهمة الخطابة واقتصر هو على الإمامة ، فظل أبو القاسم بالقرويين الى ان توفي والده أبو عبد الله (ت ٦٥٥ هـ) ، فولي الإمامة بعده الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد ، واستمر أبو القاسم المزدغي خطيباً الى ان توفي ، ولم ينص لا في الانيس ولا في الآس ولا في الجذوة على تاريخ وفاته ، الانيس ٤٩ - الآس ٦١ - الجذوة ٣٦ .

(٢٤٣) (الغرناطي (٦٦٣ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مسدي الغرناطي ، انتقل الى مدينة فاس ، وأخذ العلم بها عن جماعة من العلماء ، منهم أبو البقاء يعيش بن القديم وأبو محمد بن زيد . الكتاب الذهبي ص ١٦٢ .

(٢٤٤) (ابن الكماد (٦٦٣ هـ) :

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المعروف بابن الكماد ، روى عن أبي ذر الخثني وأبي القاسم بن زانيف وأبي عبد الله التجيبي وأبي الحجاج بن الشيخ وأبي محمد حوط الله وزكي الدين أبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي وأبي الصبر أيوب وجماعة غيرهم ، احفظ اهل زمانه ، واعرفهم بالخلاف العالي . كان قيماً على الكتب الخمسة (الجذوة ٨٤) .

(٢٤٥) (ابن فرتون (٦٦٦ هـ) :

أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن خلف بن الحسن بن الوليد بن فرتون السلمي ، وهو من اهل مدينة فاس بها روى عن أبي ذر الخثني وأبي القاسم عبد الرحيم بن الملجوم وابن عمه عبد الرحمن بن الملجوم ، وهو صاحب (الاستدراك والاتمام) وكتاب الذيل على الصلة (الجذوة ٥٦) .

(٢٤٦) (المدني (٦٦٦ هـ) :

الخطيب أبو عبد الله محمد بن زيادة الله ، وهو غير ابن زيادة الله المزني الذي خطب بتوكيل من الفقيه يشكر المتوفى ٥٧٢ هـ وقد خطب بعد أبي القاسم المزدغي - الانيس ٤٦ - ٤٩ . الآس ٥٧ - ٦٠ .

(٢٤٧) (ابن حميد (٦٦٧ هـ) :

الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن حميد ، ولي إمامة الجامع القروي بعد وفاة أبي عبد الله المزدغي ، واستمر الى أواخر العهد الموحيدي .. الانيس ص ٤٩ الآس ص ٦٠ .

(٢٤٨) (ابن أبي زرع (٦٦٧ هـ) :

الخطيب أبو العباس أحمد بن أبي زرع الشيخ الفقيه المتقي . استمر في الخطبة سبعين يوماً الى ان صغر ظهير من العاهل المريني الأول أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بتعيين ابن أبي الصبر السالف ذكره خطيباً على منبر القرويين بدل أبي العباس ، الانيس ٤٩ ، الجذوة ٣٦ .

(٢٤٩) (ابن عشرين (٦٦٧ هـ) :

أبو الحسن علي بن عشرين الفقيه الحجة الحافظ ، من بيت بني عشرين الخزرجيين الذين نبغ فيهم هذا الفقيه

المتمكن الذي اخذ عليه فههاء المغرب ، كان يحفظ « المدونة » ومن صدره نقلت بعد أن احرقها الموحدون ، ويرون أنه لما نسخت من صدره وإملائه في أول الدولة المرينية فوبلت بنسخة مصححة نجت من الحريق ، فوجدوها كما هي لا خلاف بينهما - كتاب مشاهير فاس .



فهرست المجلد الأول

نبذة عن حياة المؤلف	
بين يدي الكتاب في طبعته الثانية	١
تقديم	١٠
مدخل	١١
بعض المراجع العربية (الكتب)	٢١
بعض المراجع العربية (المجلات والصحف)	٣٠
بعض المراجع غير العربية (الكتب)	٣٦
بعض المراجع غير العربية (المجلات والمتنوعات)	٣٨

الباب الأول

جامع القرويين على عهد الادارسة والزنايتين والمرابطين والموحدين	٤١
--	----

الفصل الأول

القرويين الأولى في عهد الأدارسة	٤٢
ميلاد دولة الادارسة بالمغرب	٤٣
تأسيس العاصمة فاس	٤٤
العدوتان - بناء جامع القرويين	٤٦
مسجد الامام داود بن ادريس	٤٧
مرافق القرويين الأولى	٤٨
هل نقضت القرويين الأولى	٥٠
تعليقات الفصل الأول	٥١

الفصل الثاني

القرويين الثانية في عهد الزناتيين	٥٥
الزيادات المعمارية والعمرانية في القرويين الثانية	٥٦
تعليقات الفصل الثاني	٦١

الفصل الثالث

القرويين في عهد المرابطين والموحدين	٦٥
الزيادات المعمارية والعمرانية في القرويين الثالثة	٦٦
ما تسمه القرويين من المصلين - سوارى القرويين	٦٧
الفن المرابطي في جامع القرويين	٦٨
الكلمات المنقوشة	٧١
منبر المرابطين	٧٥
مستودع الاوقاف	٧٦
جلب الماء وانشاء دارالوضوء	٧٧
الخصلة الحسناء	٧٨
الثريا الكبرى	٨٠
تعليقات الفصل الثالث	٨٤

الفصل الرابع

ابواب القرويين والمناطق المحيطة بها	٨٩
ابواب القرويين الحالية	٩١
حرم القرويين	٩٨
انارة الحرم	١٠٠
تعليقات الفصل الرابع	١٠٢

الفصل الخامس

التاريخ الفكري للقرويين في العصور الأولى	١٠٧
عرض تاريخي للقرويين - فاس حاضرة المغرب	١٠٨
القرويين وفاس - بداية التعليم بالقرويين	١١١
أقدم جامعة	١١٣
سيلفستر في القرويين	١١٥
التيارات المذهبية بالقرويين	١١٨
التنافس بين مراکش وبغداد	١٢٠
المدارس في عهد المرابطين والموحدين	١٢١
مدارس الموحدين	١٢٢
الخزائن العلمية	١٢٣
الكراسي العلمية	١٢٤
الاجازات - شعار العلماء	١٢٥
شروط الالتحاق بالقرويين	١٢٦
طريقة الدرس وحلقات العلم - المواد المدرسية	١٢٧
المؤلفات المستعملة	١٢٨
مركز العلماء لدى الدولة والشعب	١٣٠
رئاسة الجامعة واستقلالها ونظام القيم	١٣١
موارد العلماء والكلية وسجلات الاوقاف	١٣٢
العطل وسلطان الطلبة	١٣٤
تعليقات الفصل الخامس	١٣٦

ملحق للباب الأول

تراجع لبعض اعلام فاس	١٤٩
----------------------	-----

جَامِعُ الْفُرُوسِ

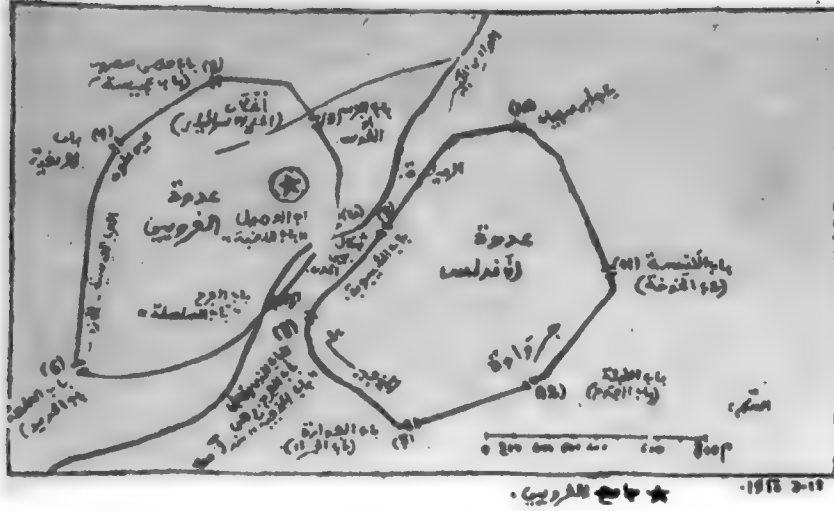


لوحات ورسوم



المجلد الأول





★ جامع القرويين.

١٩٤٥-١٩٤٦

رقم (١) ص ٤٦

العدوتان : عدوة الأندلس. وعدوة القرويين. على عهد
الإدارة من خلال الكتب القديمة : القرطاس والأس
والجذوة والتحقيقات الحديثة التي قام بها كاياار
وهروفصال.. وقد فصل الوادي بين العدوتين. وأشير إلى
أبواب المدينتين، وبعض الحارات الهامة كما حدد موقع
جامع القرويين في العدوة الغربية بنجمة خماسية.



رقم (٢) ص ٤٦

الجسر الذي كان يجمع بين العدوتين وقد تعرض
لعدة ترميمات وإصلاحات على مر العصور، وهو يحمل
اليوم اسم (قطرة بين المدن).



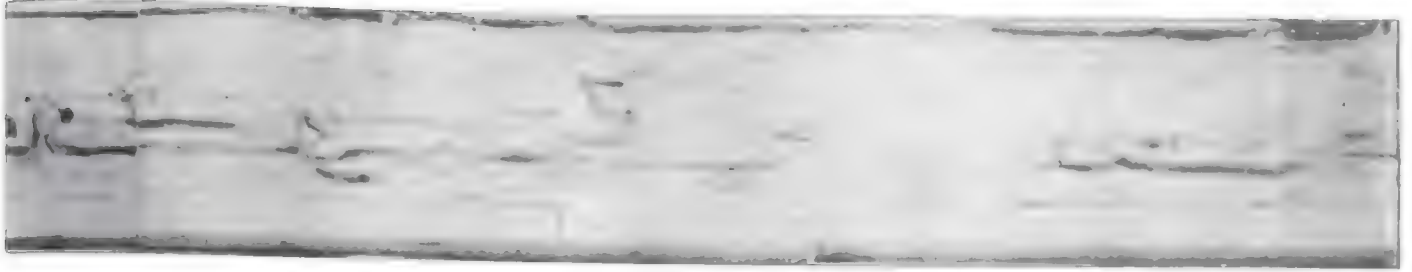
رقم (٣) / ص ٤٦

منظر عام لمدينة فاس اليوم بعد ان التهمت العدوتان : الاتدلس
والقرويين وترى متلة جامع القرويين في صميم المدينة يسرة صومعة
ضريح الامام ادريس...



رقم (٤) / ص ٤٧

قسم لصورة اللوحة التي عثر عليها مدفونة في ناصية البلاط الذي كان فيه الخراب
القديم للقرويين اول الامر، وهي تحمل تاريخ " ثلاث وستين ومائتي سنة" كما تحمل اسم
"الامام داود بن ادريس" وتعتبر كتابتها أقدم خط كوفي عثر عليه بمدينة فاس عاصمة
الاسلام الاولى بالمغرب الأقصى.



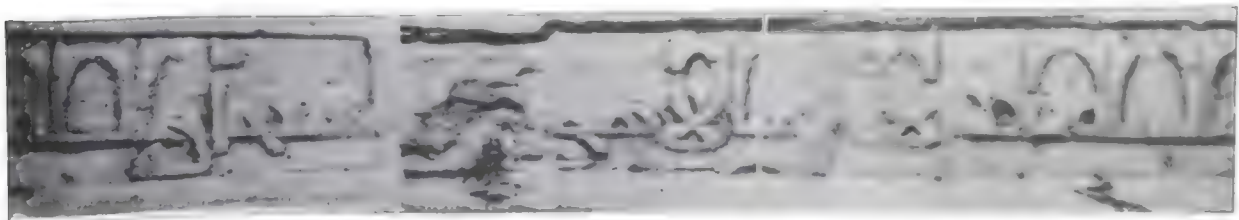
بسم الله ان الله وملائكته



صلون على النبي يا ايها الذين آمنوا



لما عليه وسلموا تسليما شهد



الله انه لا اله الا هو سبحانه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

العظيم بني هذا المسجد في شهر ذي القعدة

في سنة ثلث مائة وخمسة

من سنة ثلاث وستون ومائتين سنة

بسم الله الرحمن الرحيم

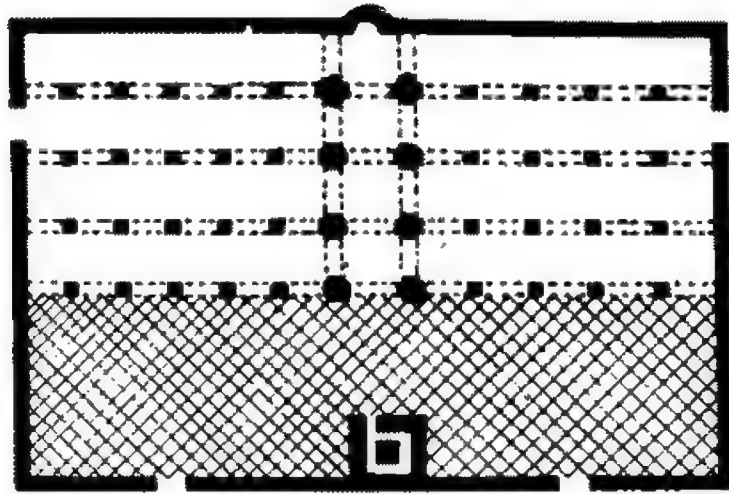
بما امر به الامام اعزه الله داود بن

بسم الله الرحمن الرحيم

ادريس ابقاه واكرمه وتلا له

بسم الله الرحمن الرحيم

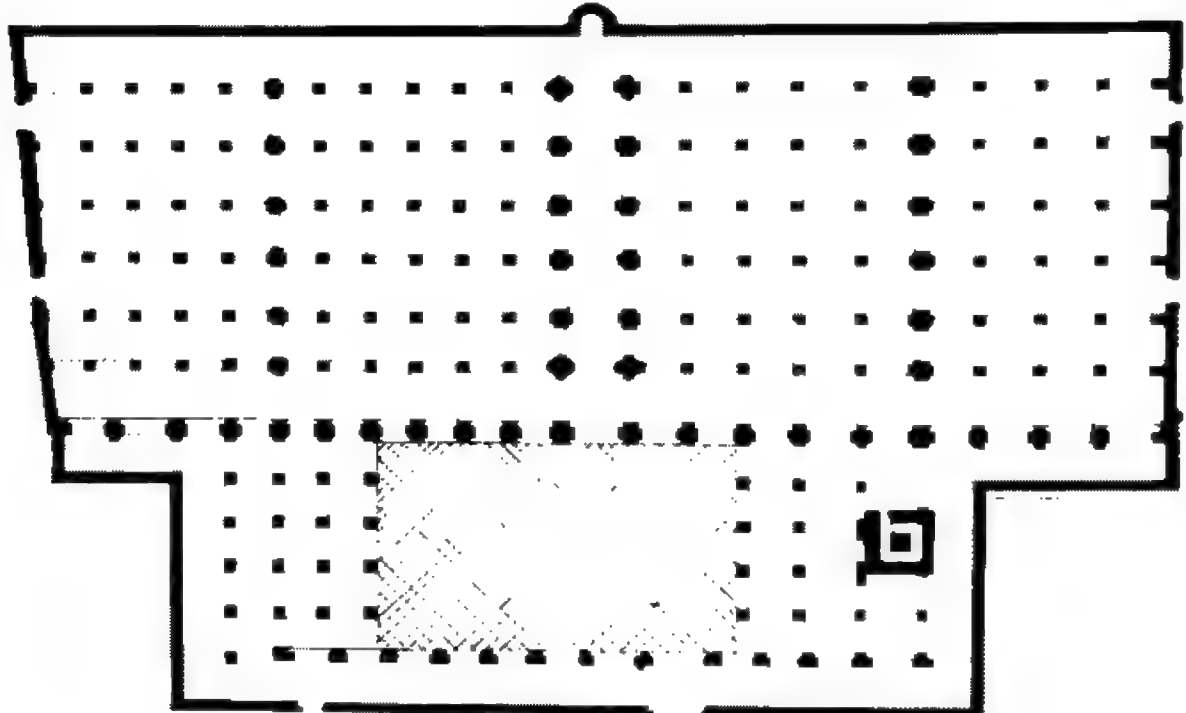
ونصره نصرًا عزيزًا وفتح له فتحًا مينا



رسم (٥) : ص ٤٨

تصميم جامع القرويين على عهد الإنارة وهـ، كانت من
أربع بلاطات ثم منها يحدى على اثنين حجرة فوساً من أيا
بابها الصحن الأول الذي قاب وسطه موقداً للشمس.

0 1 2 4 6 8 10 15 20 25



رسم (٦) : ص ٥٦

0 1 2 4 6 8 10 15 20 25

تصميم القرويين بعد الزيادة التي تمت في عهد المرينيين .
ويلاحظ أن التوسعة شملت الجناح من الجهات الثلاث : الغربية
والشرقية والشمالية ، كما يلاحظ أن مكان القصوفة تغير من الوسط
إلى مكانه الحالي غرب الصحن



رسم (٧) / ص ٥٦

أقدم مئذنة في العالم الاسلامي صمدت الى الآن : صومعة
جامع القرويين التاريخية ، الجهة الجنوبية ، ترى في الأعلى
نافذتان تحتهما بانحراف فتحة صغيرة مستطيلة ونلاحظ ان
طابع المئذنة المغربية يتركز على التربع وليس على الاستدارة .



رسم (٨) / ص ٥٧

منظر لمئذنة القرويين من الجهة الشرقية ،
نافذتان في الأعلى تحتهما بانحراف فتحة
صغيرة مستطيلة تليها اخرى ذات اليمين
ويلاحظ وراء الصومعة (برج الثَّغَار) وهو
حديث بالنسبة لتاريخ بناء المئذنة .



رقم (٩) / ص ٥٧

صومعة القرويين من الجهة الغربية . وتظهر نافذة واحدة ذات قوس بسيط ، والصورة مأخوذة من جهة (برج النّار) . وتلاحظ قبة الصومعة على شكل نصف كرة وقد علّتها أربع نفاحات متدرجة من صفر تأتي في آخرها بقية من سيف الامام ادريس .

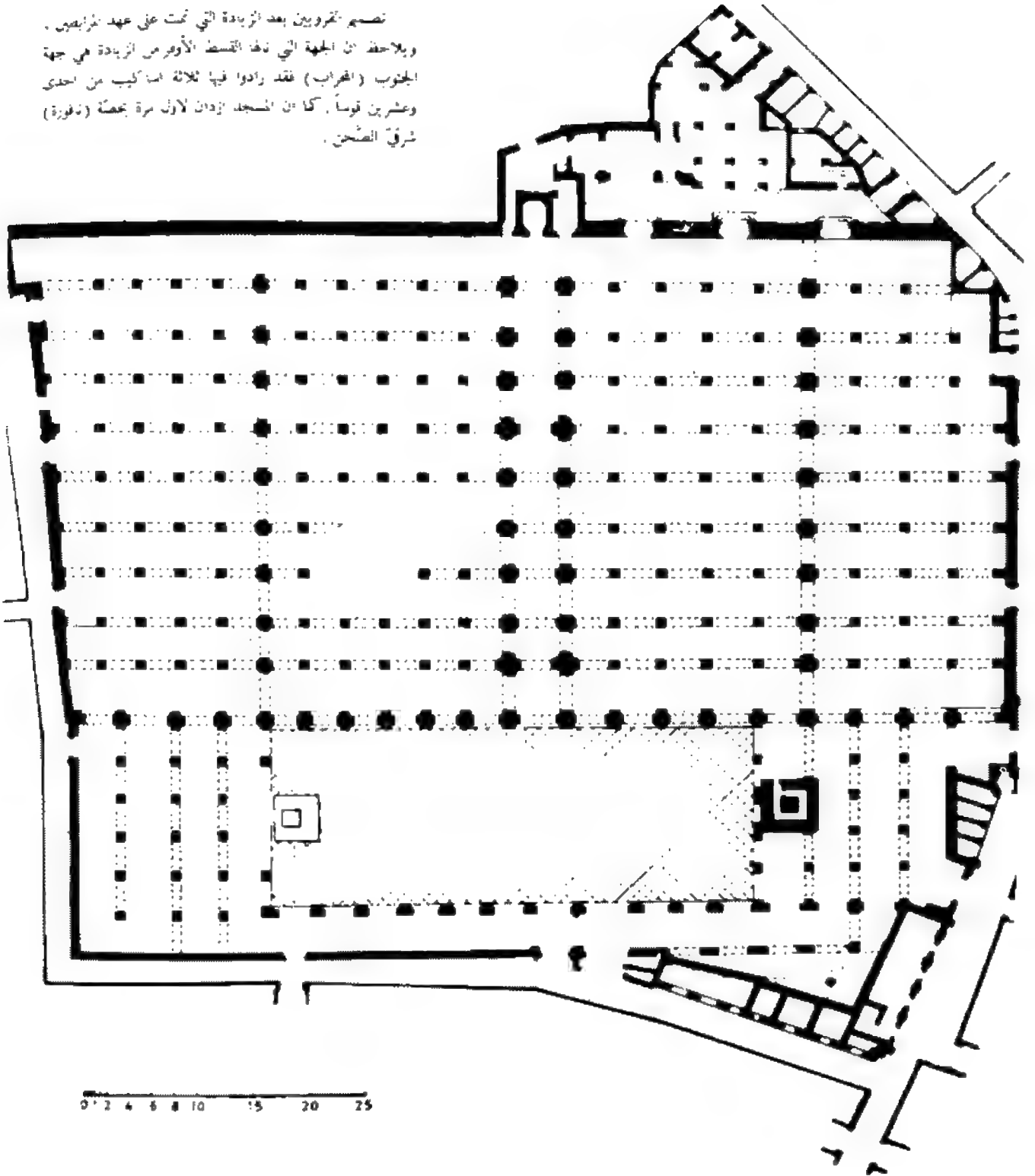


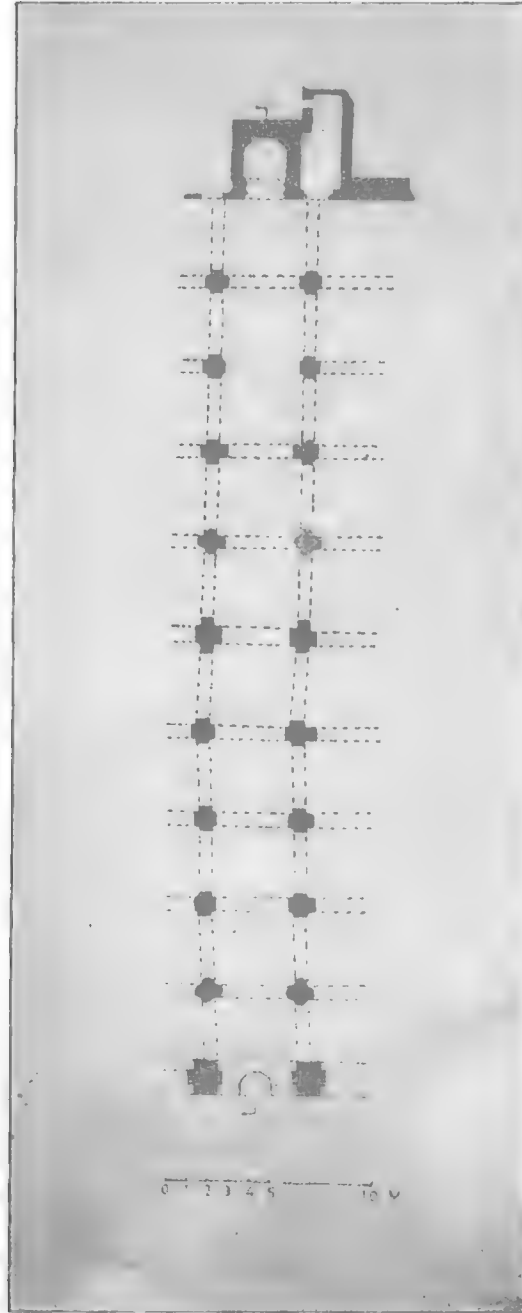
رقم (١٠) / ص ٥٧

الباب القديم للسطح : وهو يقع في الجهة الشرقية للصومعة ،
وقد حجبت رؤيته عند بناء الرواق الغربي من قبل السعديين ،
لقد نقش على جانبي الباب في الاعلى : لا اله الا الله محمد
رسول الله ، عَوَّضَ هذا الباب بالذي فتح في غريفة الصومعة
واستمر هذا معروفاً فقط من لدن سدة البيت .

رقم (١١) ص ٦٧

تصميم القرويين بعد الزيادة التي تمت على عهد المرابطين .
ويلاحظ ان الجهة التي لها القسط الأكبر من الزيادة هي جهة
الجنوب (المغرب) فقد زادوا فيها ثلاثة أملاك من إحدى
وعشرين قوساً . كما ان المسجد ازداد لأول مرة بحصّة (نافورة)
شرق الصحن .





رسم (١٢) / ص ٦٧
 رسم للبلاط الأوسط في الجامع ، وان ما يلاحظ عليه
 من بعض الاعوجاج ليدل على ان المرابطين احتفظوا بالقرويين
 كنية في اكثر خصائصها العامة . .



رقم (١٣) / ص ٦٧
صورة للبلاطات التي شُيّدت على عهد الزناتيين . ان
السواري تمتاز بانها قصيرة ونخينة كما نرى . . .



رقم (١٤) / ص ٦٧
 صورة للبلاطات التي شيدت على عهد المرابطين - على
 عكس الحال أيام الزناتيين - طويلة ورشيقة .



رقم (١٥) ص ٦٧

يوجد عدد من السورى الرخامية حمت مع كليم
من لاندس شجبل بعض جهات حمعة لقرويين . ومن
يبه . مع توجد على مدخل الحرب لمي به مرصون
وبلاحظ ثر عدة ناديا على شبحان .



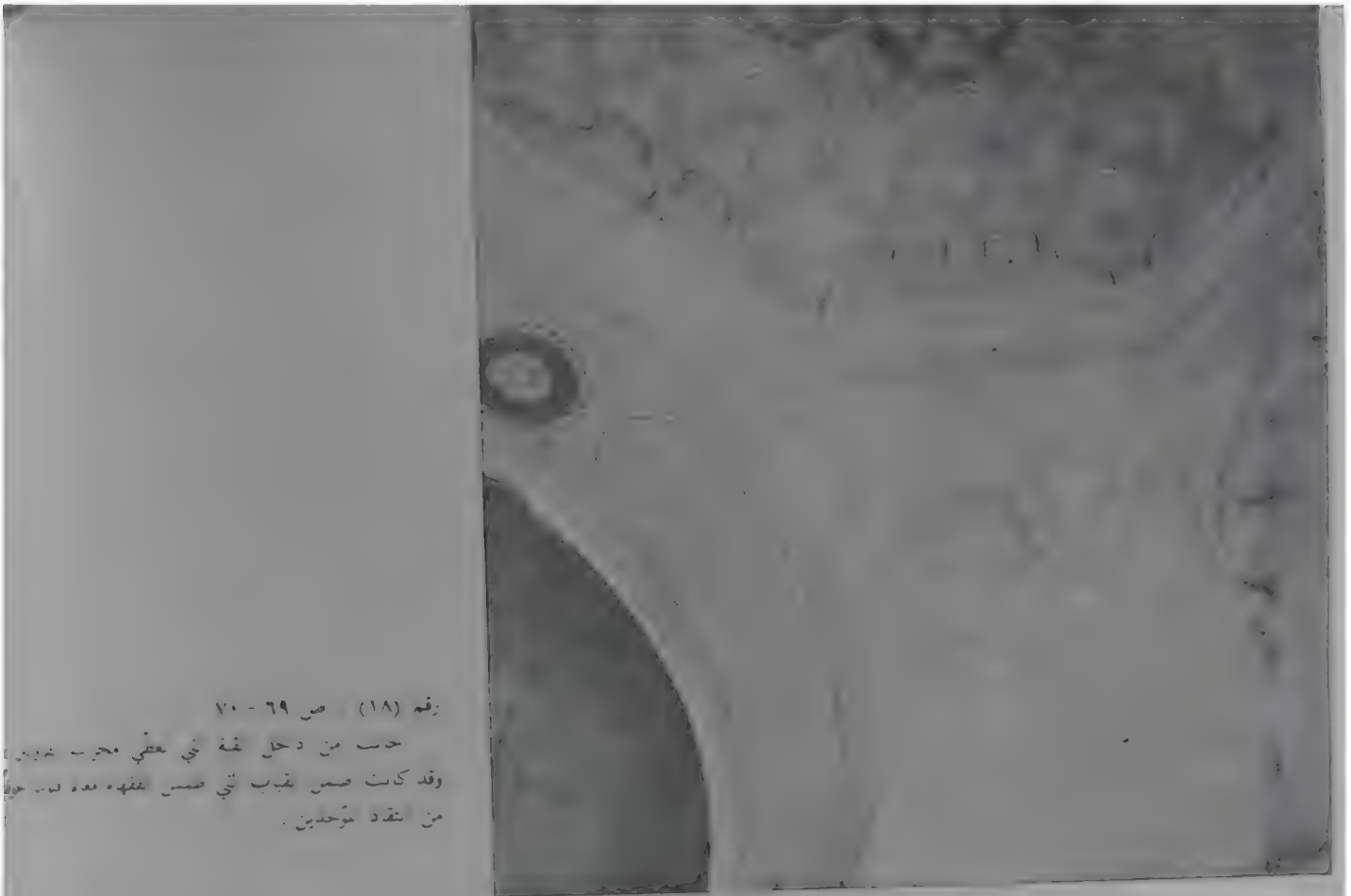
رقم (١٦) ص ٦٧

تاجان رخاميان بكلكلان السابتن اللتب على باب الحرب .
وقد غلا من الاندلس .



رقم (١٧) / ص ٦٩ - ٧٠

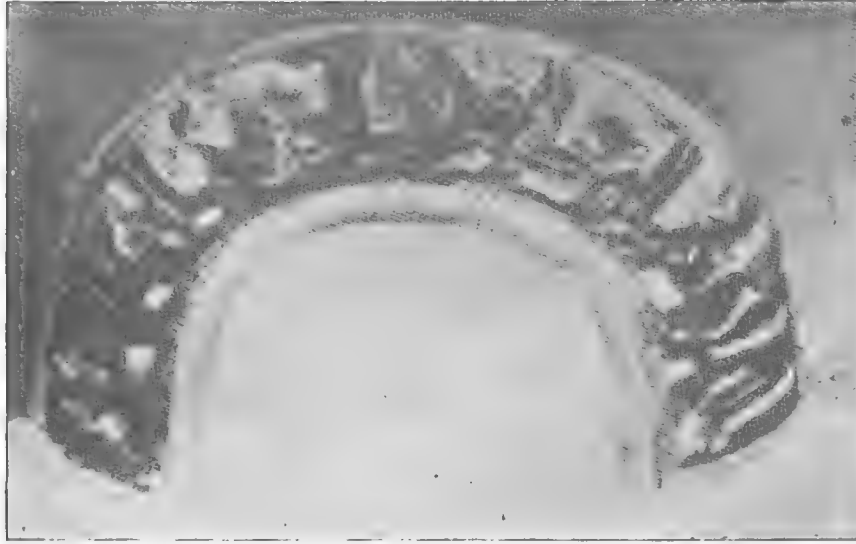
جانب من واجهة محراب القرويين وقد ظهرت المصاييح
المتبقية ، ويلاحظ باب المقصورة التي يسرع فيها الامام
والخطيب قبل غروجهما للصلاة .



رقم (١٨) ص ٦٩ - ٧٠
 حب من دخل فة في عتي محب - نوري
 وقد كات صمن فباب في صمن ففهد معه لـ
 من نقد موحدين .



رقم (١٩) / ص ٦٩ - ٧٠
 رسم لدخل فة محب قبل ال نراع عها اطاق الجيس
 في طلت نكتم القاس النفوس المرطبة .



رقم (٢٠) / ص ٦٩ - ٧٠
 اكتشفت بداخل قبة اضراب القواس ثمانية نقش على كل
 منها بالخط الكوفي القديم آيات استطعنا ان نتيّن منها : و اقم
 الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر الآيات . . .



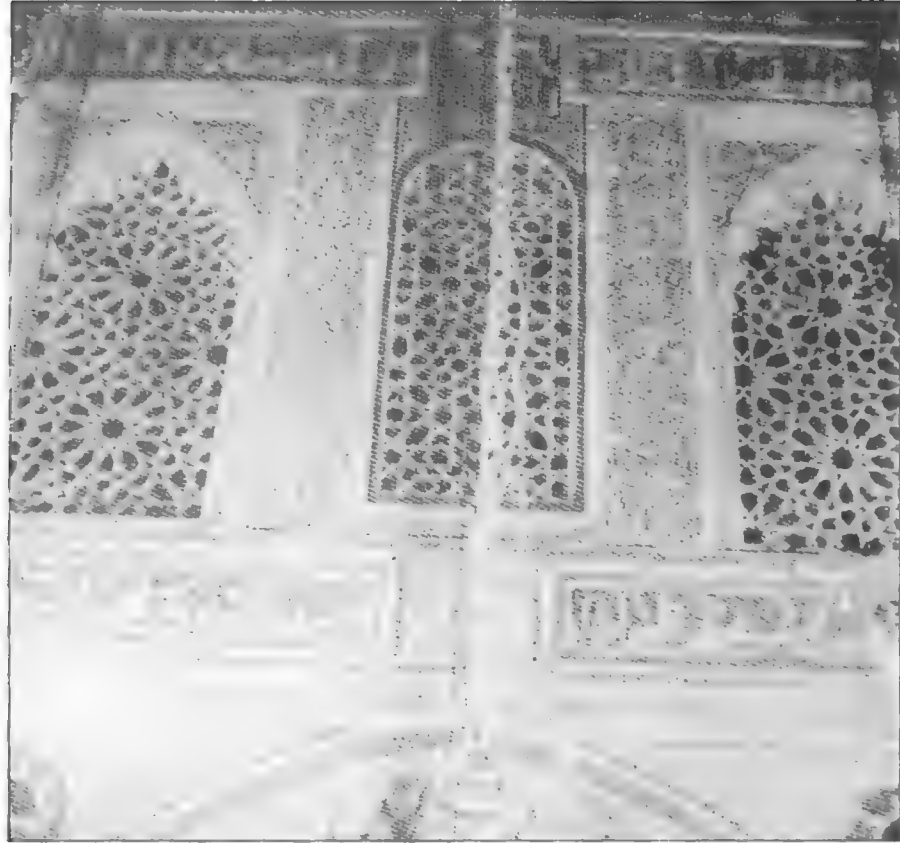
رقم (٢١) / ص ٦٩ - ٧٠
 « لقد صدق الله ورسوله . . . هذا ما يوجد على إحدى
 الأقواس داخل قبة المهراب . . . »



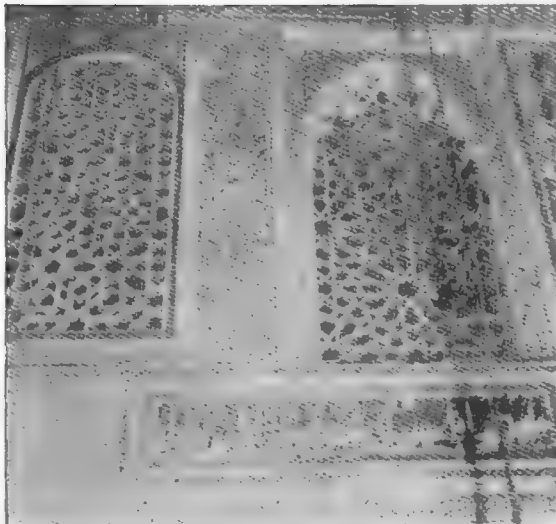
رقم (٢٢) / ص ٦٩ - ٧٠
هذا أحد الأقواس الثانية ، وقد نقش عليها : « . . . دا
وقل رب ادخلني مدخل صدق واخ . . . »



رقم (٢٣) / ص ٧٠
منظر للواجهة التي تعلو باب المحراب وترى الشاهيات
الثلاث التي تأتي فوقها شاهستان حديثان لادخال الضوء يرجع
تاريخهما فقط لبداية عهد العلويين .



رقم (٢٤) / ص ٧٠
لوحة أكثر تفصيلاً للشعائيات التي تعلو واجهة المحراب.



رقم (٢٥) / ص ٧٠
لقد نقش باخط الكوفي تحت الشعائبة اليمنى "اسجدوا
واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون..."



رقم (٢٧) / ص ٧٠

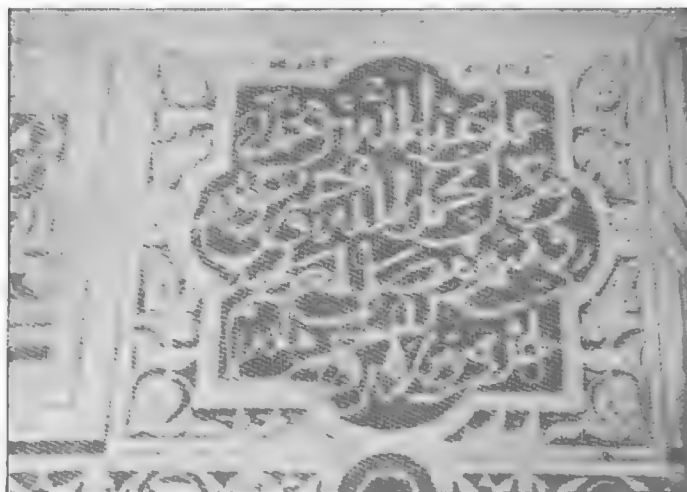
الجانب الاسفل من احدى الشماطين المحدثين على عهد العلويين. وهي تفصل بين كلمة الرحمن وكلمة محمد....



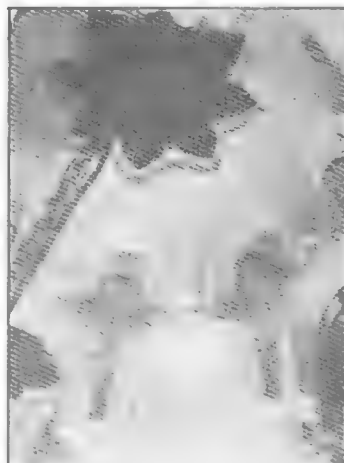
رقم (٢٨) / ص ٧٠

الجانب الايمن من واجهة اغراب وترى الخطوط الكوفية "...وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتاكم..."

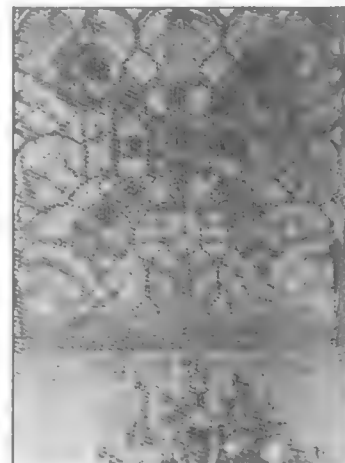
رقم (٢٨) / ص ٧٠
 بين الشماطين توجد اللوحة التاريخية
 التي تحمل العبارة التالية (عمل عبد الله بن
 محمد، وكمل بحمد الله وحسن عونه في
 شهر رمضان المعظم احدى وثلاثين وخمسين
 مائة) من حسن الحظ عدم ضياع اللوحة.



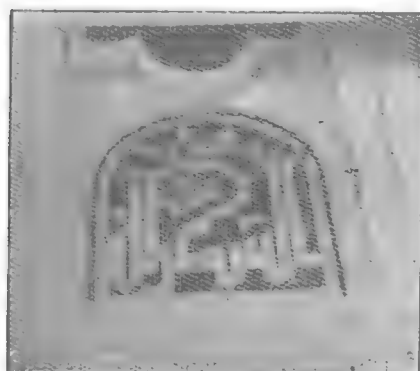
رقم (٣١) / ص ٧١
 من اللوحات الرائعة التي اكتشفت في القبة
 الموالية للمحراب عظم بالكوفي يحمل كلمة
 "الحمد لله".



رقم (٣٠) / ص ٧١
 المركز الوسط للقبه الموالية المجاورة
 للمحراب وذلك بعد عمليات الكشف...



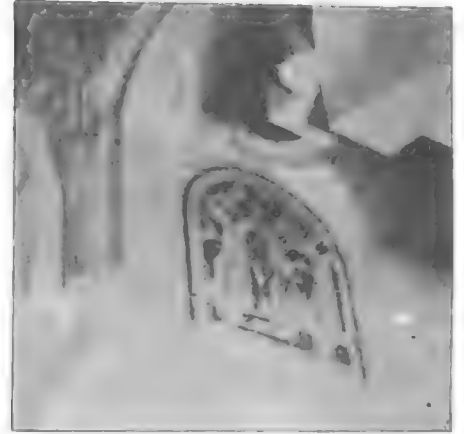
رقم (٢٩) / ص ٧١
 أيضاً القبة التي تلي قبة المحراب، وذلك
 قبل عمليات الكشف عن الفنون المرابطة..



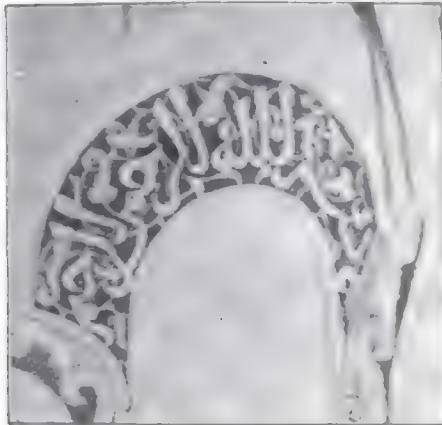
رقم (٣٢) / ص ٧١
 الشكر لله...



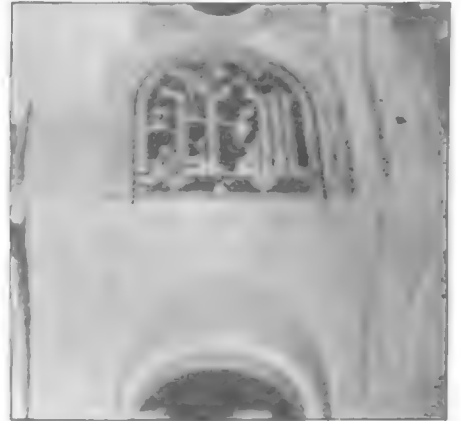
رقم (٣٣) / ص ٧٤
العز لله ...



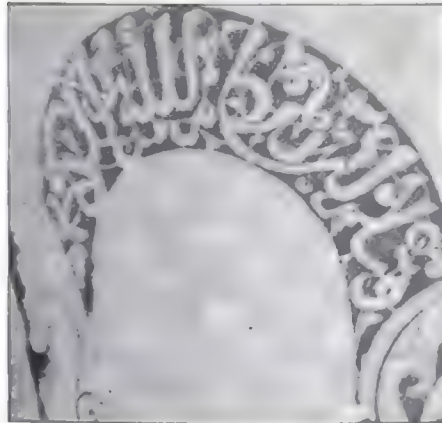
رقم (٣٤) / ص ٧٤
السر بالله ...



رقم (٣٥) / ص ٧٤
الله اكبر ...



رقم (٣٦) / ص ٧٤
من اللوحات الرائعة ما نقش بالخط
النسخي وهذه بداية طائفة منها .. كتبت
فيها بسم الله الرحمن الرحيم ...



رقم (٣٧) / ص ٧٤
وصل الله على محمد وآله ...



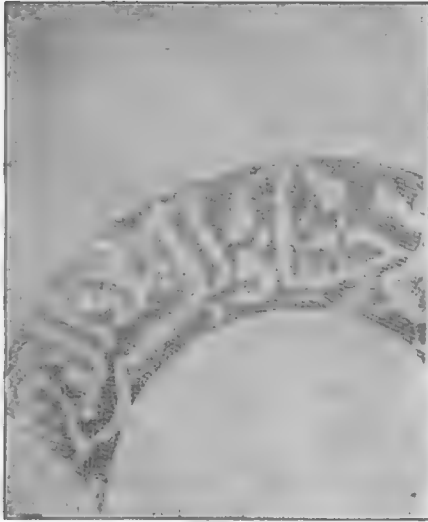
رقم (٣٨) / ص ٧٤
وسلم ان ربكم الله الذي ...



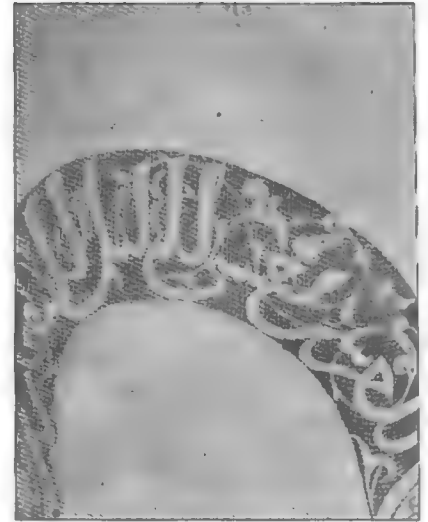
رقم (٣٩) / ص ٧٤
خلق السماوات والأرض ...



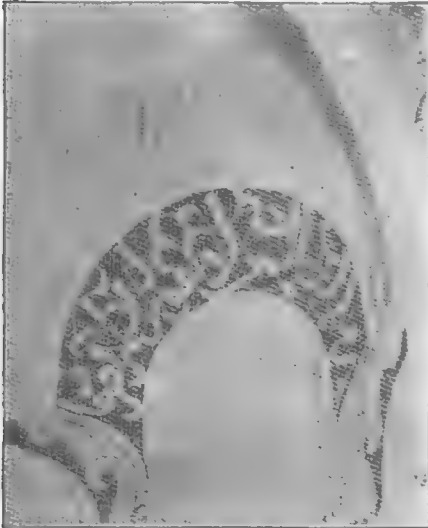
رقم (٤٠) / ص ٧٤
في ستة ايام ثم استوى على ...



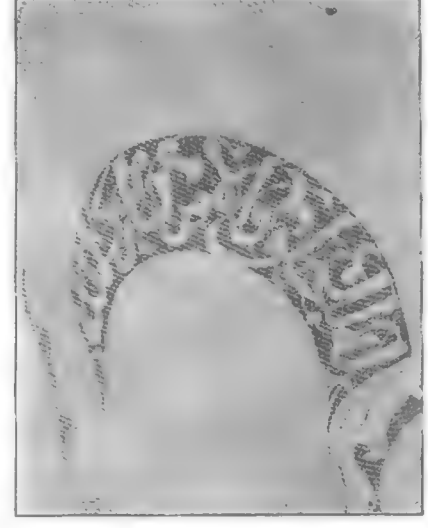
رقم (٤١) / ص ٧٤
العرش يغشي الليل النهار.



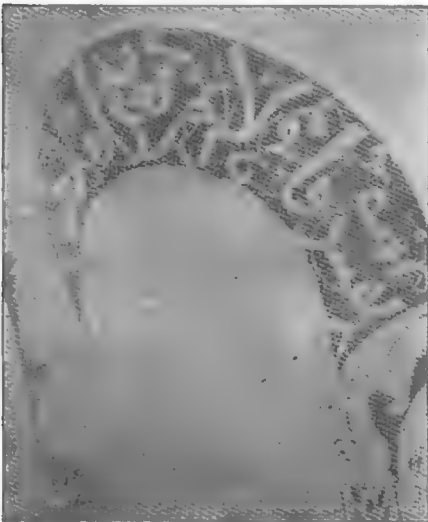
رقم (٤٢) / ص ٧٤
يطلبه حبنا والشمس والقمر



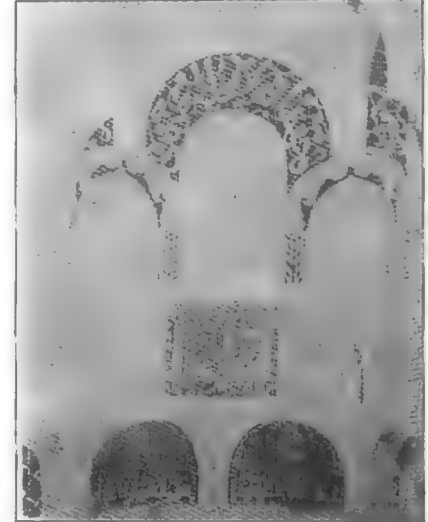
رقم (٤٣) / ص ٧٤
آلا له الخلق والامر تبارك الله



رقم (٤٤) / ص ٧٤
رب العالمين ادعوا ربكم تفرعا



رقم (٤٥) / ص ٧٤
وخفية انه لا يحب المتدين...



رقم (٤٦) / ص ٧٤
ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها.



رقم (٤٧) / ص ٧٤
لوحات اخرى من حجج ثان بالخط
النسخي كذلك (ما كان ابراهيم يهودياً ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان
من المشركين) .



رقم (٤٨) / ص ٧٤
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين .



رقم (٤٩) / ص ٧٤
ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله
بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا .



رقم (٥٠) / ص ٧٤
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن الا وانتم مسلمون .



رقم (٥١) / ص ٧٤
لوحات اخرى على شكل قوس وقد
نقشت فيها بالكوفي سورة الاخلاص :
قل هو الله احد . . .



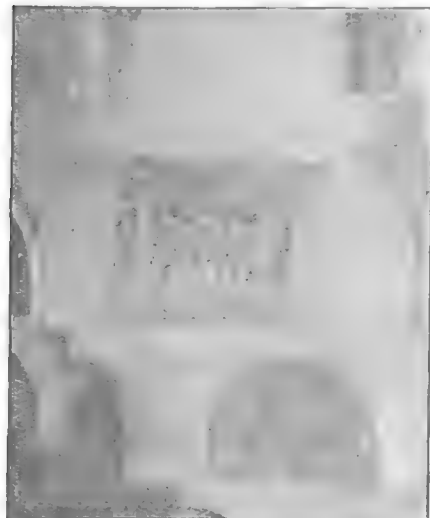
رقم (٥٢) / ص ٧٤
الله الصمد لم يلد . . .



رقم (٥٣) / ص ٧٤
ولم يولد ولم يكن له



رقم (٥٤) / ص ٧٤
من شر ما خلق ومن ...



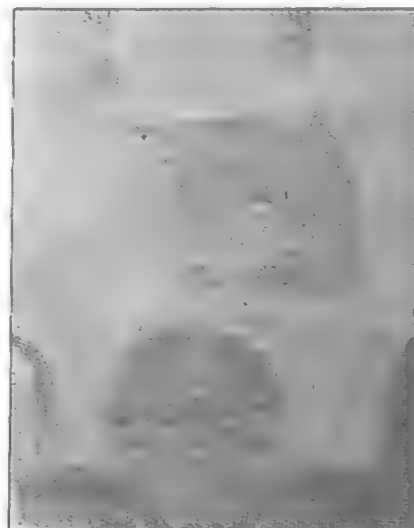
رقم (٥٥) / ص ٧٤
شر غاسق اذا ...



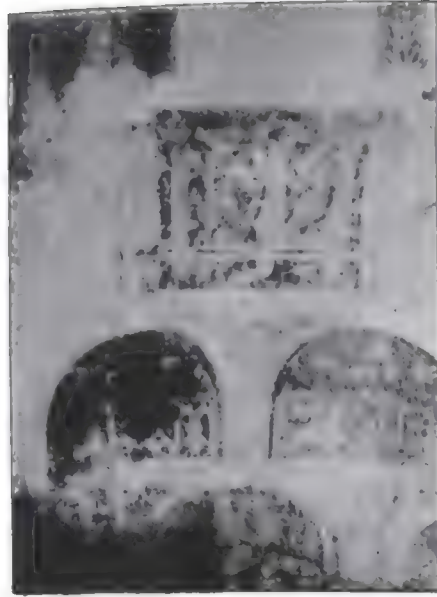
رقم (٥٦) / ص ٧٤
وقب ومن شر الخفافات



رقم (٥٨) / ص ٧٤
ملك الناس الا الناس



رقم (٥٧) / ص ٧٤
في القعد ومن شر



رقم (٥٩) / ص ٧٤
يوسوس في صدور الناس



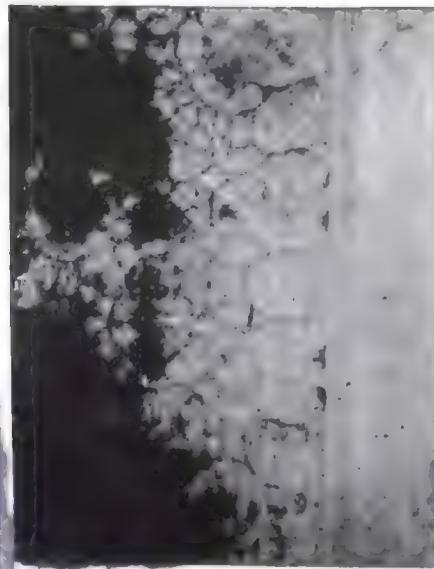
رقم (٦٠) / ص ٧٤
لخلق السموات والأرض أكبر من
خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون .



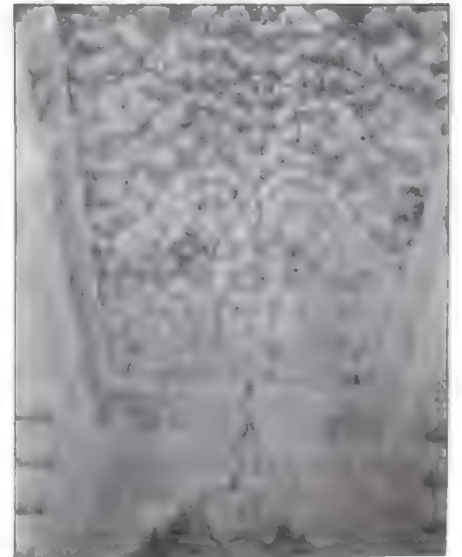
رقم (٦١) / ص ٧٥
بداية القبة الثالثة بعد قبة المحراب والقبة
التي تليها . . وتتميز هذه القبة بأنها على
شكل مستطيل : ويظهر جانب منها قبل
عمليات الكشف . . .



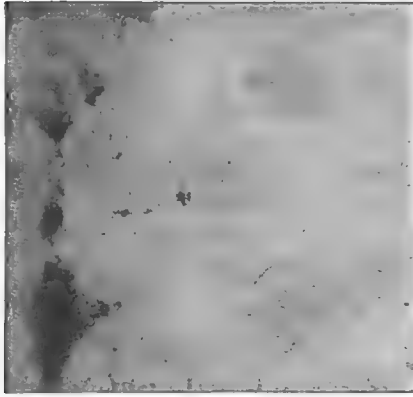
رقم (٦٢) / ص ٧٥
جانب أكثر اتساعاً من القبة المستطيلة
قبل عمليات الكشف . . .



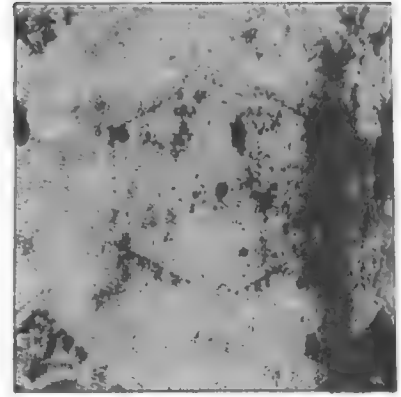
رقم (٦٣) / ص ٧٥
أيضاً القبة المستطيلة قبل عمليات
التنقيب .



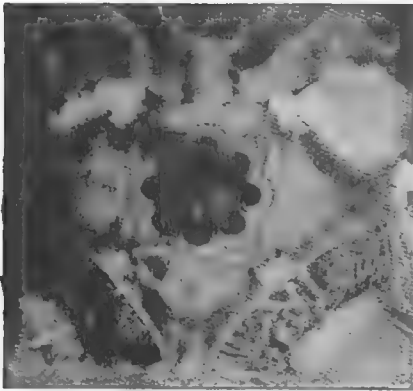
رقم (٦٤) / ص ٧٥
منظر يستوعب سائر القبة المستطيلة
على نحو ما تركها عليه الفقهاء بعد تلييها
وتغطيتها . . .



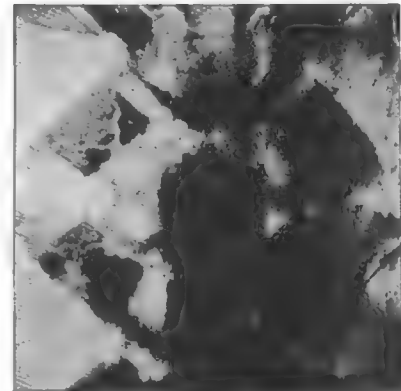
رقم (٦٥) / ص ٧٥
زاوية من زوايا القبة المستطيلة .



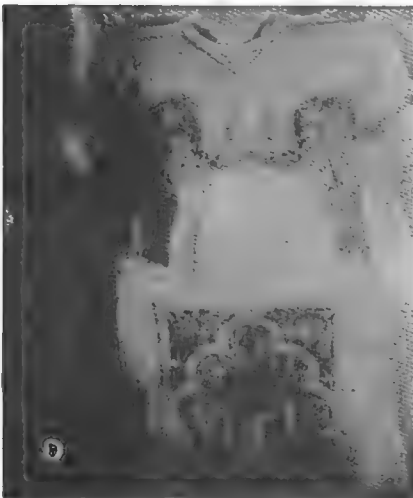
رقم (٦٦) / ص ٧٥
قبة مفصصة على قبة المقرنصات في
القبة المستطيلة .



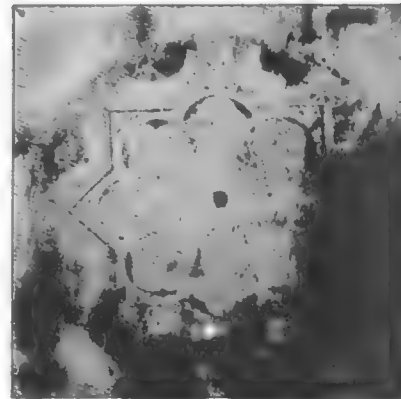
رقم (٦٧) / ص ٧٥
جانب واضح من القبة المستطيلة وقد
أخذ قبل عمليات الكشف وتلاحظ طبقات
الجبس تغطي القنن المرابطة .



رقم (٦٨) / ص ٧٥
لوحة أخرى من السقف المركزي
للجنة المستطيلة .



رقم (٦٩) / ص ٧٥
لوحة أخرى من التي أزيلت عنها
طبقات الجبس التي كانت تكتم انقاسها .



رقم (٧٠) / ص ٧٥
جانب من السقفات التي تحيط بإحدى
النجوم السداسية التي يزدان بها سقف القبة
المستطيلة وتلاحظ لوحة مربعة تحت
السقف وقد نقش عليها بعض آية شريفة .



رقم (٧١) / ص ٧٢
عشرات نقشها الفنانون
بـ سقف المسجد .



رقم (٧٢) / ص ٧٢
بعد ان اخذت عمليات الكشف
تزيح عن اللوحات غشاوتها ، يقرأ
بالخط النسخي البسملة والصلاة
على النبي ، كما يقرأ في لوحتين
اخرين تحت (غفرانك ربنا واليك
المصير . . . وبالكوبي رسم على لوحة
اخرى (العظمة لله) .



رقم (٧٣) / ص ٧٢
 بالخط النسخي فوق (القبوم)
 لا تأخذه سنة ولا نوم .. وتحت
 (خا ما كبت) وبالخط الكوفي
 (المظمة لله) ..



رسم (٢٠٠) / ص ٧١
 ركن من اركان القبة المستطيلة :
 وقد نقش بالخط الكوفي (العظيمة
 لله) .



رقم (٧٥) / ص ٧٢

«ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن

بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى...»

(ورسلة لا تفرق بين احد) وبالكوفي

(توفيقي بالله...)



رقم (٧٦) / ص ٧٢
وما في الارض من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه / ربنا لا
نواخذنا . . .

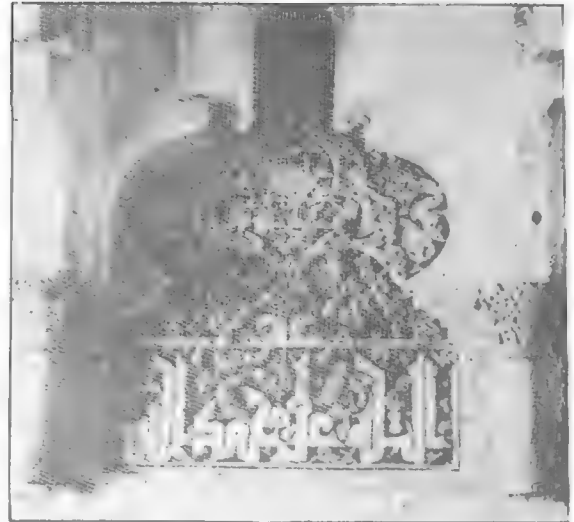


رقم (٧٧) / ص ٧٢
البقاء لله العزة لله



رقم (٧٨) / ص ٧٢
 تحت اللوحين بالكوفي : الملك
 لله - القدرة لله توجد لوحة تاريخية
 نقش فيها : (من عمل ابراهيم
 بن محمد رحم الله امراً دعا له
 بالرحمة) .

رقم (٧٩) / ص ٧٢
 تحت النقش التاريخي : صلى
 الله على محمد النبي ...



رقم (٨٠) / ص ٧٢
 لوحة اخرى نقش تحتها :
 (الزكاة ، بخافون).



رقم (٨١) / ص ٧٢
لوحة اخرى نقش تحتها :
ووجد الله...



رقم (٨٢) / ص ٧٢
الناس... صدق الله.





رقم (٨٣) / ص ٧٢
العمرة لله - الملك لله.



رقم (٨٤) / ص ٧٢
البقاء لله - العمرة لله.



رقم (٨٥) / ص ٧٢
احد زوايا القبة المستطيلة بعد
عمليات الكشف .



رقم (٨٦) / ص ٧٢
 لوحة مكتملة رائعة لبعض
 جهات القبة المستطيلة وهي تجمع
 بين عدد من انواع الخطوط . في
 اسفلها حزام بالكوفي يحمل اسم
 العاهل المرباطي واسم القاضي ابن
 معيشة .



رقم (٨٧) / ص ٧٢
لوحه اخرى من القبة المستنطيلة .



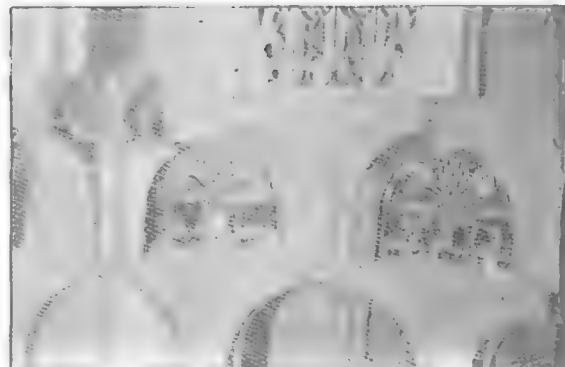
رقم (٨٨) / ص ٧٢
لوحه اخرى وهي تختلف عما
سبقها . . .



رقم (٨٩) / ص ٧٢
هذه لوحات اخرى على شكل
اقواس وقد نقش عليها بالخط
الكوفي سورة الاخلاص والمعوذتين . .
بسم الله الرحمن . . .



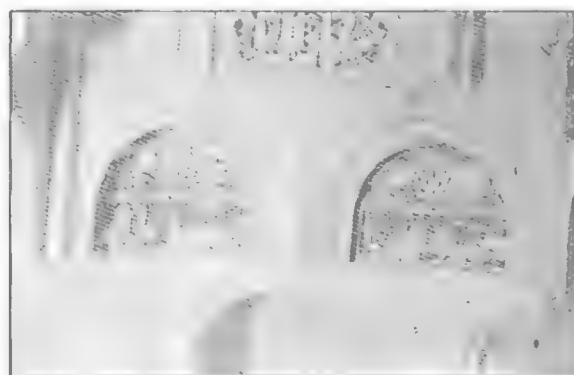
رقم (٩٣) / ص ٧٢
اجمعين وسلم تسلياً قل هو



رقم (٩٠) / ص ٧٢
الرحم وصل الله على



رقم (٩٤) / ص ٧٢
الله أحد



رقم (٩١) / ص ٧٢
محمد النبي الكريم وعلى آله



رقم (٩٥) / ص ٧٢
الله الصمد



رقم (٩٢) / ص ٧٢
الطيبين الأكرمين



رقم (٩٩) / ص ٧٢
شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات



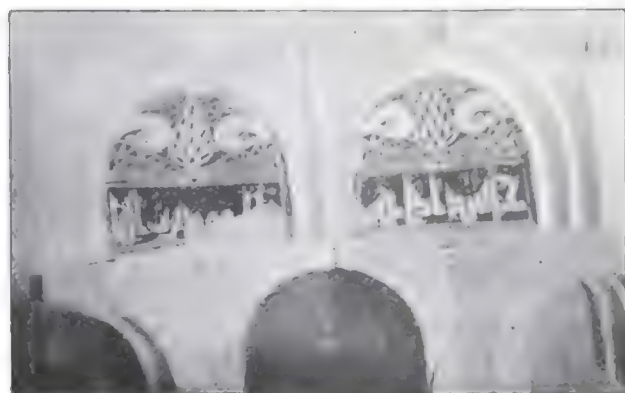
رقم (٩٦) / ص ٧٢
لم يلد ولم يولد ولم يكن له



رقم (١٠٠) / ص ٧٢
في العقد ومن شر



رقم (٩٧) / ص ٧٢
كفوا احد / قل



رقم (١٠١) / ص ٧٢
حاسد اذا حسد / قل اعوذ بربنا



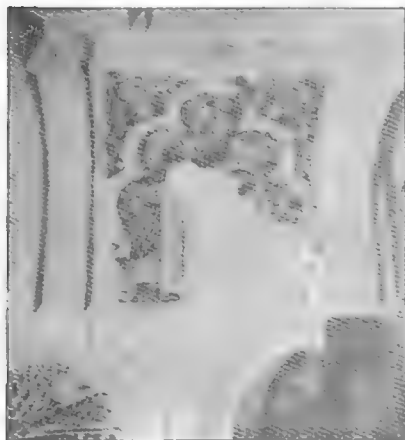
رقم (٩٨) / ص ٧٢
اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن



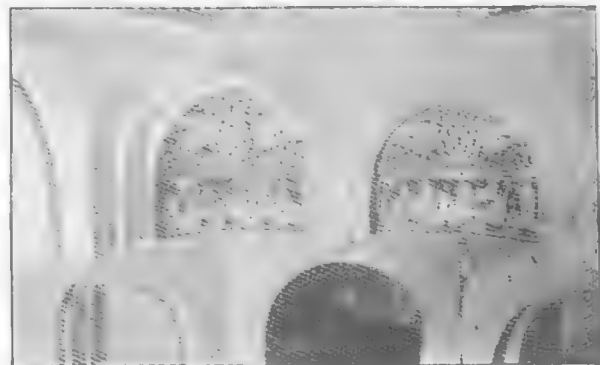
رقم (١٠٣) / ص ٧٢
اله الناس من شر



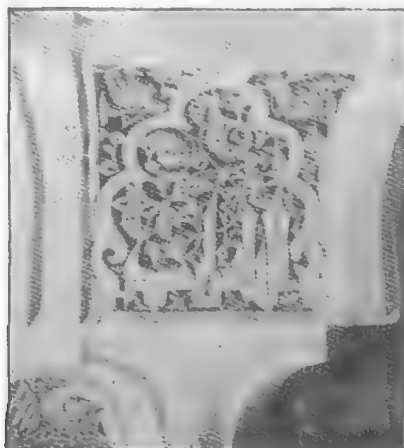
رقم (١٠٢) / ص ٧٢
من ملك الناس



رقم (١٠٥) / ص ٧٢
فوق اللوحات ذات الاقواس توجد لوحات مربعة كلت
فيها سورة الناس : صدور الناس .



رقم (١٠٤) / ص ٧٢
الوسواس الخناس الذي يوسوس
في ...



رقم (١٠٧) / ص ٧٢
الناس صد



رقم (١٠٦) / ص ٧٢
من الجنة و...



رقم (١١١) / ص ٧٢
لوحات اخرى نقشت عليها
آية شريفة : ومن يتوكل ...



رقم (١٠٨) / ص ٧٢
ق الله ...



رقم (١١٢) / ص ٧٢
عل الله



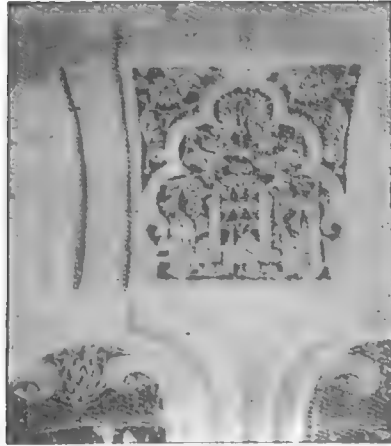
رقم (١٠٩) / ص ٧٢
لا اله



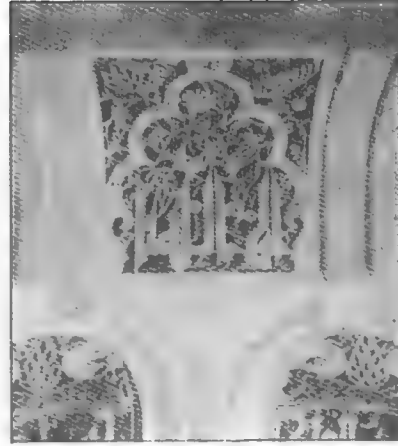
رقم (١١٣) / ص ٧٢
فهو حسه



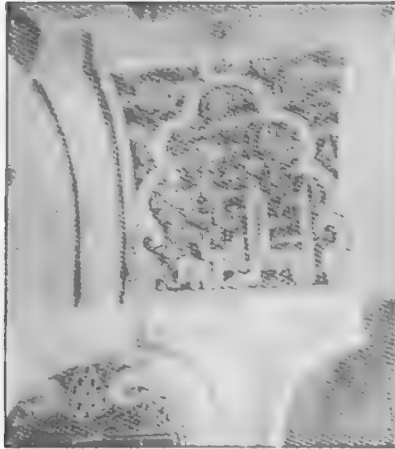
رقم (١١٠) / ص ٧٢
الآ الله



رقم (١١٥) ص ٧٢
لع أمره قد



رقم (١١٤) ص ٧٢
ان الله با



رقم (١١٧) ص ٧٢
لكل شيء



رقم (١١٦) ص ٧٢
جعل الله



رقم (١١٨) ص ٧٢
قدراً



رقم (١١٩) / ص ٧٣
 القبة الرابعة من جهة المخراب وهي مربعة الشكل. الصورة
 للقبة قبل أن تزاح عنها التليسات.



رقم (١٢٠) / ص ٧٣
 جانب آخر من القبة الرابعة المربعة..



رقم (١٢١) / ص ٧٣

لقد نقش بالكوفي على الخزام الاسفل للقبّة الرابعة.
"وعلى آله وسلم تسليما تبارك الذي ان شاء جعل..."

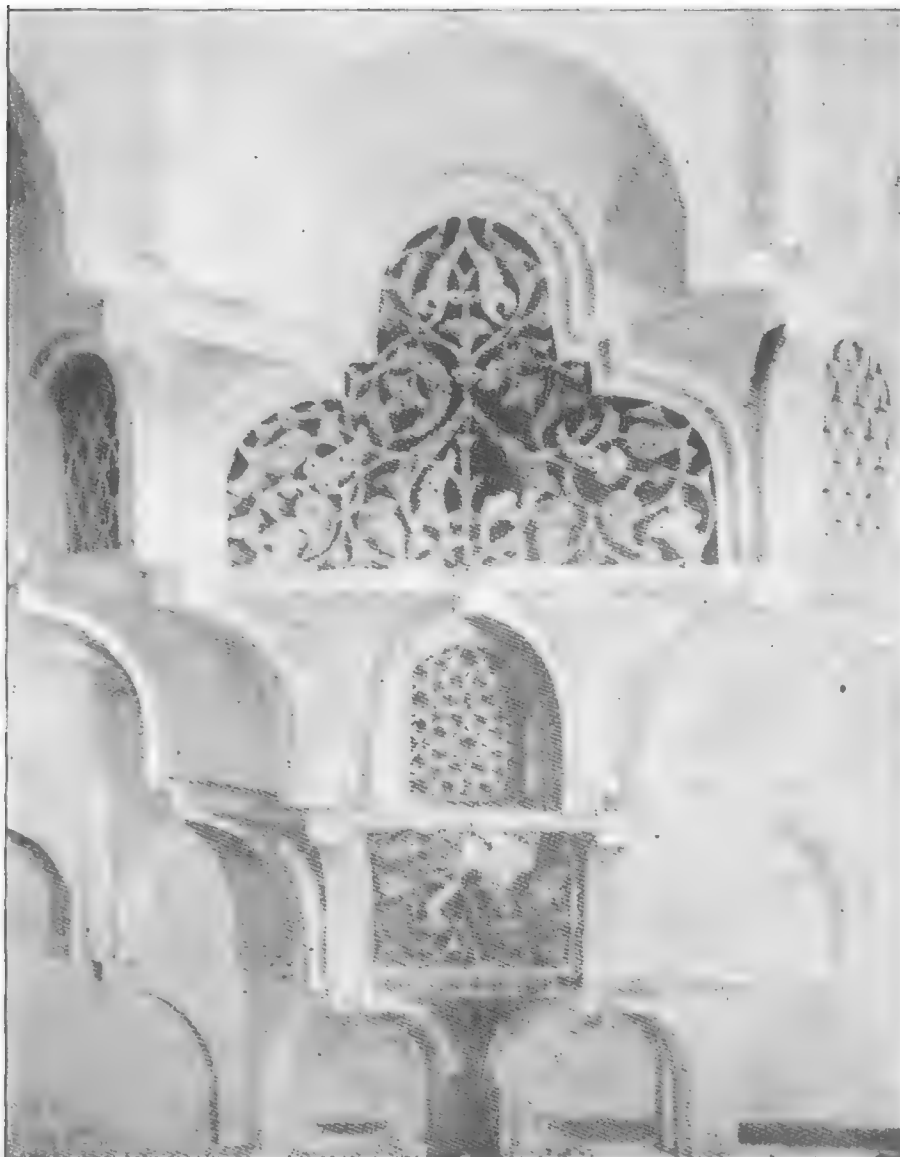


رقم (١٢٢) / ص ٧٣

بعض جوانب القبّة الرابعة بعد عمليات الكشف.



رقم (١٢٣) / ص ٧٣
لوحة اخرى تختلف عن سابقتها في القبة المربعة التي تلي القبة المستطيلة.



رقم (١٢٤) / ص ٧٣
لقد نقش بالكوفي القديم تحت الشهادة الله وحده لا شريك له .



رقم (١٢٥) / ص ٧٣
بركة ونعمة شاملة .

رسم (١٢٦) / ص ٧٣
احدى باقات زهرة الأفتنا التي تحمل القبة الرابعة . .



رسم (١٢٧) / ص ٧٣
تشكيلة اخرى من زهر الأفتنا في القبة الرابعة





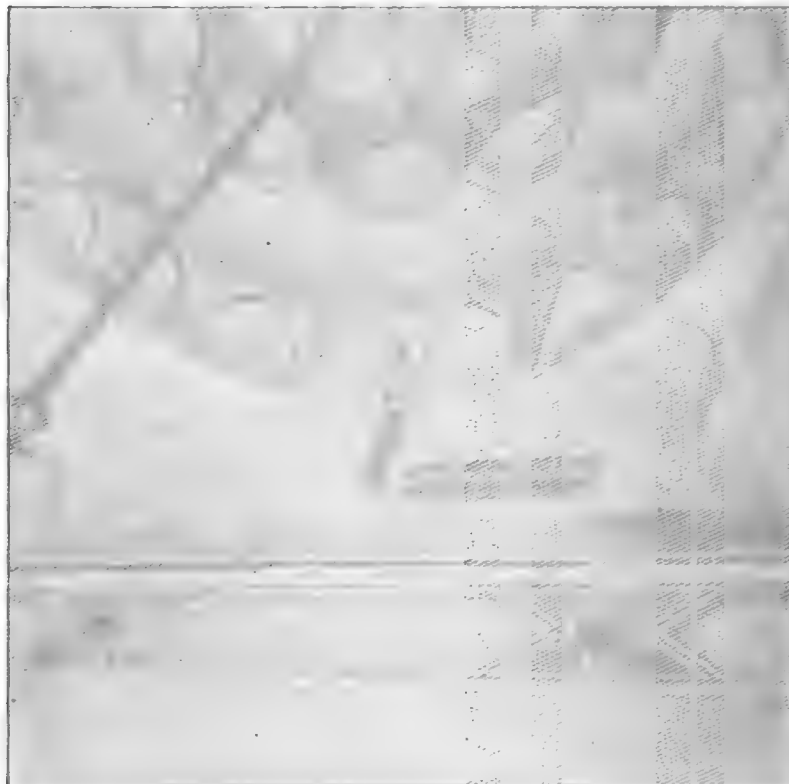
رقم (١٢٨) / ص ٧٣
شكل آخر من الأوتنا .



رقم (١٢٩) / ص ٧١ - ٧٣
القة السادسة من جهة اعراب .
وهي دائرية الشكل على خلاف
القة الرابعة .



رقم (١٣٠) / ص ٧١ - ٧٣
جانب آخر من القبة الدائرية الشكل ..



رقم (١٣١) / ص ٧١ - ٧٣
على مدار القبة توجد باقات تمثل مختلف الاشكال
وتلاحظ يمينا لوحة نقش عليها اسم المعلم الذي اشغل هنا .



رقم (١٣٢) / ص ٧٣
 بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد صنع ؟
 هذه القبة سلعة بن مفرح ؟



رقم (١٣٣) / ص ٧٣
 نموذج من الأقواس التي توجد على مقربة من المحراب
 ويلاحظ الابداع في تعددها داخل القوس الرئيسي .



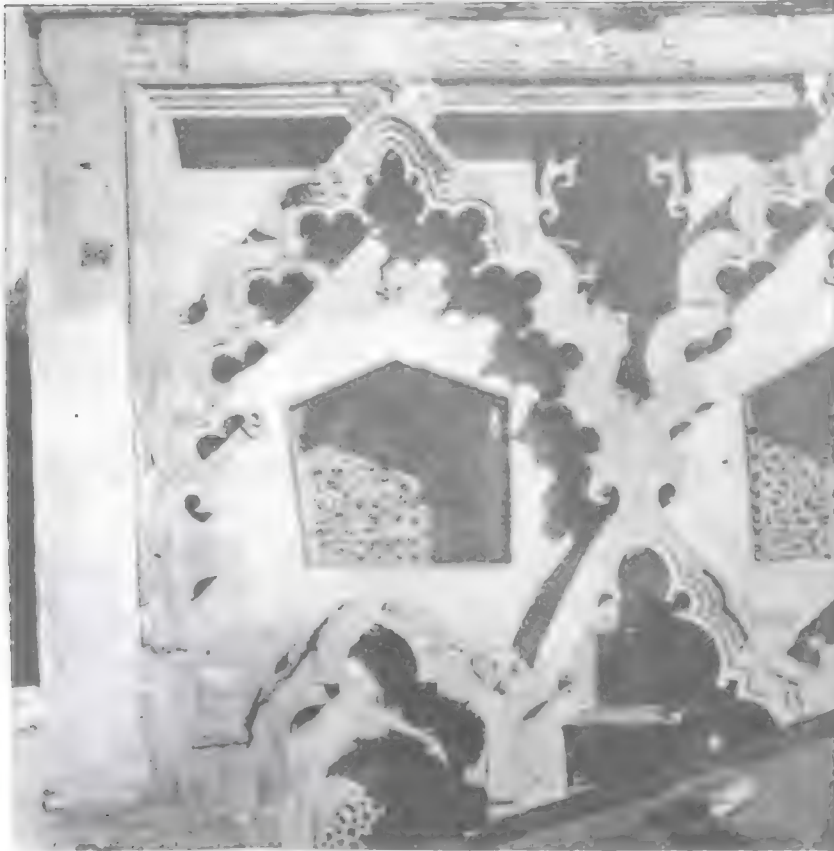
رقم (١٣٤) / ص ٧٣

نموذج من الأكواص التي توجد بالبلاط الاوسط من جامعة
القرويين ويلاحظ ايضا تعددها داخل القوس الكبير ولكن
على شكل ثان .



رقم (١٣٥) / ص ٧٣

خارج قاعة الصلاة ، ظهر المحراب بالذات من جهة
السطح تلاحظ مظاهر العناية بالبلاط الاوسط . انها ايضا
تماذج طريفة من الاقواس البديعة . لقد نقش على يمين
اللوحة بالكوفي لا اله الا الله ...



رقم (١٣٦) / ص ٧٣

فوق الاقواس البديعة التي توجد ظهر المحراب من جهة
السطح هناك تماذج اخرى من اقواس يتراكب بعضها على
بعض ...



رقم (١٣٧) / ص ٧٣

حتى تكون نظرنا كاملة على بناء القرويين يمكن ان
تصور ان تلك القباب الجميلة التي تراءى داخل البلاط الاوسط
هي على شكل آخر من الخارج . . . وهذا منظر لظهر احدى
تلك القباب وقد أحكم توثيقها وبنائها . .



رقم (١٣٨) / ص ٧٣

فأعدا البلاط الأوسط الذي يزخره وفنونه يكون سقف
بقي الجامع على النحو الذي نرى : الواح تتناسك بعضها
على بعض على شكل يحفظ السقف من عوادي الزمن .



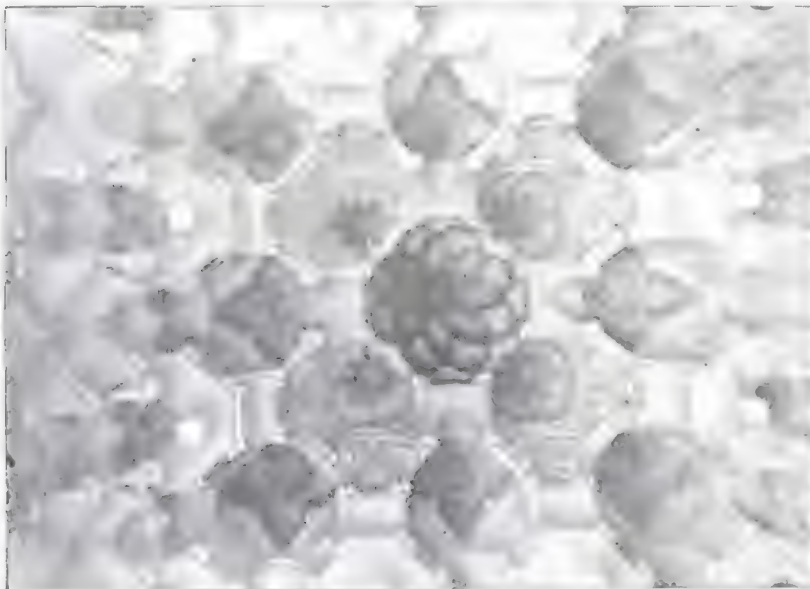
رقم (١٤٠) / ص ٧٤

وراء هذا القوس تقع القبة المقرصة التي يزدان بها جامع
الجانيز والتجربة محراب القرويين .



رقم (١٣٩) / ص ٧٤

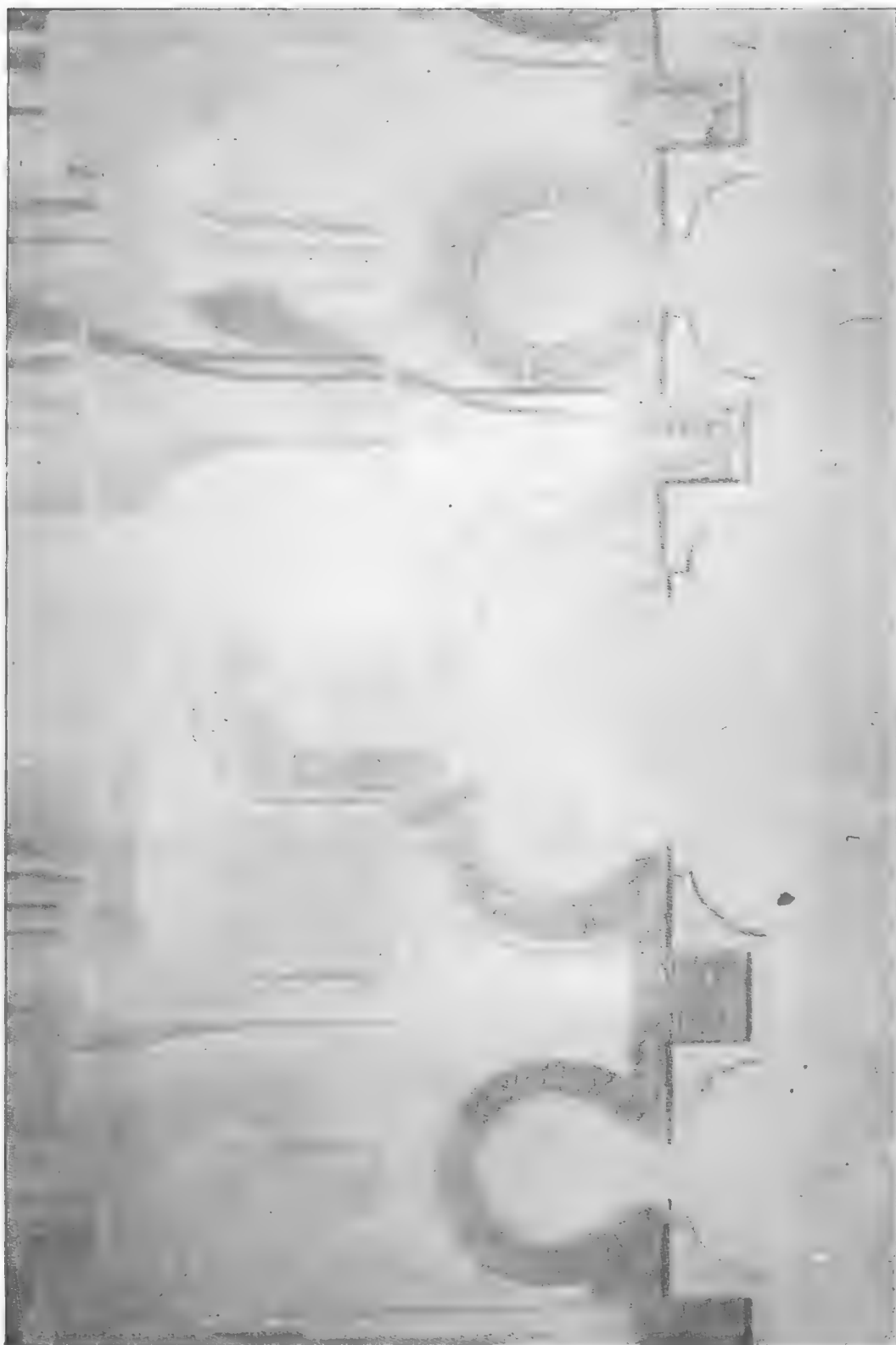
صحن جامع الجانيز يمر بمند من باب الخلفاء في اتجاه
مقصورة الامام . وعلى هذا الصحن تفتح ابواب داخلية ثلاثة
الى داخل قاعة الصلاة .



رقم (١٤١) / ص ٧٤

قبة جامع الجانيز...

رقم (١٤٦) / ص ٧٤
 في جامع الجناح وتزاد الأفراس الغيلة بها وقد نقش
 عليها بالخط الكوفي آيات من سورة يس ومثلها من بين الأهدم
 سبعا ومن حلقهم



رقم (١٤٣) / ص ٧٤
لوحة اخرى من الكوفي المحيط بقبة جامع الجزائر.





رقم (١٤٥) ' ص ٧٤
جانب آخر من القبة القريبة بجامع الخازن.





رقم (١٤٧) / ص ٧٤
بقية الجواب السة المقوسة بالخط الكوفي من قبة جامع الجزائر.



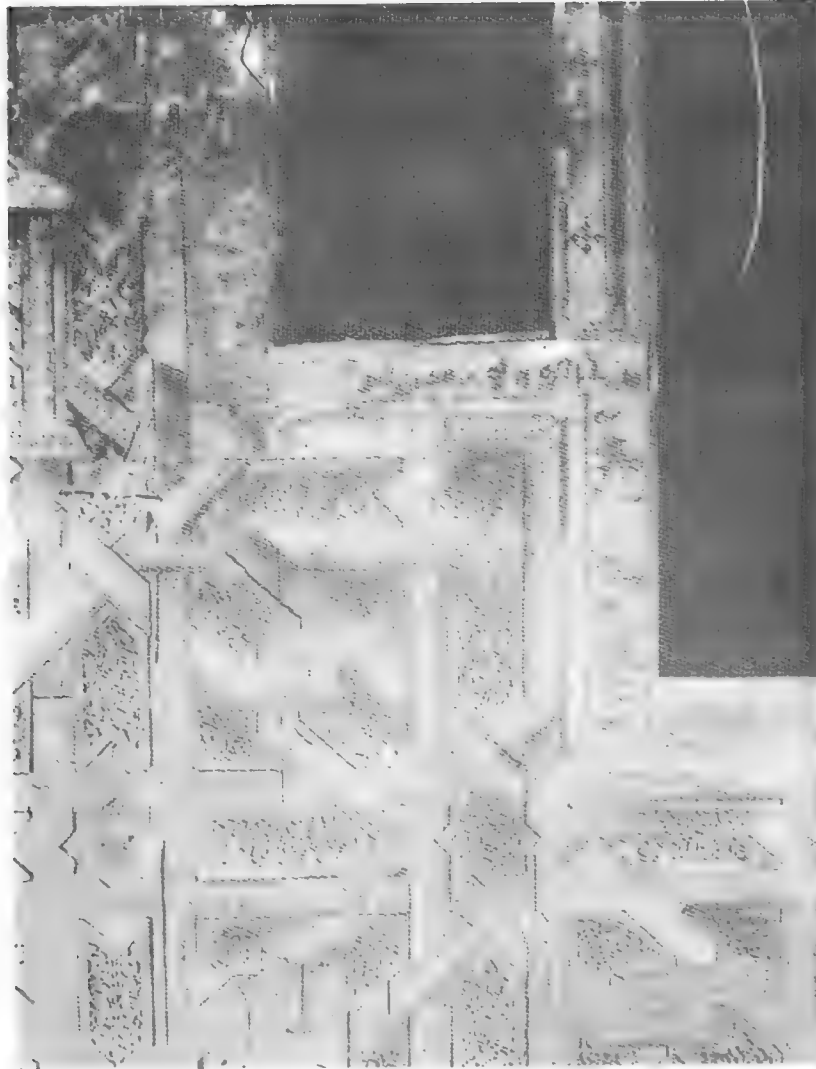
رقم (١٤٨) / ص ٧٥ - ٧٦
 المنبر التاريخي الذي شيده الأستاذ أبو يحيى القناد زمن
 المرابطون عام ٥٣٨ وهو من تسع درجات ويعتبر من أقدم
 التحف النادرة في العالم الإسلامي .



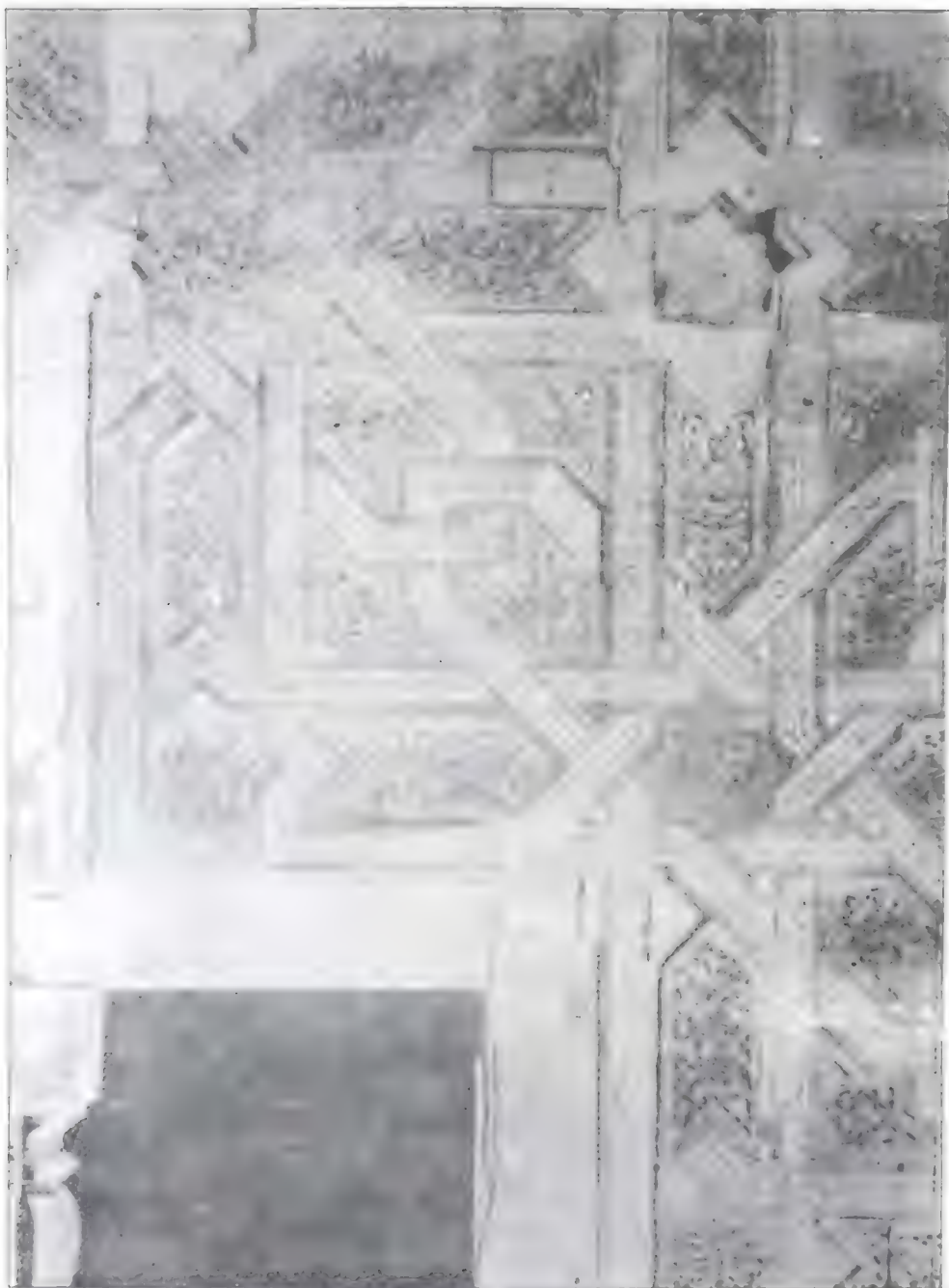
رقم (١٤٩) / ص ٧٥ - ٧٦
 المدخل الى المنبر المرابطي وقد نقش على الدائرة بالخط
 النسخي وبالعاج « يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما
 قدمت لعد -



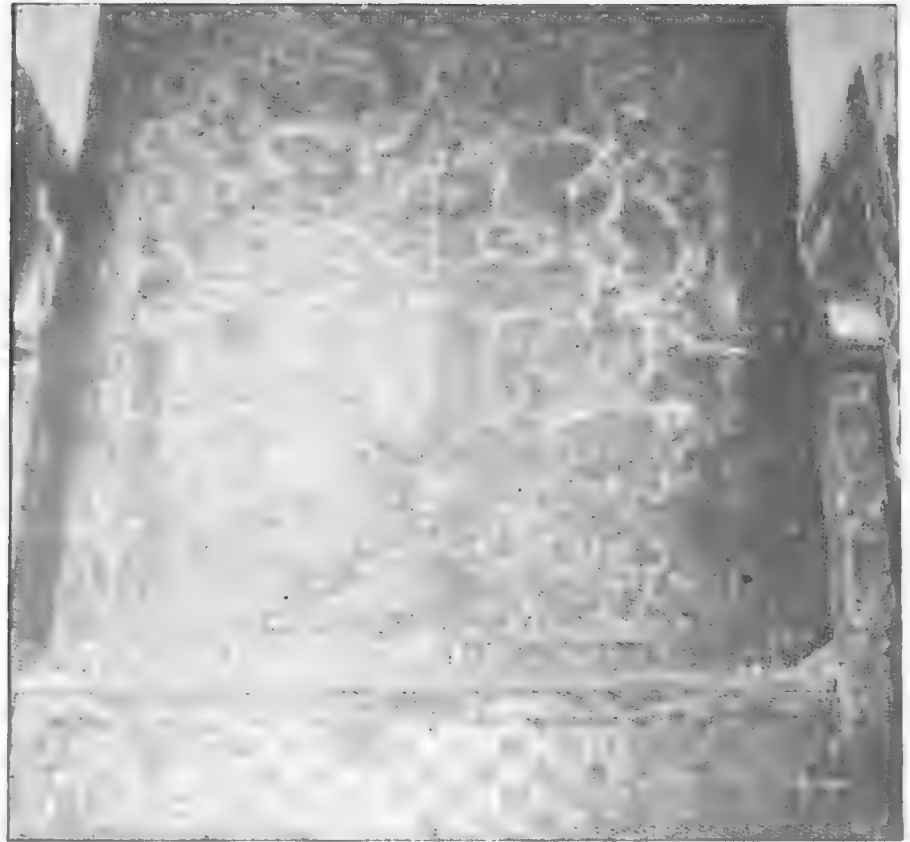
رقم (١٥٠) / ص ٧٥ - ٧٦
 احدى واجهات المنبر المرابطي وتلاحظ بعض الجهات
 وقد عريت مما كان يكسوها من صدف جميل ونقوش رائعة .



رقم (١٥١) / ص ٧٥-٧٦
 جانب آخر من النص... تلاحظ
 بعض الآيات وقد نقشت بالخط
 الكوفي الجميل "يؤمنون بالنذر
 ويخافون يوما..."



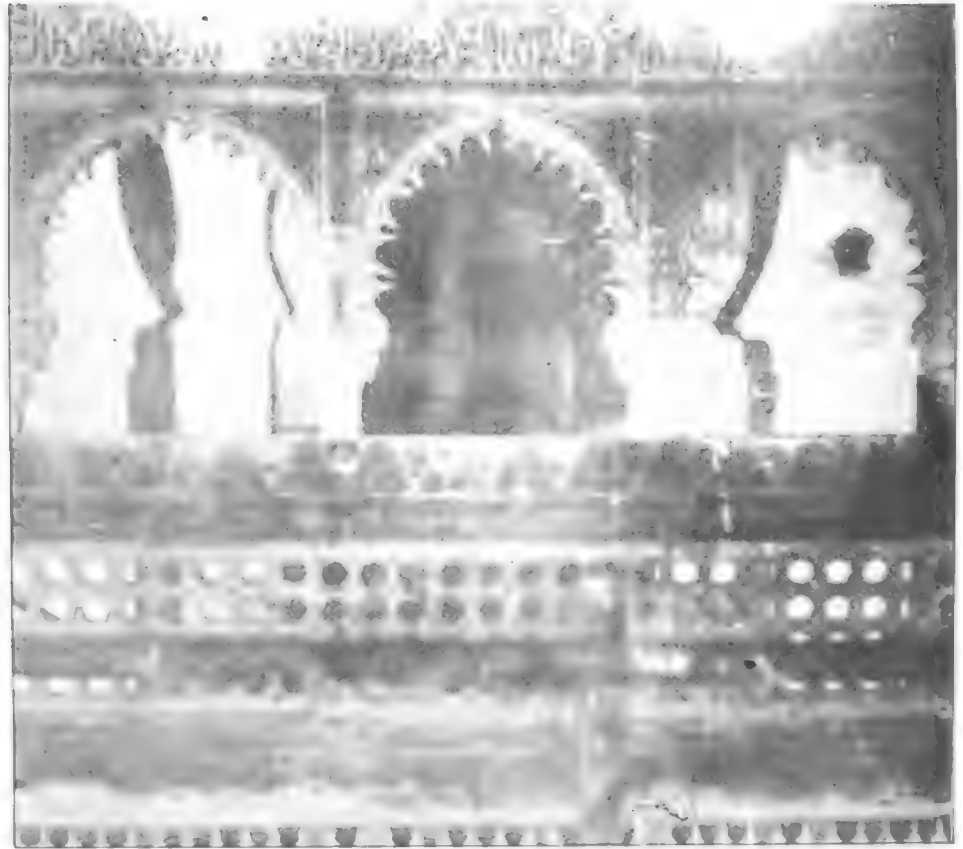
رقم (١٥٢) / ص ٧٥-٧٦
جانب آخر من المنبر..



رقم (١٥٣) / ص ٧٥-٧٦
الجانِب الأعلى من التبر المرباطي



رقم (١٥٤) / ص ٧٩
الشباك الرخامي الذي نصب
في واجهة الحصّة القديمة التي شيدت
عام ٥٩٩ هـ في الجهة الشرقية
للصحن وتحت النقوش تبدو عمسة
الأيب نصب في الليلة.

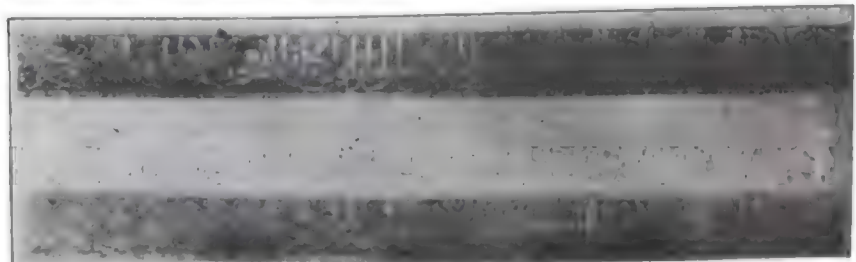


رقم (١٥٥) ص ٧٩
لوحة أخرى للشباك الرخامي



رقم (١٥٦) / ص ٧٩
تحت الشباك الرخامي بالخط النسخي نقش الآية :
« وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار... »
وتحت هذه الآية : « أفرايتم الماء الذي تشربون انتم
أنزلهنموه من المزن... »

رقم (١٥٧) / ص ٧٩
اللوحة تحمل تاريخ انشاء الحصة :
"اكمل في شهر جمادى الاخرة سنة تسع
وتسعين وخمسائة".





رقم (١٥٨) / ص ٧٩
فوق الشباك الرخامي لوحة جسية رائعة . . .



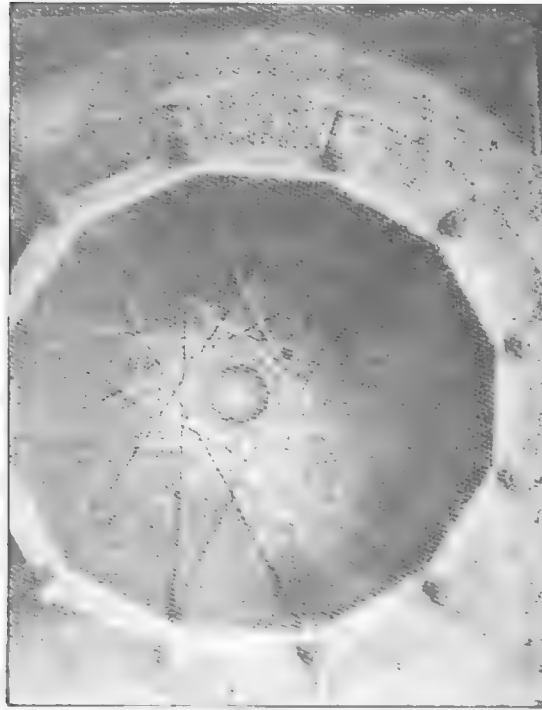
رقم (١٥٩) ص ٧٩
تحتضن القبة الخامسة من جهة المحراب ، وهي القبة
الفضلة الوحيدة ، تحتضن افخم تحفة يتوفر عليها العالم الاسلامي
تلك هي التريا الكبرى . . .



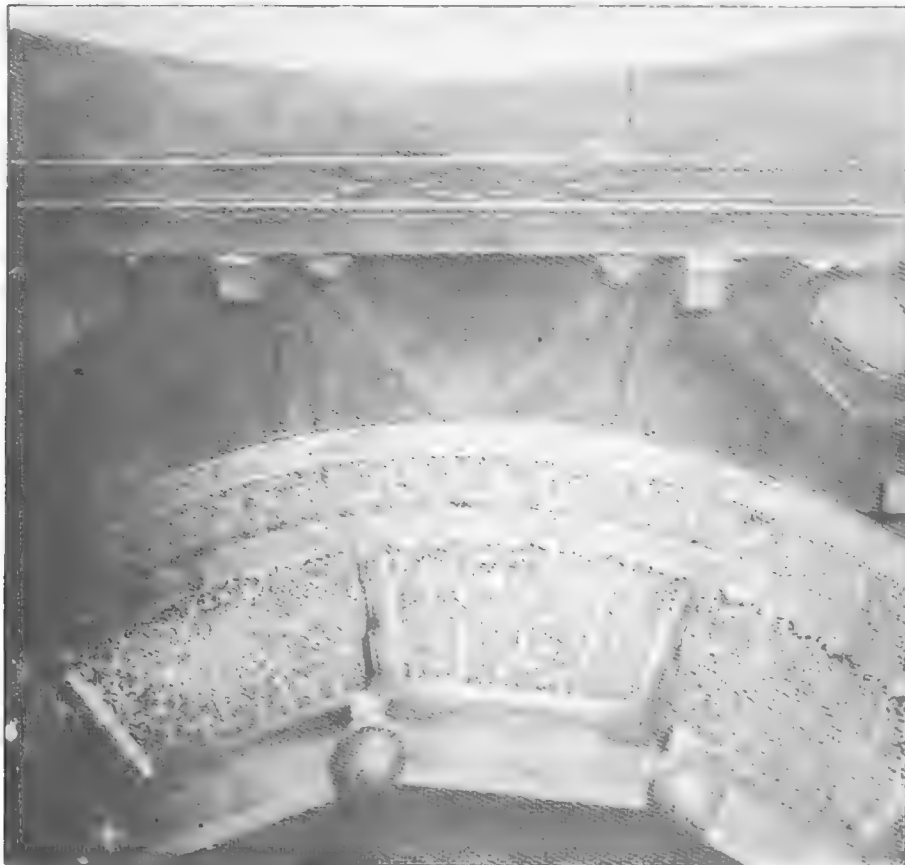
رقم (١٦٠) / ص ٨٠
التريا الكبرى في القرويين . . .



رقم (١٦١) / ص ٨٠ - ٨١
منظر آخر لداخل التريا الكبرى .



رقم (١٦٢) / ص ٨٠ - ٨١
لوحة اخرى للثريا الكبرى



رقم (١٦٣) / ص ٨٠ - ٨١
جانب من الثريا الكبرى



رقم (١٦٤) / ص ٨٠ - ٨١
لوحة اخرى للثريا الكبرى في القبة الخامسة من جهة
المحراب .



رقم (١٦٥) / ص ٨٠ - ٨١
جانب آخر من الثريا الكبرى .



رقم (١٦٦) / ص ٨٠ - ٨١

حاول بنو مرين ان يقلدوا ثريا القرويين فأنشأوا الثريا
التازية التي يزدان بها جامع تازة ، لكن الثريا القاسية تظل
معلمة فريدة .



رقم (١٦٧) / ص ٨٣

تحتوي القبة التاسعة ابتداء من المذابح على جرس غنمه
الموحدون من مدينة وبدة سنة ٥٧٦ وحولوه إلى ثريا علقوه
بالبلاط الاوسط من القرويين رمزا للنصر... انه يشبه اسفل
الثريا الكبرى...

رقم (١٦٨) / ص ٩١ - ٩٢

من اهم الابواب الداخلية للقرويين ابواب الرواح الثلاثة
التي تربط الصلة بين قاعة الصلاة وبين جامع الجنائز... وهذا
الباب الاول الذي يفتح على البلاط الغمودي الاول من الجهة
الغربية باب الرواح الاعلى الرسم مأخوذ من قاعة الصلاة.





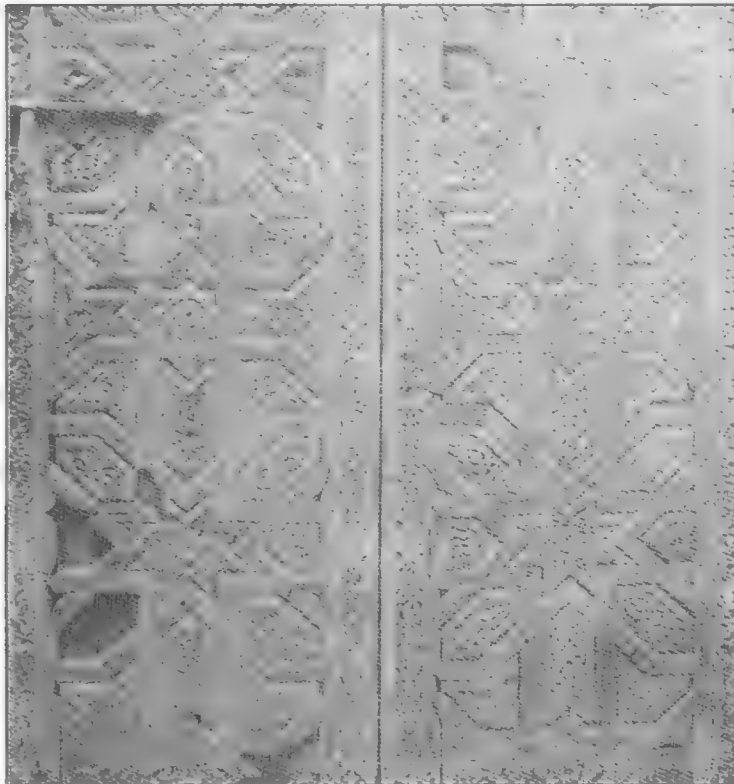
رقم (١٦٩) / ص ٩١ - ٩٢
باب الرواح الأوسط ويحتوي على ثلاث سوازي جليت
من الاندلس والصورة مأخوذة من جهة جامع الجنازة .



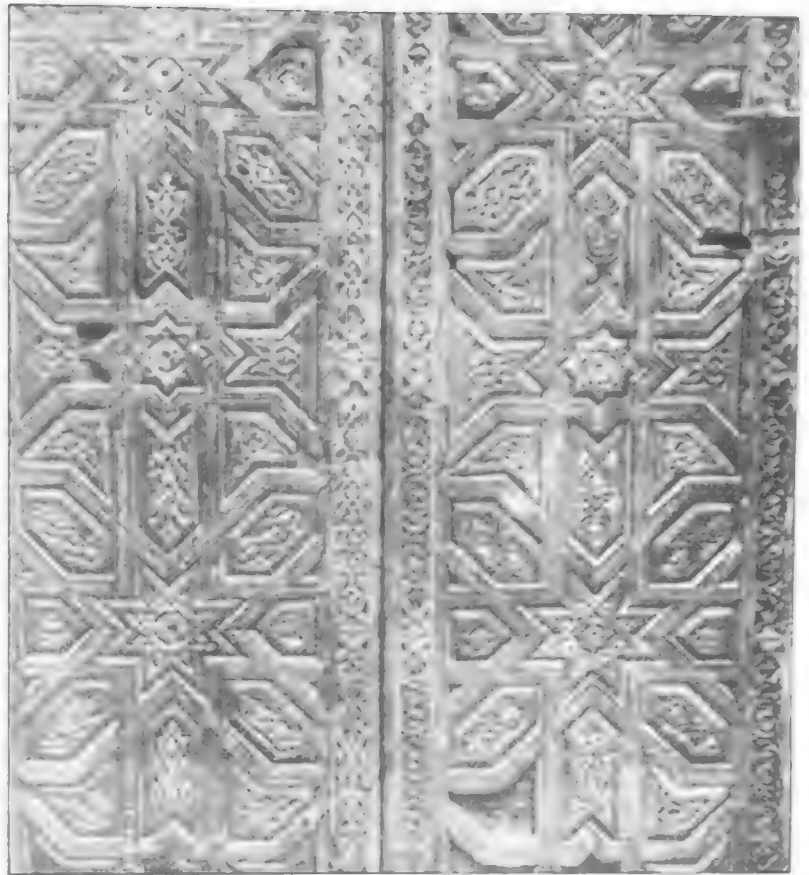
رقم (١٧٠) / ص ٩١-٩٢
 باب الرواح الأدنى وهو الذي يقرب من المحراب تتوسطه
 سارية واحدة . . .



رقم (١٧١) / ص ٩٢ - ٩٣
صورة لباب الرواح الادنى
وتظهر المصاريح جلية . . .



رقم (١٧٢) / ص ٩٢ - ٩٣
جانب من النصف ا لى المصاريح
المقوشة وقد ظهرت عليها بعض الآيات
المقوشة .



رقم (١٧٣) / ص ٩٢ - ٩٣
لوحات اخرى من مصاريع باب الرواح



رقم (١٧٤) / ص ٩٢ - ٩٣
اكلیل السواري الاموية التي تتوسط أبواب الرواح...



رقم (١٧٥) / ص ٩٢ - ٩٣
اكلیل اندلسي تزدان به أبواب الرواح...



رقم (١٧٦) / ص ٩٣
نموذج من الخرسات القديمة التي توجد على ابواب القرويين الخارجية .



رقم (١٧٧) / ص ٩٣
وراء الأبواب الكبيرة توجد مغاليق تتألف من قطعتين احدهما عمودية والاخرى افقية .

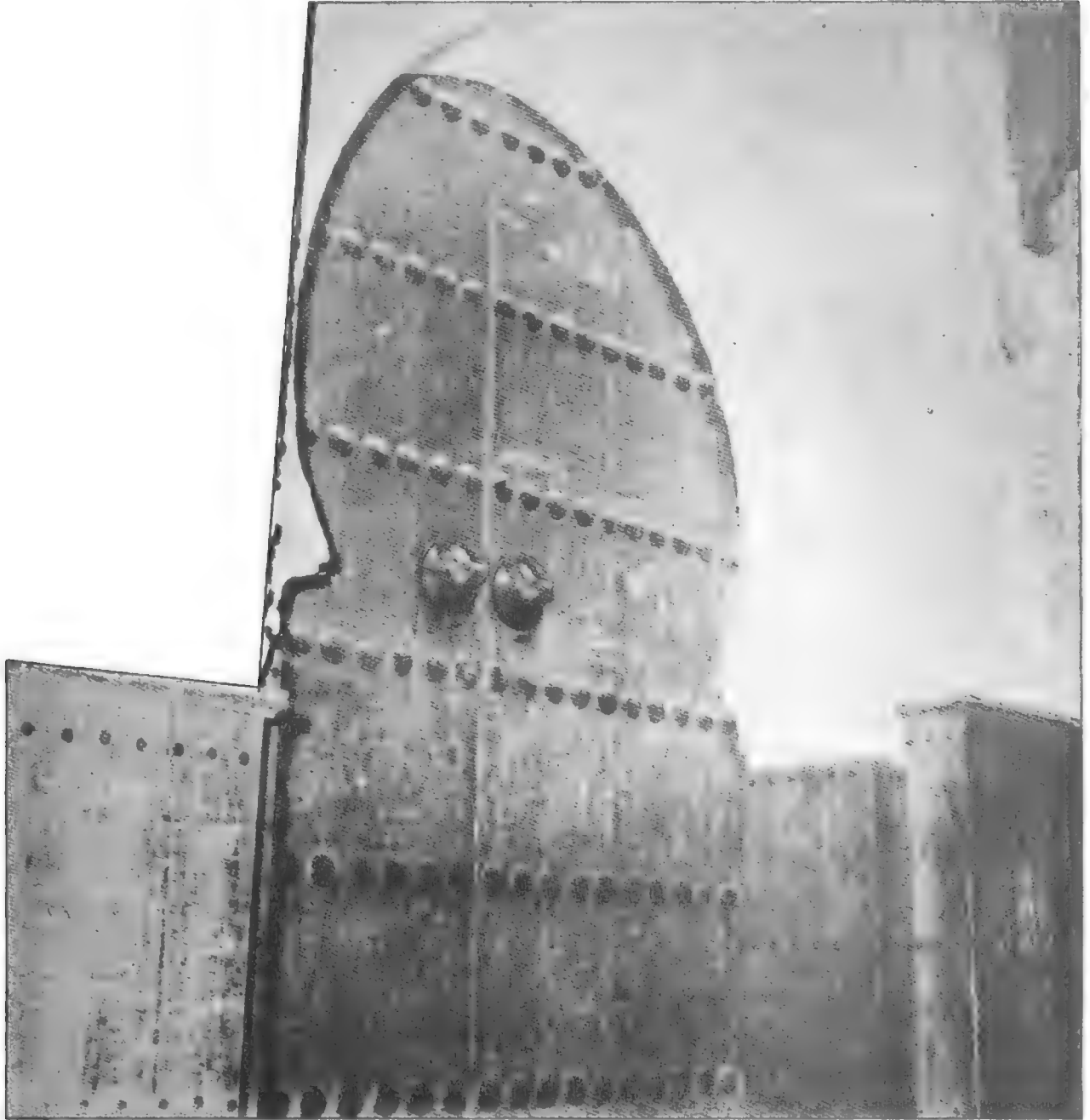


رقم (١٧٨) / ص ٩٣
باب الموتين اكبر ابواب القرويين...



رسم (١٧٩) ص ٩٣

باب الشّاعين وهو الباب الرئيسي للمسجد وترى الحواجز
عديده التي تحجب داخل المسجد عن انظار المارة من الاجانب اما
القرى التي تظهر فأصلها جرس



رقم (١٨٠) / ص ٩٤
باب الوراقين وهو الباب الثالث وقد جدد في الاصلاحات الاخيرة.



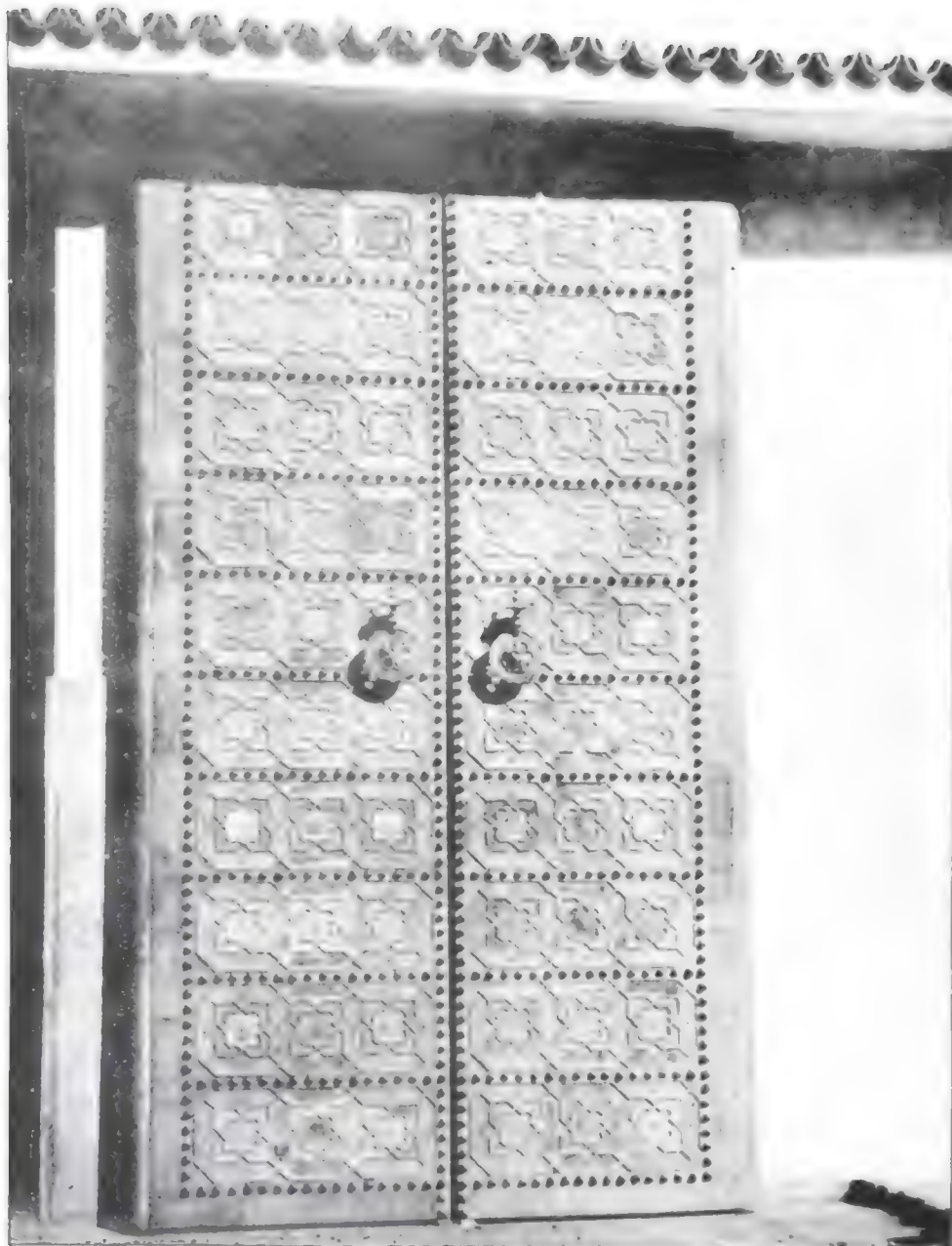
رقم (١٨١) من ٩٤
باب الأولياء الغربي وهو من الابواب المجددة...



رقم (١٨٢) / ص ٩٥
باب الكتبيين او باب الصفر الاعلى وسمي كذلك لانه
ملبس بالصفر شأن باين آخرين . .

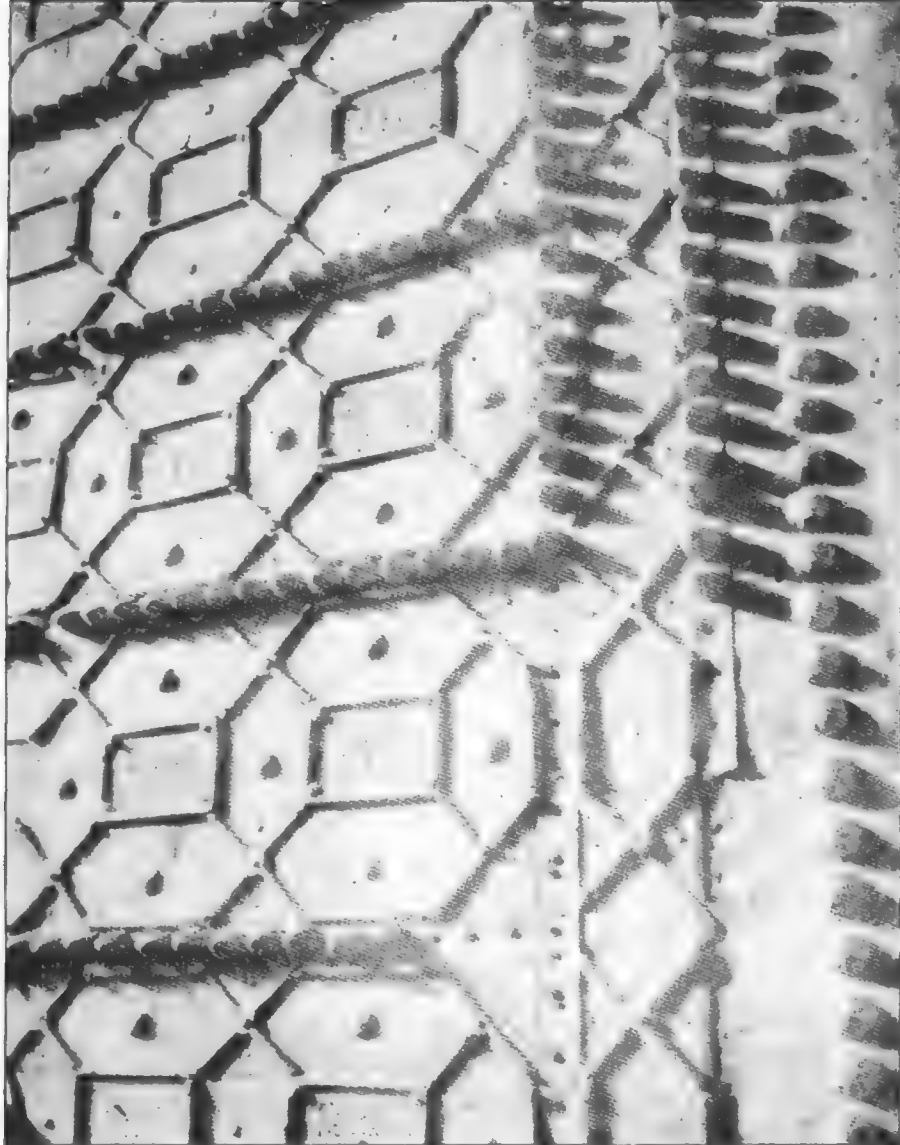


رقم (١٨٣) / ص ٩٥
اعلى باب الكتبيين ويترامى «الشواف» الذى يحفظ
اللوحات الجسية المنقوشة .



رقم (١٨٤) / ص. ٩٥

باب الخلفاء وهو ايضا ملبس بالصفر يحمل تاريخ ٨٥٣١
نقل الى قصر شايو باريز ليعرض في اول مؤتمر للمهندسين
المعماريين مايو ١٩٥٧ .



رقم (١٨٥) / ص ٩٥
جانب من باب الخلفاء .



رقم (١٨٦) / ص ٩٥
 خرصة باب الخلفاء وهي تحمل كذلك نقوشا تتضمن اسم الصانع والتاريخ



رقم (١٨٧) / ص ٩٥
باب مجلس القضاء من الداخل ، وربما سقي باب معلى
الجنائز ، ويلاحظ القفل العتيق الذي كان يوصد الابواب :
عبارة عن قطعتين : احدهما عمودية والثانية افقية .



رقم (١٨٨) / ص ٩٥
تحت الفتحة المستطيلة كان
يمتد باب الفرخة لواباب
شتر الذي يدخل منه
الشخصون ، وقد استغني
عن في الاصلاحات الاخيره



رقم (١٨٩) / ص ٩٥

الباب الحديث الذي عوّض (باب الفرخة) وهو ينفذ
من جامع الجنازير الى الساحة التي يقع فيها باب الخزنة العلمية .



رقم (١٩٠) / ص ٩٦

رسم قديم لباب الخلوة المدرج . . وترى نافذة الخلوة
محمولة على الساباط الذي يأتي منه الناس من جهة درب السبع
لويات . من رسم كوندو سامطريانو.



رقم (١٩١) / ص ٩٦
رسم حديث لباب الخلوة بعد ان انتشرت الاسلاك
الكهربائية في المدينة القديمة ، تلاحظ الادراج خارج الباب ..



رقم (١٩٢) / ص ٩٦
باب الصالحين الشرقي او باب السج لويات ويصعد اليه
بدرج لكنها داخل الباب ..

رقم (١٩٣) / ص ٩٦

اسم قديم للممر الذي بين باب ابن حيون وباب ابن
عمر وهما يقعان بالتوالي بعد باب السبع لويات .

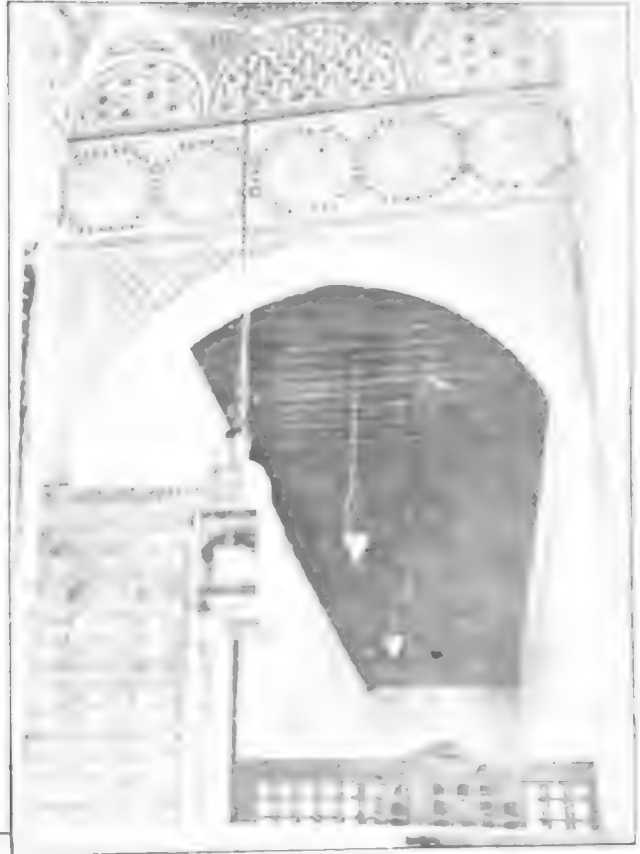
رقم (١٩٤) / ص ٩٧

باب قديم ولكنه جدد . . كان : تحت السباط ،
خاصة بالنساء : يصعدن منه الى الرواق الذي كانت تقع فيه
خزانة بني مرين . . وقد عطلت الطريق بينه وبين الرواق اليوم .



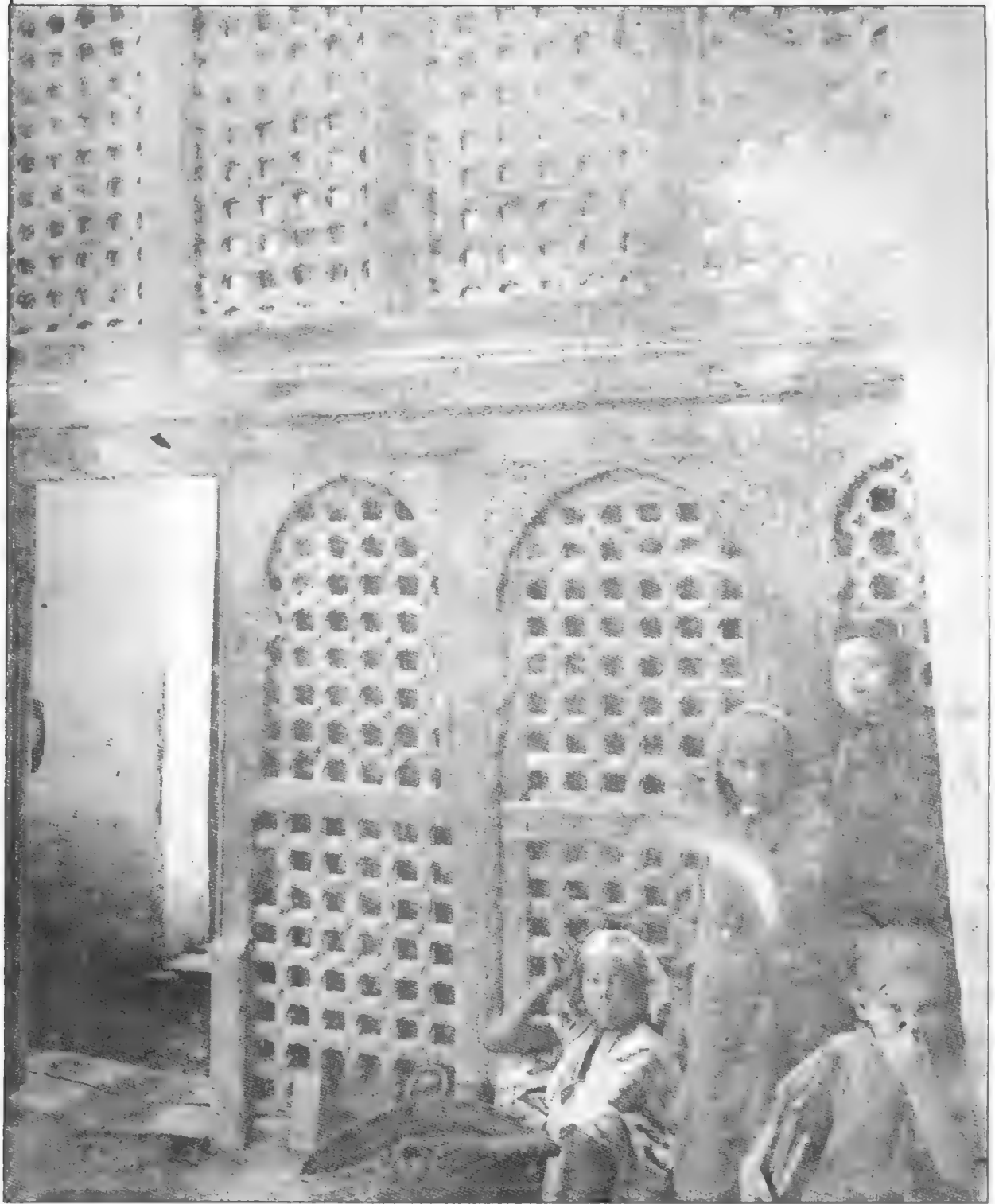
رقم (١٩٥) / ص ٩٧

جانب من الصغر الشمالي .. وقد بسّى (باب الورد) .
وبندلى من قبة فانوس كبير وعن شماله وبجانبه يقع الرواقان . . .



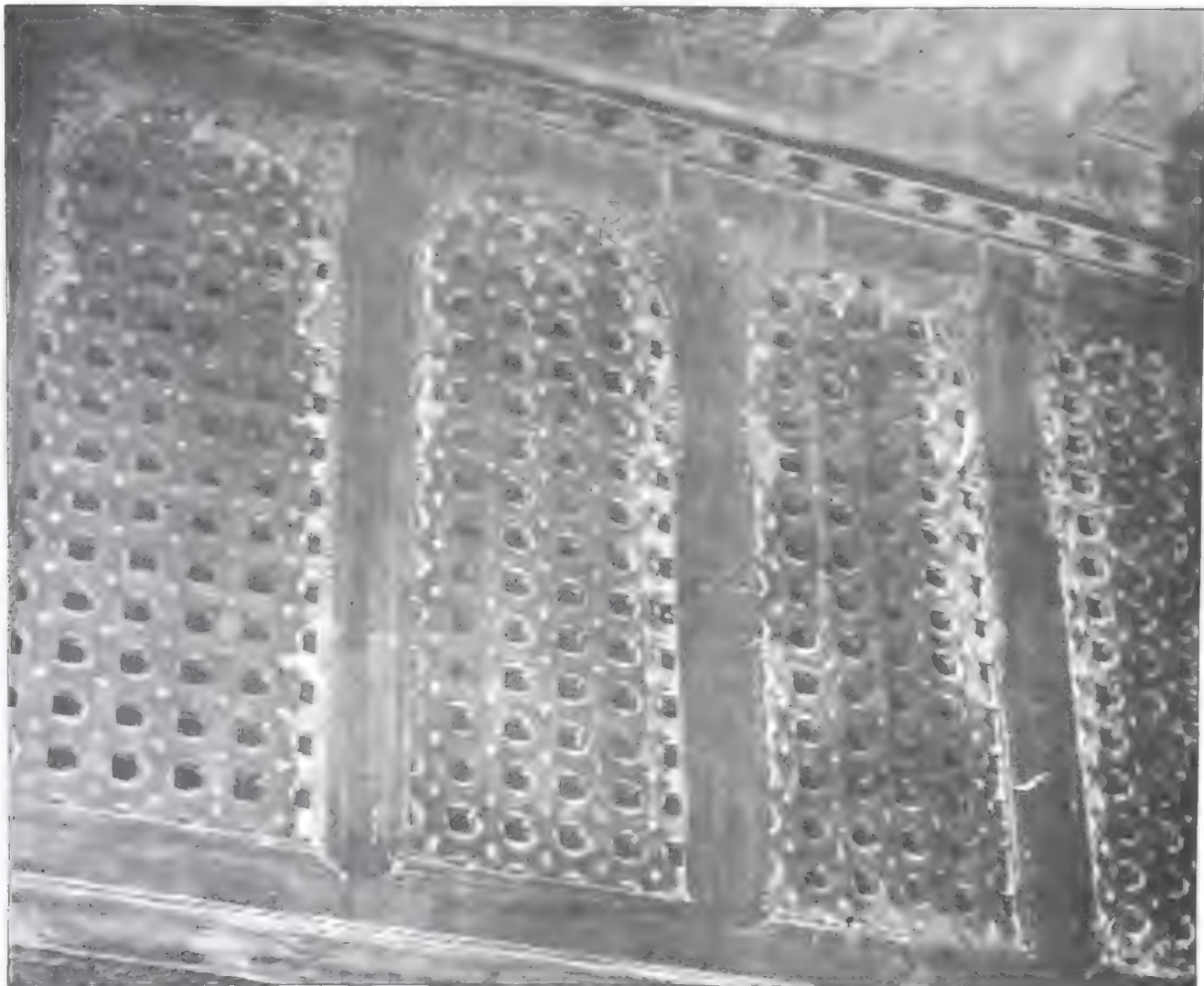
رقم (١٩٦) / ص ٩٧

باب الورد من جهة الصحن وتعلوه قبة تنسجم مع القبة
المقابلة على العتبة .



رقم (١٩٧) / ص ٩٨

صورة قديمة لباب الحفافة وقد فتح منها جانب على الساقية التي ينفس فيها الحفافة
القدامهم قبل ان يدخلوا المسجد... وتلاحظ النوافذ الخشبية الأربع التي تعلو
النوافذ النحبة.



رقم (١٩٨) / ص ٩٨
 اعلى باب الحفافة ويعتبر اقدم باب ورد ذكره في تاريخ القرويين .



رقم (١٩٩) / ص ٩٨

اطلال روضة ابي مدين التي كانت تحمل في القديم اسم مدرسة الصايرين
والمرايطين المستوية . . وقد وقفت على عين المكان بتوقيف من الشيخ السراج رحمه الله .

à recourir aussi à d'autres moyens que je considère comme une base incontestable de documentation : il s'agit des actes de constitution des Wakfs, appelés au Maghreb «Al Haoualat Al Hobossya» J'ai dû me consacrer à l'étude de ces vieux documents portant l'empreinte du temps, y suivre les revenus et obligations d'AL QARAOUYYINE et de ses zaouias, afin d'y relever les dates et les conditions des constituants. C'était jusque-là chose inconnue pour nous. J'ajouterai à celà, la recherche entreprise en vue de retrouver les manuscrits et documents rares et d'obtenir ceux qu'auraient écrit d'anciens étudiants émigrés ou tombés captifs aux mains de corsaires étrangers qui opéraient jadis en Méditerranée.

J'ai trouvé des textes donnant un aperçu véridique sur divers aspects historiques et intellectuels de l'Institution. Ces écrits étaient effectivement rédigés hors du Maroc sous forme de mémoires et nous été conservés jusqu'à ce jour.

On doit également à certains auteurs des articles disséminés çà et là à travers des ouvrages, articles qui ne dépassent pas en fait le cadre des informations fournies par les principales sources. Toutefois, je ne minimiserai pas l'utilité de certains documents écrits par des étrangers les uns dans un style touristique, les autres avec une pointe vindicative, d'autres toutefois, avec objectivité quoique assez rares.

L'élaboration de mon ouvrage nécessita la consultation de plus de cinq cents sources, l'examen d'anciennes pièces de monnaie et le déchiffrement des lettres et dates gravées dans les murs de l'édifice. cette tâche entreprise en des périodes espacées et en des lieux différents, impliqua des dizaines de voyages et de visites en divers endroits, ainsi que l'étude des moindres recoins de l'édifice et jusqu'aux marches du minaret. Certains de mes voyages m'ont conduit au-delà de l'Euphrate et de l'Atlantique. J'ai dû en outre correspondre avec des dizaines de penseurs et de savants dont je considérais utile de recueillir les opinions. Certains résidaient au Caire, à Alexandrie ou à Baghdad, d'autres habitaient l'Europe ou même l'Amérique, alors que d'autres comptaient parmi les oulémas et les personnalités des pays du Grand Maghreb : La Lybie, la Tunisie, l'Algérie et le Maroc.

Pour les illustrations destinées à paraître dans l'ouvrage, j'ai dû accompagner les photographes sur les lieux pour leur montrer les vues à prendre, comme j'ai dû frapper à plusieurs portes pour demander des documents et des dessins dont quelques uns étaient propriété privée alors que d'autres étaient précieusement enfermées.

J'ai divisé l'ouvrage en trois parties correspondant à l'ordre chronologique des époques traversées par AL QARAOUYYINE. Chacune des trois parties se subdivise en cinq chapitres traitant les thèmes de base. Ils sont annexés de biographies de deux cent cinquante personnalités, les plus notoires parmi celles qui avaient des liens avec l'Institution. Les trois parties du livre comprennent six cent soixante-dix pages auxquelles il faut ajouter près de quatre cents planches choisies pour apporter toutes précisions sur l'histoire de l'édifice.

Pendant, en dépit des années que nécessita ce travail et malgré l'abondance des matières traitées, la grandeur de l'Institution ne faisait que croître devant moi jusqu'à se rendre inaccessible à mes efforts. Car je voyais de plus en plus clairement, qu'écrire l'histoire d'AL QARAOUYYINE c'était en fait, traiter celle de toutes les régions maghrébines et ressusciter tous les aspects du passé politique et social. Bien plus, c'est se préparer à effectuer un voyage à travers l'histoire, vers des horizons lointains, ceux des Lieux Saints de l'Islam, de Jérusalem, de Baghdad, de Damas du Caire, de Constantinople et son empire ainsi que ceux des étendues africaines. C'est dire en outre, la nécessité de prendre connaissance des rapports politiques écrits sur le Maroc par les diplomates étrangers qui les adressaient à leur gouvernement, aussi bien en Sicile, en Flandres, à

Stockolm, Copenhague, Amsterdam, Madrid, Lisbonne, Washington, Saint Petersburg, qu'à Londres et à Paris.

Pour toutes ces raisons, je m'empresse de dire que le résultat de mon étude sur AL QARA-OUIYYINE ne constitue qu'une modeste présentation de cette Institution qui mérite qu'on lui consacre des efforts plus soutenus et des recherches plus approfondies.

Qu'il me soit permis d'exprimer ici toute ma gratitude et toute ma considération à tous ceux qui m'ont apporté leur aide en vue de faire connaître ce «Monument de l'Histoire», en particulier ceux qui m'ont prodigué leurs conseils.

Ma reconnaissance est adressée aux auteurs auxquels j'ai emprunté les différentes insertions, à ceux dont la documentation a servi de base à mes recherches, à mes correspondants, aux propriétaires de bibliothèques privées et aux fonctionnaires des bibliothèques publiques. Auprès des uns et des autres j'ai trouvé un accueil spontané, sympathique et efficace, tant en Orient qu'au Maghreb.

Aux professeurs universitaires qui m'entourèrent si généreusement de leur sollicitude, et tout particulièrement ceux qui m'honorèrent de leur amitié, j'exprime ici ma haute considération.

Je suis tout particulièrement reconnaissant au docteur Mokhtar Al Abbadi, professeur à l'Université d'Alexandrie, qui m'a redonné courage chaque fois que j'ai rencontré des difficultés, renouvelant ainsi les rapports qui unirent par le passé Fès à Alexandrie.

Ce faisant, il a tenu à faire revivre l'époque où les oulémes du Maghreb s'honorèrent de recevoir des «Ijazat» rédigées justement par les Cheikh d'Alexandrie; tel Ibn Al Arabi, ambassadeur du Maroc à Baghdad qui tint à passer par Alexandrie pour y obtenir la «Ijazat» délivrée par Art-Tourtochi.

Enfin, je prie mes lecteurs de m'excuser pour l'état de présentation de cet ouvrage. Les circonstances particulières que j'ai vécues ces dernières années ont influencé la réalisation de celui-ci dont la forme ne me donne pas entière satisfaction. Toutefois, il m'est apparu opportun d'en hâter l'édition, car la recherche de la perfection aurait pu en reporter indéfiniment la parution. J'ai bon espoir que lecteurs et chercheurs m'en excuseront et voudront bien en combler les lacunes et en rectifier les imperfections.

L'AUTEUR

Il m'est particulièrement agréable de remercier mon ami Ahmed AGALLAL qui a bien voulu assurer la traduction de cette préface.

dont le rayonnement rejaillissait sur les milieux fassis, ce qui a permis de stimuler les esprits et de développer le sentiment d'enthousiasme à l'égard de la culture.

Composé essentiellement de blanc, l'habit universitaire porté par le corps professoral d'AL QARAOUYYINE trouve son origine dans un haut fait de l'histoire nationale et rappelle ainsi les exploits de l'Islam dans les périodes glorieuses de son apogée. Aussi, les traditions marocaines suivies en périodes de fêtes comme de deuils, sont-elles marquées par le port du blanc, en souvenir des prescriptions séculaires d'une dahir promulgué par les Mérinides.

Les écrits d'auteurs étrangers ont souligné l'apport d'AL QARAOUYYINE dans l'évolution du mouvement orientaliste : avant d'être pape, Sylvestre II avait profité de l'enseignement donné par l'Institution à l'aube de son histoire : Clénard, Golius, André en suivirent également les cours, alors que d'autres disciples professèrent plus tard l'enseignement de la langue arabe dans les universités de l'Europe médiévale.

Le mérite d'AL QARAOUYYINE n'était pas seulement dans la présence de célèbres et doctes personnages qui, par leur assiduité fréquentaient ses lieux ou occupaient ses chaires, mais s'étendait également à des dames vertueuses qui venaient assister aux séances de cours, à partir des galeries surplombant les cercles d'études.

Ainsi, les jeunes mariées étaient-elles instruites dans leurs devoirs de la vie d'ici-bas et des l'au-delà, car elles en avaient reçu l'enseignement pendant leur jeunesse dans les demeures de «Faquihat», maîtresses qui à leur tour, avaient elles-mêmes assisté aux cours d'illustres-enseignants

Lorsqu'on cherche à énumérer les noms des professeurs, hommes et femmes, qui ont vécu à Fès et animés les cercles d'étude d'AL QARAOUYYINE, on se trouve devant un si long répertoire d'érudits qu'il faudrait des dizaines de volumes pour en relater la biographie.

Véritable pépinière, AL QARAOUYYINE assurait pour l'Etat la formation de cadres à tous les niveaux, aussi bien hommes de lettres de grand renom que magistrats de talent qui, les uns et les autres exercèrent leurs fonctions à Fès-même ou dans les autres villes du Maghreb et d'Andalousie. C'est encore parmi ses lauréats qu'on nommait les ambassadeurs devant se rendre en mission dans les lointains pays : Par leur dévouement, leur sincérité et leur sollicitude, ils étaient cités en exemple.

Les échanges de consultations entre Oulémas de Fès et ceux du Levant avaient permis d'établir entre eux des rapports fréquents, notamment à l'occasion d'événements notoires intervenus aux époques almoravide, almohade, mérinide, outtasside, saâdienne et alaoulte.

Aussi, les pays du bassin méditerranéen et particulièrement Tunis, Tripoli et Alexandrie, demeuraient-ils des centres de rencontre entre personnalités intellectuelles originales de ces diverses contrées : c'est ainsi qu'on trouvait le nom de Fès sur toutes les langues et que le rite malékite bénéficiait d'une sérieuse prééminence dans de vastes territoires et jusqu'en Alexandrie où pourtant le rite officiel de l'Etat était différent.

Les personnalités maghrébines dont les noms étaient devenus célèbres en Orient, avaient toutes un lien d'appartenance avec AL QARAOUYYINE : Ibn Al Arabi, Ibn Battouta, Ibn Khaldoun, Al Maqqari entre autres célébrités dont nous avons donné des biographies sommaires dans le répertoire des savants de cette université.

Lieu saint de l'Empire, AL QARAOUYYINE venait donc tout naturellement en tête des lieux à visiter par les voyageurs se rendant au Maghreb : L'Ambassade de Salah Eddine Al Ayoubi y effectua une visite de piété, les émissaires d'Andalousie et de Tunisie s'y rendirent à plusieurs reprises

et y organisèrent des cercles d'étude, ce qui contribua à rehausser leur prestige et à accroître les chances de succès de leurs missions.

L'histoire de la diplomatie et des relations internationales du Maghreb était liée à celle de l'Université. Rares sont en effet les événements décisifs sur lesquels les oulémas n'avaient pas la haute main. c'est ainsi que les Almoravides ne portèrent secours à l'Andalousie qu'après qu'ils eurent obtenu une fétoua (consultation juridique) des oulémas d'AL QARAOUYYINE. De même, la première ambassade dépêchée du Maghreb en Orient était sous la conduite d'un Alem célèbre qui eut ainsi l'occasion de s'entretenir avec les sommités de Bagdad et d'Alexandrie.

AL QARAOUYYINE fut d'autre part, la seule mosquée à recevoir sa part du butin pris au cours des combats héroïques livrés par les combattants de la foi. C'est ainsi que l'on trouve dans la nef centrale de l'édifice des cloches enlevées aux églises castillanes et transformées en lustres dont quelques uns portent encore des traces de lettres latines.

Les guerres défensives engagées par le Maroc profitèrent également à l'Institution au même titre que les périodes d'accalmie. Mais le rôle joué par elle, en temps de guerre comme de paix, était différemment orienté selon les impératifs du devoir ou les nécessités de l'intérêt public. Elle demeura la citadelle contre laquelle se brisèrent toutes les manœuvres du colonialisme. Pour celui qui prend soin de suivre l'histoire politique du pays, il découvrira qu'elle était constamment à l'origine de tout mouvement de résistance. La «Résidence Générale» se trouva pour la première fois en difficulté avec le Palais Royal à cause précisément du rôle joué par AL QARAOUYYINE, que l'occupant considérait comme un obstacle dont il fallait se débarrasser.

Ce sont là les grands traits que j'essaie de faire ressortir dans l'étude que je mets entre vos mains.

Voilà donc la Mosquée AL QARAOUYYINE, à laquelle m'attachent tant de liens de fidélité indestructible. J'ai passé auprès d'elle les meilleurs jours de mon enfance. Mon adolescence et ma jeunesse : s'y écoulèrent dans la plus grande félicité, en tant qu'étudiant d'abord, et en qualité de professeur par la suite.

«Quant s'annonce sa vision au plus profond de mon âme.

Je sens frémir les rameaux de ma jeunesse». (poème)

J'ai ressenti une grande joie m'envahir le cœur, dès le premier jour où j'ai abordé la préparation de cette étude car j'ai cherché surtout à m'acquitter d'une dette de gratitude envers cette Institution.

J'ai pensé au premier abord qu'une telle entreprise ne me coûterait pas de grands efforts car la célébrité d'AL QARAOUYYINE était telle que toute documentation la concernant serait à la portée de tous. Or, à l'exception de quelques œuvres tels «Raoud Al Qirtas» d'Ibn Abi Zarc, «Jana Zahrat Al Ass» d'Al Jaznai et «Jadouat Al Iqtibas» d'Ibn Al Qâdi, les sources de documentation faisaient sérieusement défaut.

La difficulté de l'entreprise m'apparut donc dès que j'eus exploité ces trois ouvrages dont les textes devaient du reste faire l'objet de plusieurs analyses et de recherches minutieuses. Car le premier auteur avait puisé la plupart de ses informations dans des sources disparues et non contemporaines de la fondation de l'Institution ; alors que le deuxième avait rapporté dans leur majorité les récits de son prédécesseur ; le troisième s'étant contenté d'y ajouter des renseignements datant de sa propre époque. J'ai également extrait des passages de certains recueils de jurisprudence ou de biographies, ce qui m'a permis d'éclaircir quelque peu mon étude. La nécessité me poussa

de sa fondation. Aussi, la confiance que lui témoigna le public amena-t-elle les gens fortunés à mettre en lieu sûr, dans son «dépôt», leurs biens les plus précieux.

Il est à signaler d'autre part, que de toutes les mosquées du monde musulman, AL QARA-OUIYYINE possède le plus ancien minaret, solidement conservé jusqu'à nos jours, conformément au plan architectural établi il y a onze siècles, ce minaret sert de guide aux huit cents autres de la cité, auxquels il donne le signal de la prière. Ce monument et la chambre qui lui est attenante ont successivement servi d'observatoire et ont contenu de très anciennes clepsydres (celles d'Ibn Al Habbak, d'Al Qarastouni, d'Al Jayi...) ainsi que des sabliers et des astrolabes. à tel point que l'ensemble constitua un véritable musée que savants et astronomes s'appliquèrent à organiser et à fournir en instruments propres aux études et observations astronomiques. Les premières horloges mises au point en Europe firent aussitôt leur apparition dans cet observatoire, ce qui témoigne des soins particuliers dont on l'entourait.

Quant à son minbar, il se trouve être le plus riche et le plus ancien que des professeurs, maîtres artisans, aient façonné de leurs propres mains tout en dirigeant des cours au sein de l'édifice. D'illustres orateurs rivalisèrent d'honneur pour prononcer de cette chaire leur sermon, ne serait-ce qu'une seule fois, car pareille occasion leur procurait dignité et célébrité.

Par ailleurs, les coupoles, octogonales, à stalactites ou circulaires, les chapiteaux des colonnes, les voûtes des arcades, les frises des portails sont autant d'oeuvres artistiques qui reflètent le génie des architectes et décorateurs maghrébins et qui impressionnent par leur beauté les amateurs d'arts monumentaux.

Le souvenir de l'Alhambra de Grenade s'impose à la mémoire lorsqu'on embrasse de la vue le vaste patio de la mosquée dont les façades latérales sont ornées en leur milieu de deux élégants pavillons, reposant sur de gracieuses colonnes de marbre et abritant deux vasques symétriques par rapport à la vasque centrale.

AL QARAQUIYYINE se trouve encore être le seul monument qui soit alimenté par cinq sources destinées à couvrir en toutes saisons les besoins en eau de l'édifice et de ses dépendances. Peu de canalisations ont été aussi judicieusement conçus. à telle enseigne que, même en temps de dure sécheresse, cette mosquée restait le seul monument où l'eau ne fit jamais défaut.

Sa célèbre bibliothèque constituée par les apports des Mérinides et par ceux connus sous le nom d'Al Ahmadiya (du nom du roi saâdien Ahmed Al Mansour) renfermait de riches et précieux manuscrits de tous genres, mentionnés par des documents historiques et par des attestations de Wakfs. Ce qui constitue une précieuse source d'information sur les disciplines enseignées et sur les oeuvres étudiées à différentes époques. La vie intellectuelle était si prospère qu'une criée de livres manuscrits se tenait chaque semaine dans la partie sud-est de la mosquée et que trente trois sections de cette bibliothèque furent ouvertes dans chacune des petites mosquées relevant d'AL QARAQUIYYINE.

Si l'on juge de l'importance d'un monument par le nombre de ses accès, AL QARAQUIYYINE compte dix huit portails, modèles de majesté et de splendeur dont certains sont recouverts de plaques de bronze ciselées de dessins et d'inscriptions louangeuses ou gravées de nom d'artisans

La population afflua dans la zone périphérique pour l'habiter, en raison du voisinage de la mosquée, de l'éclairage soigné et des autres attraits qu'on y trouvait. Juges, notaires, astronomes muftis, imams, prédicateurs, libraires, savants, médecins y avaient élu domicile.

Des collèges (médersas) furent édifiés dans les alentours pour l'accueil des étudiants et furent dotés de salles d'études. Ces médersas richement ornées de mosaïques et de motifs décoratifs en plâtre et en bois avaient si grande allure, que l'une d'elle reçut le qualificatif de «Merveille de Fès»

AL QARAOUYYINE attira ainsi des milliers de familles de diverses régions du Maghreb, ce qui lui valut le mérite de réunir à Fès un grand nombre de groupements issus de tribus originaires des contrées les plus lointaines. Bien plus, elle exerça son attrait sur des foules d'Andalous et d'Africains aux côtés desquels on trouva même des Persans et des Kurdes. Résider dans le voisinage privilégié d'un tel sanctuaire faisait en effet pour les uns et les autres, l'objet de vœux très chers.

AL QARAOUYYINE, la première dans l'histoire universitaire, instaura une tradition, celle d'honorer ses étudiants, au printemps de chaque année, en accordant à l'un d'eux l'accession au titre de «Sultan Attalaba». A cet effet, le «monarque» des étudiants reçoit tous les insignes de la souveraineté : il monte un cheval princier et se fait abriter sous un parasol royal. Il nomme les ministres de son gouvernement parmi ses condisciples et reçoit durant la semaine de son «règne» la visite du vrai souverain, dans une pompe et un cérémonial majestueux.

AL QARAOUYYINE connut une organisation précise en ce qui concerne le régime des études et des vacances, ainsi que des traditions particulières relatives aux cercles de cours dont les uns étaient confiés à un seul professeur, tandis que d'autres étaient dirigés par deux enseignants. Certains cercles étaient fréquentés uniquement par des étudiants portant le turban, alors que la participation à d'autres était interdite aux adolescents.

Si la ville de Fès jouissait de son rang de «Siège du Royaume», c'est grâce à AL QARAOUYYINE qui disposait d'une centaine de sections d'étude, réparties à travers la cité, où l'on compta à une époque jusqu'à cent quarante chaires d'enseignement, dont bénéficiaient des auditeurs issus de toutes les couches de la population. Il était de notoriété publique que les étudiants non originaires de Fès, s'ils souhaitaient acquérir plus tard réputation et célébrité, devaient nécessairement poursuivre leurs études à AL QARAOUYYINE.

Le mérite d'avoir sauvegardé au Maroc l'enseignement du Hadith (Traditions Prophétiques) sur la base de récits transmis fidèlement de génération en génération depuis les temps du Prophète (Assanad et Al Isnad), revient incontestablement à AL QARAOUYYINE. Elle institua également les fonctions de «chargé de département» pour chaque discipline, de «commentateur» pour chaque traité précis, et rétablit le système des «ljazat» ou attestations de capacité scientifique, qui restèrent en vigueur jusqu'à leur remplacement par un Diplôme universitaire tout récemment créé.

Durant la première phase de l'histoire universitaire de la mosquée, les professeurs dispensaient un enseignement basé sur des ouvrages composés en Orient ou ayant fait l'objet de traduction. Toutefois ils ne tardèrent pas à adopter leurs propres oeuvres lors de la deuxième étape, qui fut marquée par l'apogée de l'Institution. La troisième étape, celle de la réorganisation, coïncida avec l'apparition de l'imprimerie lithographique, époque où l'on commença alors à exporter en Orient des ouvrages édités à Fès.

Les oulémas d'AL QARAOUYYINE adoptaient une méthode qui leur était propre en matière de composition d'ouvrages, méthode qui différait de celle de leurs collègues d'Orient. C'est dire encore une fois la particularité de la personnalité maghrébine dans ce domaine, personnalité qui se signala entre autres, par le choix du rite malékite et du dogme achaarite, par l'adoption de la méthode de lecture du Coran professée par Ouarch, par le choix de la version rapportée par Ibn Saâda concernant les «hadiths» recueillis par Al Bokhari, par l'utilisation et la diffusion des chiffres arabes et enfin par la mise au point «d'El Amal El Fasi», traité de droit musulman dont l'ensemble des jurisprudences étaient en honneur à Fès.

L'esprit d'émulation entre les oulémas a contribué à la création d'un mouvement intellectuel

1^{ère} édition DAR AL-KITAB ALLUBNANI 1972
2^{ème} édition DAR NACHR EL MAARIFA - Rabat 2000

PREFACE

Au Maroc, dans la ville de Fès, une parcelle de terrain occupe un demi-hectare de la rive gauche qui porte le nom des immigrés d'Al-Qaïraouane (Kaïrouan), et abrite le cœur battant de la cité, cœur dont l'impulsion et la vitalité, ont marqué de leur empreinte indélébile les vastes provinces de l'empire maghrébin.

Ce cœur vivant, c'est la Mosquée-Cathédrale AL QARAOUIYYINE, à laquelle revient le mérite, tout le mérite d'avoir maintenu la présence de l'Islam et de la langue arabe à travers les terres africaines.

En effet, son rôle ne s'est pas limité à l'accueil des fidèles pour l'accomplissement de leurs dévotions et de leurs prières, mais s'est étendu à celui d'un véritable foyer culturel dont le rayonnement englobait les différentes régions du Grand Maghreb pour atteindre aussi bien les contrées de l'Orient que les cités de l'Andalousie.

Si les historiens considèrent AL QARAOUIYYINE comme « la plus ancienne université du monde », ils visent surtout à mettre en lumière le fait qu'elle fut l'unique institution qui perpétua sa noble mission d'enseignement, sans avoir à souffrir des crises et des épreuves que subirent les mosquées de Zaitouna et d'Al AZHAR ainsi que le Collège AL Mostansiriah. AL QARAOUIYYINE demeura en effet loin des courants tumultueux qui ravagèrent les métropoles de l'Orient tels que Baghdad, Damas et le Caire et qui en perturbèrent les structures. C'est ainsi qu'elle garda intacte sa personnalité et sa physionomie jusqu'à nos jours, notamment par tant d'éléments architecturaux qui remontent à l'époque des Idrissides, aux temps des antagonismes entre Fatimides et Omeyyades ainsi qu'au règne des Zenatas, des Almoravides, des Almohades, des Mérinides, des Ouattassides, des Saâdiens et des Alaouites.

Toutes ces dynasties ont ainsi laissé de leur présence un témoignage mémorable, mais toutes sont redevables à l'Institution d'honorantes attention : aux uns elle accorda un soutien qui consacra leur autorité, aux autres elle indiqua la voie de la raison ; à d'autres encore elle apporta les preuves en faveur de tel choix salutaire.

AL QARAOUIYYINE connut une prospérité telle que ses ressources tant en biens immeubles, qu'en terres fertiles et en riches plantations, rivalisèrent avec les revenus de l'Etat lui-même, si bien que celui-ci se trouva dans la nécessité de recourir au trésor des Wakfs (biens de main-morte) consacrés à cette Institution, et ce en vue de subvenir à des dépenses publiques ou de combler un déficit.

Notons que ces biens constitués en Wakfs, n'étaient acceptés qu'après de minutieuses enquêtes destinées à établir la bonne provenance des ressources et la légitimité des droits des constituants. Ce fut d'ailleurs là un principe intangible adopté en faveur d'AL QARAOUIYYINE depuis l'origine.

CONTRIBUTION A L'HISTOIRE DU MAROC

LA MOSQUEE AL QARAOUIYYINE

**La Mosquée-Université de Fès
histoire architecturale et intellectuelle**

Par

ABD EL HADI TAZI

Docteur ès-Lettres

MEMBRE DE L'ACADEMIE DU ROYAUME DU MAROC

TOME I



Rue Er Rakha C.Y.M. - Rabat - Maroc

**LA MOSQUEE
AL QARAOUYYINE**

